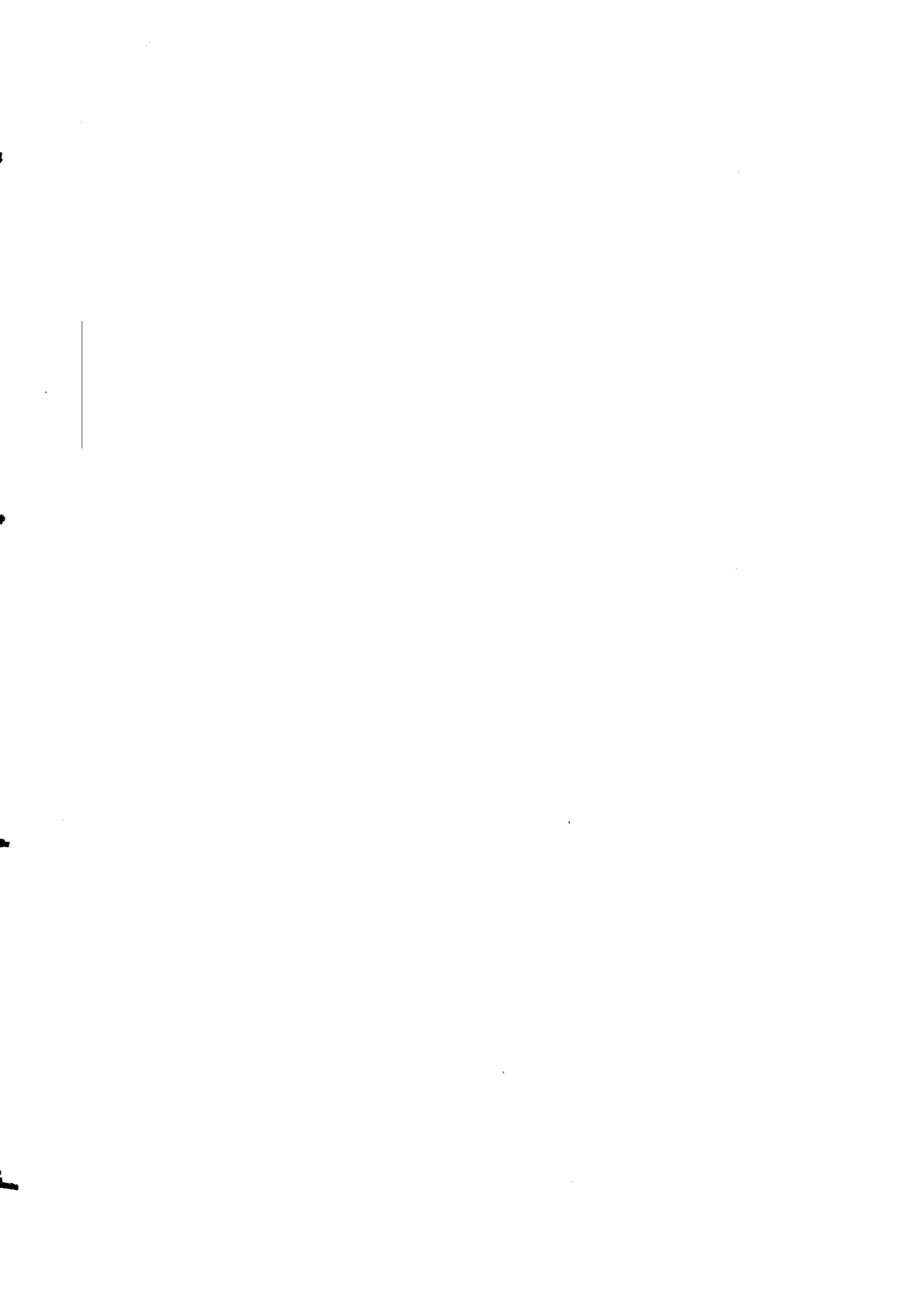


الدكتور علي علي ومصطفى صبح

المذاهب الأدبية
في الشعر الحديث
لجنوب المملكة العربية السعودية



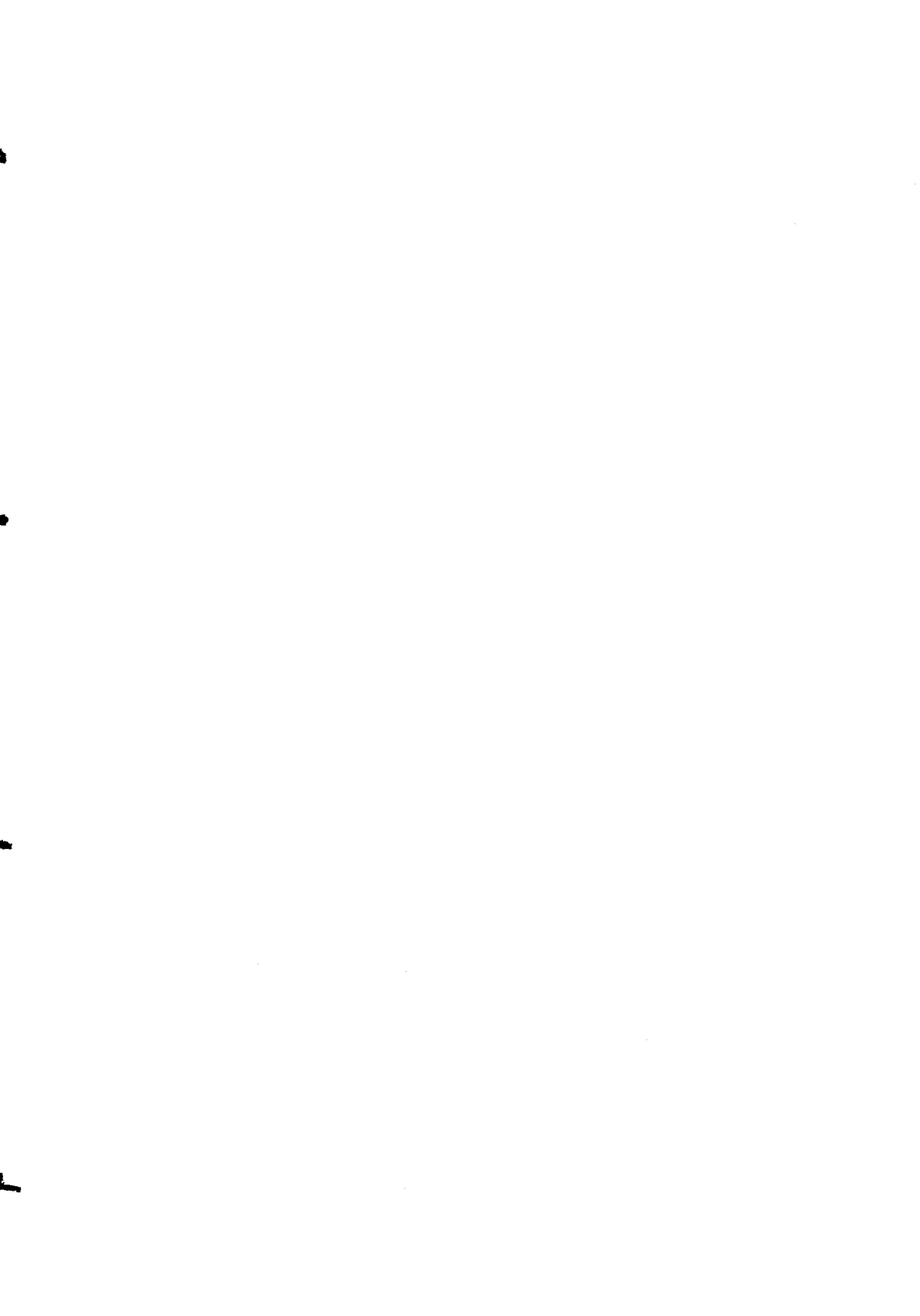
بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

جميع الحقوق لهذه الطبعة محفوظة للناشر

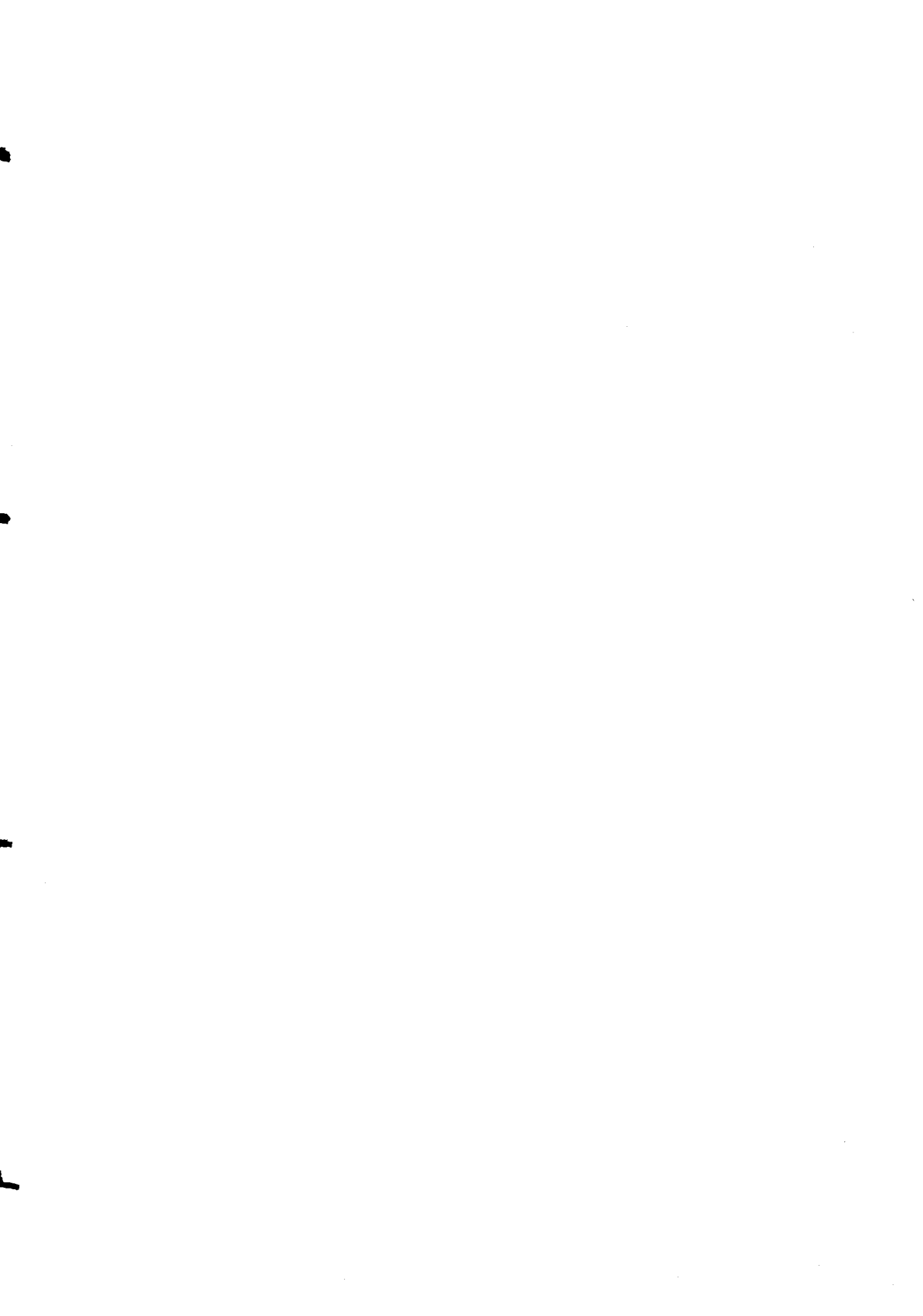
الناشر

تہامة

جدة - المملكة العربية السعودية
ص.ب. ٥١٥٥ - هاتف ٦١١٤٤٤٤



المذاهب الأدبية
في الشعر الحديث
لجنوب الملك العربية السعودية



مقدمة

الحمد لله تعالى الذى جعل الاسلام عقيدة وشريعة .. والصلاة والسلام على خير خلق الله ... كان خلقه — ﷺ — القرآن الكريم .. « وإنك لعلى خلق عظيم » .

فى العصر الحديث عاد إلى الشعر العربى وجهه المشرق ، وأصالته العربية الإسلامية العريقة فى جميع أنحاء العالم الإسلامى والعربى ، فأوتت إليه الأصالة بعد الزيف والإسفاف ، والحيوية والتجديد بعد الجمود والتقليد . والإبداع والابتكار بعد النقل والتكرار .. والتحرر والرجوع إلى الذات بعد التقيّد والتبعية .

ولهذا نال الشعر العربى الحديث عناية الباحثين والدارسين ، لتحديد الدوافع لأصالته وعراقته ، وإبراز خصائصه وسماته .. واتجاهاته ومدارسه .. وطابعه ومذاهبه ، وخاصة فى المجالات التى لم تنل عناية الباحثين ، لما تحتاج إلى جهد فى تيسير الوسائل والأسباب ، وتذليل العقبات والصعوبات .

والشعر فى « المملكة العربية السعودية » حتى الآن من الحقول البكر ، التى تضطر إلى التوقف والتأمل كثيرا ، وإلى البحث والدراسة ، ولا زال الشعر السعودى يحتاج الى التقييم والتحليل والنقد والموازنة ، للتعرف على خصائصه الفنية ، ومدارسه الشعرية ، ومذاهبه الأدبية .

والدراسة التى دارت حوله حتى الآن أخذت اتجاهها واحدا نحو الحركة الفكرية والتاريخ الأدبى ، فى مؤلفات نادرة ذات الطابع التاريخى فى أدب المملكة عامة أو أدب الجنوب خاصة ، أو أدب نجد وغيرها^(١) .

(١) مثل : الحركة الأدبية فى المملكة العربية السعودية : د . بكرى شيخ أمين . دار صادر بيروت ١٣٩٣ — ١٩٧٣ . واقتصر المؤلف على ذكر بعض أسماء الشعراء فى الجنوب لا غير — ومثل كتاب الحياة الفكرية والأدبية فى جنوب البلاد السعودية الى عام ١٣٥١ — ١٩٣٢ تأليف عبد الله محمد حسين أبو داهش — دار الأصالة بالرياض ١٤٠٢ هـ ، واقتصر المؤلف على شعراء التقليد فقط دون بقية المذاهب الأخرى، والبحث فى معظمه تاريخ فكرى وأدبى . ومثل شعراء الجنوب : للعقيل والسوسى واقتصر المؤلف على شعراء التقليد أيضا .

وهذا الاتجاه في الأدب عامة ، يختلف في منهجه وغايته عن الاتجاه في هذا البحث ، فقد اقتص بالشر ، لا بالأدب عامة ، ولا في تاريخ الشعر بالمملكة ، بل في العصر الحديث ، ولا بالشعر الحديث في المملكة كلها ، بل في شعر منطقة متميزة من مناطقها المتنوعة ، التي تختلف باختلاف الطبيعة وواقع البيئة ، وليس في شعر الجنوب « منطقة الجنوب » في جميع ما يتصل به لأدنى ملاسة ، بل في جزئية واحدة فقط من اتجاهات الشعر الكثيرة وروافده المتعددة ، بل في المذاهب الأدبية الحديثة في شعر الجنوب ، ومدارسها التي تنتمي إليها ، وهذا هو موضوع البحث .

ولم يكن هذا الاتجاه عن طريق الصدفة ، بل كانت من ورائه دوافع قوية متعددة الجوانب ، من أهمها الاتجاه « الأكاديمي » للبحوث في كلية التربية ، فرع جامعة الملك سعود في أبها ، والتي أعمل فيها عضوا من هيئة التدريس .. وهو البحث في البيئة ، التي تحملت أعباءها المؤسسات العلمية والجامعية ومراكز بحوثها ، على التمث الذي تقوم عليه الأقسام العلمية في حقول التجارب العملية لدراسة البيئة في عسير من خلال مركز البحوث للكلية .. ومن هذا المنطلق « الأكاديمي » تحدد اتجاه البحث .

وعندما تكاملت فكرة البحث تقدم به « مركز البحوث » مع بحوث أخرى للاشتراك العلمي في الاحتفال بمرور خمس وعشرين سنة على « جامعة الملك سعود » ورسالتها العلمية « اليوبيل الفضي » في عام (١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م)^(١) .

ثم تمت عناصر البحث وتكاملت ، ونضجت معالمه ، وتحددت أبعاده فتدفقت روافده بين صفحات هذا الكتاب ، ليعبر عن التجربة الواقعية التي عشتها في « منطقة الجنوب » للمملكة العربية السعودية .
ومن وراء هذا كله كان الشعر في الجنوب يحث على الدراسة ، والاستمتاع به .. وهو شعر بكر ، نبع من منطقة متميزة بروعة بيئتها ، وسحر طبيعتها فيها ، والتنوع في مجالها ، فهي بحق كما وصفتها المملكة : بأنها من أهم المصايف لدول الخليج العربي .

ومن هنا كان مجال البحث محدودا ، لأنه في منطقة واحدة متميزة ، وفي شعرها البكر ، الذي لم يتعرض للبحث حتى الآن ، وفي جانب واحد من الشعر لا في شتى الجوانب ، التي تتعلق به في المنطقة .

وينبغي منذ البداية أن يكون المنهج واضحا للقارئ الكريم ، فالمنهج يحدد الاتجاه والغاية التي تنتهي بالنتائج ، فيميز المذاهب الأدبية ، ويحدد اتجاهها وقيمها ، ليحكم بالتقليد ، أو التجديد ، أو الابداع .

(١) رسالة فرع الجامعة : كلية التربية في أبها - العدد السابع ١٤٠٢/١/١٨ - ١٩٨٢/١/١٣ م في الحوار الذي أجراه عبد الله دليم مع د . لطفى بركات أحمد مدير مركز البحوث ص ٢٢/٣١

فالقيم المنهجية التي سرث عليها كانت — بالدرجة الأولى — نابعة من واقع الشعر في المنطقة حسب تطوره التاريخي فيها ، ثم تُستنتج النتائج وهذا هو الأساس الأول والأصل في منهج البحث والوصول الى الغاية منه .. أما علاقة الشعر بالتيارات المعاصرة ، والمذاهب الأدبية العامة في الشرق وفي الغرب كانت تابعة للأساس الأول ، ورافدا واحدا من روافده .

والحكم على المدرسة في مذهبها الأدبي بالتقليد أو المحافظة ، أو التجديد ، أو الابداع يصدر أيضا نابعا من الاستقراء للشعر المنشور والمشهور ، ومن خلال التصنيف بين شعراء الجنوب وحدهم ، فالتفاوت بينهم يتم حسب المذهب الأدبي في مدرسته ، لا بين غيرهم من شعراء المملكة ، وقد يتفق شعراء المملكة جميعا في المذاهب الأدبية المتباينة ، وحينئذ يكون من الممكن أن ينتسب كل شاعر الى مدرسته الأدبية تبعا لاختلاف مذاهبهم وتطبيقها على الشعر الحديث عامة ، وهذا مجال لبحث مستقل آخر .

ومن المحازفة أن يكون البحث شاملا للمذاهب الأدبية في شعر المملكة لأسباب من أهمها : أنها ستكون دراسة غير دقيقة ، لا تعتمد على جزئية واحدة في مجال البحث العلمي ، وأنها أيضا ستواجه العقبات الصعبة في الاستقراء أو الاستقصاء لهذا الشمول ، على العكس من الجزئية في هذا البحث ، وأن الدراسة أيضا تستلزم تحديد أبعاد الجزئية ، لتتخذ طريق العمق والبناء السامق ، وإلا كانت الدراسة مسحا سريعا كالعدو وشمولا خاطفا كسرعة البرق .

ومن الممكن بعد الوصول الى الغاية من البحث أن يصح تطبيقها على نظائرها من المذاهب الأدبية في بعض المناطق الأخرى للمملكة بنفس التخصص والاستقراء ، لأن معظم الروافد التي تغذى الشعر فيها واحدة غالبا إلا روافد خاضعة لبيئة المنطقة وخصائصها الطبيعية والبشرية ، ولو لم تكن البيئة والطبيعة فاصلا ومميذا ، لما تميز شعر الجنوب بسحر الطبيعة وروعة البيئة ، كما تميز شعراء الحرمين بالشعر الاسلامي والوجداني بخصائص تتميز به كل من المنطقتين فيما بينهما ، كما تتميز كل منهما عن المناطق الأخرى .

وجمع مادة الشعر هنا ليس سهلا ، لا من شعراء المنطقة الذين ذهبوا مع الخالدين ، فلم تكن لهم دواوين منشورة ، وإن كانت — وهذا نادر — فتكاد أن تخفى عن الأنظار كالكنز الدفين ، فمن الصعب الحصول عليه ، ولا من كبار الأحياء من الشعراء المشهورين لعقبات لا تقل عن العقبات السابقة منها أن الديوان يطبعه الشاعر لحسابه ، أو يقوم النادي الأدبي بطبعه ، وفي كلتا الحالتين يكون التوزيع محدودا ، يعتمد على الهدايا الشخصية غالبا ، ولم يبق أمامي إلا وسائل الاتصال المختلفة والشاقة ، وعلى سبيل المثال : ديوان « القلائد » للسنوسى أبرز شعراء الجنوب ، نشر منذ أكثر من عشرين سنة فلم نجد منه إلا نسخة واحدة خاصة بالشاعر نفسه ، ضرب عليها الحصار ، حتى يعيد الطبع للمرة الثانية ، وتكررت مثل هذه المحاولات في جمع مادة البحث .

والمذاهب الأدبية النابعة من مدارسها المختلفة ، والتي انتهت إليها ، مذاهب ليست شرقية ولا غربية بل صدرت عن واقع الشعر في الجنوب ، فقد يكون اتجاه المدرسة في مذهبها غريباً في أول الأمر ، مثل مدرسة « التجديد المحافظ » أو مدرسة « التحرر في التجديد » ، لكن بعد التوغل في أعماق المدرسة لا نجد غرابة ، بل نجد أن القيم الفنية نبعت في المدرسة من الشعر ذاته .

لهذا جعلت المدارس الأدبية في شعر الجنوب هي مدرسة « التقليد المتحجر » ومدرسة « المحافظين الحرفيين » ، ومدرسة « التجديد المحافظ » ، ومدرسة « التحرر في التجديد » ولكل مدرسة اتجاهها وأسسها ، وخصائصها الفنية وشعراؤها ، وأغراضها وأسلوبها ، وتصويرها الأدبي وميزاتها النقدية .. في خطة للبحث تسير على النحو الآتي :

أولاً : الإهداء .

ثانياً : مقدمة البحث .

ثالثاً : تمهيد .. في توضيح العوامل التي أثرت في المذاهب الأدبية — البيئة في جنوب المملكة العربية السعودية بالطبيعة الساحرة في جنوب المملكة العربية السعودية .

رابعاً : أبواب البحث وفصوله :

الباب الأول : مدرسة المحافظين

الفصل الأول : التقليد : خصائصه — شعراؤه

ويضم هذه الموضوعات : مدرسة التقليد المجردة من المهابة الشعرية — سليمان بن سحمان وابنه صالح بن سليمان — الشاعر علي السنوسي — الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي — شعراء آخرون .

الفصل الثاني : مدرسة المحافظين

ويشمل هذه الموضوعات : خصائصها الفنية — شعراؤها — الشيخ محمد سرور الصبان — الشاعر معيض بن علي البختيان — شعراء آل الحفظي .

الفصل الثالث : شعراء آل الحفظي

ويضم أشهر الشعراء — شعرهم في الميزان — التصوير الشعري وخصائصه الفنية — الأغراض الأدبية وخصائصها الفنية .

الباب الثاني : مدرسة التجديد المحافظ

الفصل الأول : الخصائص الفنية لمدرسة « التجديد المحافظ »

ويضم الموضوعات : أصول المحافظة على عمود الشعر العربي — دعائم التجديد وخصائصه الفنية — شعراء مدرسة المجددين المحافظين .

الفصل الثاني : الشاعر محمد بن علي السنوسي

ويشمل : نشأة الشاعر وحياته — الأغراض الأدبية في شعره وخصائصها الفنية — التصوير الأدبي — خصائص الألفاظ والأساليب — خصائص الوزن والقافية — التشخيص في التصوير الأدبي — الروح الإسلامية في التصوير الأدبي — الصورة الخيالية وخصائصها الفنية — الوحدة الفنية — موازنة ونقد .

الفصل الثالث : الشاعر محمد بن أحمد العقيل

ويضم : نشأة الشاعر وحياته — الأغراض الشعرية والتصوير الأدبي لها — المدح وخصائصه الفنية — الشعر الوطني وخصائصه الفنية — الشعر الإسلامي وخصائصه الفنية — الشعر في الحضارة العلمية وخصائصه الفنية — الشعر الوجداني وخصائصه الفنية — الوصف وخصائصه الفنية — الأناشيد .

الفصل الرابع : الشاعر زاهر عواض الأملعي

ويشمل : نشأة الشاعر وحياته — الأغراض الشعرية وخصائصها الفنية — التجربة الشعورية — المناسبات في الشعر — الصدق الفني — الألفاظ والأساليب — الخيال وصوره الجزئية — الوحدة الفنية .

الفصل الخامس : الشاعى يحيى ابراهيم الأملعي

ويضم : نشأته وحياته — الأغراض الأدبية في شعره — المدح وخصائصه — الشعر الوجداني وخصائصه — الشعر الإسلامي وخصائصه — الرثاء وخصائصه — وقفات مع الشاعر في التصوير الأدبي — التصوير الأدبي — البديع والضرورات — معالم الجنوب في شعره — الوحدة الفنية وخصائصها .

الفصل السادس : شعراء آخرون

ويضم : الشاعر علي خضران القرني — الشاعر علي عبد الله مهدي — الشاعر جبران محمد حسن قحل — شعراء آخريين .

الباب الثالث : مدرسة التحرر في التجديد

الفصل الأول : الخصائص الفنية لمدرسة التحرر في التجديد

ويضم : التمييز بين « الرومانتيكية » الإبداعية وبين التحرر في التجديد — عوامل تكوين مدرسة التحرر في التجديد — الخصائص الفنية لمدرسة التحرر في التجديد .

الفصل الثاني : الشاعر أحمد العسيري

ويضم : نشأة الشاعر وحياته — الأغراض الأدبية وخصائصها الفنية — التصوير الأدبي — التجربة الشعرية — الألفاظ والأساليب — خصائص الخيال والصور الشعرية — الموسيقى الشعرية — شاعرية العسيري في ميزان النقد .

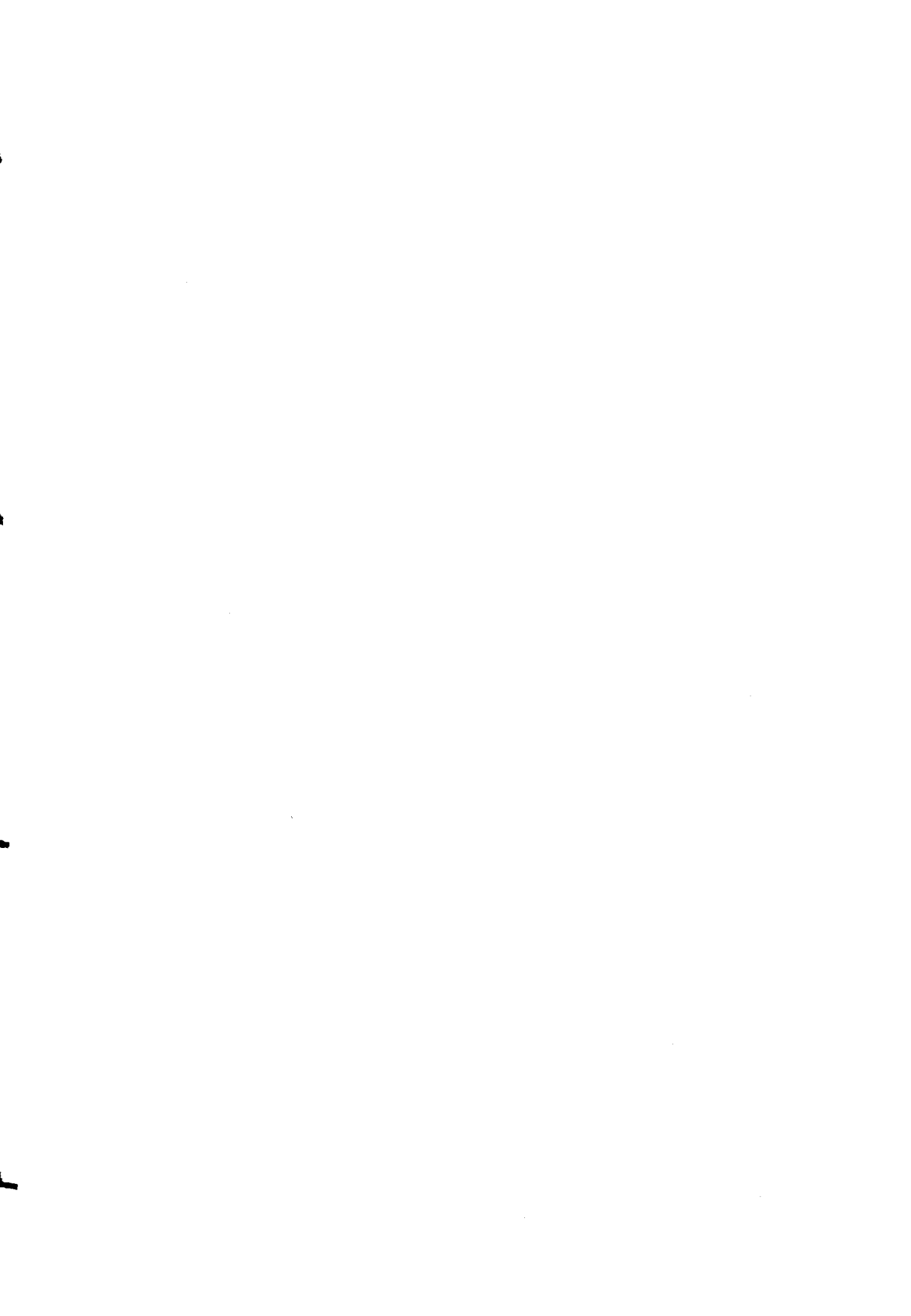
الفصل الثالث : الشاعر أحمد بهكلي

ويشمل : نشأة الشاعر وحياته — الأغراض الأدبية في شعره — التصوير الشعري — بين الوجداني الذاتي والالتزام الموضوعي — الوحدة الفنية في شعره — التشخيص في التصوير الشعري — الخيال والصور الأدبية — الإيقاع الموسيقي .
والله سبحانه وتعالى أسأل أن ينفع به .

المؤلف

تمهيد

- ١- العوامل التي أثرت في المذابح الأديبية .
- ٢- البيئة في جنوب المملكة العربية السعودية .
- ٣- الطبيعة الساحرة في جنوب المملكة العربية السعودية .



الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية بصفة عامة ، وشعر جنوبها بصفة خاصة ، تأثر بواقعه الذى عاش فيه ، ويثته التى نبع منها ، ومن بواكير هذه المؤثرات :

دعوة الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، التى حررت العقيدة والانسان ، والفكر والاتجاه والهدف ، فظهر شعر الدعوة ، وكان منطلقا للتحرر من قيود الجمود ، والتخلف ، والركاكة ، والفهاة .. وما شابه ذلك^(١) .

ثم تتابعت مؤثرات أخرى ، نبتت من واقع النهضة الكبرى للمملكة العربية السعودية ، والوثبة المذهلة التى غيرت مجرى الحياة : كوحدة الانسان لبناء الوطن ، وتحقيق الهدف لاعادة بناء الأمة الاسلامية المجيدة ، فيعود لها وجهها المشرق كما كانت فى الماضى .. والاهتمام بالتعليم فى شتى مراحلها ، وبالصحافة ، وبالمجلات ، وبالاذاعة المسموعة والمرئية ، وكذلك العناية بالمطابع ودور النشر ، وإحياء التراث وجمعه من أقطار العالم الاسلامى وغيره ، والاهتمام بالمكتبات العامة الخاضعة للمؤسسات المختلفة ، وبالمكتبات الخاصة بالعلماء والأدباء والشعراء .

ومن أحدث المؤثرات فى الأدب السعودى الحديث ، هو التجاوب الفكرى والثقافى والعلمى والأدبى مع التيارات الأدبية المعاصرة ، والمذاهب النقدية الحديثة . فى مصر ، والعراق ، والشام ، وبلاد المغرب ، ثم الانفتاح أمام المذاهب الأدبية والنقد فى الغرب ، والتأثر بجوهرها ، واتجاهاتها ، وتطوير ما يتناسب مع القيم الاسلامية والعربية الأصيلة ، وطرح ما يتجاوب مع الفطرة الشرقية الملهمة .

لاشك أن التجاوب الفكرى والأدبى كان أظهر وأقوى مع المذاهب الأدبية العربية العريقة ، التى أينعت فى الأرض الخصبة للعروبة والاسلام ، مثل التأثر بمدارس المحافظين ، ومدارس المجددين ، ومدارس المبدعين ، كالتأثر بمدسة الديوان ، ومدسة أبولو ، ومدسة المهاجرة العرب ، ورابطة الأدب الحديث ، والمتمردين فى الشعر ، وغير ذلك .

تلك هى المؤثرات العامة التى أثرت فى الأدب السعودى ، ويكاد يسيطر عليه مؤثر ظاهر ، له دور خطير وعظيم وقوى ، وهو سيادة التيار الاسلامى فيه ، وسريان الشريعة الاسلامية بين جوانبه بصفة خاصة^(٢) .

(١) انظر : الأدب الحجازى فى النهضة الحديثة . نهضة مصر — القاهرة ١٩٤٨ ، الوحدة الاسلامية : زيد بن فياض . مطابع القصيم ١٣٨٨ هـ ، دورنا فى الكفاح : حسن عبد الله آل الشيخ : مطابع نجد : الرياض ١٣٨٣ هـ .

(٢) انظر : الحركة الأدبية فى المملكة العربية السعودية : د . بكرى شيخ أمين . دار صادر بيروت . طبعة أولى ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م ، قصة الأدب فى الحجاز : محمد عبد المنعم خفاجه وعبد الله عبد الجبار دار مصر — القاهرة ١٩٥٨ ، والتيارات الأدبية فى قلب الجزيرة العربية : عبد الله عبد الجبار وغيرها .

وبعد ذلك يأتي مؤثر متميز في شعر الجنوب ، نبع من واقع البيئة العربية العريقة ، وهو ما يتميز به أدب الجنوب : من جمال الموقع ، وسحر الطبيعة ، وكرم السماء ، وتعانق السحب ، وفراشة الجبال ، وبقعة الآكام ، وعمق الأودية ، ورحابة السهول ، وتدفق السيول ، وتراسل الشلالات ، وشموخ الأشجار المتعانقة ، وعدوية المياه الرقاقة ، وتلاحم البسط الخضراء على قمم الجبال وفي السهول على السواء ، في طبيعة أخاذة ، وحياء ساحرة ، وهواء طرىّ منعش ، ومناخ متقارب تتلاحم فيه فصول السنة في توافق وانسجام ، فلا تدرى في أى فصل تكون ، مع ما يتمتع به أهل الجنوب من برود الطبع ، ودماثة الخلق ، وسعة الأفق ، وحدة اللكاء ، وغير ذلك مما يلهم الشعراء ، ويعين على التأثر السريع بالمذاهب الأدبية ، التي تعشق الطبيعة ، وتهيم بجمال الكون ، وتذوب في سحر الحياة ..

ويحتاج هذا المؤثر المتميز الأخير الى توضيح أكثر للبيئة ، التي نبت فيها شعراء الجنوب (منطقة : الجنوب) ، حيث تنوعت فيها مشارب الشعراء وتدفقت روافدهم من منابعها الصافية العذبة ، واختلفت اتجاهاتهم الأدبية ومدارسهم الشعرية .

(الجنوب) منطقة واسعة ، تصل مساحتها الى ربع المملكة العربية السعودية ، يقطنها سكان كثيرون ، في عشرة آلاف قرية تقريبا ، وعاصمتها أبها ، ترتفع عن سطح البحر الأحمر بسبعة آلاف قدم ، وفي القرى تكثُر الزراعة .. والبساتين لأصناف كثيرة : من الحبوب ، والفواكه ، والخضروات .

الأشجار الكثيفة والغابات الملتفة توجد في بعض مناطق الجنوب ، مثل منطقة السودة ، وتهلل ، والباحة ، وتمنية ، وهامة ، والقرعاء ، والجرة ، والحالة وغيرها . أما مناخها فشبيه بمناخ لبنان في سحره وجماله في الصيف والخريف ولاسيما في جبال السراة ، وفي الشتاء والربيع تشتد البرودة ، ويغشى الضباب جبالها وقرائها أثناء الربيع من حين لآخر^(١) .

(٢) ويصف الأستاذ يحيى ابراهيم الألعى السودة وتهلل ، التي ترتفع تسعة آلاف قدم : « فانك تشعر بجمال الطبيعة ، وكال حسنها ، لما يتوفر فيها من مناظر خلابة ، وأماكن شاعرية أخاذة ، غابات تتعانق فيها الأشجار المخضرة المخضلة ، وربوات ترى فيها الأزهار المورقة ، ذات الألوان المختلفة ، وتفوح منها رائحة عطرية عبقة ، تتناثر في أجواء تلك الأماكن العالية .. ومن أشجارها المعروفة الوافرة : البلسان ، والأثل ، والعرعر ، والأقحوان ، وعندما يبب النسيم ، نسيم الصبا ، وتشرق شمس الأصيل على تلك الروابي والمرتفعات الشاهقة ، تمتزج هذه العطور الفواحة مع الرذاذ الذي يتساقط على الأرض كالدر أو اللؤلؤ ، من أثر الطل ، حينئذ تستمتع بمنظر جميل

(١) انظر : في ربوع عسير : محمد عمر . العهد الجديد — القاهرة ١٩٥٤ ، تاريخ عسير في الماضي والحاضر . هاشم بن سعيد النعمي .

(٢) رحلات في عسير : يحيى ابراهيم الألعى .

أخاذ ، يرغمك على التجوال بين غابات لا ترى لها نهاية ، وربما صادفك في طريقك ما يشبه الشلالات ، التي تتدفق منها المياه الرقراقة العذبة ، وتنساب فيها الجداول الصغيرة الصافية .. أما تهامة وأخص بالذكر منها جهات معروفة ، فهي معتدلة ، لا حرّ ولا بردٌ ولا سامة ، وفيها كثير من الأشجار الباسقة ، ويعتمد معظم أهلها على الزراعة ، ولا تخلو جبالها أيضا من مراتع الأرنب والعقبان ، ومرامى الحجج والغزلان ، وفيها من الطيور : البلبل ، والحبارى ، والعنديل ، والخضارى ، والهدهد ، واليمامة » .

في هذه البيئة الساحرة نبتت وثمرت مؤسسات علمية وأدبية راسخة في ظلال المملكة الرشيدة المعطاءة ، كان لها الدور الكبير في تعميق الجوانب الفكرية والثقافية ، وتوسيع المجالات العلمية والأدبية وهذه المؤسسات العلمية هي جامعة الملك سعود (الرياض) سابقا ، فرع أبا ، وتضم كلية التربية ، وكلية الطب ، ثم كلية الشريعة وأصول الدين ، وكلية اللغة العربية والعلوم الانسانية والاجتماعية ، التابعتين لجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، ثم الكليات المتوسطة للبنين والبنات التابعة لوزارة المعارف السعودية ، ثم النوادي الثقافية والاجتماعية والرياضية والأدبية في جيزان وييشه ونجران وخميس مشيط ، وأحد ريفه والباحة وأبها وغيرها ، ولقد اشتركت في ندوات كثيرة في بعض هذه النوادي مثل نادى (ضمك) بنخميس مشيط ، ونادى (جرش) بأحد ريفه ، وفي أبها وغيرها .

واشتركت في حفل افتتاح (نادى أبها الأدبى) حين شهدت أبها حفلا تاريخيا في يوم ١٤٠٠/٣/١١ هـ : (نيابة عن صاحب السمو الملكى الأمير خالد الفيصل - أمير منطقة عسير - افتتح صاحب السمو الملكى الأمير فيصل بن بندر بن عبد العزيز - وكيل امانة منطقة عسير - نادى أبها الأدبى في تمام الساعة الثامنة من مساء الثلاثاء الموافق ١٤٠٠/٣/١١ هـ بحضور عدد كبير من المسؤولين والمثقفين وأبناء المنطقة)^(١)

وفي هذا الحفل حث المسؤولون الشباب والأدباء على الابداع العلمى والأدبى ، قال صاحب السمو الملكى الأمير فيصل بن بندر : (فلقد اهتمت حكومتنا الرشيدة ، وعن طريق احدى مؤسساتها .. لانشاء ورعاية وتأسيس النوادي الأدبية ، وقامت على دعمها بكل ما يساعدها لتحقيق أهدافها ، والتي على رأسها بعث تراث هذه الأمة المحيطة وأدبها وعلومها ، ودعم كافة الطاقات الشابة وحفزها لتقديم ما عندها من قدرات على الانتاج والابداع العلمى والأدبى)^(٢) .

وباسم المؤسسات الجامعية العلمية في الجنوب تحدث الدكتور مزيد ابراهيم عميد كلية

(١) كلمات وقصائد : نادى أبها الأدبى . المقدمة : مطبعة عسير ١٤٠٠ هـ .

(٢) المرجع السابق ص ٥ ، ٦ .

التربية في أبا فقال : (لا يسعنا اليوم إلا أن نشكر الله عز وجل ، ونحن نشهد تدشين هذه المؤسسة الأدبية الثقافية ، التي تعتبر لبنة أساسية في كيان الصرح الثقافي في منطقة عسير .. أما المجتمع فعليه أن يدرك أيضا انتهاء العميق لهذا الجزء منه ، ألا وهو مؤسساته الثقافية ، فهي كما ورد الذكر ، لم توجد إلا لخدمته ، وهي المصدر الأساسي الذي يمدد بالقوة البشرية المؤهلة للمساهمة في تقدم البلاد وازدهارها)^(١) .

ومما ذكره في كلمته الأستاذ محمد عبد الله الحميد رئيس النادي : « ونحن في هذه المنطقة الجميلة المعطاءة .. الموحية بالأفكار البناءة والأخيلة الشعرية الصافية .. أحوج ما نكون الى ملتقى فكري يجمعنا .. ومنتدى أدنى تغذى به أرواحنا »^(٢) .

ثم تتفجر شاعرية الأستاذ أحمد فرح العقيلان — مدير ادارة الأندية بالنيابة — فأنشد قصيدته من وحي الساعة ، بعنوان : « أبا الشاعرة » :

سلم على أبا وحيّ جمالها نفسى الفداء لها ربوع فضائل أنشد عن الطهر العفيف نساءها الأسد فيها والظباء سوانح قد كنت أحسبني كبرت على الهوى حتى رأيت ظباء أبا رتعا وإذا الوقار يلومنى ويقول لى لولا وفائى للرياض وأهلها أو كنت أتركهم هناك وأمهم أبا مصيف الطيين يومها بعض المصايف ضلة وفضائح حورية السروات أنت نموذج في روض أبا كل شيء شاعر ولحكمة رزقت أميرا شاعرا والشعر عبر عصوره أنشودة ما أروع الآداب إن هى أنهلت أنا لم أنل في العمر صحبة خالد	واسأل عن السحر الحلال جبالها تتشرف الأرواح أن تهدى لها واسأل عن الخلق الشريف رجالها بأنى وأمى ليثها وغزالها وتركت أحلام الصبا ودلالها والحب يرتع والعفاف حيالها العب وشارك فى الصبا أطفالها لنقلت عائلتى هنا وعيالها وأسوم بعض الطاهرات حلالها ^(٣) من كان ينشد فى الحياة جمالها وهنا فضائلها تمد ظلالها للحسن ترسمه الحسان مثالها فالحسن يصقل فى النفوس خيالها والشعر يرسم للنفوس كمالها رسمت لروح التضخيات مجالها من منهل الخلق الكرم خصالها لكن سمعت الحمد ممن نالها
--	---

(١) المرجع السابق : ١٢ ، ١٣

(٢) المرجع السابق : ٨

(٣) ضح النادي بالتصفيق والضحك .

وقرأت في صحف روائع شعره ما كان أحلى نظمها وصقالها
ورأيت في أيها غراس يمينه نشرت على قمم الجبال ظلالها
ورأيت رأى العين إنجازاته غراء يسبق فعلها أقوالها
لا تعجبين فخالد من أسرة يتفياً الشرف الرفيع ظلالها
عَفَوا شغلت بخالد عن فيصل حرس الإله حياته وأطلها
نور على نور بجانب خالد بهما غدت أيها تسوق دلالها^(١)

ومن أشهر مناطق الجنوب : أيها ، وتهامة عسير ، أو رجال ألمع ، وبلاد الحجر ،
والنماص ، وتثليث ، وجاش ، وظهران الجنوب ، وبلاد بلقرن ، وبلاد شهران ، ومحائل ، وجازان
وغيرها ، وترجع القبائل فيها إلى أصول العدنانية والقحطانية ، وأشهر من فيها : رجال ألمع ، وآل
حفظى ، وبنو شهر ، وبنو عمرو ، وبنو الأحمر ، وبنو الأسمر ، وبنو مسعود ، وبنو شهران ،
وغيرهم .

ذكر الهمداني المتوفى سنة ٣٣٤ هـ بلاد الحجر : (أن عبل من أوطان عسير ، ويقع في
بلاد بني الأحمر ، وهم من رجال الحجر بن الهنو بن الأزدي)^(٢) .

وقال الهمداني أيضا : (وأول بلاد الحجر من يمانها عبل : واد فيه الحبل ، ساكنه
بنو مالك بن شهر . وصبح وادى زرع ، وباطنه بهوان : وادى زرع وأعنان ، وساكنه بنو
شهر)^(٣) .

وفي الحجر نشأ الشنفرى الأزدي العداء المشهور ، صاحب اللامية التى أولها :

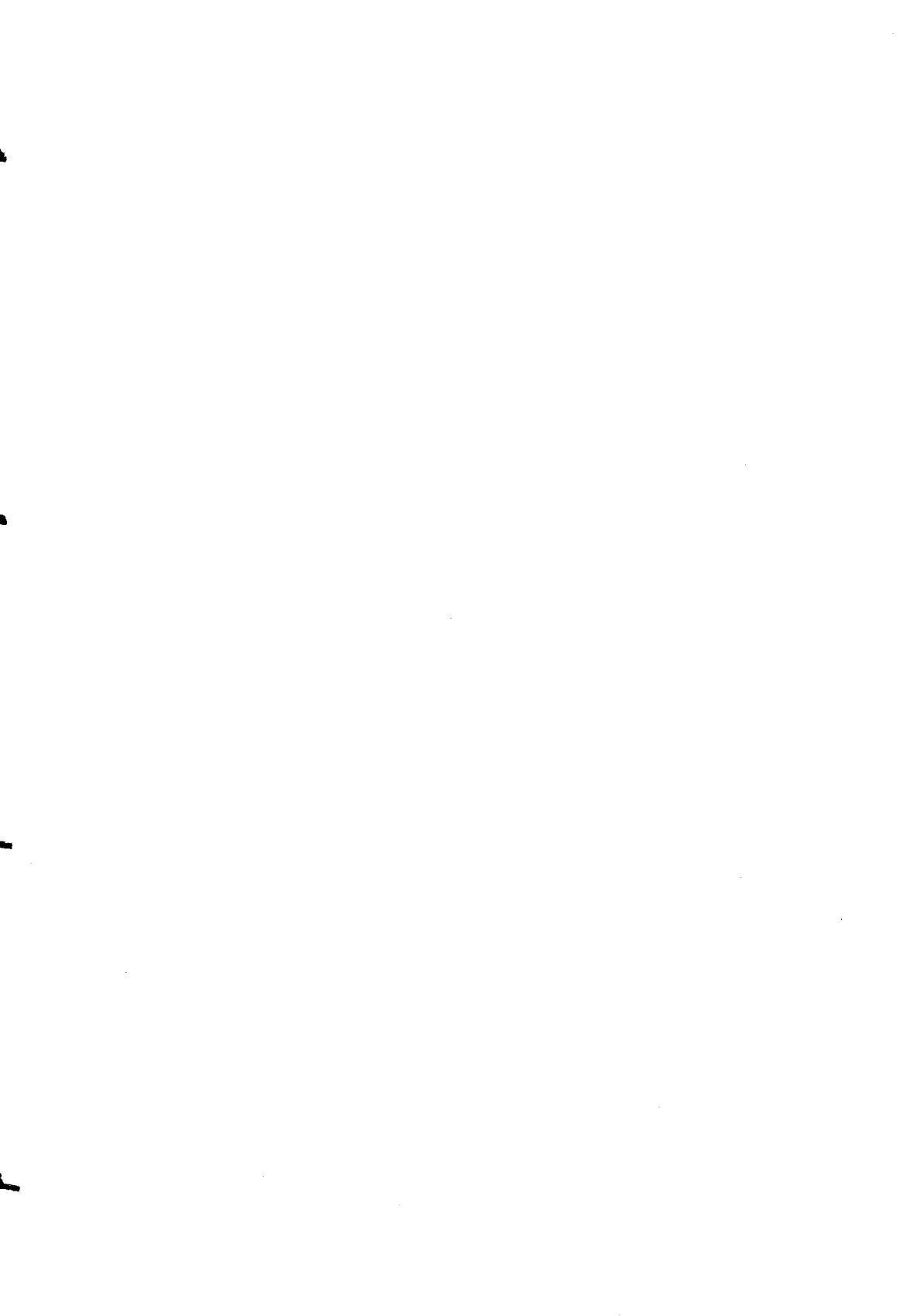
أقيموا بنى أمى صدور مطيكم فإني إلى قوم سواكم لأميل^(٤)
في هذه الطبيعة الساحرة ، والبيئة الأخاذة ، مر الشعر الحديث في الجنوب ، بالأطوار التى
مرت بالشعر السعودى بصفة عامة ، واتخذ في سيره التاريخى مراحل متنوعة في التطور
والتجديد ، ويمثل في كل مرحلة من مراحل مدرسة فنية ، ومذهبا أدبيا ، يتميز بخصائصه
وسماته ، ومن خلال هذه المدارس الأدبية برزت معالم المذاهب الأدبية في هذا الشعر ، وسنفضل
القول في أشهر هذه الاتجاهات المدرسية في شعر الجنوب وذلك في الأبواب والفصول التالية :

(١) المرجع السابق : ٢٣ ، ٢٧

(٢) صفة جزيرة العرب : تحقيق محمد بن بلهد التجدى ص ١١٨

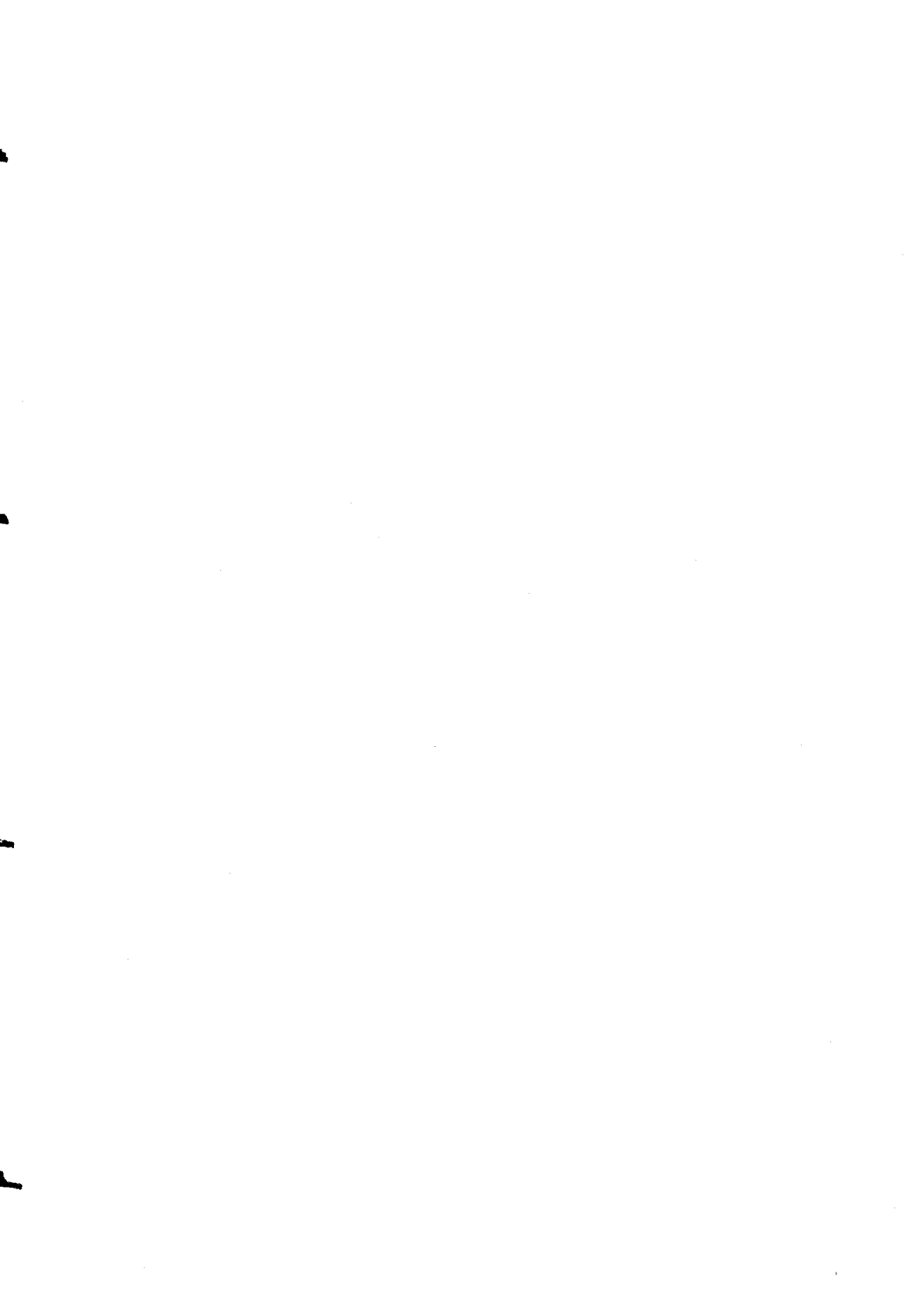
(٣) المرجع السابق : ١٢١

(٤) انظر في : ربوع عسير : محمد عمر رفيع — وانظر : تاريخ الخلاف السلماني : محمد أحمد العقيل — السراج المنير في سيرة
أمراء عسير : عبد الله بن علي بن مسفر — تاريخ عسير في الماضي والحاضر : هاشم سعيد النعمى — في بلاد عسير : فؤاد
حمزة — الحياة الفكرية والأدبية : عبد الله محمد أبو داهش — دار الأضال — الرياض .



الباب الأول

مدرسة المحافظين

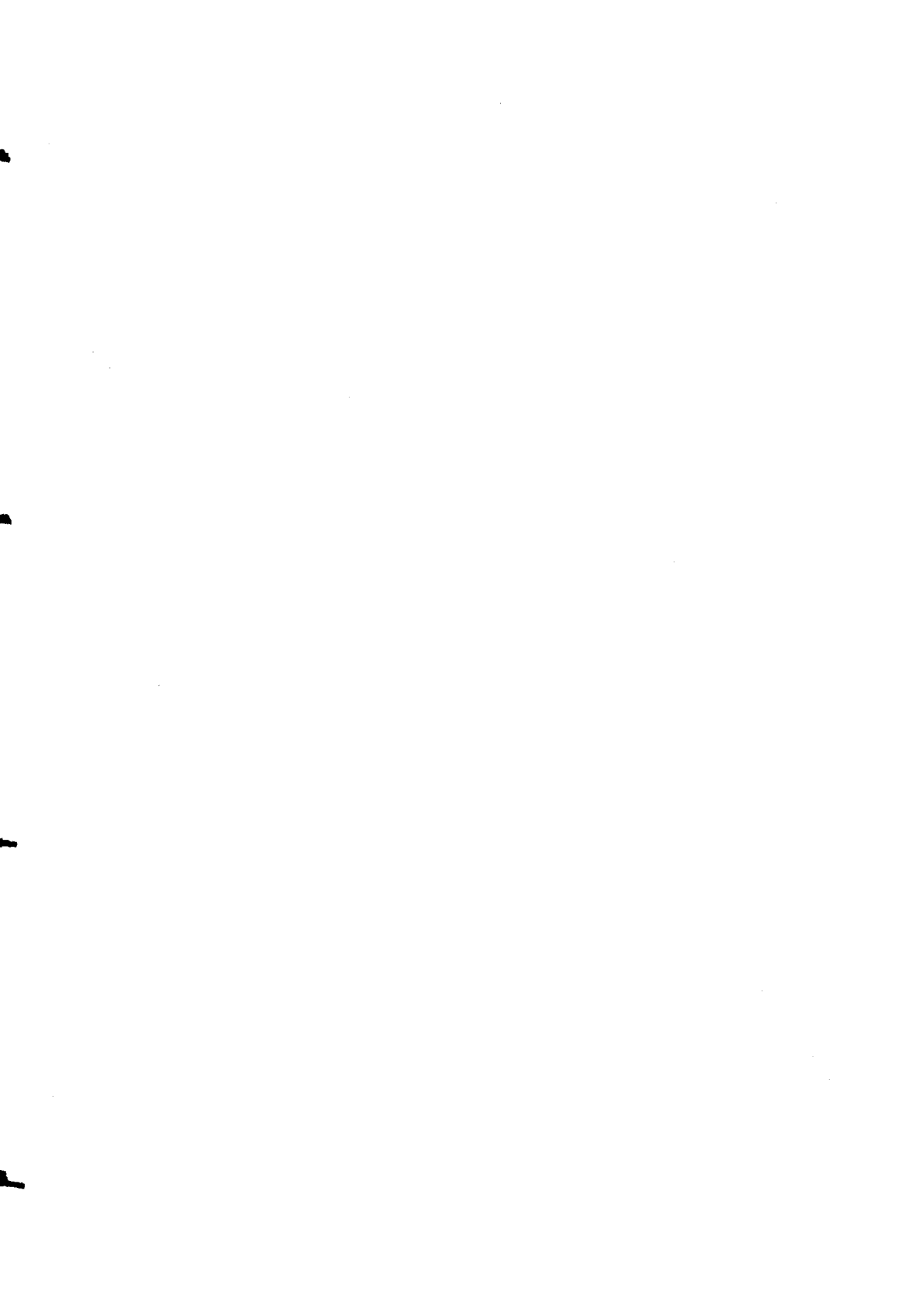


الفصل الأول

التقليد

خصائصه - شعراؤه

- ١- مدرسة التقليد المجرّد من الموهبة الشعرية .
- ٢- يُليمان بن سحمان وابنه صالح بن يُليمان .
- ٣- الشاعر عاصم السنوسي .
- ٤- الشيخ حافظ بن احمد الحامسي .



مدرسة التقليد المجرد من المهبة الشعرية :

أصحابها هم الذين عكفوا على محاكاة الشعر ، الذى دار فى فلك العصر ، فقد ساد فيه الضعف الفكرى والركود الأدبى ، وضحالة الثقافة ، وحمود العاطفة ، وبلادة المشاعر والأحاسيس ، وجمود الحياة ، مما كان له آثاره الهابطة على الفكر والأدب ، فاصطبغ الشعر بالتكلف والتصنع ، واشتد الغرام بألوان البديع الباهتة ، وازدادت المبالغة فى التصوير ، حتى زاغ المعنى ، وضل الهدف ، وتكاثف الزخرف فى الأسلوب وأثقال الزينة ، فناء بحمل المعنى المراد ، واختفت شخصية الشاعر الفنية ، فجرد الشعر من العاطفة الجياشة ، والأحاسيس الرقيقة ، والمشاعر الحية ، والخواطر الذاتية ، وشرف المعنى ، ونبل الهدف ، وأصبح الأدب لا يثير العاطفة عند الآخرين ، ولا يحرك مشاعرهم ، ولا يثير فكركم ، ولا يرى أذواقهم ، ولا يثير نخوة المنافسة بين المتطلعين الى الأدب ، مما أدى الى فقر ساحة الأدب والشعر ، وجذب المواهب ، وانتهيار اللوق الأدبى ، وعزوب الأديب ، وندرة الشاعر^(١) .

هذه خصائص الجمود فى الشعر ، تسربت سمومه القاتلة الى شعر المقلدين من شعراء جنوب المملكة ، الذين سلكوا هذا الاتجاه الجامد ، ولا حيلة لهم فى غير ذلك ، ما دامت هى السلعة الرائجة فى سوق العصر الراكد ، ومن أشهر شعراء التقليد ، الذين خضعوا لنوبة التقليد ، واتسم شعرهم بهذه الخصائص القائمة الجامدة ، من أهمهم :

سليمان بن سحمان ، وابنه صالح بن سليمان :

نشأ سليمان فى قرية (السقا) إحدى قرى أبها ، حيث ولد فيها وعاش ما بين (١٢٦٦ — ١٣٤٩ هـ) ، وتلمذ على والده ، الذى اشتهر بحفظ القرآن ، وتجويده ، وحسن الخط ، والاحاطة بالعلوم الشرعية والعربية ، ثم سافر هو ووالده الى الرياض ، ليرتد على حلقات العلم ويتلمذ على يد كبار العلماء ، ومن أشهر مؤلفاته : (الأسنة الحداد فى الرد على علوى الحداد) ، وكتاب (كشف غياهب الظلام عن أوهام جلاء الأوهام) ، وكتاب (إرشاد الطالب إلى أسنى المطالب) ، وغيرها وله ديوان شعر (عقود الجواهر المنضدة الحسان)^(٢) .

ومن نظمه العلمى التقليدى فى تعليم الكتابة :

(١) انظر : أدب الحجاز : محمد سرور الصبان — مطبعة مصر ١٩٥٨ ، قصة الأدب فى الحجاز : د . محمد عبد المنعم خفاجى ، وعبد الله عبد الجبار : القاهرة ١٩٥٨ ، الاتجاهات الأدبية فى العالم العربى الحديث : أنيس المقدس — دار الكتاب العربى — بيروت ١٩٦٠ م .

(٢) شعراء العصر الحديث فى جزيرة العرب : عبد الكريم بن حمد الحقيلى — طبعة أولى ١٣٩٩ هـ ص ١١٣

أكتب ككتبي كما قد كنت أكتبه كتبا ككتبي لهذا الكتب في الكتب
سطر بسطر كهذا السطر أسطره سطرا سليما سويا تسم في الرتب
حرف بحرف على حرف كأحرفه واحذر من الحيف في حرف بلا سبب^(١)

وهذا نظم — وليس بشعر — جامد جاف يتعثر فيه اللسان ، وحروف مكتظة تتأقلت
بها الأفواه ، لهيام الشاعر بجشد الحروف الواحدة ، وتوارد المشتقات المتجانسة ، وترادف الجناس
المتضاعف أضعافا مضاعفة مما أدى الى ركافة النظم ، واضطراب الأساليب ، وضعف المعنى ،
وضحالة الفكرة ، وجمود المشاعر ، وجمود العاطفة ، وذهاب ربح الشعر في سرق التقليد النافقة
الخاسرة .

ويقول ابن سحمان أيضا في قصيدة يشيد فيها بجلالة الملك عبد العزيز رحمه الله تعالى :

هو الملك السامي الى منتهى العلا وقد أمه في نيلها الطالع السعد
إمام الهدى عبد العزيز الذي به تضععت الأملاك واستعلن الرشد
تحمل — هداك الله — منى تحية هدية مشتاق أمض به الوجد
وأورى به من لاعج الشوق جذوة ولكنه قد عاقه النأى والبعد
وخامره من نشأة البشر نشوة وفى قلبه سكر من البشر ممتد
إلى الملك الشهم الهمام أخى الندى مذيق العدا كأس الردى عندما يعد
ومن أصله المجد المؤئل والعلا ومن جوده الجدوى لمن مسه الجهد^(٢)

فهذا الشعر خلو من العاطفة الجياشة ، ومجرد من الاحساس الدافق ، والمشاعر الرقيقة ،
لأنه يقوم على رصف الألفاظ ، ونظم ورضّ الكلمات في سلك البحر الخليلي ، والقافية
العمودية ، هائما بالترادف بين (السامي ومنتهى — والعلا والطالع السعد — والنأى
والبعد — وبين : أخى الندى ومن جوده) ، والتقابل بين (تضععت الأملاك واستعلن
الرشد) وغير ذلك من أثقال اللفظ ، وركافة التعبير ، واللعب بالترخيف .

وكذلك نجد فقدان العاطفة الجياشة في شعر ابنه صالح بن سليمان (١٣١٩ هـ) :

الآن فليفتخر في مصر واليها ولتفتخر هي بالنيل الذى فيها
واليخت والبحر والسكان أجمعهم بمن له الفخر لما حلّ ناديا
عبد العزيز ملك الناس قاطبة براً وبحراً وحضاراً وباديها
من آل فيصل أمجاد غطارفة شوس أماجد ما حى يحاكيها
يا أيها الملك الميمون طائرته يا ناصر الملة السمحاء وحاميا

(١) الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية : د . بكرى شيخ أمين ص ٣٧٨

(٢) ديوان عقود الجواهر المنضلة الحسان : ابن سحمان .

قلوبنا ارتحلت لما ارتحلت وقد آبت بأوبتكم يا نور داجيها
فأبت بالسعد ميمونا تحفكمو سلامة الله لا ينفك حاديها
فمرحبا بك يا شمس البلاد ويا نور البسيطة قاصيها ودانيها^(١)

لكن الشاعر تخفف من أثقال الزينة ، والمبالغة في الزخرف والبديع ، ولا زالت مسحة قليلة منه ، أما المعنى فلا زال ضحلا والمشاعر ما زالت فوق السطح ، والأحاسيس ليست عميقة ، والصور الأدبية لا تنبض إلا بعرق واحد فقط وهو سلامة الأسلوب من الركاكة وترفعه عن القلق والاضطراب وخط رفيع من صدق العاطفة ، وحرارة الانفعال .

الشاعر على السنوسي :

وهو من شعراء هذه المدرسة التقليدية (١٣١٥ هـ) ، ولد في مكة المكرمة ، لكنه هاجر الى المروغة وزبيد ، وعاش في الجنوب ، ومن شعره يمدح الملك عبد العزيز رحمه الله تعالى في درس نحوى يقول :

ومفرد بالمعانى جاء منحصرًا فى نعته المتبدأ المرفوع والخير
وجازم الفعل الماضى بظاهره ومن سواه ضمير جاء يستتر
والحذف والتقص من حرف البناء إذا ما جاء فهو على شانیه ينحصر^(٢)

الشيخ حافظ بن أحمد الحكيم :

وهو من شعراء هذه المدرسة ، عاش في جازان ، واشتهر بعلمه ومدرسته ، التى تعلم فيها هذا الجيل من أبناء جازان ، وما حولها وله ديوان (نيل السؤل من تاريخ الأمم وسيرة الرسول) ، وكذلك أربع رسائل شعرية وهى : (رسالة سلم الوصول فى التوحيد والسنة) ، و (رسالة ميمية الآداب فى الوصايا العلمية) ، و (رسالة نظم اللؤلؤ المكنون فى مصطلح الحديث) ، و (رسالة القصيدة اللامية فى الناسخ والمنسوخ) . يقول الشاعر الناظم فى سيرة الرسول :

مولده كان بعام الفيل ونقل الخلاف عن قليل
ثانى عشر من ربيع الأول فى يوم الاثنين بلا تحول
كم بدا فى ليلة الميلاد من آية فى سائر البلاد
منها سطوع النور فى الأقطار إضاءة كذا خمود النار
وارتج ايوان كسرى وسقط منه الشرافات إلى الأرض تحط^(٣)

(١) شعراء العصر الحديث : عبد الكريم الحقيلى ص ١١٦

(٢) الحركة الأدبية : د . بكرى شيخ أمين ٣٧٨

(٣) ديوان نيل السؤل : الشيخ حافظ بن أحمد الحكيم ص ١٦ ط البلاد السعودية - مكة المكرمة .

ويقول في أرجوزته أيضا في (سنة تسع من الهجرة) :

كان بها غزرو تبوك في رجب وقصده الروم فإذا ذاك انتدب
معه ثلاثون من الآلاف مقاتلون كل ذى خلاف
وابن سلول عنه قد تخلفا فى حزيه وبعض من قد تخلفا
عذرهم الحاجة إذ لم يجدوا نفقة وآخرون وجدوا^(١)
ويقول أيضا فى أحوال الأسانيد والمتون

والمتن ما إليه ينتهى السند من الكلام والحديث ما ورد
عن النبى وقد يقولون الخبر كما أتى عن غيره كذا الأثر
متابع وشاهد له انجلى ثم صحيح حسن قد قبلا
ومحكم معارض ومختلف وناسخ قابل منسوخا عرف
والراجع المرجوح ثم المشكل معلق ومرسل ومعضل
منقطع مدلس قد احتمل موضوع ومتروك وموهوم معل^(٢)

يوضح الشيخ حافظ الحكيمى فى نظمه — لا شعره — هنا أصول الأسانيد : فمنها
ما هو صحيح ، وحسن ، ومحكم ، ومعارض ، ومختلف ، وناسخ ، ومنسوخ ، وراجع ،
ومرجوح ، ومشكل ، ومعلق ، ومرسل ، ومعضل ، ومنقطع ، ومدلس ، وموضوع ، ومتروك ،
وموهوم ، إلى آخر ما جاء فى علم مصطلح الحديث وعلم الجرح والتعديل ، من علوم الحديث
الشريف .

هؤلاء هم أشهر شعراء مدرسة التقليد فى جنوب المملكة العربية السعودية ، ولم نذكر
نماذج لشعر غيرهم ممن سار على نهجهم من هذه المدرسة اكتفاء منا من أن ذكر البعض يدل
على تحقيق المنهج كله فى بقية الشعراء ، ماداموا هم جميعا من مدرسة واحدة وهى مدرسة
التقليد .

وهنا سؤال يطرح نفسه وهو : لماذا جعلت مدرسة التقليد داخلة وتابعة لشعر المحافظين
ومدرسيهم ، كما هو واضح حيث كانت مدرسة التقليد فصلا ، بل أول فصل من فصول هذا
الباب ؟

والرد على هذا السؤال واضح أيضا وهو : أن مدرسة التقليد أقرب الى مدرسة المحافظين
من أى مذهب آخر فبعيد جدا أن يدخل فى إطار مدرسة المجددين ، ولا فى إطار مدرسة
المبدعين .

(١) المرجع السابق : ص ٤١

(٢) نظم اللؤلؤ المكتون فى أصول لأسانيد والمتون : الشيخ حافظ الحكيمى مطابع البلاد — مكة المكرمة

وكذلك أمر آخر وهو أن المقلدين والمحافظين يجمعهم اتجاه واحد في الشعر هو منهج القصيدة واحد والتزام عمود الشعر كذلك واحد ، والحرص على الوزن والبحر والقافية عندهما سواء .

وقبل هذين أمر جوهرى ، وهو أن مدرسة التقليد لا تقيم في هذا البحث بابا مستقلا له فصوله الكثيرة ، وذلك لضعف شعرهم من حيث الكم والكيف معا ، وتعذر الحصول عليه ، حتى لو كان موجودا وعلى سبيل المثال ظلت سنوات للحصول على شعر الحكيمى فى مشقة مضنية وقبود تحمل على اليأس وفقدان الأمل ، وأخيرا حصلت عليه ، وكأنى حصلت على كنز العمر كله .

ومادة الشعر لهذا البحث لقيت مثل هذا العنت فى جمعه وتحصيله لأن الشاعر يطبع شعره لحسابه بلا دار نشر وبهذا يحتفظ به لنفسه كالدر الثمين وقد يهدى منه ، ولا يفكر فى توزيعه عن طريق دار نشر حتى يتمكن الباحث من اقتنائه ، أو يطبعه النادى الأدبى فى مدينة من مدن المملكة ، وهنا تكون مشقة الحصول عليه أشد وأصعب لأن النادى لا يعرضه للبيع ، كما أن المهدي إليه يكون أشد حرصا على كتابه .

ومع هذه الظروف القاسية حصلت على المادة الشعرية عن طريق رهط من طلاب العلم والأدب المخلصين ، الذين كانوا يجوبون الجنوب الوعر للحصول على دواوين الشعر ، والله سبحانه وتعالى وحده يضاعف لهم الأجر والثواب الجزيل .

لهذا السبب الجوهرى ، ولأن شعراء التقليد من الجيل السابق والماضى ، كان من المتعذر الحصول على شعرهم وكثيرا ما ألح على المنهج فى أن أضم التقليد مع التمهيد ولهذا الأسباب رأيت أنه أقرب إلى الباب الأول من التمهيد ومن غيره .

ومن أشهر شعراء التقليد فى هذه الفترة أيضا : محمد بن مهدي بن أحمد الضمدي (١١٩٣ - ١٢٦٩ هـ) ، وعلى بن عبد الرحمن النعمى ، ومحمد حيدر القبي النعمى م (١٣٥١ هـ) وعلى بن ابراهيم النعمى م (١٢٧٥ هـ) ، ومحمد بن على الادريسي م (١٣٤١ هـ) ، والحسن بن أحمد بن عبد الله بن عاكش الضمدي (١١٩٣ - ١٢٦٩ هـ) ، والحسن بن خالد بن عز الدين الحارمى (١١٨٨ - ١٢٣٥ هـ) ، وأحمد بن الحسن بن على البهكى (١١٥٣ - ١٢٣٣ هـ) (١) .

ولد الشاعر أحمد بن الحسن بن على البهكى بالخلاف السليمانى عام ١١٥٣ هـ وتلقى العلم على يد أخيه عبد الرحمن ثم رحل الى زبيد وصنعاء للترود من العلم ليعود قاضيا على مدينة « صيبا » لكنه ما لبث أن سجن فى مدينة أوى عريش عام ١١٨٨ هـ ، ثم أطلق سراحه فهاجر

(١) انظر تاريخ الخلاف السليمانى : محمد أحمد العقيل القسم الثانى .

الى اليمن وبقي في صنعاء ، حتى رحل إلى بلده المخلاف السليماني ومات بأبي عريش عام
١٢٣٣ هـ ومن شعره يقول :^(١)

لخالقنا في أمرنا الحل والعقد وليس لما يقضيه منع ولا رد
وأفعاله محفوفة بمصالح ولا شح يعلوها وإن جهل العبد
تنزه عن جور وظلم على الورى فما ان له فى عدله أبدا ند
رضينا بما قدرته يا مهيمن على كل حال يعترينا لك الحمد

فهو شعر فاطر المشاعر - ضعيف المعنى ، ضحل الفكرة - فلق الأسلوب مع أن
الشاعر قد تخفف من ألوان البديع والزينة ، لكن القارئ مع ذلك يشعر بثقل البيت على السمع
ولا يتلاحق الشعر مع قراءته لأنه وإن كان موزونا مقفى ، لكن الإيقاع الموسيقي فى داخله لا
ينساب مع المعنى والوزن ، لهذا كان الثقل فيه يرجع الى روح التقليد لا لأصالة فى قرض
الشعر .

وأما الشاعر الحسن بن خالد الحازمى فقد ولد عام ١١٨٨ هـ بالمخلاف السليماني وتعلم
على يد القاضي أحمد بن عبد الله الضمدي ثم أصبح وزيرا لأمير المخلاف السليماني ، وفتح
المدارس ، وشجع العلماء ، وأصبحت بلاده مقصدا لطلاب العلم ، وله مؤلفات ورسائل وتوفى
عام ١٢٣٥ هـ فى عسير أثناء اشتراكه فى قتال الترك^(٢) . ومن شعره الذى يناصر به دعوة
الشيخ محمد بن عبد الوهاب قال :

الله أكبر كل هم ينجلي عن قلب كل مكبر ومهلل
وموحد لله جل جلاله والشرك عنه والضلال بمعزل
وبدايتى اسم الله فيما ابتغى من نظمى العذب الرحيق السلسل
ثم الصلاة على النبى محمد خير الورى النبأ العظيم المرسل
والآل أرباب الهداية والتقى من ودهم نص الكتاب المنزل
ولقد عثرت على نظام صاغه من رام نصحا شأنه لم يجهل

وأما الشاعر الحسن بن أحمد عاكش فهو من أسرة علمية مشهورة^(٣) ولد فى
بلدة « ضمد » بالمخلاف السليماني فى عام ١٢٢١ هـ ورحل فى سبيل العلم الى بيت الفقيه ،
وزييد وصنعاء ومكة المكرمة ، وعاد الى بلده ليشغل بالتدريس فأقبل عليه الدارسون من كل

(١) المرجع السابق : ج ١ القسم الثانى .

(٢) انظر : نيل الوطر : محمد محمد زياره ، عقود الدرر وحدايق الزهر : الحسن بن أحمد عاكش .

(٣) عقود الدرر : الحسن بن أحمد عاكش : ورقة ١٠٧ .

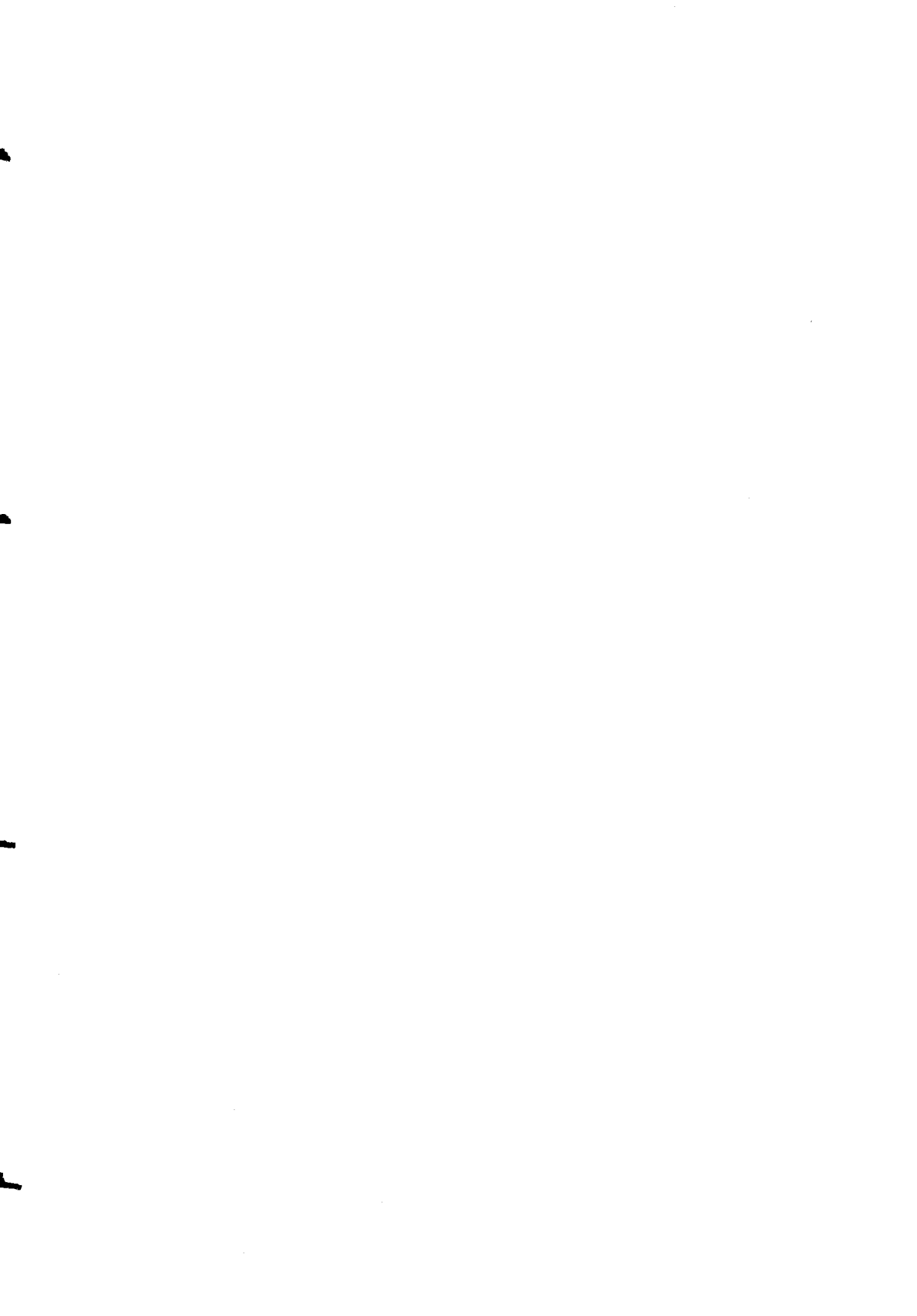
مكان وكان من أشهر أدباء هذه المنطقة وله مؤلفات كثيرة وتوفى عام ١٢٨٩ هـ ومن شعره يقول^(١):

لا تعجبوا إن صار خلى عاتبا إن الزمان اليوم بالمقلوب
ولكن غدا قلب الحبيب مصرفا فالقلب مشتق من التقلب
قد كنت أحسب عين دهري أغمضت عينا ولكن وكلت برقيب
صبرا على مبيض الزمان وفعله والصبر منعقد بكل نجيب
إنى جفانى كل خل صادق فكففت فى الإبلاج والتأويب^(٢)



(١) نيل الوطر : محمد زيارة .

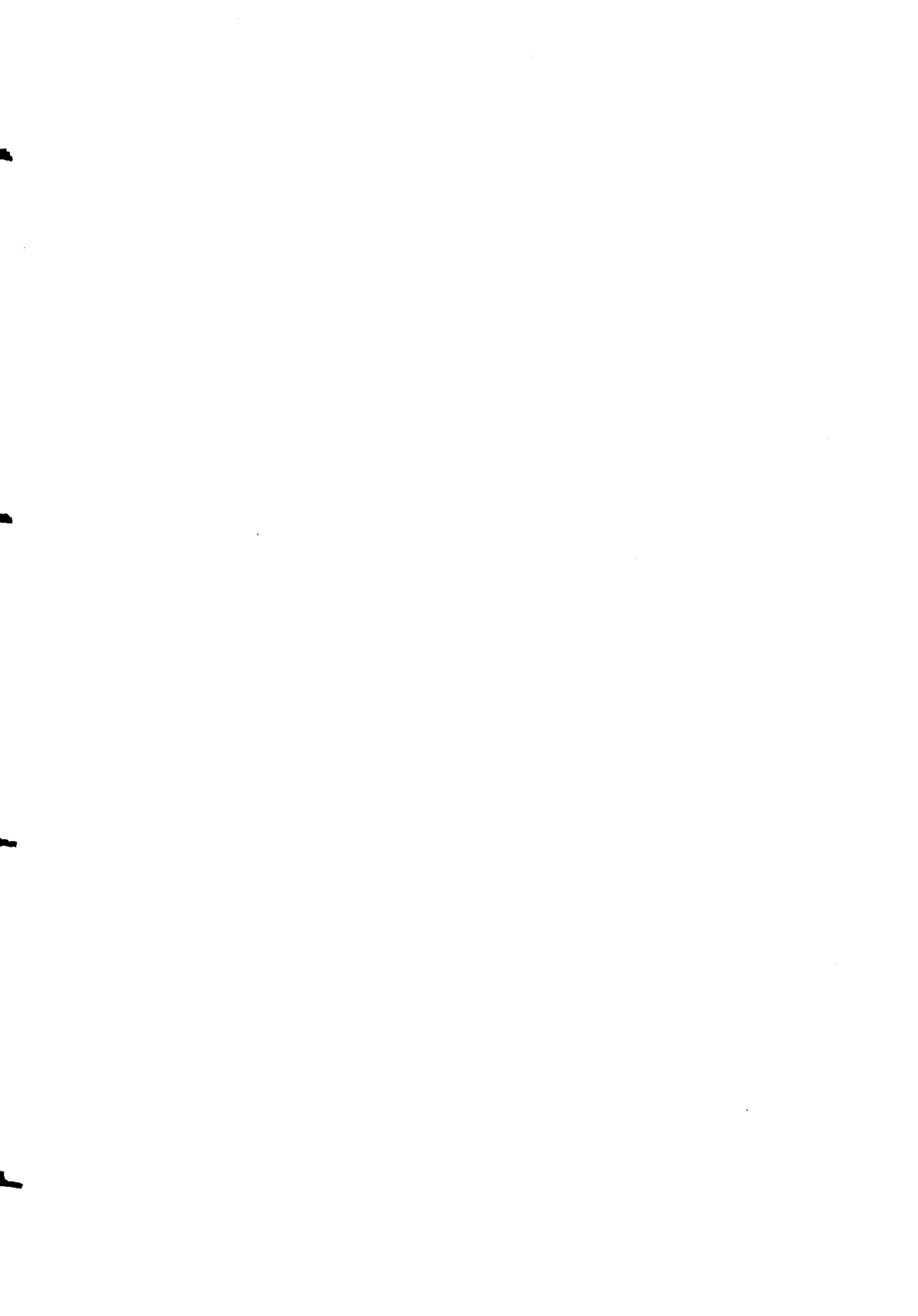
(٢) مجموعة أشعاره : المكتبة العقلية الخاصة — جازان



الفصل الثاني

مدرسة المحافظين

- ١- خصائصها الفنية .
- ٢- شعراؤها .
- ٣- الشيخ محمد سرور الصبان .
- ٤- الشاعر معيض بن عامي البختيان .
- ٥- آك الحفظي .



خصائصها الفنية :

وشعراء هذه المدرسة في الجنوب ، هم الذين اتخذوا منهج الفحول من القدامى مذهباً في شعرهم ، فحافظوا على نظام القصيدة القديمة ، وعلى عمود الشعر العربي فيها ، آخذين بما أخذه الفحول في شعرهم من جزالة الألفاظ ، وإحكام التراكيب ، ودقة الأساليب ، وروعة التصوير ، وشرف المعنى ووضوحه ، ونبيل الغرض ، والاهتمام بالهدف والمضمون ، والتزام الوزن والبحر والقافية كما جاء في علم العروض والقافية للخليل بن أحمد ، وما جرى عليه الشعراء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام والتقارب في التشبيه ، وقرب الاستعارة وما اشتهر في استعمالاتها عند الفحول من الشعراء الرواد ، ثم الخيال القريب المألوف ، ثم الكناية المشهورة التي أصبحت كالمثل يضرب به . والبديع الذي يأتي عفواً من غير قصد وعلى سبيل الندرة ، وإشراق الديباجة ، وروعة الاستهلال ، ولطف الانتقال ، وغير ذلك من عناصر بناء القصيدة العربية القديمة على أساس عمود الشعر العربي المعروف في شرح الحماسة للمرزوق وفي الموازنة للآمدى ، وفي الوساطة للقاضي بن عبد العزيز الجرجاني وغيرهم^(١) .

ويضاف الى خصائص عمود الشعر خصائص فنية أخرى في شعر المحافظين في الجنوب ، هي أن شعر عسير يصور واقع عصرهم ، الذي يعيش فيه الشاعر ، فيعالج القضايا التي تمس شغاف قلبه ، وتهز وجدانه ، وتتجاوب مع اتجاه عصره ، وأحداث زمانه .

وهذه المدرسة المحافظة ، قد انتهى الشعراء فيها الى اتجاهين مختلفين ومذهبيين أدبيين متميزين :

أحدهما : مذهب المحافظين على تقليد الفحول من الشعراء القدامى مع بروز موهبتهم الشعرية ، وأصالة قريحتهم الصافية الصادقة ، من غير تجديد في المعاني ، ولا في الأغراض ، ولا في الأسلوب .

ثانيهما : مذهب المحافظة ، لكنها في ثوب جديد ، يتفق شعراؤها مع الفحول من الشعراء القدامى في التزامهم بعمود الشعر العربي مع التميّز عنهم في المعاني والأغراض ، وفي بعض الصور الأدبية التي تعبر عن ثقافة العصر وواقعه ، ثم التشخيص الحى في التصوير الأدبي ، وكذلك يتميزون في منهج القصيدة الحديثة ، وبوحدة الموضوع ، والوحدة الفنية .

(١) انظر كتاب (عمود الشعر العربي) دار الحائري بالطائف السعودية ط أولى ١٤٠٢ هـ وفصلت القول في عمود الشعر ، دفعا للتكرار .

وهذا المذهب الأدبي الجديد المحافظ ، هو المنطلق لبناء مدرسة المجددين فيما بعد ،
وسنوضح هذه المذاهب ومدارسها كلا على حدة في مكانه ان شاء الله تعالى .

أما مذهب المحافظة على تقليد الفحول من الشعراء القدامى فقد التزموا عمود الشعر العربي
عندهم ، مترسمين خطى جرير والفرزدق ، وأبي تمام والبحترى ، وابن المعتز وابن الرومي والمتنبي
والمعري وغيرهم ، ويمثل هذا المذهب الأدبي ، ويشترك في هذه المدرسة الفنية شعراء كثيرون في
جنوب المملكة .

الشاعر الشيخ محمد سرور الصبان :

ومن أشهر الشعراء الشاعر الشيخ محمد سرور الصبان ، ولد في مدينة القنفذة ، من قرى
الجنوب ، (١٣١٦ - ١٣٩٢ هـ) وهو من أعلامها ، ثم ذهب الى مكة المكرمة وجدة ليتعلم
في مدارسها حينئذ ، وبعد أن أخذ قسطا من التعليم المتواضع ، عمل أستاذا ، ثم تاجرا ،
فموظفا حكوميا ، ثم وزيرا للمالية والاقتصاد الوطنى ، وأخيرا أمينا عاما لرابطة العالم الاسلامى ،
ومن أشهر مؤلفاته ، (أدب الحجاز) وكتاب (المعرض) ، ومن شعره :

القوم قومك والبنون بنوك
إن جد جد الأمر يا سورية
وإذا الوغى قد صاح صائحها فلا
والعبرية والحماسة والنهى
أدمشق يا بلد الكرام ومعقل الأب
يا موطن الأحرار والسادات من
أنت الفريدة بالسماحة والندى
والطامحون الى العلا أهلك
فهم الذين جنودهم تحميك
تدعو الوغى إلا وقد جاؤوك
صدق الذين بين وصفوك
طال فى يوم القنا المشبوك
أهل الوفا إذا دعا داعيك
بالفضل والعلياء قد عرفوك^(١)

ويقول الصبان أيضا :

من لى بشعب نابه متيقظ
من لى بشعب عالم متنور
من لى بشعب باسل متحمس
من لى بشعب لا يكل ولا ينى
ثبت الجنان وصادق العزمات
يسعى لهدم رذائل العادات
حتى تقوم بأعظم النهضات
يسعى الى العلياء بكل ثبات^(٢)

(١) شعراء العصر الحديث : ص ١٦٢

(٢) أدب الحجاز : محمد سرور الصبان : ١٤٧ مصر عام ١٩٥٨ م

ويخاطب وطنه فيقول :

أنا لا أزال شقى جب لك فى كل واد
زعم العوازل أنسى أسلو وأجنح للرقاد
كذبوا وحقك لست أقدر أن أعيش بلا فؤاد
ولسوف أصبر للمصا ئب والكوارث والبعاد
حتى أراك ممتعا بالعزة ما بين البلاد^(١)

موهبة شعرية صافية ، وقرينة وقادة ، تتجاوب مع أصداء الحياة والوطن ، فى معان قوية ، وأغراض حية ، يسلكها فى أسلوب قوى ناصع ، وعبارات رشيقة محكمة ، وديباجة مشرقة ، ينساب الأسلوب عذبا رفاقا ، غير متعثر فى التقليد ، وقيود الزخرف والزينة ، فجاء شعره مطبوعا قويا ، اللهم إلا فى المقطوعة الأولى ، حيث بدت العاطفة الشعرية فاترة غير جياشة ،

ولذلك كان الأسلوب قلقا فى مكانه ، كما فى البيت الأول والثالث ، وقوله :

والعبرية والحماسة والنهى صدق الذين بهن وصفوك
فهو ليس بشعر ، وإنما هو من كلام عامة الناس ، حينما يتناولونه فى أحاديثهم العامة ، ثم لا تجد انسجاما فى حرف الروى ، بل قلق واضطراب .

والصبان شاعر مقل فى شعره ، لم يجعل الشعر هدفة فى حياته فكان يقول القصيدة أو القصيدتين ، والمقطوعة بعد المقطوعة ، لكثرة أعماله ، واهتمامه بشتى المجالات ، ولكنه كان يعطى جهده الأكبر فى الدعوة إلى إعداد الوجه المشرق للأدب السعودى ، لا العلم والفكر وحدهما المقصوران على الخلافات فى رأى بين المذاهب الفقهية أو الحقائق التاريخية ، والأدب والشعر لهما دورهما الكبير فى صون اللغة واشراقها ، وتهذيب المشاعر ، وتنمية الحس اللغوى والذوق الأدبى ، وكان هذا هو الهدف من تأليف أول كتاب فى الأدب الحديث وهو (أدب الحجاز) ، فقسمه الصبان إلى قسمين : قسم للشعر ، وقسم للنثر الأدبى .

والصبان يعد من الرواد فى الأدب السعودى ، وأول الداعين بالنهضة الأدبية ، وتخليص الشعر من قيوده الثقيلة التى أذهبت قوته ، وقطعت صلته بالشعر القوى فى عصوره الذهبية ، وحملت مقطوعاته الشعرية دعوة التجديد كما فى المقطوعة الثانية هنا ، فهو يبحث الى بناء أمة ناهية وشعب متيقظ وعالم متنور ومتحمس ليحقق أعظم النهضات ، ويسمو الى المجد والعلا ، وكان فى شعره القليل يمثل هذه النهضة الشعرية فى العصر الحديث ، فنجده أول من ينهض بالأدب ، ويخلص الشعر من كبوته ، ويجرده من أغلاله وأثقال الزينة ، ويحدد هدفة فى تربية الأذواق ،

(١) الأدب الحجازى : أحمد ابراهيم : ٩٧ - نهضة مصر القاهرة ١٩٤٨ م

ونهضة الأفكار وعمقها ، وتقدم الأمة ورقبها ، وظهر أثر دعوته وريادته في شعر الشعراء الرواد في المملكة العربية السعودية ، مثل شعر محمد حسن عواد ، فقد كان أصغر شاعر ذكره في كتابه (أدب الحجاز) وغيو مما عاصر عواد^(١) .

الشاعر معيض بن علي بن محمد البختيان :

ولد الشاعر في (تليث) عام ١٣٧٠ هـ ، وتدرج في مراحل التعليم متنقلا بينها وبين أبها والرياض في جامعة الامام محمد بن سعود ، ثم تقلب في وظائف مختلفة ، وله (ديوانان) صدر منهما ديوان (الهجير) عام ١٣٩٨ هـ ، أما الديوان المخطوط فهو (إلى سيدة القرية) ، وله كتاب مخطوط بعنوان (الشعر الملحون في لغة العرب)^(٢) ، ومن ديوان شعره قصيدته (وعد) يقول فيها :

ذات العيون السود والألق	وغريرة الأحلام والحرق
آفاقها كالس صافية	ونعيمها من ناعم الورق
يزهى بها قدح تراشفه	مَزّ الهوى والعباس الومق
وتجنّ إن ألقّت غلاتها	جن الحب المدنف الشفق
يا ومضة منداحة الأفق	والغيم فى زاد من الشفق
تدنى العشايا من نسائها	نفثا مدى الأعصاب والحدق
هل تعذرين الصب سيدتى	بأن ضاع والآهات فى الطرق
وانسل منه الفرخ وانصهرت	أحلامه فى عالم سحق
أم لى إلى غلواء فاتنة	سلت على تسيحتى أرقى
وعد أغنى الغيد أفضله	روح الأصيل العذب والفلق

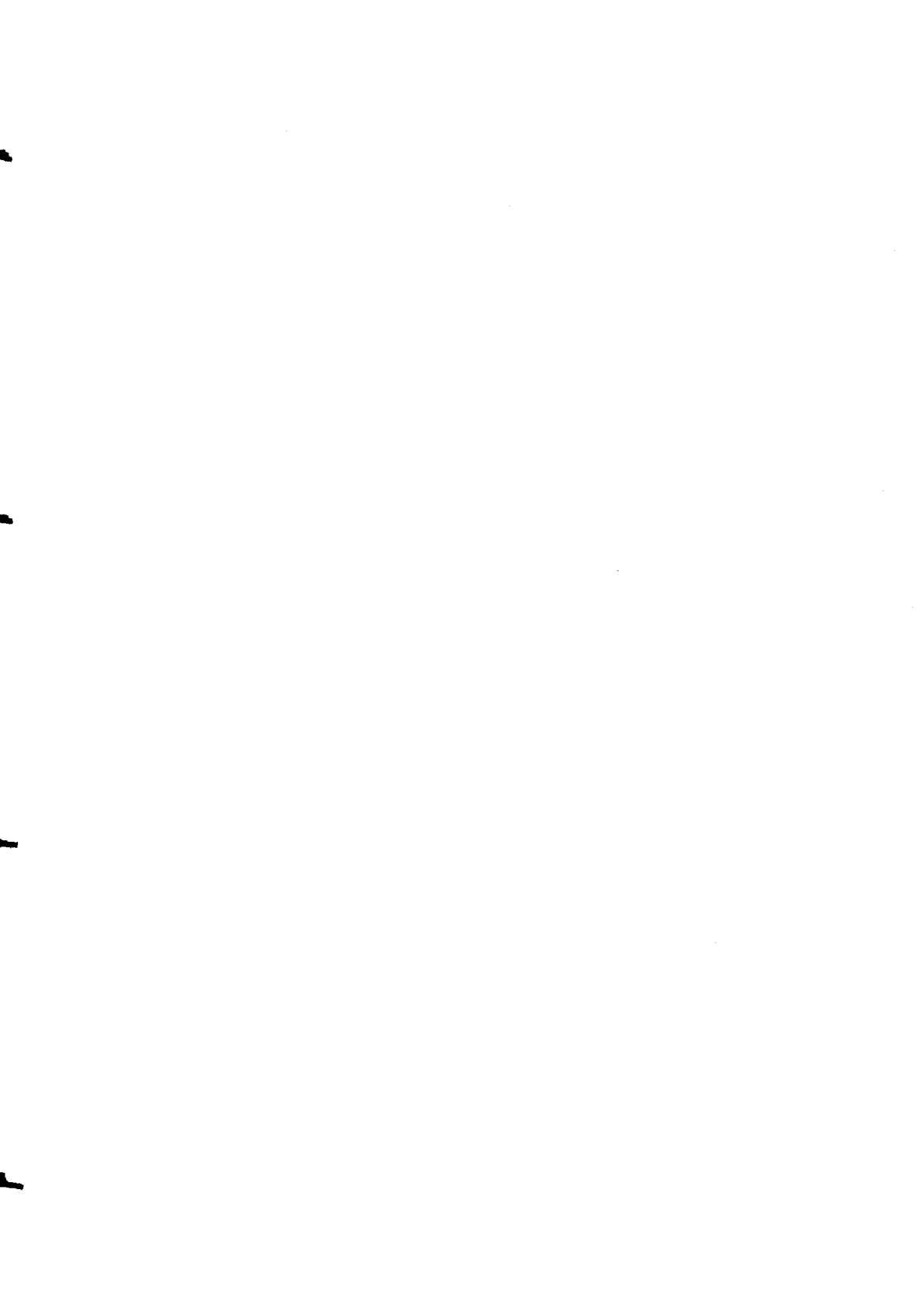
يتفرق في شعر البختيان رونق الأصالة الشعرية ، وينبض بموهبة الشاعر الصافية ، فالمعاني فيه واضحة ، والألفاظ جزلة رشيقة ، والأسلوب محكم مترابط ، والصور الأدبية الجزئية على نمط الشعر العرنى القديم ، في خيال مشدود في روحه ومنهجه وأصالته إلى الخيال الشعرى عند فحول الشعر العرنى قديما ولا تجد قلقا في الوزن ، ولا اضطرابا في الايقاع ، اللهم إلا عدم التلائم في حرف الروى مع الغرض من القصيدة حيث يتناسب مع الغزل حرف رقيق كالسين أو النون أو الراء مثلا ، أما القاف فهو حرف ثقيل غير رقيق يتناسب مع الحماسة ، وجلبة الحروب ، وقعقة السلاح .

(١) أدب الحجاز : محمد سرور الصبان : انظر هذا الكتاب

(٢) شعراء العصر الحديث : ص ٢١

ويعتصم البختيان بمذهب القدماء في منحج القصيدة العربية القديمة من الحفاظ على أركانها وعناصرها ، وخصائصها الفنية التي تقيم عمود الشعر ، وتطبق معاملة الفنية ، ولذلك فهو من شعراء هذه المدرسة المحافظة على طريقة القدماء من غير تجديد في المعاني ولا في الأغراض ولا في التصوير الأدبي ، وسأتناول بعده شعر آل الحفظى بالتفصيل والتوضيح لابرز أغراضه الأدبية وخصائصها ، وتصويره الأدبي وسماته الفنية اكتفاء به عند التفضيل في شعر البختيان ومن معه في هذه المدرسة ، لما يقوم عليه شعر آل الحفظى من الخصائص الفنية للمحافظين ، التي تدل على تحقيقها في بقية الشعر لشعراء مدرستهم الأدبية ، ولهذا خصصت فصلا كاملا بالتوضيح والتفصيل ، وهو فصل : آل الحفظى .

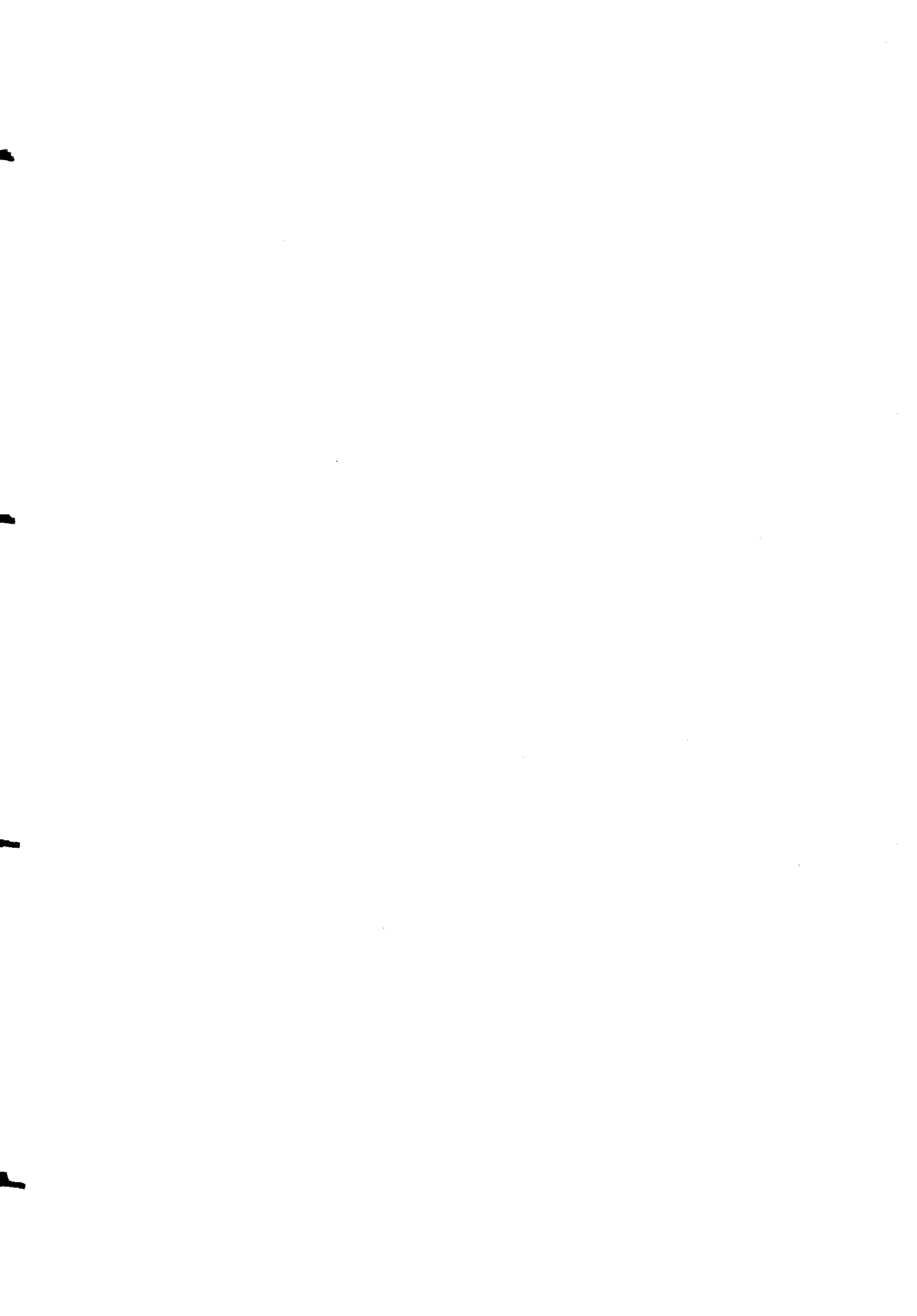




الفصل الثالث

شعر آل الحفظي

- ١- أشهر الشعراء .
- ٢- شعرهم في الميزان .
- ٣- التصوير الشعري ومصابئه .
- ٤- الأغراض الأدبية ومصابئها الفنية .



الشعراء :

ومن أشهر شعراء آل الحفظى فى ربوع عسير وجبالها ووديانها ، وخاصة فى حاضرة (رجال ألمع) ، منهم الشاعر الشيخ أحمد الحفظى الأول (١١٤٥ - ١٢٣٣ هـ) ، والشيخ ابراهيم الزمزمى الحفظى (١١٩٩ - ١٢٥٧ هـ) ، والشيخ على بن الحسين الحفظى (١٢١٧ - ١٢٧٥ هـ) ، والشيخ عبد الخالق بن ابراهيم الحفظى (١٢٢١ - ١٢٨٤ هـ) ، والشيخ أحمد الحفظى الثانى (١٢٥٠ - ١٣١٧ هـ) ، والشيخ على زين العابدين الحفظى (١٣٠٥ - ١٣٧٢ هـ) ، وسواهم من شعراء مضوا مع الخالدين وشعراء ما زالوا على قيد الحياة^(١) .

والتقى هؤلاء الشعراء فى ديوانهم ، الذى نشر عام ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م ، فقد صدر الجزء الأول منه ، على أن يتبعه الجزء الثانى بعد جمعه كما أشار إلى ذلك محمد بن ابراهيم وعبد الرحمن بن ابراهيم من آل الحفظى فى المقدمة ، وقد حاولت التعرف على موعد صدور الجزء الثانى من ديوانهم ، فعلمت أنه قد جمع والحمد لله ، وتسلمه (نادى أبها الأدى) ، على أن يقوم بطبعه ونشره ، وذلك قريبا ان شاء الله تعالى ، كما وعد بذلك النادى .

والجزء الأول الذى تحت أيدينا ، يعطى الوجه الحقيقى للشعر عندهم ومنهجه ، ومدرسته ، وأغراضه وخصائصه الفنية ، بما يدل على شعرهم بصفة عامة ولا زال حتى الآن منهم الشعراء فى الجنوب الذين يسرون على نهج آباؤهم وأجدادهم ، بحيث لا تفوتهم المناسبات الأدبية والوطنية فى النوادى الأدبية والثقافية ، وذلك مثل شاعرهم الأستاذ الحسن بن على الحفظى مدير مدرسة حسان بن ثابت (رجال ألمع) ، ومن شعره الذى ألقاه بمناسبة افتتاح نادى أبها الأدى عام ١٤٠٠ هـ ، التى تشارك بها تهامة السراة فى احتضان نادياها ، يقول :

يد من الدولة الغراء بيضاء	مدت إلينا فأبها اليوم فيحاء
يد تشع على الآداب فانبثقت	منها ينابيع ماء ما إن مسها داء
يد من الخالد المثلى فضائله	كثيرة ما لها عد وإحصاء
ناد بأبها تراه اليوم مزدهرا	وخالد الفيصل المقدام بناء
يرسى القواعد للنادى ويرفعها	صرحاً مجيدا وزان الصرح لإنشاء

(١) نفتح من عسير : جمعه وتسقه محمد بن ابراهيم الحفظى ، وعبد الرحمن بن ابراهيم الحفظى : عام ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م مطابع عسير فى أبها .

إلى قوله :

تهامة وسرارة الأزدي في جدل تختال ألوية النادي وأضواء
إنني سأعزف أنغامى بقافيتى فى نشوة يطرب الأسماع إصغاء
أرسلتها من ذرى العلياء فى أفق سامى الجلال ووهج العلم وضاء^(١)

الشعر فى ميزان الرأى :

أشاد بأدبهم وعلمهم كثير من الأدباء ، نذكر منهم على سبيل المثال ، الأديب الشيخ عبد الله بن على حميد رئيس بلدية أبها سابقا ، قال مشيدا بآل الحفظى ، وبما جمعه الأستاذ محمد الهلالى من تراث ضخم لهم : لأولئك الذين طبقت شهرتهم الآفاق ، وضربت إليهم أكباد المطايا من كل حذب وصوب للاعتراف من مناهل العلوم الرقراقة .. ولما كانت أسرة آل الحفظى عريقة فى شتى المعارف والعلوم فإن التركة التى خلفها القوم حافلة بمؤلفاتهم العديدة .. بدليل انى اطلعت على ديوان ضخم عنوانه (الروض المرضى فى ديوان آل الحفظى) ، يضم بين دفتيه ما يدل على علو كعبهم ، وتضلعهم فى فنون العلم .. وغيرتهم على الدين ، وحرصهم على الأخذ بكتاب الله وسنة رسوله ، ومناصرتهم لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ومؤازرتهم لآل سعود .. وبقي أن أحيل القارئ إلى هذه المجموعة من القصائد بهذه المقطوعة القصيرة :

إذا كنت مشتاقا إلى ورد منهل يبل الصدى فى سبب قل رائده
فدونك حوض من نغير مسلسل كأن رحيق النحل يمزج رافده
شتيت تنقاها الهلالى لنظمها بعقد تزين النحر منها قلائده
ليحيى آثار قوم تقدموا قد اقتنصوا لكل فرد شوارده
وكم سنة أحيوا وكم بدعة نفوا وكم أسندوا حقا بحق يسانده
فأرسوا منار الدين من بعد فترة وضاءت بهم سبل الهدى ومقاصده^(٢)

ويشيد بشعرهم الشاعر نديم الرافعى فيقول :

ديوان شعر قد بدا للنور فزهت بطلعته ربوع عسير
يروى لنا أمجاد آحاد الوغى لم يرو مجد العرب كل خبير
نسج اليراع لآل مقرن بردة بيضاء رمز قداسة التقدير
فغدت على الأيام حلة رفعة ومعزة وكرامة وسرور
صانوا المآثر والمفاخر للألى صانوا البلاد بشرعة الدستور
تهدى عيون الشعر وهى قلائد فى مدح كل معظم مشهور

(١) كلمات وقصائد : نادى أبها الأدبى ١٤٠٠ هـ مطابع عسير ص ٣٨/٣٥

(٢) نفعات من عسير : ص ١٤ ، ١٥

فى مدح بيت المجد بيت مليكنا
صاغته من درر البحور قرائح
إلهامها القرآن مصباح الهدى
ما مات من بالوعظ خلد دعوة

يعتز بالتلهيل والتكبير
تضفى على الأبرار فيض شعور
والوحي صدق القول فى التبشير
خفاقة كالبدر فى الديقور^(١)

خصائص شعرهم المحافظ :

آل الحفظى لهم ديوان كامل صدر منه الجزء الأول بعنوان (نفحات من عسير) جمعه
المرحوم محمد ابراهيم زين العابدين الحفظى ، ونسقه للطبع عبد الرحمن بن ابراهيم زين العابدين
الحفظى عام ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م ، وسنعرض بعض شعرهم لنقف على الخصائص الفنية
لمدرسة المحافظين فى الجنوب . يقول الشيخ أحمد الحفظى الأول فى قصيدته (أئمة حق) ، وهى
تربو على ثمانين بيتا ، ومطلعها :

على العارض النجدى أهدى سلاميا
سلام على أعلامها وآكامها
سقاها الحيا المحي ورعا لحيا
سلام على الشيخ الإمام (محمد)
سلام على عبد العزيز وأصله
فقام وقاموا واستقاموا بحجة
ولا سيما عبد العزيز فإنه
حمى بيضة الاسلام بالبيض والقنا
وما زال فى بعث الجيوش مجاهدا
بنفس وأولاد وأهل وإخوة
وأنفق فى ذات الإله شبابه
وأذكى تحياتى لتلك الروايا
سلام على حضارها والبودايا
وحيا محيا وسعدا لثاوييا
وصبت على مشواه سحب هواميا
فإنهما كانا وكانا مواسيا
بحجة قرآن وضرب المواضيا
هو القائم الفاروق بالعدل قاضيا
وأجرى الى برك الغماد العوادي
وفى شن غارات وتجهيز غازيا
وكل نفيس والأسود الضوارييا
وشيبته داع وراع وساعيا^(٢)

فالموهبة الشعرية أصيلة فى نفس الشاعر ، يسيل الشعر منها دافقا بلا كلفة أو تعمل ،
فكانت العاطفة فى هذه القصيدة صادقة مشبوبة ، يدفعها الاخلاص والحب لهؤلاء الأئمة
المخلصين العادلين فى حكم الرعية ، صبا الشاعر فى ألفاظ قوية جزلة ، وأسلوب ناصع مشرق ،
وصور أدبية ، تفيض حيوية ودقة ، وموسيقى شعرية مناسبة مع المعنى والغرض ، وقافية يلتزمها
الشاعر حتى نهاية القصيدة ، يلتزم فيها الشاعر بعمود الشعر العربى ، لكن القصيدة هنا تتميز
بوحدّة الموضوع والغرض ، بلا تعدد ولا مزاجية .

(١) المرجع السابق : ص ١٦

(٢) نفحات من عسير : ص ٢٨

ولا تخلو القصيدة من ميل الى تكلف البديع نادرا ، ولى الزخرف بقدر لا يافراط ، مثل البيت الثالث ، وكذلك قوله : (فقام وقاموا واستقاموا بحجة — بحجة قرآن) ، والبيت الأخير في شبابه وشيبته ، وداع وراع ، ويقول الشيخ محمد أحمد الحفظى في قصيدته (دين الله باق) ومطلعها :

بدا الخير العظيم وقد تجلى	لنا نور الهدى والشر ولى
وصار الناس إخوانا جهارا	وولى الله كلا ما تولى
ودين الله باق فى ظهور	له كل العلو وليس يعلى
فعض عليه واستمسك بخير	وشد إليه راحلة ورحلا
وقول إلهنا غرض طرى	جديد ليس يخلق ذا ويبلى
مكين فى الصدور له يان	كذاك بألسن القراء يتلى
وهذه السنة الغراء فيها	يان وهى بين الناس تملى
وقد روت الصحابة كل عدل	بلا علل لما علا وأملى
وما قرن من الأعوام إلا	وفيه مجدد كثيرا وقلا
وفى هذا الزمان بلا خفاء	بدا تجديدها فرعا وأصلا
من الشيخ الامام أبى حسين	محمد الذى للحق جلى
وأزره الإمام أبو سعود	وسلسل مسند والسيف سلا ^(١)

وهكذا إلى نهاية القصيدة ، فى قوة شاعرية ، وسلامة فى التعبير ، وروعة فى التصوير ، وسيولة فى الألفاظ والتراكيب ، بلا تعمل أو تكلف ، مع شرف الغرض ، وسمو الهدف ، ونبيل الغاية ، ووحدة الموضوع فى القصيدة من أول بيت فيها إلى نهايتها ، وتلاؤم فى التصوير الأدبى بين المعانى والأفكار وبين الألفاظ والأساليب والصور الخيالية ، وانسجام بين العاطفة الدينية القوية وبين صورها فى القصيدة مستخدما وسائل التعبير التى تتناسب مع الغرض الدينى من القصيدة ، وهذه الخصائص الفنية تسير على منهج المحافظين وطريقتهم الفنية .

وهذا الشاعر الشيخ محمد أحمد الحفظى ولد فى بلدة (رجال الملع) فى ١٦/٥/١٣٧٨ هـ ، وتلقى علومه على يد أبيه ، ثم رحل الى المخلاف السليماني فى سبيل العلم ، ثم الى اليمن ليكمل علومه ، ثم الى حضرموت ، ثم الى بلدته ، وكان يجارب ببسالة مع الجيش السعودى ، ثم عين نائبا للقضاء ، ثم قاضيا فى عسير ، وله (الألفية الحفظية) و (درجات الصاعدين الى مقامات الموحدين) و (التفحات العنبرية فى الخطب المنبرية) و

(١) المرجع السابق : ص ٩٩

(ذوق الطلاب في علم الإعراب) وغيرها . وتوفى في (رجال المع) يوم الاثنين غرة ربيع الثاني عام ١٢٣٧ هـ رحمه الله تعالى (١) .

ويقول الشيخ أحمد الحفظى الثانى ، يدعو الى تطبيق الشريعة الاسلامية فى قصيدته (الشرع ينادى) :

الشرع نادى ملوك الأرض بل طلبا
وقدم العرض لكن ما استجيب له
نادى بصوت بليغ للعباد معا
وها أنا طالب منهم محاكمتى
والناس فى غفلة عنى وقد شغلوا
والله ما سكتوا عنى ولا غفلوا
كل يريد من الحكام مقربة
إن تنصرونى فإن الله ناصركم
أنا الذى أسس الرحمن بنيته
أنا الذى قد بنانى المصطفى علما
وأنتم تهدمونى بعده علما
يا صنيعه العمر لما صرت معتريا(٢)

حكما صحيحا يزيل الشك والريب
وحقه فى ملوك الأرض قد وجبا
إنى جعلت لأغراض الدنا سببا
فصورتى قد بقيت والجسم قد ركبا
من الحطام بما يكفهم نصبا
إلا لأغراض دنيا تجلب العظبا
ويطلب العز والأموال والرتبا
أو تخذلونى رأيتم كلكم تيبا
وشيد المصطفى أمرى بكل نبا
ركنا منيعا وأعلى منى القيبا
يا صنيعه العمر لما صرت معتريا(٢)

وخصوصية الخيال فى القصيدة بثت الحياة فى القيم الاسلامية ، وحركت المعانى السامية المجردة ، وأقام الشاعر منها شخصا يناجى أمته وقومه ويعرض صفاته وأخلاقه ومبادئه وتشريعه عليهم ويحثهم على التمسك به والتعلق بأهدابه ، والعمل على نصرته ومؤازرته وعدم خذلانه ، وكيف تخذلونه والرحمن هو الذى وضع أساسه ، والمصطفى شيد بنيانه ، فأصبحت ركنا منيعا .

هذا تشخيص حى متحرك للقيم والمعانى المجردة منح المعانى والمجردات حيوية وقوة تركت أثرا واضحا فى التصوير الأدبى ، الذى يهز العواطف ، ويحرك المشاعر بالحب للشريعة الاسلامية والتعاطف معها فى سبيل نصره دين الله ، وتطبيق شريعته الغراء ، وفى هذا دلالة واضحة على موهبة الشاعر الفذة وقدرته على التصوير الأدبى ، وهو يترسم خطى مدرسة المحافظين .

الأغراض الأدبية فى شعرهم :

يضم ديوان آل الحفظى (نفحات من عسير) أغراضا شعرية كثيرة على نمط الشعر

(١) المرجع السابق : ص ٤٤ ، ٤٥

(٢) نفحات من عسير: ص ١٠٥

العربي ، الذي كان في الدولة الأموية ، والدولة العباسية من أغراض اشتهرت في شعرهم .

وعنوان القصيدة عندهم لا ينص صراحة على الغرض منها ، ولذلك فإنني سأقف على الغرض منها من خلال مضمونها ، وما تدل عليه الأبيات والمعاني ، لأن شاعرهم لم يجدد الغرض منها في الديوان ، ولكن وضع لها عنوانا وموضوعا يوهم الغرض أحيانا ، ولا يوهم حيناً آخر ، ولذلك قمت بتصنيف الديوان الى الأغراض الأدبية التي اشتهرت قديماً في شعرنا العربي الأصيل .

أولاً - المدح وخصائصه :

وهو أكثر الأغراض الأدبية في شعر آل الحفطى ، وكان المدح في قصيدة (أئمة حق ص ٢٨) ، وقصيدة (تهنئة بالفتح ص ٦٣) ، وقصيدة (ودّ وإخلاص ص ٦٥) ، وقصيدة (أمصباح مشكاة ص ٦٦) ، وقصيدة (شهدت شواهد ص ٧٤) ، وقصيدة (تداعت دواعينا ص ٧٨) ، وقصيدة (من النعم العظمى ص ٨١) ، وقصيدة (زبدة الأقوال ص ٨٥) ، وقصيدة (وسنة الله نصر الطائعين ص ٩٥) ، وقصيدة (رياض الأنس ص ١١٧) ، وقصيدة (من تبع الإخوة ؟ ص ١٢٠) ، وقصيدة (تهنئة بالفتح .. ونصيحة .. وحكم ص ١١٢) ، وقصيدة (هزائم جيش عباس بن طوسون في عسير ص ١٢٦) ، وقصيدة (تهنئة بالنصر ص ١٣٥) .

وكذلك قصيدة (جبل الفخر ص ١٨٨) ، وقصيدة (عبد العزيز المفدى ص ٢٠٦) ، وقصيدة (تهنئة ص ٢٠٩) ، وقصيدة (ما كل بيضاء شحمة ؟ ص ٢١١)^(١) .

ومن قصائد المدح السابقة قصيدة للشيخ ابراهيم الزمزمي بن أحمد الحفطى ، الذي ولد في ١١٩٩/٣/٢٢ هـ ببلدة (رجال ألمع) ، ثم درس في (أبى عريش) على شيخه أحمد عبد الله الضملى ، حتى أجازته ، ثم رحل إلى اليمن ليأخذ عن علماء بنى الأهدل .. وله مؤلفات في الزهد والنحو ، منها كتاب (عقب الجلاب) ، وكتاب (قيد الشوارد) ، وله رسائل وشعر كثير ، وقد ترجم له تلميذه القاضي العلامة الحسن بن أحمد عاكش في كتابه (حدائق الزهر)^(٢) .

وهذه القصيدة هي (تهنئة فتح .. ونصيحة .. وحكم) ، قال الزمزمي بمناسبة تغلب الأمير سعيد بن مسلط بمن معه من قبائل عسير ومنهم (رجال ألمع) على الترك ، واخراجهم من (طيب) سنة ١٢٣٨ هـ في عهد الامام تركى بن عبد العزيز مهنتا ومناصحا ، قال :

ألا إنى أهنى للأمير بنصر الله والفتح الشهير

(١) نفحات من عسير .

(٢) المرجع السابق : ص ١١٥ ، ١١٦ .

وذاك عليه بل وعلى من جسيم حقه شكر الشكور
فله الثنا وله سألنا دوام الشكر فى كل العصور
فإن الشكر للموجود قيد وصيد أوأبد النعم النفور

إلى قوله :

ألا فيقظوا يا ناس مهما بقت مندوحة فى ذى الدهور
وبالماضين فاعتبروا تفوزوا فىا سعدا لأرباب العبور
وعينكم الأمير حباه ربي وعوفى فى الحياة وفى المصير
سعيد طابق الاسم المسمى وشاهد ذا الفتوح مع النصور
عليك تحية تعشاه منى دواما بالأصائل والبكور^(١)

وتقوم هذه القصيدة على غرض واحد ، يجمع فيها الشاعر الصفات الكريمة للممدوح ،
والشمائل الفاضلة ، وكرم الأخلاق وما حققه من نصر مؤزر ، وتنبع هذه الصفات من روح
الشرعية الاسلامية وأخلاقها ، مما يدل على تدين الشاعر وحسن أخلاقه .

ولم تتجرد القصيدة من فلتات لا تتناسب مع لغة الشعر الشاعرة كالأسلوب السهل
القريب ، الذى قد ينزل أحيانا إلى مستوى الكلام العادى بين الناس فى حياتهم اليومية ، مثل
(الفتح الشهير) و (شكر الشكور) و (يا ناس) ، بل قد يجره القرب والتداول فى التعبير
الى الوقوع فى خطأ مثل قوله (بقت) فحذف لام الكلمة بلا داع للحذف مع أن الفعل لحقت
به تاء التأنيث الساكنة ، ولا تحذف معها اللام والصواب (بقيت مندوحة) وهذا مما يستعمله
العامة خطأ ، وأن الشاعر اضطره الوزن الى هذا الخطأ ، وكلاهما غير محمود ويؤخذ عليه .

وكذلك الشيخ على بن الحسين الحفظى ولد ببلدة (رجال ألمع) وعاش ما بين عامى
(١٢١٧ — ١٢٧٥ هـ) ، وفى سبيل طلب تنقل الشيخ بين البلدان ، فغادر وطنه الى
المرابغة باليمن ، قضى بها سبع سنوات ثم عاد ليتولى منصب القضاء فى عهد الأمير عائض بن
مرعى ، واشترك معه فى الحروب ، وله شعر جزل فى المراسلات^(٢) .

ومن قصائده فى المدح قصيدته بعنوان (هزائم جيش عباس بن طوسون فى عسير)
أنشدها الشاعر فى عهد الامام فيصل بن تركى ، حين غزت عسيراً جحافل الترك القادمة من
مصر فى أيام عباس الأول بن طوسون سنة ١٢٦٨ هـ ، وهاجمت الكثير من البلاد : سراة
وتهامة ، فهب أشداء العزم والبأس ، أقوياء الشكيمة الأباة أهل الاقليم جميعا ، بقيادة الأمير

(١) المرجع السابق : ص ١٢٢ ، ١٢٤

(٢) صفحات من عسير : ص ١٢٥

عائض بن مرعى لصد الجيوش المعتدية ، حتى هزمهم شر هزيمة في عدة وقائع بأماكن كثيرة ،
وبمناسبة هذا الظفر ، قال على بن الحسين هذه القصيدة في عام ١٢٦٩ هـ ، ومطلعها :

أيا (أم عبد مالك)^(١) والتشرد
ومأواك أوصاد الكهوف توحشا
فقلت رويداً يا أبا عبد إنما
عمرم جيش سيق من مصر معنفا
ويسبى ذرارى الأكرمين جهارة
فقلت لها من دونكن ودونهم
وضرب يزيل الهام عما ربت به
قفى وانظرى يا أم معبد معاركنا
وفيا ليوث الأسد من كل شيعة
وفيا رئيس عائض حول وجهه
ومسراك بالليل البهيم لتبعد
ومثواك أفياء النصب وغرغد^(٢)
أضاق بنا ذرعاً شديد التوعد
يهتك أستار النساء ويعتدى
وينظم سادات الرجال بمقلد
ضروب حماة بالحديد المهند
ويظهر مكنونات أجواف أكبد
يشيب لها الولدان من كل أمرد
يصالون نار الحرب حزناً لمفسد
حياض المنايا أصدرت كل مورد

إلى قوله :

وأشرف على واد الإمامة^(٣) قائلاً
سلام على عبد العزيز وشيخه
دعا الناس دهرًا للهدى فأجابه
وقفاهما حنوا سعود بسيفه
وعرج بها ذات اليمين وقد هوت
ونادى بأعلى الصوت بشرى (لفيصل)
ودمعك سفاحاً على الخد والشدى
وتابع رشد للامام المجدد
فنام فمنهم عالمون ومقتدى
مميز مجرد النقود من الردى
على عرصات للرياض بمقصد
وفي نسل سادات الملوك مسدد^(٤)

وقصائد المدح عند آل الحفظى تقوم على غرض واحد غالباً إلا نادراً فلا تتجاوز أغراضاً
أخرى غير المدح إلا في قصيدة على بن الحسين حيث ابتدأها بحوار دار بين أئى عبد وأم عبد ،
وإن كان سبب الحوار هو تلك المعركة التى انتصر فيها الجيش السعودى على المغيرين ثم تسلل
الشاعر الى مدح الجيش ، وما حققه من نصر مؤزر في ظل رعاية الامام تركى بن فيصل .

(١) هى أم عبد الله بن مسعود من غافل الهذلى ، وقد جرت عادة الأقدمين من شعراء العرب تصدير القصيدة بالحوار مع أم
معبد وأم عبد في المناسبات ، وسار الشاعر على هذا النحو .

(٢) غرغد : شجر العوسج .

(٣) وادى الإمامة جبل يمتد بين الربع الخالى حتى سدير في الجنوب .

(٤) نفحات من عسير : ١٢٦ ، ١٢٩

ومتلها أيضا هذه القصيدة التي سارت على منهج القدماء في المدح ، فتصدرت بغرض آخر مع المدح ، قصيدة (رياض الأنس) للشيخ ابراهيم الرمزى ، فقد استهلها الشاعر بمشهد من مشاهد الطبيعة الساحرة ، ثم انتقل الى مدح الامام سعود الكبير وتهنئته حين دخل مكة فاتحا سنة ١٢١٨ هـ قال في المطلع :

رياض الأنس مزهرة توالى	بها قطف دنى ما إن تعالى
وماء المأذنيات اللواتى	تحاكي البحر لم تبق انتحالا
وفي ملد الغصون سمعت لحنا	لطير السعد إذ ثنى المقالا
فأطربنى غناه وليس بدعا	ولو نظمت فى السمط الثقالا
وإنى لا وقد أوفى علينا	بشير للكآبة قد أزالا
بمقدم صدر أرباب المعالى	حليف الحمد من فى الله والى
ومن فى حلبة العلياء جلى	وصلى فاسألن عنه الرجالا
(محمد) الذى حاز المعالى	بوقت أهله عنها كسالا

ثم يتسلل من (محمد) صلى الله عليه وسلم ، الذى أقام الهدى بمكة المكرمة الى مجيء الامام سعود اليها ، ليعيد اليها انجد كما كانت من قبل ، فيقول :

فلما جاء من نجد (سعود)
 وأضحى الدين فى طرب وعز
 تغيض قلوب من يهوى الضلالا^(١)
 وهكذا يسير فى المدح الى آخر القصيدة .

أما بقية القصائد فى هذا الغرض فقد خلصت للمدح من المطلع حتى نهاية القصيدة ، كما وضح ذلك من القصيدتين السالفتين .

التزم شعراء آل الحفظى فى مدحهم المنهج القديم فى شعر الفحول الذى يقوم على عمود الشعر العرى ، وعلى تصوير الخصال المألوفة فى المدح من الشيم المعروفة عند الشعراء القدامى كالشجاعة والنجدة والقوة ، وشدة البأس والنصر المؤزر ، والذود عن الشرف والكرامة والعرض ، ثم تصوير أخلاق الاسلام ، التى حفزت الرجال على النصر والدفاع عن أرضهم ، والذود عن نسايتهم وأولادهم ، ورد كيد المعتدى .

ثم مدح أئمة البلاد ، فهم أئمة حق ، نصروا الدين وآزروه ، وثبتوا دعائمه فى ربوع البلاد بالحق والعدل والمساواة .

(١) نفحات من عسير : ص ١١٧ وما بعدها .

ويستعين الشاعر في هذا الغرض بالصور الخيالية المتعارف عليها في شعر المدح عند القدماء ، ليحافظ على منهج القدامى في التصوير الأدبي ، وذلك مثل هذه الصورة من قصيدة (أئمة حق) .

حمى بيضة الاسلام بالبيض والقنا وأجرى الى برك الغماد العوادي
وكذلك التصوير عند الزمزمى من خيال قديم معروف ، يقول :

فإن الشكر للموجود قيد وصيد أوابد النعم النفور
ثم الصور الخيالية في القصيدة الأخرى ، مثل (الليل البهيم) ، (عرمم جيش) و (يهتك أستار النساء) و (وضرب يزيل الهام) و (يشيب لها الولدان من كل أمرد) ، وغير ذلك مما لم نذكره في ديوانهم الكبير الذى يسير على هذا النمط القديم في التصوير الأدبي .

ثانيا - الشعر الإسلامى :

وهو أكثر الأغراض الأدبية بعد المدح ، ويشتمل على قصائد كثيرة أهمها للشاعر الشيخ محمد أحمد الحفظى ، وهى (عصابات فى نجد ص ٤٦) و (قصيدة (تألق برق الحق ص ٥١) و (قصيدة (إن النجائب ص ٥٤) ، و (قصيدة (ودين الله باق ص ٩٩) ، و (قصيدة (الحج والحجاج ص ١٠٤) ، و (قصيدة (فى الصلح بين متحاربين ص ١٠٧) ، و (قصيدة (جاءت الساعة فى أشراتها ص ١٠٩) .

أما عبد الخالق الحفظى فله قصيدة (ماذا بعد الممات ؟ ص ١٣٩) ، وأما قصائد الشيخ أحمد الحفظى الثانى هى : (فى وصف طه ص ١٤٥) ، و (قصيدة (أسماء سور القرآن الكريم ص ١٤٨) ، و (قصيدة (الشرع ينادى ص ١٥٠) ، و (قصيدة (الله أكبر ص ١٨٦) ، و (قصيدة (آخر سطر من عبس ص ١٩٠) .

وللشاعر الشيخ ابراهيم زين العابدين الحفظى قصيدة (عمرة المسجد ص ٢١٢) والشاعر عبد الخالق بن ابراهيم بن أحمد الحفظى الأول ولد عام ١٢٢١ هـ فى بلدة (رجال المع) ، ثم تعلم على يد والده ، ليرحل الى (ألى عريش) فيتزوج بالعلم على يد علماء آل عاكش ، وتولى منصب القضاء فى عسير ، وبعد عودته من الحج توفى أثناء الطريق بالقتنفة عام ١٢٨٤ هـ رحمه الله تعالى (١) .

وله قصيدة (ماذا بعد الممات ؟) يصور فيها ما يلاقيه الانسان بعد الموت من أهوال القبر ، ويستعرض آلامه وأحزانه ، فتفيض القصيدة بالشكوى والألم ، ويخيم عليها مسحة الخوف من الله عز وجل ، الذى يرجو منه المغفرة والرحمة .

(١) نفحات من عسير : ص ١٣٤

ذكر الممات طوال الليل أرقتى والخوف أزعجنى والكرب آلمنى
وعاذلى لم يزل جدا يؤنبسى دع عنك عدلك لى يا من يعاذلنى
لو كنت تعلم ما بى كنت تعذرنى

الى قوله :

ماذا ألوذ به فى كشف مكرتى واستجير به من كل معضلة ؟
سواك يا من له ذلى ومسألتى وقد ترى يا إله الخلق مسألتى
فجد علىّ فليس الخلق ينفعى
واغفر لى الذنب واصفح عن خطأ زلى واستر على بستر مسبل عجل
وبدل السوء بالاحسان فى العمل وامن على بعفو منك يا أملى
وجد على مذنب بالذنب مرتين
فليس للعبد من يعفو برحمته ومن يجيب لمضطر برأفته ؟
سواك يا سماع الشاكى لفاقته ثم الصلاة على الهادى وعترته
والصحب ما غرد القمرى على فنن^(١)

وهى طويلة اكتفيت بمطلعها ونهايتها ، وتبنى فى قالبها الموسيقى على نظام الخمسات ،
فتمثل كل مقطوعة خمس شطرات ، يتفق حرف الروى فى الأربع من كل مقطوعة ، ويتفق فى
الشطرة الخامسة فى جميع المقطوعات حتى نهاية القصيدة ، وفى هذا القالب تنوع فى الإيقاع
والموسيقى ، وتطور فى نظام الموشحات الأندلسية ، مع الاحتفاظ بالبحر العروضى فى القصيدة
كلها .

سيطرت الحقيقة على القصيدة فى التصوير الأدبى ، بما يتناسب مع الغرض وهو الشعر
الاسلامى ، أما الصور الخيالية فلا تهر النفس ولا تحرك المشاعر ، فهى كتل جامدة ، وصور
تقليدية مجردة من الحيوية وعلى سبيل المثال قوله : (الخوف أزعجنى والكرب آلمنى) ، فلا نشعر
بحيوية الخيال والمشاعر الفياضة ، وغاية الخيال تظهر حينما تجرى الاستعارة بالكناية فنقول : شبه
الخوف بانسان مزعج ، والكرب بانسان مؤلم ، ثم حذف المشبه به ، وبقيت صفة من صفاته ،
وهى الازعاج والألم على سبيل الاستعارة بالكناية ، وليس هذا فى خيال شعر يصلح للتصوير
الأدبى ، بل الصورة هنا الى الحقيقة أقرب .

ولا يغض هذا من قدر الشاعر ، وإنما قد يرفعه ، وقد يسمو به لأن الغرض الذى ينظمه
الشاعر هو شعر اسلامى ، يقوم فى مضمونه على الحقائق التى لا يشتط بها الخيال ، ويعتمد

(١) وهى قصيدة طويلة تفردت وحدها من بين الديوان بهذا القالب الموسيقى ، نفعات من عسير : ص ١٣٩ ، ١٤٢

على التصوير القريب بلا مبالغة أو غلو أو افراط ، والمقصود من الخيال وصوره في غير حقائق الاسلام أن يحقق في السامع التأثير والاقناع ، والحقائق الاسلامية في ذاتها تحتوى في مضمونها على التأثير باعتبارها حقائق مذهلة لا يقدر عليها البشر ، ويسلم بها الانسان لقوتها في الحجة والاقناع ، فلا يحتاج كثيرا الى الخيال ، الذى يعتمد على الايجاء البعيد في الأضواء والظلال والاشعاع .

هذه الخصائص الفنية في الألفاظ والأساليب والحقيقة والخيال وصورهما والموسيقى والايقاع هى من خصائص المذهب الأدبى لمدرسة المحافظين ، الذين اتبعوا مذهب القصيدة القديمة وخصائصها ، لكن من خلال شاعرية الشاعر ، وموهبته الأصيلية ، من غير تقليد أعمى ، يسوده الجمود والتحجر ، ويتسم بالمحاكاة المجردة من الموهبة الشعرية ، كالشأن عند المقلدين من شعراء التقليد لا المحافظين .

ويسير على هذا المنهج الشاعر الشيخ محمد أحمد الحفظى في هذا الغرض مثل قصيدته (تألق برق الحق) ، ومطلعها :

فعم حياة الكون في الغور والنجد	تألق برق الحق في العارض النجدى
يوانع أنواع من الثمر الرغد	وأورقات الأشجار واتهضت بها
وتوحده بالقول والفعل والقصد	دعانا الى الاسلام دين إلهنا
وأنقذنا بعد الغواية بالرشد	هدانا به بعد الضلالة والعمى
وأمكننا من كل طاغ ومعتد	حبانا وأعطانا الذى فوق وهما
ممالك من كل طاغ ومعتد	وأيدنا بالنصر واتسعت لنا
يثبتنا عند المصادر كالورد ^(١)	فسأله إتمام نعمته بأن

ثالثا - في الرسائل والاخوانيات الشعرية :

ويأتى هذا الغرض الأدبى عند شعراء الحفظى في المرتبة الثالثة ويضم قصائد كثيرة من أهمها ما ينسب الى الشاعر الشيخ أحمد الحفظى الأول ، وهى قصيدة (والورد أهدى ص ٣٥) كتبها الى صديقه السيد أحمد ابراهيم الأخرس ، وقصيدة (وميض البرق ص ٣٦) كتبها الى ابنه محمد ، وهو مقيم بالقنفذة ، وأجابه عليها بقصيدة (الشمس أشرقت ص ٣٧) ، ومن قصائد الشاعر الشيخ محمد أحمد الحفظى كذلك (لك الحمد مولى الحمد ص ٥٦) ، كتبها الى إمام اليمن (المنصور على) يدعوه لمناصرة أئمة الحق في نجد ، وقصيدة (أغراض الدعوة ص ٥٨) ، كتبها الى الخلف السليماني بأبى عريش في منطقة جيزان الى الشريف على بن حيدر ، وقاضيه

(١) نفحات من عسير : ص ٥١ ، ٥٢

عبد الرحمن البهكلي ، وعلماء تلك المنطقة ، يدعوهم الى استجابة الدعوة في نجد ، وقصيدة (حدا صيت الألمان ص ١١١) ، وكتبها عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الحفظي رداً على قصيدة (سرى بارق الأشواق) ، التي كتبها قاضي مكة المكرمة الشيخ عبد الله سراج بن عبد الرحمن وبعثها الى الشيخ محمد أحمد الحفظي ، ولكنها وصلت بعد وفاته ، فرد عليه ابنه عبد الرحمن بالقصيدة السابقة فقال :

حدا صيت الألمان فاحتد بي قصدي وغني جلا ترجيعه شجن البعد
 وذكرني عهداً عفا حق وصله وقد كان بالآباء في طلعة السعد
 وكانت رداً على قصيدة (سرى بارق الأشواق) ومطلعها :

سرى بارق الأشواق فاشتد بي وجدى وذكرني مسراه عرب الحمى النجدي
 وأقلقتني وادى رجال وشاقتني عبير شذى منه يفوق على الند
 وجاء في هذا الغرض أيضاً قصيدة (أيها البيت ص ١٨٩) للشيخ عبد الخالق خاطب بها ابنه أحمد الحفظي الثاني .

وأما الشاعر الشيخ علي ابن زين العابدين الحفظي فقد ولد في بلدة (رجال ألمع) ، وتلقى علومه على يد والده وأعمامه ، ثم رحل الى المراوعة بوادي سهام اليمنية ليتزود بالعلم ، ف قضى بها خمس سنوات تتلمذ فيها على يد علماء الأهلل ، ثم سافر الى جزيرة جاوة فأقام بها سنوات ، ثم عاد الى بلده ليتولى القضاء ، وله مؤلفات في الفقه والنحو والشعر ، ومات وعمره خمسة وستون عاماً^(١) وله قصيدة (دموع وأشواق) بعث بها الى عمه وشيخه الأول يقول فيها :

هب النسيم قلبى كاد ينفطر والدمع يجرى على الخدين منحدر
 شوقا الى اليمن الميمون مسكنا من في (رجال) لنا الأسلاف قد عمروا
 أيضا وذكرني عهداً لإخوتنا فهم جناني كذا السمع والبصر
 مقدم الذكر شيخى قلوبى (حسن)^(٢) نجل الوجيه به الأيام تزدهر
 علامة شرف الاسلام مجتهد مدرس فضله في القطر مشتهر
 يحيى النواوى فقها فهو (تحفتنا) (ومنهاجنا) وكذا (الأنوار) لا نكر
 مصباحنا (حسن) أيضا (نهايتنا) (ارشادنا) من به الأزمان تفتخر^(٣)

(١) نفحات من عسير : ص ١٩٢

(٢) هو ابن عبد الرحمن محمد الحفظي .

(٣) نفحات من عسير : ص ١٩٣ — ما بين الأقواس أسماء لبعض كتب الشافعية .

وتمضى القصيدة على هذا النحو حتى نهايتها من التكلف والتصنع ، الذى يظهر فى أسماء بعض كتب الفقه للمذهب الشافعى ، ليسلكها فى نظم الأبيات قسراً ، كما تسود طريقة التعبير فى النثر على القصيدة لا طريقة الشعر فيها ، مما كان لها أثر على الألفاظ الأخرى فى الأبيات ، فنشعر أن فى الأسلوب قلقاً واضطراباً ، كما فى قول الشاعر : (مقدم الذكر شيخى قدوتى [حسن]) .

والمصطلحات العلمية واللغوية هى آفة الشعر ، تذهب برونقه ، وتطفىء ديباجته المشرقة ، وتجمد حيويته النابضة ، كما فى قوله : (علامة — شرف الاسلام — مجتها — مدرس .. الخ البيت) ، فهذه المصطلحات (علامة — ومجتهد — ومدرس) أفسدت الشعر وجعلته نثراً أدبياً ، وكذلك الأمر فى أسماء الكتب ، التى أصر على ذكرها وهى : (النواوى — التحفة — الأنوار — الحسن — الإرشاد) وغيرها ، أخذت حرارة المشاعر ، وثورة الانفعال ، وتعثرت العاطفة ، فتصلبت الأبيات فى جمود وتحجر ، وفتور وضعف فى المشاعر .

وهذا يدل على أن شعر آل الحفظى فى ديوانهم لا يخلو من هنات العصر ، من التكلف والتصنع ، وإن كان قليلاً بالنسبة لحسنات شعرهم بصفة عامة ، وليس هذا عيباً يؤخذ عليهم ، فهو أمر واقع حيث كانوا يمثلون بشعرهم مرحلة تاريخية ، لا بد منها فى تطور الشعر السعودى فى الجنوب ، لينهض الشعر بعدها فى المرحلة المتطورة التالية ، التى سنراها فى تطور المذاهب الأدبية الحديثة من بعدهم .

رابعاً — الشعر الوطنى :

الشيخ أحمد بن عبد الخالق بن ابراهيم بن أحمد الحفظى الأول ، ويطلق عليه أحمد الثانى ، ولد بقرية عثالف مستوطن أبيه ، ثم سافر الى (أنى عريش) ليتلقى العلم على مشايخه من آل عاكش ، ثم عاد الى بلده لكى يساعد والده فى القضاء والإفتاء ، حتى قبض عليه الأتراك مع صحبه ، وأرسلوه إلى استانبول لمدة ست سنوات ، حتى عاد سنة ١٢٩٣ هـ ، ولكنه ظل يدعو الى الوحدة الاسلامية ، فاعتقلوا ابنه عبد القادر تنكيلا بوالده ، لكنهم أفرجوا عنه بعد ذلك ، وظل الشيخ أحمد فى عثالف احدى قرى وادى حلى برجال ألمع ، حتى مات سنة ١٣١٧ هـ عن ٦٧ عاماً ، ومن مؤلفاته : (فتح المنال) فى تفسير القرآن الكريم ، وله رسائل فى الفقه والأدب ، أما شعره فهو كثير ، كتب فيه بضعة أجزاء تحتاج الى النشر^(١) .

والشعر الوطنى يكاد يكون مقصوراً على الشيخ أحمد الحفظى الثانى المترجم له سابقاً ،

(١) نفعات من عسير : ص ١٥٦

ومن أهم قصائده في هذا الغرض الأدبي قصيدة (ذكرى وعتاب ص ١٥٨) كتبها وهو بالمعتقل الى بلده وأهله ، وقصيدة (لوعة وعتاب ص ١٦١) في الحنين الى وطنه وقومه الأشاوس ، وقصيدة (الدهر والناس ص ١٦٣) يتذمر فيها من الحكام العثمانيين ، الذين ذاق منهم مرارة الاعتقال ، وعذاب الوحشة والعزلة ، وقصيدة (بين الماضي والحاضر ص ١٦٤) يحن فيها الى الماضي ذى العزة والفخار ، ويئن في الحاضر من مرارة العيش بعد النعيم ، وقسوة الأيام بعد الرخاء ، وقصيدة (محاكمة ص ١٦٦) وفيها محاكمة وحوار يشف عن ظلم العثمانيين له ولأصحابه ، وقصيدة (ذكريات ص ١٦٩) يتذكر فيها حالته حينما كان عزيز الجانب في الماضي ، وحالته من الأسر في الحاضر ، وقصيدة (خماسيات ص ١٧٦ - ١٨٥) وكتبها بعد الانتصار في حرب البلقان الى قومه ابتهاجا بعودته الى وطنه ، وسار على نظام تغيير القافية في الموشحات ، وقصيدة (خواطر من أرض الروم) وأرسلها مع علي بن طامى شعيب ، حين أطلق سراحه الى بنى عمومته ليعبر فيها عن حنينه الى وطنه يقول فيها :

<p>فدهشت بين حديثها وجمالها وتزينت بيئاتها وكأهلها فاقت بيهجتها على أمثالها عمداً فلم تخطيء برمى نبالها ولحاظها فالسحر من أكحلها عن حسنها سجدوا لعذب مقالها كالعطر بين نسائها ورجالها فشفت غليل الشوق من سلسالها حتى أتى ما صد عن أحوالها أنسى لنفوس حليها ورجالها^(١) شك ترى ما كان من أشكالها أو يقتدى بجرامها وحلالها تبكى منازلها على حلالها كيف النجاة لطامع في حالها والنفس طول الوقت فى أهوالها أيضا كما أعمامها أحوالها وإن كان ذنباً فهو من أعمالها</p>	<p>خطرت ومنت فى لذيد وصلها شمس تبتت من سماء فضائل دريّة نوريّة عريّة ترمى بنبل من قسىّ حواجب قد أودع السحر الحلال بلفظها لو أسفرت فى الجاهلية مرة برزت من العلياء تنشر عرفها ورمت لنا طيب الحديث بلطفها ما زلت أذكرها وأذكر حالها مما جرى فى حال أسر شائع أسر به الأحوال صارت هكذا لم تؤخذ الأشياء حسب مرادها صارت منازلها كأمس عابر وأنا الأسير أسير سير مفكر فى بلدة الروم أسيراً مبعداً جعلت فروع أصولها أجدادها مالى وأرض الروم ماذا حل بي</p>
--	--

(١) حل : اسم مستوطن آيه ، ورجال : وطنها الأصل وبينهما أربع كيلومترات .

لم يبق في الدنيا سوى أحباها
يا رب فاجعلنا على منوالها
من ذا سواك مفتوح أفعالها
منكم وأما الغير لا أرض لها
تعطى لمن ترضى أليم وبأها
إلا بأمرك فالرضا أولى بها
لتطلب الرحمت من عذالها
أو اشتكى إلا إلى فعالها
أقوالهم والموت في أقوالها
فالليث يكشر وهو من أهوالها

وبضربه ينهل عظم نصالها
والنفس لاعبة على أغفالها
لنناه نحمده على أحوالها
أو كنت سيف حرب ذى أطوالها
أو قد فعلت فواقرا يد نالها
بل كنت مفتقرا إلى أفعالها
يوم الأراضى زلزلت زلزالها
إذ أخرجت أراضينا أفعالها
لما لها الإنسان نادى ما لها؟
أن الإله لأرضه أوحى لها
لترى الجزا في ذاك من أعمالها
يوما يراه وشره أحوالها
أسنى السلام لسائل بسؤالها
يوم القضا والنفس في أهوالها
أو في التحايا من ذرا أجاها
خطرت ومنت في لذيذ وصالها^(١)

هذه هي القصيدة كلها ، بدأها الشاعر على عادة الشعراء القدامى فاستهل المطلع بالغزل العفيف ، وثنى بالغرض المقصود ، وهو الحنين الى أهله ووطنه وماضيه ، وأروع ما في القصيدة

لو يأخذ الله العباد بظلمهم
لكن رحمته لكل وسعت
لا تجعل (الحفظى) محروما بها
طلب التلطف والترحم سيدى
كل عيبك بالسواء وإنما
لا ينفع العبد الضعيف لمثله
وأنا الصبور وليس حالى نازلا
أقسمت ألا أصغى لقول معنف
ما لى وللأعداء أشابت مفرقى
لا تغتبر بتيسم من ضاحك

والسيف يلمع ضاحكا من صقله
فعدونا الشيطان أضحى ضاحكا
ما لى وللدنيا أشانت كلما
هل كنت تبع حمير فى وقتها
أو كنت قد جمعت أجناد الورى
قطع الرقاب وأسر كل مبعد
(رب العباد) أسير ذنب خائف
ذاك المقام مقام صدق ظاهر
والأرض خاشعة لشدة هولها
فيها تحدث للورى أخبارها
الناس أشتاتا تراهم كلهم
من يعمل الخير القليل كذرة
يا نجى (طامى) أننى أودعتكم
والله أسأله السلامة من لظى
وعلى (عسير) جميعهم من مغرم
ما دام ذكر الله أو ما تليت

(١) نجمات من عسير : ص ١٧٢ ، ١٨٣

شاعرية المطلع الغزلي ، الذي فاض بوجدان الشاعر الصادق ، وعبر عن لظى مشاعره المتأججة من لوعة الفراق ، فخطرت له في أمبي زينتها ، فسحرتة بمديحتها ، وبعينها ، لتطفئ غليل الشوق ، لكن العاذل يترصده ليقطع وصل الحبيين ، ألا وهو الأسر ، الذي أنسى النفوس أعز البلاد ، وأجمل الذكريات في حلى ورجال ألمع ، وهكذا يتسلل الشاعر من الغزل العفيف الى الحنين للوطن ببراعة ولطف ، حتى لا يشعر القارئ بأن القصيدة تحتوى على غرضين ، وكان غزله بريئا ، يصور الخواطر النفسية ، وكيف تجاوب وجدانه مع سحر الوصل ، وجمال اللحظ ، وعذوبة الحديث ولطف الروح ، كما اغتلى وجدانه أيضا بظلم الأسر في بلاد الروم ونار البعاد عن الوطن ، ولوعة الفراق عن الأهل والخلان ، في تصوير أدبي رائع ، وشاعرية قوية متدفقة ، وعاطفة صادقة مشبوبة ، وذلك في شعر يكاد يخلو من مسحة الكلفة والمبالغة ، حتى نشعر بأن أسلوب القصيدة وتراكيبها ، بلغت من العذوبة والسهولة مبلغ التعبير الدارج في النصوص النثرية المألوفة ، ولولا توقد العاطفة ، وميزان الشعر من العروض والقافية ، لقلنا بأنها قطعة أدبية ، تدخل في باب النثر الفني الرفيع .

وسقطات القصيدة قليلة ، لا تغض من قوة الشاعرية ، أو تنقص من قدرة الموهبة الأصيلة في الشعر ، فالقافية مثلا فيها ليست مركبا صعبا ، تنتهي اليها ، وهذه تعطى تجوزا للشاعر اذا لم تستجب بنية الكلمة القائمة على الهاء ، وجد الشاعر مهريا من حقله اللغوي الضيق الى كلمة أخرى يوصلها بالهاء المضافة ضميرا ، يرجع الى ما قبله ، وتلك توسعة على الشاعر حتى لا يخضع لضرورة القافية .

وعدم خضوع الشاعر لضرورة القافية يدل على تمكن الشاعر من معامل الاشتقاق اللغوي ، واستخدامه استخداما جيدا في القافية ، ويعبر أيضا عن قدرة الموهبة الشعرية عنده ، وتلك براعة يتصف بها نوايغ الشعراء .

سرى الغموض في بعض المعاني للقصيدة مثل هذين البيتين :

طلب التلطف والترحم سيدى منكم وأما الغير لا أرضى لها
كل عبيدك بالسواء وإنما تعطى لمن ترضى أليم وبأها

فلا أدري المعنى في قوله : (وأما الغير لا أرضى لها) أيكون المقصود : أما غير الله فلا تطلب التلطف والترحم منه ، وإذا كان كذلك فيكون الغموض واقعا ، لا يقف عليه القارئ بيسر ، وذلك لا بسبب صورة شعرية موحية ، تبهر لوقت ما ، حتى يقع على المعنى فيرويه كما يروى الظمان ولكن بسبب التعقيد في التركيب ، حيث جعل الشاعر التلطف والترحم عند غير الله لا أرض له ، فكان الغموض في اختيار لفظ (الأرض) وفي عود الضمير على اللفظ المؤنث للأرض من أجل القافية . بينما هو يعود على التلطف والترحم ، وكلاهما مذكر ، ليعود عليهما الضمير مذكرا لا مؤنثا ، والتقدير (وأما الضمير لا أرض له : أى للتلفظ والترحم) .

وكذلك قوله : (تعطى لمن ترضى أليم وبها) ، فكيف يعطى الله تعالى أليم العذاب ، بل من يرض عنه الله ، يفض عليه بالنعيم ، ومن يستخط عليه يصله بالعذاب الأليم ، وهذا تناقض في المعنى .

ومما يذكر لبراعة الشاعر ، وموهبته الشعرية القوية أنه يستخدم البديع بلا كلفة ، بل يأتي منقاداً طائعاً للمعنى ، مع تكرار اللفظ الواحد يقول الشاعر في براعة : (وأنا الأسير أسير سير مفكر) .

وتظهر البراعة أيضاً في الاقتباس من القرآن الكريم والتضمين لصوره ومعانيه ، وتظهر روعة التصوير الشعري في اقتباسه لسورة (الزلزلة) في أربع أبيات ، مثل قوله : (والأرض خاشعة لشدة هوها) .

خامساً - الشعر التعليمي :

ظهر الشعر التعليمي في أربع قصائد وهي قصيدة (نصيحة لحاكم ص ١٧٤) التي رفعها رؤساء القبائل في عسير ، يتزعمهم قائلها الشيخ أحمد الحفظي الثاني الى السلطان التركي عبد الحميد عام ١٢٩٠ هـ ، ينصحون الحاكم برفع ظلم العثمانيين عنهم ، وقصيدة (ذكر الحبيب ص ١٩٦) ، التي بعث بها الشيخ على زين العابدين الحفظي الى ابنه ابراهيم ليحثه على طلب العلم لدى بنى الأهدل في وادي سهام باليمن ويقول في مطلعها :

ذكر الحبيب لدى الساعات لم يزل وماغفلت ودمعى فاض من مقلى
وبى من الحزن ما يكفي المنتظر شواهد الحال بالتعديل تشهد لى

وقصيدة (حادى المطايا ص ١٩٩) أرسلها الشاعر على زين العابدين لابنه المذكور .

والشاعر الشيخ أحمد الحفظي الأول بن عبد القادر من بلدة (رجال ألمع) ، ولد فيها في ١١٤٥/٤/١٥ هـ ، وتعلم على يد والده وأعمامه ، ثم رحل الى (صيبا) لطلب العلم ، ثم الى اليمن ليتعلم على أيدي علمائها ، وأخيراً عاد الى بلده لينشر العلم وتعاليم الدين الحنيف ، ولما ظهرت دعوة التجديد على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب بمؤازرة الأئمة آل سعود ، نشر الشيخ أحمد الحفظي فكرها ، ودعا بها ، وتوفى عام ١٢٣٣ هـ عن ثمان وثمانين عاماً. وله مؤلفات كثيرة منها : (الأزهار الفاتحة في أسرار الفاتحة) ، (ضياء الشمعة في شرح خصوصيات الجمعة) ، (شرح عقد جواهر اللثال في فضائل الآل) ، أما شعره فكثير^(١) .

(١) نفعات من عسير : ص ٢٣ ، ٢٤

ولهذا الشاعر من الشعر التعليمي قصيدة (نصائح وحكم ص ٣٣) يقول فيها :

سم في سمات سناها السموات واعمل بأعمال أعلام العبادات
واحضر جموع جماعات الصلاة فما أخس من فاته جمع الجماعات
وأجر للجار معروفا يجيرك من جور العذاب وإن جر الجويرات

وهكذا يسير الشيخ في قصيدة ، يتعسف فيها الأسلوب المتكلف والتراكيب المثقلة بألوان الزينة والزخرف ، على عادة شعراء عصره لكي تصير الأبيات مثلا أو حكمة ، يتندر بها في المجالس ، ولا تخلو من موعظة وحكمة ونصيحة ، وهذا وحده هو جوهر الحسن فيها .

سادسا : الرثاء :

وجاء غرض الرثاء عند آل الحفظي في قصيدتين إحداهما للشيخ أحمد الحفظي ، يرثي بها والده المتوفى في ليلة عيد الأضحى عام ١١٨١ هـ ، يقول في مطلعها :

يا عين جودي بدمع قطره ديم يجرى على الخد منشور ومنتظم
وابك على الفضل طول الدهر وانتحي حتى يرى الدمع يجرى في الحدود دم^(١)

وقصيدة أخرى بعنوان (روضة الحق) للشيخ محمد بن أحمد الحفظي بعث بها الى الامام سعود الكبير ، ليثي فيها الامام عبد العزيز طيب الله ثراه ، ويعلن عن دوام مناصرته لدعوة التجديد يقول في مطلعها :

خليلى هذه روضة الحق فأعدلا قلوبيكما فى ظلها وطلولها^(٢)

سابعا - الوصف :

وغرض الوصف في ديوانهم يضم قصيدة (فى طريقه الى المعتقل) للشيخ أحمد الحفظي الثاني ، أنشدها الشاعر وهو فى طريقه الى تركيا حين اعتقله العثمانيون ، فوصف هذه الرحلة ، وفيها يقول :

شكاية مشتاق لدار ومعتقل وأهل وإخوان وخل ومنزل
وصحب وجيران وقوم أعزة لوافدهم حسن القرى والتجمل
مشى عنهم ليلا فلما اعتلى على حفير اللوى فى ليل ظلماء أليل
لاقتبس النيران من كل شاهق كمثل نجوم الصيف ذات التحول

(١) نفعات من عسير : ص ٤٢ ، ٤٣

(٢) المرجع السابق : ص ٧١ ، ٧٣

وهب نسيم البان من أيمن الحمى فزاد فلما أن رآنى حنّ لى^(١)

وقصيدة أخرى (تحية القنفذة) وهى له أيضا ، يقول فى مطلعها :

على البندر الغربى أهدى تحيتى مضاعفة ترى بصافى المودة
تؤم رجال الخير والفضل والتقوى وكل أولى علم بتلك المدينة
بها أهلها كالغيث حل لجارهم ووافدهم فيها بأوفر نعمة^(٢)

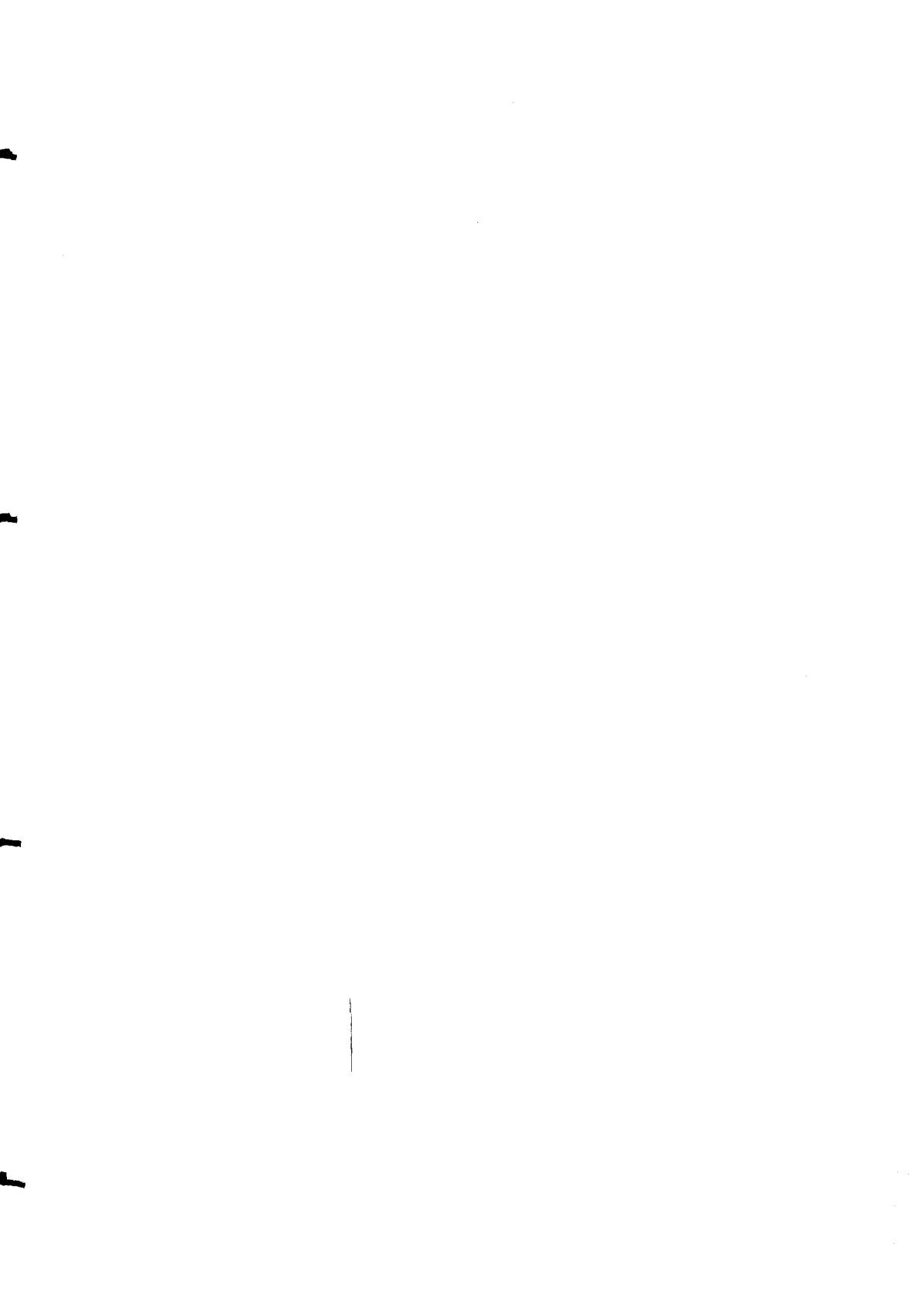


(١) نفحات من عسير : ص ١٥٢ ، ١٥٥

(٢) المرجع السابق : ص ١٥٦ ، ١٥٧

الباب الثاني

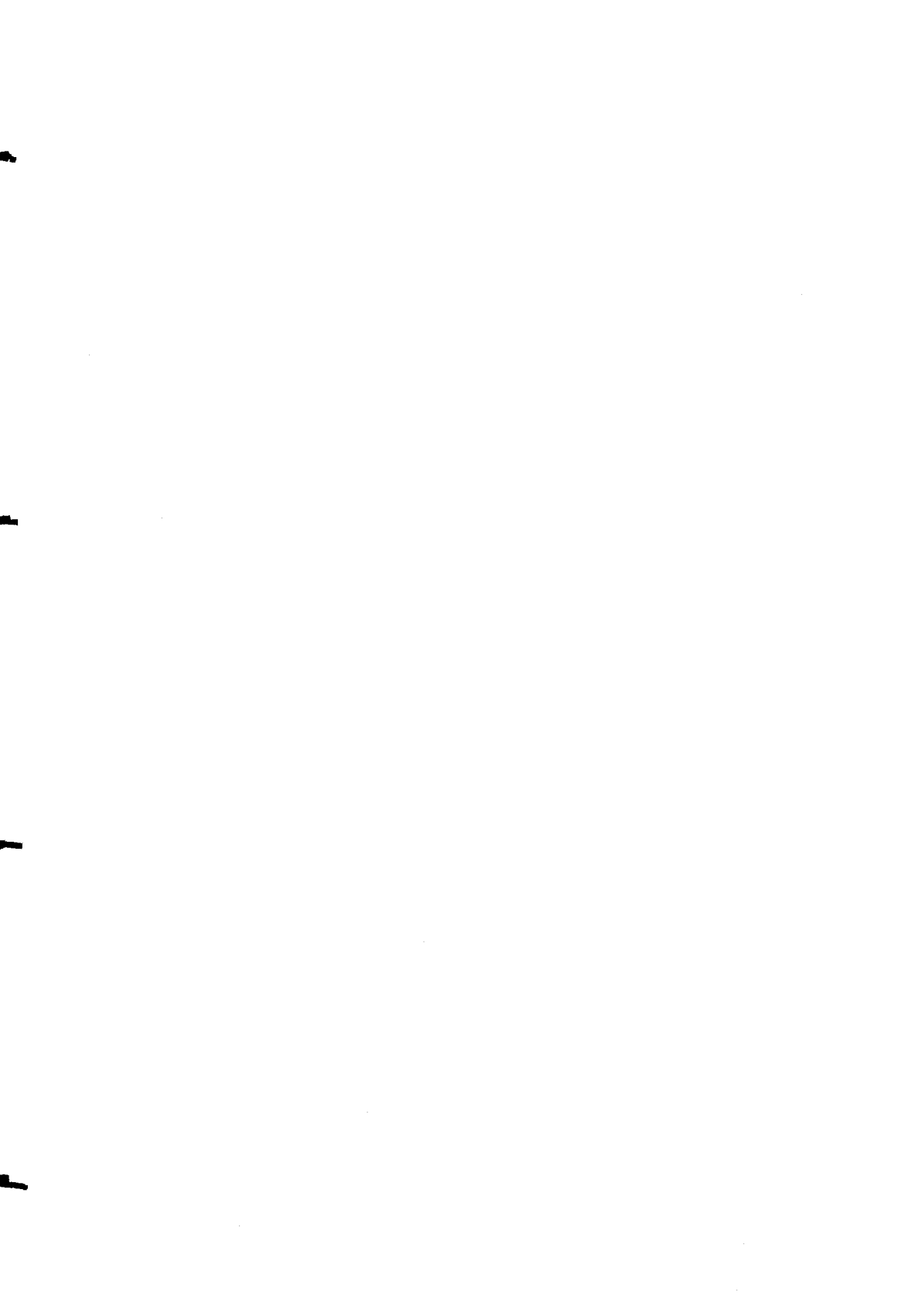
مدرسة التجديد المحافظ



إفصل الأول

الخصائص الفنية لمدرسة التجريد المحافظ

- ١ - أصول المحافظة على عمود الشعر العربي .
- ٢ - دعائم التجريد وخصائصه الفنية .
- ٣ - شعراء مدرسة المبردين المحافظين .



أصول المحافظة على عمود الشعر العربي :

عمود الشعر العربي له قواعد وأصول اصطلاح عليها النقد العربي القديم الأصيل ، اذا ما توفرت في القصيدة ، أطلق عليها النقاد ، أنها عمودية ، واذا التزم الشاعر المحدث بهذه القواعد والأصول أطلق عليها النقاد شاعرا محافظا ، لأنه حافظ على عمود الشعر العربي في شعره ، ولهذا كان لابد أن نعرف هذه الأصول في عرف النقد القديم :

فالأصول في عمود الشعر هي تلك التقاليد الفنية الموروثة في استخدام اللفظ والمعنى والخيال والصور والوزن والقافية ، ومنهج القصيدة عند الشعراء الجاهليين والاسلاميين في القصيدة العربية ، حتى صارت هذه التقاليد الفنية الموروثة عرفا متبعا ، ومنهج متوارثا لا يحيد عنه الشاعر ، وأصبح عمود الشعر مصطلحا نقديا مشهورا ومتداولا وخاصة عند النقاد العرب في القرن الرابع الهجري ، فقد نضج على أيديهم .

يقول الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي مقرا عمود الشعر : (هو كل التقاليد الفنية التي التزمها القصاد في قصائدهم من الأفكار والمعاني والأخيلة والأوزان والقوافي ، والألفاظ والأساليب والصور وغيرها ، فهذه التقاليد جميعها هي عمود الشعر)^(١) .

وأصول التقاليد الفنية تقوم على خصائص فنية لكل من اللفظ ، والمعنى ، والصور ، والأسلوب ، والوزن والقافية ، والمنهج في القصيدة .

أما اللفظ فيقتضى الجزالة ، والاستقامة ، والمشاكلة للمعنى ، وشدة اقتضائه للقافية ، ومعنى جزالة اللفظ ألا يكون غريبا ولا سوقيا مبتذلا^(٢) ومعنى استقامة اللفظ هو تناسق حروفه في جرس متساق ، وإيقاع رتيب ، فيسلم حينئذ من تنافر الحروف ، ومعاناة الثقل في اللسان وعلى السمع . واستقامته أيضا تكون بدلالة اللفظ على أصله ومعناه في اللغة^(٣) .

ومعنى مشاكلة اللفظ لمعناه ، حيث لا يزيد على معناه أو ينقص عنه ؛ وشدة اقتضائه للقافية هي أن تقع الكلمة في موطنها من القافية والوزن ، فلا يقبل غيرها ، لأنها هي الموعود المنتظر^(٤) .

(١) فصول في الأدب والنقد : ص ٨١ .

(٢) الصناعتين : أبو هلال العسكري ص ٤٩ .

(٣) المرجع السابق : ص ٨٢ ، وشرح ديوان الحماسة : المرزوق ص ٩

(٤) الصناعتين : أبو هلال العسكري : ص ١٢٨

وأما مفهوم : خصائص المعنى ، فلا بد من تحقيق الشرف والصحة ، والاصابة في الوصف ، والمقاربة في التشبيه ، ومناسبة المستعار منه للمستعار له ، ثم التحام أجزاء النظم والتمامها^(١) .

ومفهوم الشرف في المعنى هو الاغراب فيه واختيار الصفات المثلى ، والصحة فيه هو السلامة من الخطأ ، ومطابقة المعنى الموضوع له في اللغة .

ومفهوم الاصابة في الوصف هو ذكر المعاني العامة ، والابتعاد عن المعاني المجهولة والصفات الخاصة .

ومعنى المقاربة في التشبيه هو ما لا ينتقض عند العكس ، ومناسبة المستعار منه للمستعار له هو ما تعارف عليه أهل اللغة في المجاز^(٢) .

وأما خصائص الأسلوب والنظم في الشعر فهي جودة السبك واحكام النسيج وصحة التراكيب ، والتأخي بين المعاني والألفاظ فتوضع اللفظة بجوار أختها ، وفخامة الأسلوب .

فالأصمعي وابن سلام الجمحي يحرصان على فخامة الأسلوب ، ويقول أبو هلال العسكري : وليس الشأن في إيراد المعنى .. وإنما هو في جودة اللفظ وصفائه .. من صحة السبك والتركيب والخلو من أود النظم والتأليف . ويقول ابن طباطبا : (وللمعاني ألفاظ تشاكلها فتحسن فيها وتقبح في غيرها) ، ويقول المرزوقي : (والتحام أجزاء النظم والتمامها على تخير من لذيد الوزن)^(٣)

ويقول الآمدي : (وليس الشعر عند أهل العلم به إلا حسن التأني وقرب المأخذ ، واختيار الكلام ، ووضع الألفاظ في مواضعها) . ويقول أيضا : (صناعة الشعر وغيرها من سائر الصناعات لا تجود وتستحكم إلا بأربعة أشياء : جودة الآلة — واصابة الغرض — وصحة التأليف — والانتهاؤ إلى تمام الصنعة من غير نقص فيها ولا زيادة عليها)^(٤) .

وأما مفهوم منهج القصيدة فهو حسن الانتقال من غرض إلى غرض ومن موضوع إلى موضوع . فينتقل الشاعر من ذكر الديار والأطلال إلى الحبيب والرحلة ثم إلى المدح وهكذا في براعة وحسن تخلص . يقول ابن قتيبة : (إن مقصد القصيدة إنما ابتداء فيها بذكر الديار والدمن

(١) شرح ديوان الحماسة : المرزوقي .

(٢) الموازنة للآمدي ص ٣٣ ، وشرح الحماسة للمرزوقي ص ٩ والطراز : يحيى العلوي ٢٤١

(٣) انظر : طبقات الشعراء لابن سلام ص ١٠٢ ، والصناعتين : ص ٥٧ ، وعيار الشعر : ص ٦ ، وشرح

ديوان الحماسة : ص ٨ .

(٤) الموازنة : ٤٠١/١ ، ٤٠٢ .

والآثار ، فبكا وشكا ، وخاطب الربيع واستوقف الرفيق ، ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الطاعنين عنها ، ثم وصل ذلك بالنسيب فشكا شدة الوجد وألم الفراق وفرط الصباية والشوق يميل نحوه القلوب ويصرف إليه الوجوه ، وليستدعى به اصغاء الأسماع إليه ، لأن النسيب قريب من النفوس لا تط بالقلوب ، فاذا علم أنه قد استوتق من الاصغاء إليه ، والاستماع له ، عقب بايجاب الحقوق فرحل في شعره ، وشكا النصب والسهر وسرى الليل وحر الهجير ، وانضاء الراحلة والبعر ، فاذا علم أنه قد أوجب على صاحبه حق الرجاء ، ودمامة التأمل ، وقرر عنده ما ناله من المكاهه في السير ، بدأ في المديح ، فبعثه على المكافأة ، وهزه للسماح ، وفضله على الأشباه ، وصغر في قدرة الجزيل (١) .

وأما خصائص القالب الشعري فهي أن يلتزم الشاعر في الوزن البحور التي سار عليها الشعراء القدامى والتي حصرها الخليل بن أحمد في البحور والأوزان التي اشتهرت عند العرب فتقوم القصيدة على بحر واحد من المطلع حتى الخاتمة ويلتزم الشاعر أيضا مع البحر قافية واحدة متحدة الروى لا يعدل عنها في بيت واحد .

أما من خرج عن البحر الواحد كشعر التفعيلة والشعر الحر فهو متمرد على عمود الشعر العربي في قالبه الموسيقي وأما من عدت قوافيه في القصيدة الواحدة كالشعر المرسل ، ونظام المقطعات فهو أيضا متمرد على عمود الشعر العربي في القالب الموسيقي لأنه خرج عن وحدة القافية في القصيدة ذات البحر الواحد .

هذه هي أصول عمود الشعر العربي وخصائصه الفنية بإيجاز اصطلح عليها النقد العربي القديم وقد وضحته بالتفصيل في كتاب مستقل (٢) ، لأن الحاجة هنا تقتضى الإيجاز بقدر المطلوب .

دعائم التجديد وخصائصه الفنية :

ومدرسة المجددين المحافظين تسير في مذهبها الأدنى الجديد على نحو من المزاجية بين الحفاظ على عمود الشعر العربي السابق وبين التجديد بما يتناسب مع العصر والبيئة والثقافة والتقدم العلمى والفكرى وغيرها من مقتضيات العصر وظروفه وأحداثه ، ولذلك نرى شعراء هذه المدرسة مع محافظتهم يعترفون من الثقافة الحديثة أكثر من غيرهم ، ويتجاوبون مع التيارات الفكرية والعلمية والأدبية المعاصرة ، وكذلك المشكلات الاجتماعية والعسكرية ، والمجالات السياسية والاعلامية وغيرها .

(١) الشعر والشعراء : ٧٤ ، ٧٥

(٢) كتابى : عمود الشعر العربي : دار الحارثى بالطائف ١٤٠١ هـ .

وبهذا يتلقف الشعراء كل جديد في مجال الثقافة والعلم والفكر والفلسفة والسياسة والاجتماع ، والقضايا الانسانية والعسكرية ، والمذاهب الأدبية والنقدية المعاصرة ، بل يتسارعون إليه ، ويقبلون عليه في نهم وشوق .

وساعدهم على ذلك تيسير اقتناء الكتب والصحف والمجلات والدواوين من لبنان ومصر والعراق وتونس والمغرب وغيرها من شتى بقاع العالم .

وكان لأجهزة الاعلام المختلفة عن طريق السماع أو الرؤية تنقل إليهم الندوات ، والمحاضرات ، والمقالات ، والحوار وغيره مما يدور حول قضايا الفكر والأدب والنقد ومذاهبه .

وأخذ شعراء الجنوب يتجاوبون مع أعمال المازني وشكري والعقاد ، وطه حسين والزيات ، وأحمد أمين وزكى مبارك وسيد قطب ومحمود شاعر ، وأحمد الشايب وشوقي صيف ، وعبد المتعال الصعدي وسعيد العريان ، ومصطفى عبد الرازق ومحمد عبد المنعم خفاجي وحسن جاد وإبراهيم أبو الخشب ، ومحمد سرحان وعبد السلام سرحان وغيرهم .

وتابع الشعراء المعارك الأدبية والنقدية بين المفكرين والنقاد ، وخاصة حول شعر شوقي وحافظ ، وشعر مدرسة الديوان ، ومدرسة أبولو ، ورابطة الأدب الحديث ، وشعر المهاجر العربية وغيرها .

وهز مشاعرهم شعر الزهاوى والرصافي في العراق والبارودي وإسماعيل صبرى والجارم ، وحافظ وشوقي ، ومحمود طه وأحمد زكى أبو شادى ، وناجى ومحمود أبو الوفا وشكري والعقاد وغيرهم في مصر ، وإبراهيم اليازجى والأخطل الصغير ، وأبو ريشة وبدوى الجبل وفؤاد الخطيب في سوريا ولبنان^(١) .

وكان شعراء هذا المذهب الأدبي ينقسمون على أنفسهم ، فيشايعون مذهباً يفضلونه على آخر ، وشاعراً على آخر ، وناقداً على ناقد ، فمنهم من هام بشوقي ، وآخر من أحب محمود طه أو ناجى ، ومنهم من ناصر مدرسة الديوان ، وآخر سار على نهج مدرسة أبولو وهكذا ..

لذلك كله ترى روح التجديد للمحافظين من شعراء الجنوب في الشكل والمضمون فكان شعرهم تجديداً محافظاً في المعاني والأفكار ، وفي الأغراض والأهداف ، وفي المنهج والأسلوب ، وفي الخيال والصور الأدبية وفي الموسيقى والإيقاع ، بما يتلاءم مع ظروف العصر ، وحاجات المجتمع الجديد المتطور .

(١) انظر : الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية : د . بكرى شيخ أمين ، الموسوعة الأدبية : عبد السلام طاهر الساسى .

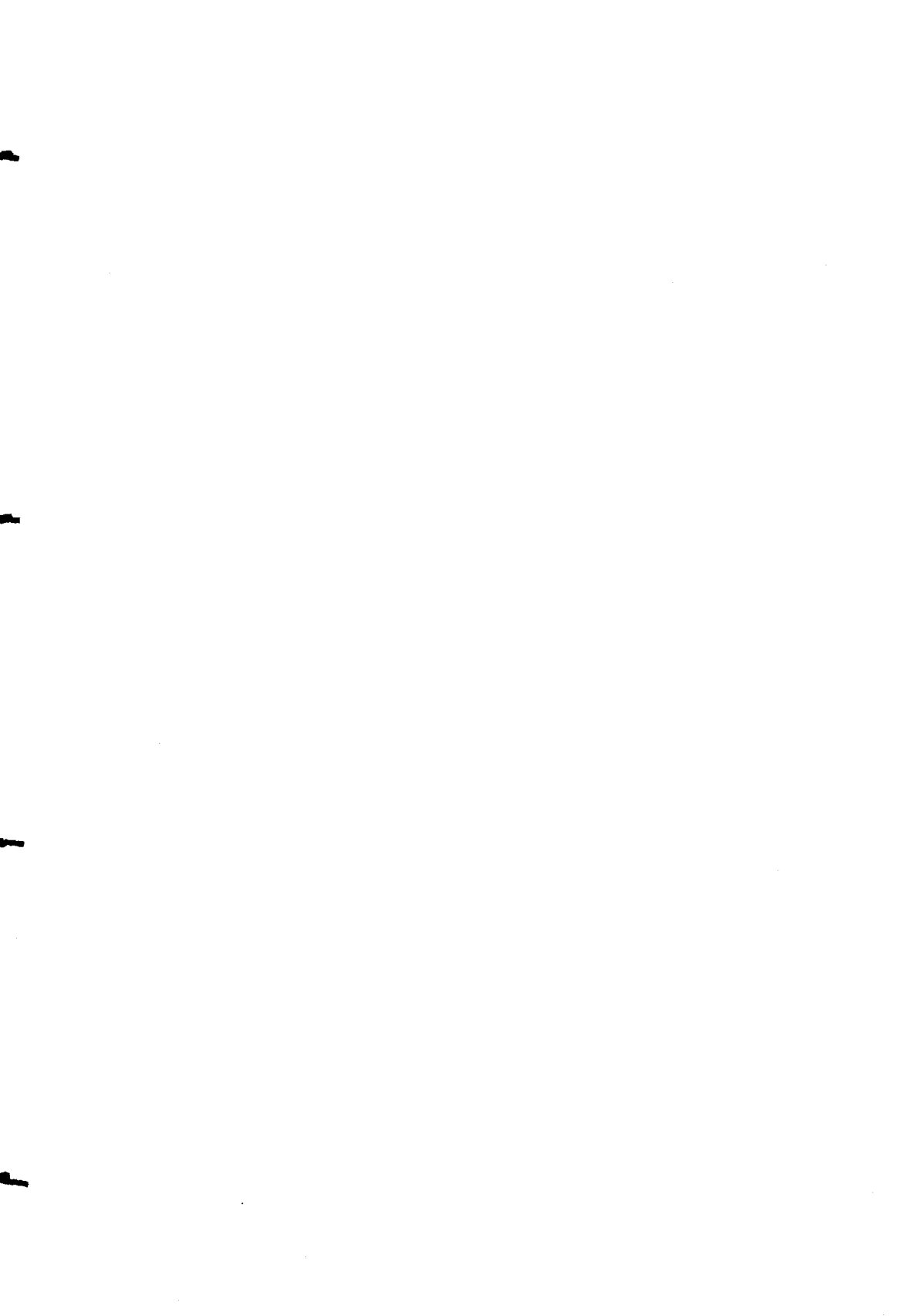
شعراء مدرسة المجددين المحافظين :

وشعراء هذه المدرسة كثيرون وكلهم ينشرون في مختلف المجالات والصحف والنوادي الأدبية الكثيرة في أبها وجازان ونجران ، وخميس مشيط وبيش وغيرها .

ونذكر منهم على سبيل المثال الشعراء : أحمد بيهان وحسن يحيى ضائحي ، وعلى عبد الله مهدي ، وابراهيم مفتاح وأحمد باهي ، وعلى أحمد حيقيل ، وعمر صعائي ، وجبران قحل ، وعمر سالم فرساني وسواهم .

أما الشعراء الذين يمثلون هذا المذهب الأدبي أصدق تمثيل ليس بما نشره في وسائل الاعلام السابقة فحسب بل كانت لهم دواوين صدرت من أكثر من عشرين عاما وهؤلاء هم الشعراء الذين سيكونون محل الدراسة التفصيلية الأدبية النقدية للتعرف على الخصائص الفنية للتجديد المحافظ ومن أهمهم الشاعر محمد بن علي السنوسي ، والشاعر محمد بن أحمد العقيلي ، والشاعر زاهر عواض الألعى ، والشاعر يحيى ابراهيم الألعى .

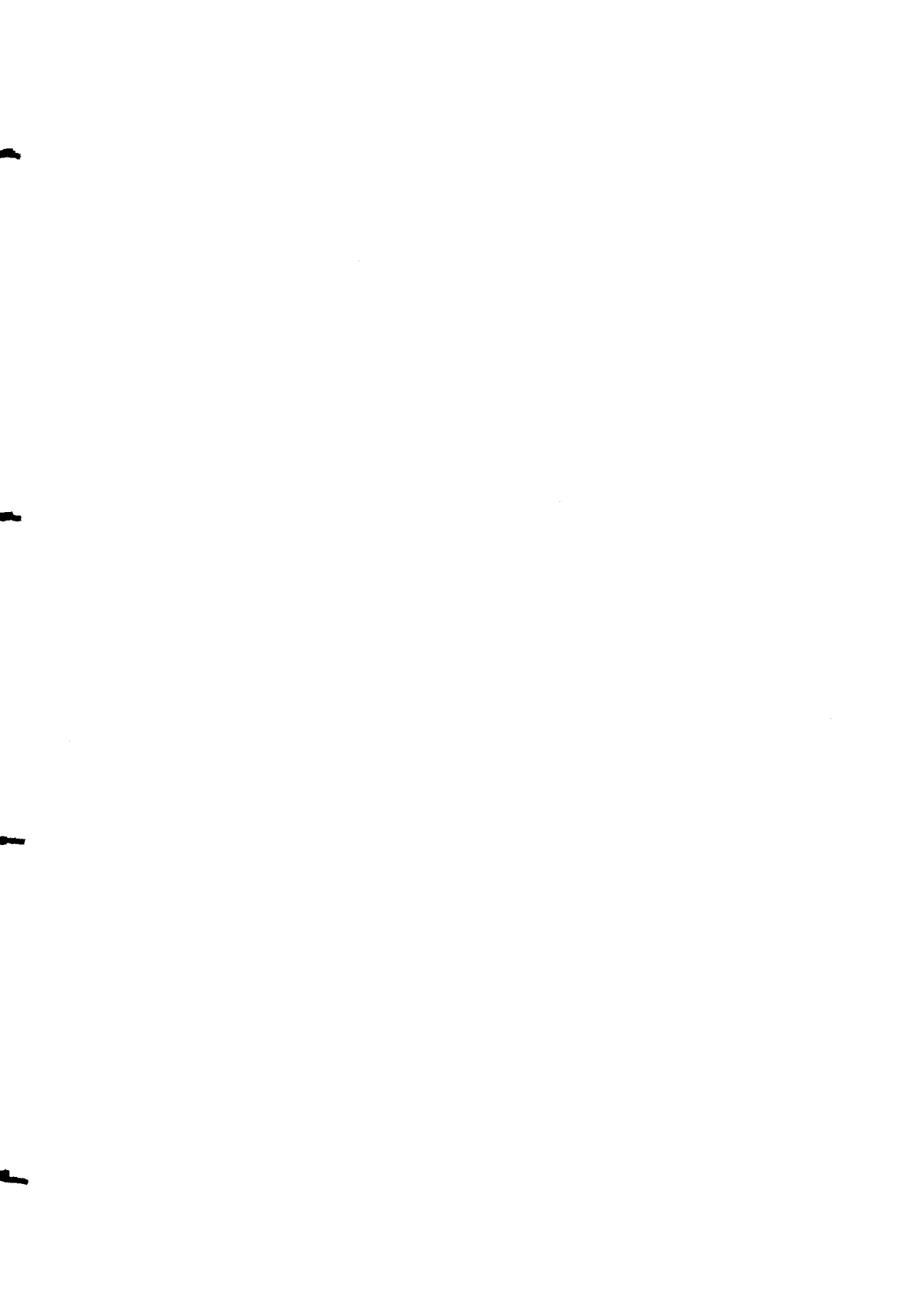




الفصل الثاني

الشاعر محمد سدر بن علي السنوسي

- ١- نشأة الشاعر وحياته .
- ٢- الأغراض الأدبية في شعره وفصائلها الفنية .
- ٣- التصوير الأرنجي .
- ٤- فصائل الألفاظ والأجاليب .
- ٥- فصائل الوزن والقافية .
- ٦- التشخيص في التصوير الأرنجي .
- ٧- الروح الإسلامية في التصوير الأرنجي .
- ٨- الصور الخيالية وفصائلها الفنية .
- ٩- الوحدة الفنية .
- ١٠- موازنة ونقد .



نشأة السنوسي وحياته :

هو الشاعر محمد بن علي السنوسي ، ولد بمدينة جازان عام (١٣٤٢ هـ) وأبوه شاعر وقاض سبق أن تحدثت عنه في مدرسته ، ألحقه بمدرسة يديرها الأستاذ الشيخ علي بن حمد عيسى رئيس كتاب محكمة جازان في عام (١٣٨٠ هـ) فتعلم على يديه القراءة والكتابة والحساب ، ثم قرأ علوم العربية على والده ، وعلى الشيخ عقيل بن حمد ، ثم انكب على مطالعة مكتبة أبيه الزاخرة بالعلوم والآداب ، فالتفت مداركه عن طريقه الذاتي .

ظهرت ملكته الشعرية ، وميوله الادبية في وقت مبكر من حياته عام (١٣٥٩ هـ) وهكذا ظل يصلق فنه حتى سما الى مكانة مرموقة بين زملائه الرواد في المملكة حتى نال الجائزة الأولى في المسابقة الشعرية التي عقدتها (مجلة الرياض) السعودية عام (١٣٧٥ هـ) في قصيدته : (حطم المارد القيود) .

التحق الشاعر بالوظائف الحكومية ، فعمل في سلك الجمارك عام (١٣٥٧ هـ) وظل فيها ينتقل من منصب الى آخر حتى صار مديرا لها عام (١٣٧٠ هـ) ، وكان عضوا في المجلسين البلدي والاداري . ثم عمل رئيسا لبلدية جازان ، ثم مديرا لشركة كهرباء جازان ، ثم تفرغ للأدب ولأعماله الخاصة وأخيرا هو الآن رئيس للنادي الأدبي الثقافي في جازان^(١) .

تأثر الشاعر بالفحول من الشعراء القدامى والمحدثين مثل أبي تمام والبحتري والمتنبي ، وشوقي وحافظ وعزيز أباظة ، فسار على منوالهم ونهج نهجهم .

ونشر شعره مبكرا في مجلة (الإمامة) وجريدة (البلاد) و (أم القرى) و (الحج) و (الأضواء) و (الرائد) وتلقبه المجلات بشاعر الجنوب .

ترجمت بعض قصائده الى اللغة الايطالية ونشرت الترجمة في مجلة « المشرق » الايطالية ، يقول عنه الدكتور كامل السوافيري : والسنوسي غنى بشهرته عن التعريف وله مكانته بين شعرائنا البارزين ، وهو أول شاعر يترجم بعض شعره الى لغة أوروبية ، ومن أهم سماته أنه لا يتكلف ، أو يقول ما لا يعتقد ، أو يمدح من لا يرى أنه أهل للمدح^(٢) .

(١) الحركة الأدبية : د . بكرى شيخ أمين ، شعراء العصر الحديث ، عبد الكريم بن الحقييل .

(٢) نفحات الجنوب : ص ٧ التقديم .

حاز جائزة التكريم (ميدالية ذهبية) من جامعة الملك عبد العزيز ، وحصل على (ميدالية المثني) من وزارة الثقافة العراقية .

والسنوسي رائد من رواد الأدب في المملكة العربية السعودية ، ويلقب شاعر الجنوب ، له حتى الآن خمسة دواوين شعرية هي على الترتيب حسب الظهور : القلائد عام ١٣٨٠ هـ - الأغاريد - أزاهير - الينابيع - نفحات الجنوب عام ١٤٠٠ هـ .

وله دراسات أدبية في كتاب (مع الشعراء) ، وكتاب (رجال ومثل) تحت الطبع وكتب أخرى^(١) .

يقول عنه الأستاذ محمد سعيد العامودي : (إن للسنوسي مكانة بين شعرائنا البارزين ، فهو صاحب القلائد ، وقد كان لديوانه (القلائد) وما يزال صداه الطيب الجميل في أوساطنا الأدبية ، إنه أول شاعر من شعرائنا يترجم بعض شعره الى لغة أوروبية .. إن أهم سمات شاعرنا السنوسي في اعتقادنا ، أنه لا يحاول أن يتكلف ، أو يظهر بغير حقيقته ، أو يقول ما لا يعتقد ، أو يمدح من لا يرى أنه أهل لثناء أو مدح ، وإنما هو في كل ما طالعته من شعره ، لا أراه إلا حريصا كل الحرص على التزامه لهذه السمة ، سمة الصدق في التعبير .. لعل ميزات السنوسي إكثاره من القراءة والاطلاع .. وإني لأعجب السنوسي حقا ، أن أراه مولعا إلى حد النهم بالقراءة والاطلاع^(٢) .

ويصف الشاعر السعودي عبد الله بن محمد بن خميس شعر السنوسي فيقول :

قد عرفت القريض غضا طريا يصطفيه جازان من عليائه
وقف الشاعر المخلق يروي بهجة العيد حسنه وروائيه
فوقفنا الأسماع نلقط درا أرخص الدر منتقى من غلاته^(٣)

وكثيرا ما كان يحتفى به الشعراء والأدباء ، ويلتقون جميعا في مواكب الفن ، فيتطارحون الشعر ، ويخوضون في موضوعات شتى . فقد دعا الأستاذ عبد القدوس الأنصاري (صاحب مجلة المنهل) لفيفا من الشعراء والأدباء السعوديين في حفلة تكريما لشاعر الجنوب الأستاذ محمد على السنوسي ، يقول أحد الشعراء المدعوين :

في ندوة سمر ساحر جمعتني دعوة كريمة من الأستاذ الجليل عبد القدوس الأنصاري
(صاحب مجلة المنهل) بصفوة من الشعراء والأدباء السعوديين في حفلة أقامها في داره العامر ليلة

(١) المرجع السابق : التقديم .

(٢) الأغاريد : تقديم محمد سعيد العامودي ص/ك ، ل

(٣) نفحات الجنوب : ص ٨

الجمعة الموافق ١٣٧٦/٦/٢ هـ تكريماً لشاعر الجنوب الأستاذ محمد بن علي السنوسي ، وكانت بحق حفلة أنيقة حيث تبودلت فيها شتى الأحاديث الأدبية والاجتماعية ، وما زاد الحفلة متعة وروعة ، طلب الأستاذ الأنصاري من المحففي به إنشادنا آخر ما عنده من شعره الحديث ، ففضل وأسمعنا قصيدة متممة من شعره الوثاب ، وتلاه الأستاذ حسن عبد الله القرشي ، فأنشدنا من ذاكرته القوية مطولة من شعره الواعي بعنوان (سجين الحياة) .. وكان من أبرز المدعوين إلى هذه الندوة الأدبية الأساتذة محمد سعيد العامودي ، وعبد المجيد شبكشي ، وحسن عبد الله القرشي ، وعبد الفتاح أبو مدين ، وأحمد السباعي ، وشكيب الأموي .. فإلى هؤلاء جميعاً أبعث بهذه القصيدة (صوفية شاعر) تذكراً لهذه الندوة الأدبية وتقديراً للفن في شخصيات رواد الألب الخالد ومطلعها :

ظلموه فعاش في اخوانه يتلظى على لظى أحرانه
أى ظلم أشد في النفس وقعا من أذى صحبه وظلم زمانه
قد رماه الصحاب بالكبر إذا كا ن يناجي بالبعد طهر جنانه

الى قوله :

آمن الشاعر الغريب وقد عاش سعيداً بمتهى إيمانه
عاش في نجوة من الناس يست صغر معنى النعيم في تيبانه
مستلذا كرازة العيش في الو حدة والليل ضارب بجرانه
وصلاة الصوفي فيض من الرو ح كفيض العبير من ربحانه
كل نفس صوفية تتمنى أ ن تنال السمو في أحضانه^(١)

يقول صاحب مجلة المنهل عن الحفل وعن قصيدة محمود عارف السابقة : (وقد تلقى صاحب المنهل بعد يومين من الحفل القصيدة العصماء التي تلى هذه ، وهي من وحي الحفل ومن نظم الشاعر محمود عارف عضو مجلس الشورى^(٢) .

والسنوسي يرى أن منه الشعري مستمد من فن شاعر العربية الأكبر أي الطيب المتنبى . يقول :

يا أبا الطيب المحسد إنى مستمد من فنك الفذ فنى^(٣)

(١) الفلاذ : ٥٢ / ٦

(٢) مجلة المنهل : شهر جمادى الثانية سنة ١٣٧٦ هـ

(٣) نفحات الجنوب : ص ١٣١

ويصور شاعريته في أبيات يصدر بها ديوانه الأول (القلائد) :

هذه ألحان قلبي وأغاريسد شبكاني
هي أحلامي وآمالي وكأسي وشكري
وصباياتي وأشجاني ورجلي وعذائي
إنها صورة نفسي قد تجلّت في كتابي^(١)



(١) القلائد : ص ١

الأغراض الأدبية في شعر السنوسى وخصائصها الفنية

يتميز شعر السنوسى بأنه كثير الأغراض الشعرية العميقة ، ومتعدد الاتجاهات في الأهداف الدقيقة ، ومتشعب الموضوعات الأصيلة والجديدة المعاصرة ، التى عاش الشاعر تجربتها الشعورية من واقعه المعاصر ، واقعه الإسلامى والعربى والانسانى والوجدانى ، وكان شاعر الجنوب بحق لغزارة شعره وتنوع الأغراض التى تبنى مجتمعا إنسانيا فاضلا ، وتحث على التثام الأمة الإسلامية ووحدها في جبهة واحدة لتواجه بقوة عصر التحديات الجماعية لا الفردية ، وعصر الماديات المشتركة في السوق الأوروبية المشتركة وعصر الدول العظيمة في تعاون الدولتين العظيمتين أمريكا وروسيا ضد غيرها من الدول في الشرق وفي الغرب ، إنه شعر الأمة العربية الإسلامية التى يحى فيها أمجادها وآمالها ، ويدود عنها ، ويدافع في سبيلها ، سواء أكان الشعر في العالم الإسلامى والعربى الكبير أو في قضاياها الإسلامية والعربية المعاصرة ، أو كان في وطنه السعودى الصغير ، أو كان من خلال وجدان العربى المسلم الثائر وجدان الشاعر السنوسى ، أو كان في غير ذلك من موضوعات وأغراض من وحى العالم العربى والإسلامى والانسانى الكبير . وهذه هى أغراضه الشعرية حسب أهميتها وغزاتها وعمقها ، في دواوينه الخمسة التى ذاعت في العالم العربى الإسلامى بل والأوروبى على السواء .

أولا - الشعر الإسلامى :

هذا الغرض الأدبى يسيطر على شعر السنوسى في دواوينه الخمسة ، تفجر من واقعه الذى يعيشه إيمانا ببعيدته ، وتمجيذا لمقدسات الإسلام وشعائره ، واعتزازا وفخرا بحضارته وإنسانيته ، وسموا بمبادئه وتعاليمه ، وكشفا عن المثل العليا للبشرية إيمانا وقدوة ، وتصويرا لقادة الإسلام ، ودفاعا عن تشريعاته وحرمانه ، وثناء على حماة الإسلام ودعائه ، وحرصا على العمل به ، والجهاد في سبيله ، وحفزا للهمم القوية والعزائم الشديدة .

والشعر الإسلامى عند السنوسى عميق في جوانبه الكثيرة ، وخصب في معانيه واتجاهاته ، وواسع الأفق تزهت تحت سمائه الإسلامية قضايا العالم الإسلامى والعربى ، والحق الانسانى بصفة عامة ، لذلك تدفق شعره الإسلامى في اتجاهين كبيرين هما :

الاتجاه الأول :

وهو الشعر الاسلامى الذى يتناول الرسول محمدا صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه رضى الله عنهم جميعا ، والتشريع الاسلامى وحضارته ، وتعاليم الشريعة الغراء وسماحتها ، وهو الدين الحق والشامل ، الذى يصلح للناس والحياة فى كل مكان وفى جميع الأزمان الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وقد احتوى هذا الاتجاه قصائد كثيرة هى :

صور الشاعر هذا الاتجاه فى الديوان الأول (القلائد)^(١) فى قصيدة (أم القرى) التى كانت من وحي المؤتمر الاسلامى المنعقد فى موسم حج عام ١٣٧٤ هـ يقول فى مطلعها :

نور على البطحاء لماع الذرى يهدى القرون ضيائه والأعصر
أنست فيه سنا من القيس الذى (موسى) تشوفه هدى وتنورا
ينصاح من فلك الرسالة (فجره) ويشع من فلق (النبوة) نيرا
فى هالة يخنى الرؤوس جلالها عظة ويجتذب النفوس تذكرا
لمعت على السوادى المقدس شعلة تركت دجى الدنيا نهارا مسفرا
مست شرارتها الحياة فأشعلت (مثلا) أشف سنا وأكرم جوهر
هرمت أشعتها الظلام وزلزلت (كسرى) وراء الخافقين (وقيصرا)^(٢)

وقصيدة (قوسُ حاجب ص ٨٢ ، ٨٧) ويصور فيها لمحات من التاريخ الاسلامى المجيد ، وقصيدة (ليلة الهجرة ص ١٩٢ ، ١٩٦) ومن قصيدة قوس حاجب :

بنى العروبة إن الحادثات وإن جلت هى الريح نستشرى بها لها
(القوة) اللغة الفصحاء وعصركمُ أصم لا يسمع (الأشعار) والخطبا
هزوا الجزيرة من أركانها حرداً وأشعلوا الشرق من أقطاره غضبا
ذودوا عن الحق إيماننا بقوته من غالب الحق عدوانا به غلبا
واسترشدوا بهدى القرآن تنجدكم عزائم صرع الباغى بها وكبا
وجددوا عزة الاسلام إن له فى جيد كل عظيم منة وحباً^(٣)
إن الجياة جهاد والجدير بها من غالب العاصفات الهوج والتوبا

(١) القلائد : محمد بن على السنوبى : تقديم عبد القدوس الأنصارى ، مطبعة دار الكتاب العربى بمصر عام ١٣٨٠ هـ القاهرة ، فى حجم متوسط يضم ٢٢٠ صفحة وهو أول ديوان يصدر للشاعر ، وهو رائد من رواد الأدب السعودى الحديث .

(٢) القلائد : ص ١٩/١٢

(٣) القلائد : ص ٨٥ ، ٨٦

وفي الديوان الثاني (الأغاريد) نجد قصيدة (هي الجزيرة ص ١ ، ٣) وقصيدة (أجنحة التاريخ ص ٤ ، ٥) ، وقصيدة (طيبة ص ٦ ، ٨) ، وقصيدة (خلق المسلم ص ٩ ، ١٢) ، وقصيدة (رمضان ص ١٣ ، ١٧) ، وقصيدة (هوية الانسان ص ٦٢ ، ٦٤) يقول السنوسي في قصيدة (طيبة) التي فازت بجائزة وزارة الاعلام للتلحين والغناء ، منها :

هذه طيبة فحى الرسولوا	بوركت منزلنا وطابت نزيلنا
هذه طيبة التي خصها الله	بما خصها به تفضيلا
هب منها الهداة وانطلق الإ	يمان والمؤمنون صفا طويلا
ومشى فى ظلها موكب الحق	إلى العالمين يهدى السبيلا
عب من فيضها الوجود جمالا	وجلالا وحكمة وأصولا
إنها روضة أفاض الله عليها	من فضله عطاء جزيلا
فدع القلب يستجم ويرتا	ح ويطفى الصدى ويشفى الغليلا ^(١)

وفي (النبايع) نجد قصيدة (الرسالة والرسول) ، التي ألقاها في المؤتمر الأول للأدباء السعوديين المنعقد بمكة المكرمة في ١٣٩٤/٣/١ الى ١٣٩٤/٣/٥ هـ ، بجامعة الملك عبد العزيز بمحادثات الزاهر في العاصمة المقدسة ، يقول^(٢) :

من الجزيرة من أرضى ومن بلدى	تألق النور نور الحق والرشد
ومن رباها رباها الطاهرات ثرى	أبيض تنفس الصبح من بدر ومن أحد
نور تألق من نور فرق به قلب	الحياة ونض الصخر بالبرد
وفاض عبر شعوب الأرض مندققا	يحيى القلوب ويشفى ثغر كل صدى
جرى فأخصبت الدنيا ندى وهدى	تمارجا كامتزاج الروح بالجسد
وأشرقت (بابن عبد الله) واتلقت	(رسالة الله) زاه نورها الصمدي
(محمد) خير خلق الله قاطبة	خلقا وخلقا على السراء والنكد
نديم (جبريل) يسقيه فما لقم	(وحيًا) يرتله شاد إلى غرد
أحلى من الشهد آيات مفصلة	تهدى إلى البر في قول ومعتقد
تنزلت بالهدى والنور في لغة	تألأت بمعان فذة جدد
تُبلى الدهور ولا تُبلى نضارتها	صفاء لفظ ومعنى خالد أبدى

(١) الأغاريد : ٨/٦

(٢) النبايع : محمد بن علي السنوسي ، نادى جازان الأدبى - المدينة للطباعة - جدة وهي في حجم كبير ، يضم ١١٠ صفحة ص ١٤/٣ ذكرت القصيدة كاملة في كتابي (حضارة الاسلام في الشعر العربي الحديث : تحت الطبع)

كانت ولما نزل تمحو أشعتها ضلال كل ذوى أمت وذى أودى
حكم وعلم وأمثال فلسفة وحكمة لو وعاهها ذو الضلال هدى
وهكذا يمضى السنوسى فى ستة وتسعين بيتا ، يصور فيها الشريعة الإسلامية وبماحتها ،
وحضارتها ، وفضل محمد ﷺ على البشرية ، وما قام به السلف الصالح من ترسيخ الحضارة
الإسلامية .

وليت الشاعر أتى بلفظ (صدر) مكان كلمة (ثغر) فى البيت الرابع مع الاحتفاظ
بصحة الوزن ، لكانت الصورة الأدبية أدق وأعمق ، لأن رىّ الثغر ، الذى قد يكتفى فيه بالبلبل
وترطيب الجفاف ، لا يسمو إلى رىّ الجسد كله بما فيه القلب والعقل والعاطفة والوجدان ،
فتدب الحياة فيه بعد ظمأ الموت ، وينبض القلب بالقوة فى تجويف الصدر ، فيتدفق الجسد كله
بالدم والحرارة والنشاط .

وكذلك قوله فى البيت الثامن : (نديم جبريل يسقيه) ، فالشاعر يقصد جليس جبريل
على حد قول النبى ﷺ (مثل الجليس الصالح إلى آخر الحديث الصحيح) ، وجليس لفظ
يتضمن معنى أدق وأفضل ، وأوقع وأجمل فى هذه الصورة الشعرية الرائعة ، فكلمة (جليس)
وزان كلمة (نديم) ، التى وردت فى مقام النبوة مع الوحي ، وهذا المقام الجليل تتلاءم معه
كلمة توحى بالاجلال والتقدير ، وينأى عن كل كلمة يتسرب إليها أى احتمال لا يليق بهذا المقام
الرفيع ، فالعنى الذى يقصده الشاعر فى الصورة الأدبية من وراء كلمة (نديم) هو مجالسة النبى
لجبريل فى مدرسة القرآن الكريم ، وهذا جائز فى باب المجاز والخيال ، لكن التصوير الحقيقى هنا
خاصة أولى وأفضل ، فلا بد لكلمة (جليس) — وهى لفظ حقيقى — فى تصوير المعنى ، فقد
أشرفت على الغاية ، لتعلم أن التصوير الأدبى باستعمال اللفظ الحقيقى قد يكون أبلغ فى التأثير
والإقناع من التصوير الأدبى باستعمال اللفظ المجازى الخيالى . وبهذا لا تترك لأعداء الإسلام منفذا
يتسللون منه فى الجدل والمحل بلا وجه حق فيتذرعو بالمعنى الذى يظهر على سطح لفظ
(نديم) الذى يعبر عن واقعه المحس ، المأخوذ من (المنادمة) ، وأعتقد أن الشاعر لا يقصد
هذا مطلقا ، وإنما الذى أقصده هنا هو من باب (سد الذرائع) أمام أعداء الإسلام .

وقصيدة (ثانى اثنين) فى خمسين بيتا ، يصور فيها عظمة الصديق رضى الله عنه
ومطلعها^(١) :

يا ثانى اثنين فى دار هى الغار إن اختيارك للمختار مختار
ويارفيق الهدى والليل معتكر والأرض ترجف والأهوال إعصار

(١) الينابيع : ص ١٩/١٤

وهكذا يمضى الشاعر مع الصديق صاحباً للرسول ﷺ ، ومصداقاً ومهاجراً ، ومؤازراً ، وخليفة للمسلمين ، وقائد للحروب الردة ، ومنتصراً على الالحاد والنكوص ، ثم ينخطف الى عصرنا الحديث ليناجى منه أبا بكر الصديق ، ويستغيث ليقيم بحزمه المعروف حرباً شعواء ضد الردة فى العصر الحديث ، وما أقساها مرارة على المسلمين !!؟ يقول :

فى ردة من ثياب العصر لابسة تحرر قيل عنها وهم آصار
تفرق الجميع وانحلت شكيمتهم وانهار إيمانهم بالله فانهاروا
نقلد الغرب إلحاداً وزندقة ومن (تحمله) نجنى ونشثار
ولا نقلده علماً وتقنية ولا انطلاقا له نفع وإثمار
يا ثانى اثنين فى ذكراك موعظة وفى جهادك للسايرين أنوار^(١)

وقصيدة (رصيد الحياة ص ٢٠ ، ٢٢) ، وقصيدة (أذان الفجر ص ٢٣ ، ٢٥) ،
وقصيدة (نور القلوب ص ٢٦ ، ٢٧) ، وقصيدة (الحق المهان ص ٤١ ، ٤٢) ، وقصيدة
(التضامن الاسلامى ص ٤٤) ، وقصيدة (دعوة الحق) يقول :

على التاريخ أن يصغى إلينا وبلا سمعه مما لدينا
فنحن حماته سلماً وحرباً ونحن بناته ديناً ودينياً
ونحن هداته قولاً وفعلاً ونحن كماته شداً وليناً
أضواء على منايرنا نجومنا وأطلق فى مواكبنا لحونا
وكننا خير أمته خلالاً بدين محمد متمسكيننا
طريقنا واضحاً لا أمت فيه ولا عوجاً هداة مهتديننا
فماذا ينقم الأعداء منا وماذا يدعون ويفتروننا
سوى إيماننا بالله ربنا وبالاسلام تشريعنا متيننا
أبى الاسلام يبنينا الأعادى كفى شرفاً بذلك لو يعونا
لنا اسلامنا ولهم هواهم سواء كان (مركس) أو لينينا
فقد وضع الطريق لكل سار وكان الحق منبلجاً مبيننا
أترحمنى يد بالأمس كانت تصافحنى وتملكنى يقيننا
ويغدر بى أخ قد كنت أسمو به ظناً وأحسبه أميننا
ومن هدى الجزيرة وهى مهد لنور (محمد) فى العالميننا
تطلعت الشعوب إلى شعاع محاً ظلماتها والظالميننا

(١) البنايع : ص ١٩

وكان لهم منارا فى خضم وكان حيا أغاث الظامئينا^(١)
وفى ديوانه الأخير (نفحات الجنوب)^(٢) قصيدة (أيها الانسان) يقول^(٣) :

يا أخی قلبا ولبًا وکیان
حبك الأوطان لا یعمیک عن
واتزع عنک طباع الحيوان
بالندی من ساعدیک الراحة
فات ودع عنک الحران
أرعا تفرض رأیا بالسنان
ورنى بفکر وبیان
ولتکن مغلاق شر ودخان
نحن إنسانان أنا توأمان
إن تأملت کلانا فانیان
علنا نحيا علیها فى أمان
یستوی رب العصا والصولجان

أيها الانسان فى كل مكان
حبك الأوطان لا يعميك عن
اجعل الحب شعارا ثابتا
وليفض قلبك خيرا وتلفض
وتكلم بلسان هادىء فى الخلا
شابت الأرض وما زلت فى
حطم المدفع لا تحمله ثم حا
ولتكن مفتاح خير وهدى
نحن إن فكرت شىء واحد
ما الذى تطلب منى إننا
فاملأ الأرض سلاما ورضى
سوف تطوينا غدا أحشاؤها

فى هذه القصيدة يناجى السنوسى الشاعر الانسان ، مهما اختلفت أجناسه فى جميع
أنحاء العالم ، ليعشق السلام ، وينشر رأيه ، ويعيش فى ظله ، ويمتلئ قلبه بالحب لأخيه
الانسان ، ليكون الشعار الدائم لكل انسان الذى يؤثره أى فرد عن حب الأناية فى الأوطان ،
لأن الوحشية والكره والحقد والعداوة ليست من طبيعة الانسان ، ولكنها فى تكوين الحيوان ،
ولنكسر السلاح ، ونحطم المدافع ، وندفن الأحقاد والشورر ، ونبدد دخان الحروب ، لنفتح
الصدور للحوار الفكرى ، والرأى السديد بلغة صريحة ، وأسلوب واضح مكشوف ، فهو السبيل
الى الحب والسلام ، ودونه الحرب الزؤام ، فتفيض الأرض سلاما ووثاما ، وتزدهر حبا وأمانا ، لأنها
فى الغد القريب ستطوى العالم فى أحشائها ، فيستوى بين جوانبها الغنى والفقير ، والمتكىء على
عصاه ، والذى يضرب بالصولجان .

أدب انساني عالمى استمد السنوسى انسانيته العالمية من رسالة الاسلام العالمية ، التى

(١) البنايع : ص ٢٨/٢٩

(٢) نشر عام ١٤٠٠ هـ — مطبوعات نادى جيزان الأدبى — مطابع الروضة بمجدة وهو فى حجم متوسط
يضم ١٣٦ صفحة أهدها إلى والده القاضى العلامة الشاعر الأديب على بن محمد السنوسى تغمده الله
برحمته ص ٥

(٣) نفحات الجنوب : ص ٥٩/٦٠

تجاوبت مع كل الأجناس من بنى الانسان ، فشرية الاسلام هي التي كرمت الانسان لأنه (إنسان) قال تعالى (ولقد كرمنا بنى آدم) ، (ولقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم) ، (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) .

ومن تكريم الاسلام للانسان ، أنه جعل من طبيعة تكوينه الأنس والوثام والحمة والسلام ، قال تعالى : (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله) ، وما يتجافى مع طبيعة الأنس فيه مرفوض مذموم ، وهو العداوة والبغضاء ، والحقد والجفاء ، والظلم والاعتداء ، قال تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) .

وكذلك قصيدة (أخى المسلم) يقول في مطلعها^(١) :

أخى المسلم الداعى إلى الرشد والهدى	حرى بداعى الرشد إن يك أرشدا
لقد طال مسعاك الحميد فلا تكن	عنيفا فإن العنف يغرى التمردا
وكن هادئا في قوله وفعاله	رفيقا فإن الرفق ما زال أحمدا
وصية طه المصطفى وهو قدوة	لكل دعاة الرشد شيخا وأمردا
فخذ بيد الغاوى ومهد سبيله	إلى الرشد يمشى مستقيما مسندا

الاتجاه الثاني :

ويتناول فيه السنوسى الجهاد في سبيل الاسلام والدفاع عن مقدساته وتشريعاته ، والذود عن المسلمين في أنحاء العالم الاسلامى ، ودفع الظلم عن الانسان في كل مكان ويتناول أيضا قضية الحرية ، وتحرير أراضي المسلمين والأراضى المقدسة ، وحث المسلمين على الجهاد في سبيلها ، والوقوف صفا واحدا أمام الطغاة المستعمرين المستبدين ، ثم قضية المؤاخاة بين أفراد الأمة الاسلامية ، والتعاون بين شعوب الأرض ، والتضامن في سبيل نصره الاسلام ورد حقوق الانسان .

والشعر الاسلامى في هذا الاتجاه ليس أقل من الاتجاه الأول بل كثير وكثير ، فأما الديوان الأول (القلائد) فقد اشتمل على قصيدة (حطم المارد القيود) بمناسبة (جلاء) الانجليز عن جزء من أجزاء الأمة الاسلامية العربية ، عن مصر عام ١٩٥٤ م ، وقد فازت بالجائزة الأولى التي أقامتها مجلة (الرياض) في جمادى الآخرة سنة ١٣٧٤ هـ ، ومطلعها^(٢) :

(١) نفحات الجنوب : ص ١٠٠/٩٧

(٢) القلائد : ص ٢٣/٢٠

ويك غرد فقد أضاء الصباح
س انبلاج ومن هواها انصباح
ربخ واهتف يهزك الارتياح
رى على ضفتيه والأفراح
ونجا بالسفينة الملاح
يحسد البرق فى مداها الرياح
عاليا ملؤها العلا والنجاح
ى وقد صفقت من الشرق راح
يزين السماء منها وشاح

هتفت والشعور روح وراح
الصباح الذى له من منى النفد
قف على قمة الزمان مع التنا
وتأمل شواطئ النيل والبش
هدأت ثورة الخصم وقرت
وثبت (مصر) وثبة فى سماء
إنها وثبة يرن صداها
هزت (الغرب) فى محافلها الكبر
وعلت راية العروبة ثماء

إلى قوله :

يدعم الحق فى سناه الكفاح
بجياة كريمة لا تتاح
فراة ولا (الفرات) قراح
(البيضاء) روض ولا (البرمى) مراح
رق فيه الصبا ورف الأقاح
وشدت على القلوب الصفاح
وأمان غر وضاء وصاح
ويطوى السماء منا جناح
مهج حرة النيات صحاح

عبروا عن مرادهم فى (جلاء)
طلبوا الموت فى ثراها ففازوا
حطم المارد القيود فلا النيل
لا (قناة السويس) حوض ولا
قد تلظى اللهب فى كل فج
واعتصمنا بعروة الوحدة الوثقى
وأضاءت لنا الطريق معان
وانطلقنا تمز أقدامنا الأرض
هدف واحد تلاقى عليه

وهكذا إلى آخر القصيدة فى فرحة الانتصار لعضو من أعضاء جسد الأمة الاسلامية
« مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى
له سائر الأعضاء بالحمى والسهر » ، وقصيدة (العالم العربى ص ٦٢ ، ٧٢) يحض فيها
الشاعر العالم العربى على الوحدة أمام أعدائها ، والتمسك بأمجاد الأمة الاسلامية والسير على
منهج السلف الصالح .

وقصيدة (تأميم وتصميم) بمناسبة تأميم قناة السويس فى مصر ومطلعها^(١) :

أجل إنها الحرب الصليبية الأخرى وإن جعلوا حوض القناة لها سترا
لم تك اسرائيل إلا ذريعة قد اتخذوا منها لأهدافهم جسرا

(١) القلائد : ص ١١٥/١٢٤

فجند لها الأرواح والمال والقوى
وثق أن للايمان بالحق قوة
تلقت (انطوني) و (موليه) رهبة
تعاووا كما تعوى الذئب وأجلبوا
وفي الجانب النجدي حشد وفلق
تحفز عملاق الجزيرة وانبرى
يساورهم في كل ركن وبقعة
لنا الحق في بترونا وبلادنا
وجرد لها الايمان والعزم والصبرا
وأن له في كل معركة (بدر)
وقد صكت الآذان خطبتك البترا
إلى بلد كانت لقواتهم (قبرا)
يقود (سعود الشرق) راياته الخضرا
يصب على أعدائها الويل والقهرا
ويفضحهم في كل مؤتمر (جهرا)
وخيراتنا والحق لا يقبل الحجرا

وهي قصيدة طويلة تصور وحدة الأمة الاسلامية العربية أمام أعدائها في كل عصر ، يقول السنوسي فيها أيضا :

أخى في ضفاف النيل ليتك أمة
ونحن على الأحداث أبناء وحدة
على (القدس) في (الأرض) زحف وثورة
وقصيدة (بطولة الجزائر ص ١٤١ ، ١٤٩) ، وقصيدة (اليقظة العربية) . ومنها :

حتى صقر الجزيرة العريه
حتى صقرا محلقا بجناحيه
من هنا من ذرى الجزيرة من
راية لم تنزل بكف (سعود)
إرث آباءه الكرام المغاوير
ضاربا حولها نطاقا من الاسلام
سار في ظلها الدعاة الى الحق
بطل الشرق نخوة وحميه
على قمة المعالي السنيه
وديانها الفيح من رباها الرويه
أمل العرب فى الخطوب الدجيه
حماة الحقائق السلفيه
حكما ومنهجا وقضيه
نقيا لما رأوها نقيه

وهي قصيدة طويلة تصور يقظة الأمة العربية الى أمجادها والى عقيدتها الاسلامية ومنهج شريعته المستقيم ، الذى أقام أعظم حضارة فى تاريخ العالم كله .. وكذلك قصيدة (جنكيز خان ص ٢٠٤ ، ٢٠٧) يصور فيه الشاعر كفاح الجزائر ، ومشاركة الأمة الاسلامية لها فى جهادها المقدس ضد أعداء الانسانية والاسلام فى جهادها المرير ضد فرنسا المستعمرة الغاصبة .

وأما القصيدة التي في ديوان (الأعراب) هي قصيدة (انتصار الحرية ص ٢١ ، ١٨) ، وأما القصائد في ديوان (أزاهير) فهي قصيدة (اليوم الخالد ص ٢٠ ، ٢١ ، و قصيدة (خواطر لاجيء ص ٤٤ ، ٤٧) ، وقصيدة (يوم الكرامة ص ٥١ ، ٥٣) ، وقصيدة (جهاد واتحاد ص ٥٤ ، ٦٠) ، وقصيدة (حديث فدائي ص ٦١ ، ٦٣) ، وقصيدة (يا فتح ص ٦٤ ، ٦٧) ، وقصيدة (فرحة اليمن ص ٦٨ ، ٧١) .

وأما ديوان الينابيع نجد قصيدة (عقدة الأمي ص ٣٨ ، ٤٠) وقصيدة (المدنية العسكرية ص ٤٣) ، وقصيدة (التضامن الاسلامي ص ٤٤) ، وقصيدة (الزعيم العظيم ص ٤٧ ، ٤٨) ، وقصيدة (الأرز والنخيل ص ٤٩ ، ٥٠) ، وقصيدة (الكيان الكبير ص ٥١ ، ٥٤) ، وقصيدة (فيصل الهدى والسؤدد ص ٥٥ ، ٥٨) ، وقصيدة (وافيصلاه ص ٥٩ ، ٦٢) ، وقصيدة (المغرب الأقصى ص ٧٩ ، ٨١) ، وقصيدة (المعهد العلمي ص ٨٥ ، ٨٦) .

وأما القصيدة التي في ديوان (نفحات الجنوب) فهي (ارتيريا الباسلة ص ٨٩ ، ٩١) وهي تصور كفاح المسلمين ضد أعداء الانسانية والاسلام نظمها الشاعر في ١٣٩٨/٥/٩ هـ ومطلعها :

ثورة الشعب من رحاب مصوّع ثورة نورها من الحق يسطع
إنها ثورة الغيارى على الايمان والعرض تستباح وتصرع
إلى قوله :

فأفقى (أديس أبابا) أفقى فجرنا يصدع الظلام ويصفع^(١)
وحيثما ينادى السنوسى بقصيدته (انتصار الحرية) في الجزائر ، أعد هذا شعراً اسلامياً ، لأن الجزائر كان عضواً مشلولاً من الاستعمار الفرنسى في جسد الأمة الاسلامية ، ثم أصبح بعد تحرره عضواً حياً قوياً فيها ، يقول الشاعر^(٢) :

مرجبا (بالجزائر) العريه دولة حرة الكيان فتيه
وسلاماً لها شبابا وشيبا ولأبنائها فتى وصبيه
إلى أن يقول :

عزة (غافقية) وإباء (مضرى) ونخوة (طارقيه)
فسلام لهم وطوبى لأرض أنجبتهم سهولها السندسيه
وسلام (لدولة) يفخر الضا د ويزهو بها ويشدو تحيه

(١) نفحات الجنوب : ٩١/٨٩

(٢) الأعراب : ٢١/١٨

فهذا الشعر وإن كان يتجه إلى إقليم عربى مسلم معين كالجزائر أو اليمن أو فلسطين أو السعودية أو غيرها إلا أنه جزء من الأمة الاسلامية الكبرى الذى ينتمى الى الوطن الاسلامى العربى الكبير ، مهما اختلف الجزء فى شكله وحجمه وبنائه الدولى ، فانه يمثل عضوا من جسد الأمة الاسلامية وإن كان مختلفا عن بقية الأعضاء فاليد غير القدم والعين خلاف السمع ، لكن الجسد الواحد لا يستغنى بعضو عن الآخر ، فالعين لا تحل محل السمع ولا الرجلان تحلان محل اليدين وهكذا ، قال تعالى (وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) ، (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) ، (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) .

وحين يترجم السنوسى فى صور شعرية (حديث فداى) يتحول هذا الحديث إلى شعر إسلامى ، يقول :

وإن عشيرتى بعس العشيرة	وإن عشيرتى بعس العشيرة	وإن عشيرتى بعس العشيرة	وإن عشيرتى بعس العشيرة
وان مدافعى خطب طوال	وان مدافعى خطب طوال	وان مدافعى خطب طوال	وان مدافعى خطب طوال
ولن ألقى مغانيها النصيره	ولن ألقى مغانيها النصيره	ولن ألقى مغانيها النصيره	ولن ألقى مغانيها النصيره
كذبت فانى وأنا الفداى	كذبت فانى وأنا الفداى	كذبت فانى وأنا الفداى	كذبت فانى وأنا الفداى
جعلتك يا ابن اسرائيل رعبا	جعلتك يا ابن اسرائيل رعبا	جعلتك يا ابن اسرائيل رعبا	جعلتك يا ابن اسرائيل رعبا
تعيش من الخواف فى جزيرة ^(١)	تعيش من الخواف فى جزيرة ^(١)	تعيش من الخواف فى جزيرة ^(١)	تعيش من الخواف فى جزيرة ^(١)

وجعلت من الشعر الاسلامى أيضا الشعر الذى يقوله الشعراء مدحا أو رثاء فى القادة والزعماء ، الذين كان لهم دور بارز وفعال فى كيان الأمة الاسلامية ، بحيث يمثل جهادهم وكفاحهم طورا تاريخيا بارزا من تاريخ الاسلام ، وتترك بصماتهم دلالات واضحة فى تاريخ أمتنا الرشيدة ، ليقى خالدا بخلود الاسلام ، ويظل علما شامخا من أعلامه وقد حضر الملك الزعيم فيصل طيب الله ثراه مجلدا خالدا فى التاريخ الاسلامى ، كالشمس التى تغشى الأبصار حينما تستبطن أغوار الحقيقة ، فالحقيقة أكبر مما نعرف ويعرف الجميع . فالله وحده هو الذى يوجه جنده المخلصين للدفاع عن دينه ، يقول السنوسى فى قصيدة (فيصل الهدى والسودد) :

هو فيصل علم الهدى والسودد
فاصدح بألحان البيان وغرد
إلى قوله :

يا صاحب رأى الصريح اذا رأى	يا صاحب رأى الصريح اذا رأى	يا صاحب رأى الصريح اذا رأى	يا صاحب رأى الصريح اذا رأى
إن الكنانة نورها يك (أنور)	إن الكنانة نورها يك (أنور)	إن الكنانة نورها يك (أنور)	إن الكنانة نورها يك (أنور)
رأيا تبلور فى الفعال الأمجد	رأيا تبلور فى الفعال الأمجد	رأيا تبلور فى الفعال الأمجد	رأيا تبلور فى الفعال الأمجد
ودمشق حافظها يلوح باليد	ودمشق حافظها يلوح باليد	ودمشق حافظها يلوح باليد	ودمشق حافظها يلوح باليد

(١) أزاهير : ٦٣/٦١

لما وقفت بكل ثقلك فى الوجود
وتصوّل بالرأى الحصيف موحدًا
وتهمز أعمد السياسة معلنا
الحق غايتنا ومهما أجلبوا
والزيت فى يدنا وكل محرك
فتجاوبت بصدك آفاق النهى
فاسلم فانك للعروبة فيصل

حتى الرثاء لتلك الشخصية الفذة فى عالمنا المعاصر ، والتموج الرائع فى تاريخنا الإسلامى
ينبغى ألا يكون رثاء شخصيا ، لأن هذا التموج ذاب فى الأمة الإسلامية كلها ، لذلك لا يصح
أن نرثيه لشخصه وإنما نرثى الأمة الإسلامية كلها ، ومن هنا كان منطقيا وواقعا أن يكون الرثاء
لشهيد الإسلام والعروبة - (فيصل) طيب الله ثراه - شعرا إسلاميا ، لا رثاء شخصيا فرديا ،
يقول السنوسى فى قصيدته (وافيصلاه) :

رثا فى سمعى فكذبت صداه
مات فى سمعى فكذبت صداه
(فيصل) مات ولكن ذكره
مات جسما وتوارى هيكله
نبا روع قلبى وشجاه
يغمر العالم والدينا شذاه
وهو حى فى قلوب وشفاه

إلى قوله :

فى أياديه التى خلدها
ومساعيه التى قلدها
ومعانيه التى رددتها
ومباديه التى أعلنها
قطب أقطاب العلى كيف انتهى
لم يغيب عنا ملك صنعته
يا عظيم الشرق يا مصباحه
كيف ضم القبر طودا شامخا
حفظ الله علينا (خالدا)
وسقى الرحمن قبرا طاهرا

تغمر الشعب بفيض من نداه
أمة الإسلام فى أقصى مداه
لبنى العرب جميعا فى حداه
على الصوت فخافتها عداه
عجبا هل يقتل الابن أباه
يده التاريخ فينا وبناه
فى لياليه ويا فجر دجاه
كيف بالله طواه واحتواه
ورعى (فهدا) أخاه وحماه
مرغت فيه أنوف وجباه (٢)

وهذا يكون هذا الاتجاه جديدا فى بنائه وأفكاره ومعانيه والغاية منه .

(١) الينابيع : ٥٨/٥٥

(٢) الينابيع : ٦٢/٥٩

ثانيا - الشعر الوجداني :

هو الغرض الثاني عند السنوسى ، جاء بعد الشعر الاسلامى مباشرة ، ولم يكن هذا الغرض غزلا بالمعنى المعروف فى الشعر العربى القديم ، فالفرق بينهما كبير فى نظرى ، مما يجعل هذا الغرض يتصل بالوجدان : وجدان الشاعر أكثر من الوصف الغزلى الخارجى للمرأة ، فقد كانت القصيدة الغزلية قديما تعتمد على أساسين هامين :

أحدهما : انبهار الشاعر بمفاتيح المرأة ، وسحر أجزاء البدن فيها ، فيأخذ فى تصوير هذه الأجزاء جزءا جزءا ، وقد يتعرض لما هو أخطر من ذلك ، فيصور العلاقة بينه وبينها تصويرا ظاهرا مكشوفاً ، وواضحا مقضوحا ، من غير رعاية لحرمان ، أو محرمات ، وهو الجانب الحسى فى الغزل القديم كما فى غزل امرىء القيس ، وكثير عزة ، وعمر بن أبى ربيعة وغيرهم .

وقد تطور هذا الغزل الحسى إلى غزل آخر عرف بالغزل (العذرى) فى تاريخ الأدب العربى ، ترفع قليلا عن الفحش الظاهر فى التصوير الشعرى ، لكنه وقع فيما هو أخطر من ذلك ، وهو (الفناء) أى فناء العاشق فى سبيل المعشوق ، وفناء المعشوق فى سبيل العاشق ، فيذهبان معا ضحية للحب العذرى ، مثل عذرية جميل وبثينة ، وقيس بن ذريح وغيرهما .

والغزل الحسى والعذرى كلاهما مسرف فى اتجاهه ، فالأول مسرف فى الجانب الحسى المرذول والمبتذل ، والثانى مسرف فى الجانب المجرد الذى يؤدى الى الفناء . وكلاهما أيضا بعيد كل البعد عن الاتزان الاسلامى فى معالجة عاطفة الحب ، وضبط شهوات النفس ، لتنسجم مع الفطرة السليمة ، فى معالجة هذا البناء الاجتماعى عند الفرد .

ثانيهما : والأساس الثانى وهو أثر الغزل الحسى والغزل العذرى بالمعنيين السابقين فى وجدان الشاعر ، وهذا نتيجة للأساس الأول ، فالوجدان عند الشاعر فى الغزل الحسى وجدان ليس محموما ، ولا حارا متدفقا ، لأن صاحبه قد أرضى نزواته وشهواته من مفاتيح المرأة فى تصويره الحسى الماجن ، فتطفئ كل صورة من شعره جمرة من وجدانه وهكذا ، واذا ما انتهت القصيدة صورة صورة ، لا تجد عرقا ينبض من وجدان ، فى نفس الشاعر ، وتلك طبيعة الشهوة البهيمية ، التى يجب أن يترفع عنها المسلم .

أما الوجدان عند الشاعر العذرى ، فهو وجدان يغتلى ويفور ، ويلتهب فيحرق العروق ، التى تنبض بالحياة ، لأن الشاعر لم يضبط وجدانه المسرف ولم يحدد مساره وطريقه ، فهو أشبه بنار تندلع فى هشيم الجسد ، فيأتى عليه ، فلا يترك أثرا ولا بقية .

وكلاهما أيضا وجدان هابط ، لا يسمو الى شرف الانسانية ، ومعدوم لا ينبض بالحياة ، لأنه هبط بالشاعر الحسى الى مستوى الحيوان ، فلا يكون فى عداد الأناس الذين يعيشون

بوجدانهم الصادق والمتزن معا ، وكذلك أسرف الشاعر العذرى فأفناه الغلو والمبالغة والاعراق فهما معا لا يتلاءمان مع الطبيعة البشرية والفطرة الانسانية ، لا الغريزة الحيوانية ولا الشهوة البهيمية ، ولا التجرد الآدمى ، ولا الاعتناق المطلق .

وشعر الوجدان والتأمل عند السنوسى يختلف كثيرا عما سبق فى الأساسين ، فلا هو هذا ، ولا هو ذاك ، فلا هو غزل حسى ، ولا هو غزل عذرى ... وإنما هو وجدان شاعر ، استغرق فى تأملاته العاطفية ، بلا هبوط ولا إسراف ، بل فى اتزان الشاعر المسلم ، الذى يعبر عن وجدانه فى صدق فنى ، وترفع عن الصغائر الحيوانية الصرفة ، وعن الاسراف البالغ ، لأنه وجدان شاعر يجب ويهوى ، لكن فى أدب وخلق ، وعفة واتزان ، وهذا ما أردت به (شعر الوجدان) والتأمل فى أعماق النفس .

وعلى هذا فشعر الوجدان يشمل جوانب أخرى غير حب المرأة ، تقوم على الحب المجرد ، الذى يشمل ما فى الوجود كله ، مثل حب الحياة ، وحب الناس ، وحب الطبيعة ، وحب الانسان وحب المبادئ السامية ، وغيره ، لكن كل هذا من خلال الوجدان الدائق للشاعر ، لا من خلال موضوع يصطبغ بوجدانه ، فلو كان الوجدان من خلال موضوع ما ، لانتقلنا من شعر الوجدان الى غرض أدبى آخر غير الشعر الوجدانى .

والشعر الوجدانى جاء فى ديوان (القلائد) متمثلا فى قصيدة (عودة الماضى ص ٣٤ - ٤١) يصور فيها وجدانه فى الماضى ، فى تأملات عميقة ، يلتقطها الشاعر من وراء الحس الظاهر وهى تسير على نظام المقطعات ، وهو أقصى ما يخرج فيه الشاعر على القلب الموسيقى القديم ويعد هذا الخروج المحافظ جديدا فى شعره كله ، يقول :

فى لحظة من لحظات الهوى	والنفس فى فردوس أحلامها
تمتز أشجانا وتمفو جوى	على لياليها وأيامها
تلوذ الماضى بها وانزوى	فى صور الذكرى و (أفلامها)
ماضى برغمى قد مضى وانطوى	بلحن أيامى وأنغامها

★ ★ ★

لاح لعينى وفى ناظرى	ظلال أيام براها الضنى
وفى سماء الفكر من خاطرى	أضواء (حب) قرمزي السنا
أجابه فى عالم ساحر	وردية أحلامه والنسى
صباية من حلم عابر	دنا كلمع البرق ثم انثنى

★ ★ ★

هيجت قلبا لـج في كبره
 صد وملء الكف من بـدره
 ما يستثير القلب إشراقه
 أغصانه خضرا وأوراقه
 إذا هفا يوما إلى زهره
 أبـت معانيه وأخلاقه(١)

وهكذا يتأمل الشاعر في أعماق نفسه عن وجدان يلتهب في ذكريات الماضي ، فيعيد صورها ويستعرض (أفلامها) على حد تعييبه من غير ابتذال في وصف حسي للمحبوب ولا تفانى في سبيله حتى التبتل والرهبية لا هذا ولا ذاك ، وإنما هي هبوب عاصفة الذكريات الماضية لتؤجج نار الوجدان بمقدار عبورها ، ليعود كما كان ، بل أكثر ثباتا واتزاناً ، لأن قلبه الذى يضم وجدانه لـج في كـبه ، وعاف الهوى ، ومع غريزة الشوق في النفس كقطرة انسانية ، فالقلب والوجدان ثابت لا يذلل للحب والهوى ، ولا تستثيو جمراته ، لأن المعاني السامية والأخلاق الفاضلة هى التى تضبط الوجدان ، وتسمو بالقلب والعاطفة في اتزان خلق المسلم كما ينبغى أن يكون ، أليس هذا اللون جديدا في الغزل يسمو به ويرتقى إلى غرض جديد هو شعر الوجدان والتأمل . وكذلك قصيدة (فارس الأحلام ص ١٠٢ - ١٠٨) من قصص المجد ، وقصيدة (دارة جلجل ص ١٠٩ - ١١٤) صور من الأدب العربى القديم يصورها السنوسى من خلال وجدانه ، وقصيدة (قصة شعرية) يترجمها الشاعر من خلال وجدانه عن الكاتب العالمى (مكسيم جوركى) ليضعها في إطار الشعر العربى ، بعد أن صبغها بفنّه الشعرى ووجدانه الذاتى ، لتقرب من الذوق العربى الشفاف وأطلق عليها (أنشودة الصقر ص ١٣٠ - ١٤٠) يقول في آخر مقطوعة منها :

واستمرت أنشودة الصقر تنساب
 يطرب النفس وقعها وتثير الفكر
 فى تلاحينها من السحر ألوان
 نغم ساحر الصدى ونشيد
 بألحانها على الأكوان
 أصداؤها وتحيى الأمان
 ومن فتنه الجمال معان
 من صميم الشعور والوجدان(٢)

أما (الأغاريد) فنجد قصيدة (إغراء الحب ص ٣١ - ٣٢) ، وقصيدة (باقة إلى عابرة ص ٣٦ - ٣٧) ، وقصيدة (ماء ونار ص ٣٨ ، ٤٠) ، وقصيدة (أنشودة ص ٤١ - ٤٣) ، وقصيدة (إفاقة ص ٤٧ - ٥٠) ، وقصيدة (عصفور قلبى ص ٥٤ - ٥٧) ، وقصيدة (حيرة ص ٧٧ - ٧٨) .

(١) القلائد : ٤١/٣٤

(٢) القلائد : ١٤٠/١٣٠

وأما شعر الوجدان في ديوانه (أزاهير) ، فقد ضم قصيدة (أخت القمر ص ٣٥ - ٣٧) ، وقصيدة (حسنة الريف ص ٣٨ - ٤٠) .

وأما ديوانه (الينابيع) فنرى شعر الوجدان والتأمل في قصيدة (أمامك الدنيا ص ٣٠ - ٣٢) ، وقصيدة (الموج والشاطئ ص ٣٣ - ٣٤) ، وقصيدة (المنظار الكاشف ص ٣٥) ، وقصيدة (لمع السراب ص ٣٦ - ٣٧) ، وقصيدة (الحب الكاذب ص ٧٥) ، وقصيدة (الفيلسوف والطائر ص ٨٣) ، وقصيدة (شد الحزام ص ٩٣) ، وقصيدة (كيف أسلوبك ص ٩٥) .

وأما ديوان السنوسى (نفحات الجنوب) فيضم قصيدة (عصفور شبابى ص ٢٤ - ٣١ في عام ١٣٩٦ هـ) ، وقصيدة (وحشة قلب ص ٣٢ - ٣٦) في عام ١٣٩٦ هـ ، وقصيدة (رماد شهاب ص ٣٧ - ٤٠) في عام ١٣٩٧ هـ ، وقصيدة (وجدتها ص ٤١ - ٤٣) في عام ١٣٩٧ هـ ، ويتأمل فيها الشاعر ، ويغوص في أعماق وجدانه ، ليصور في دقة أحلام الصباية في المرة الأولى :

طواها الأمسى واليأس حتى كأنها بقايا حطام من رماد شهاب
فمالك يا نفس تعيدين ذكرها وتودين عن حجر الحنين خوابى

ويصور في المرة الثانية ضالته ، التي يبحث عنها ، ليصل الى القاعدة التي يستقر فيها آمنا مستكينا ، فوجدها في الدين والخلق القويم ، يقول :

من أى قاعدة وأى رصيف تجرى سفين مشاعرى بحروفي

فيبحث عنها في قلبه وهو ينزف بالأمسى ، أو في أدبه ، وهو يلفح باللظى ، أو نظره وهو يغشى بالقذى ، أو فكره وهو مجروح بالهوى أو سمعه وهو مقصوف بالردى ، أو من طبعه وهو موقوف ، أسير للتيار ... ليس في هذا كله ... لكنه وجده في قوله :

لا لن أضل فقد وجدت سكينتى فى الدين وهو دليل كل كفيف
فانضح نهارك به وقلبك إنه رى الصدىّ وجنة الملهوف

واجعله نهجا فى الحياة وواقعا تحياه لاكنا وراء رفوف
فالدین ظل الله فى ملكوته والله بالانسان جدد رؤوف
من قال إنه أفيون الورى فهو الشقى بعقله المخطوف^(١)

(١) نفحات الجنوب : ٤٣/٤١

وقصيدة (القلب الكبير ص ٥٢ - ٥٤) ، وقصيدة (طبيب العيون ص ٥٥ - ٥٨) ويقول فيها :

يا طبيب العيون شكوى عيوني
وهى عين لا تعرف النظر الشزر
فترفق بها ففى نومها المكنون
إن فيها أحلام قلبى وأشواقى
وهى أغلى من العشييرة والمال
إنها يا طبيب نافذتى الكبرى
وهى جبرى الى الحياة ومنطادى
وهى تصبو الى الحسين فما تنفك
وهى ترنو الى الخزين فتبكى
وهى ترنو الى المشين فتقذى
وهى تواقى الى كل سطر فى كتاب
وهى ماء فكيف تستخرج الماء
كيف تجرى السكين فيها وفيها
وهى من لفظة تذوب حياء
فلتكن فى يدىك أسرار عيسى
يا إلهى سملت للطب عينى

من لحاظ حورية التكوين
ولم تكتحل بغير الفتون
أسرار عالم مكنون
وأطياف صبوتى وشجون
وأغلى من كل شىء ثمين
على الكون والرؤى والفنون
وفى بجرها العميق سفينى
نشوى من حسن ذاك الحسين
حزنامن أسى لذاك الخزين
رحمة لا شماتة بالمشين
وهامش فى متون
من الماء بالشبا المسنون
رقة لا تطيق همس الجفون
من عتاب الهوى ولوم الخدين
وهده ومعجزات الأيمن
وأنت الطبيب فالطف بعينى(١)

وقصيدة (الظل والضوء ص ٦٨ - ٧٠) ، وقصيدة (قصيدتى فىك ص ٩٥ - ٩٦) ، وقصيدة (مسافر ص ١٠١ - ١٠٣) .

وما فاض به وجدان الشاعر قصيدة (حب و نار) يقول فيها :

لعينيك فى قلبى رموز وأسرار
يرنخنى منها صفاء مشعشع
ويسحرنى منها حياء مهذب
ويأسرنى منها لقاء محب
إذا عانقتنى رفة من جفونها
تطلعت مشبوب الجوانح والجوى

ودين من الأهواء يحنى ويشتار
كما انعكست فوق البحيرة أنوار
كما انكسرت من مقلة الشمس أزهار
كقطر الندى يلقاه فى الروض نوار
ودغدغنى منها ابتسام وإسفار
وبى وله يحتاجنى منه إعصار

(١) نفعات الجنوب : ٥٨/٥٥

وحومت كالطير الذى شفاه الصدى
فررت فرار الحلم من عين نائم
فتونك يدنبنى إليك فانتشى
فيا أنت يا أنت البخيلة بالهوى
لمرآك فى قلبى نعيم وفى دمي
رضيت بما يرضيك قسراً وليس لى
تحييت فى أمرى وأمرى واستوى

ورفرف من شوق جناح ومنقار
صحا فإذا الرؤيا قفار وآثار
وصوتك يقصينى فأصحو وأحترار
على كبد كانت من الحب تهار
جحيم وفى عيني غيم وأمطار
خيار ولو خيرتنى كيف أختار؟
لدى الدجى والنور والماء والنار^(١)

فالشاعر هنا يغتلى وجدانه ، وتلهب مشاعره فى سبحة شاعرية يتأمل فيها أحاسيسه ، ويتجاوب مع وجدانه ، وجدان الحب الطاهر لا فى وصف حسى يثير الشهوات والنزوات كما فى الغزل الحسى ، ولا فى غزل عذرى ، يعزله عن الناس والحياة والأعمال ، بل الشاعر كما نعرفه لا يزال يخوض غمار الأعمال ، وإدارة المؤسسات بقدرات الرجال ، وعزيمة المؤمنين .

ولذلك كان غزله تأملاً ووجدانا يعبر فيه عن حب الانسان الذى يوقر أخاه الانسان ، ويحافظ على مشاعره وانسانيته ، ويتضح خصائص الشعر الوجدانى عند السنوسى على النحو الآتى :

١ — السحر فى عنها ترك قلبه فى حيرة وتأمل ، وصرع عقله برمزه ولغزه ، ليظل حائرا لا يستقر على الحقيقة ، مما شبب هواه ، وأثار وجدانه لكنه هوى مصون بالعفة ، ووجدان مأسور بالدين وحسن المعاملة ، كذلك السحر فى جمالها رقيق طاهر كانعكاس أنوار الحياة على صفحة الماء الرقيق الطاهر .

٢ — ليست حبيته فاجرة عانسة ، لأن السحر فى حياتها وأخلاقها المهذبة كحياة الأزهار من مقلة الشمس ، وهذا ما يستبد بعقله ويأخذ بمجامع قلبه ، لا تبذل ، ولا فحش — لكنه كالندى حين يصفح الورود والأزهار فى وقت الصباح .

٣ — أما تراسل الأجنان ، وبرق الابتسام ، وبريد جمال الوجه يشبب فى وجدان نار ، ويغتنى صدره جوى ، ويحتاج جسده إعصار فيه نار ، فيشفى غلته بالرؤيا والنظر ، كما يحوم الطير من بعيد ، ليلطف حرارة الشوق بنشاطه وجهده كما تلطف رفرقة الجناحين حرارة الجسد ولهب الأحشاء ، وليس هذا على سبيل الحقيقة والواقع لأن دينه وخلقه يمنعه من ذلك ، لكنه على سبيل الحلم والخيال والتأمل والوجدان ، يقول :

فررت فرار الحلم من عين نائم صحا فاذا الرؤيا قفار و آثار

(١) الأغاريد : ٤٠/٣٨

٤ — فتنه الحبيب تقربه اليها ، فيزداد وجدا على وجد ، إلا أن صوتها الانساني يوقظه إلى ما يجب عليه من حقوق الحب الطاهر ، فيعود ثانية الى هيب الوجدان ، ليناجيها بالبخل على كبد ذاب حبا ، ونفس انهارت وجدا ، فرؤيتها نعيم ، لكنه يترك وهنا في الجسد ، وحيوة في العقل ، وعينا تسبح في الدموع ، وتذهب في الغيوم ، وأصبح من الحيوة في حياة استوى فيها الظلام والنور ، والماء والنار .

٥ — لا تجد في القصيدة لفظا فاحشا ، ولا عبارة بديئة ، ولاتصويرا وضيعا ، ولا شهوة محرمة ، ولا نزوة حيوانية ، وإنما غاية الصبابة عنده وجدان يغلى وشعور فياض ، وتأمل وحيوة ، وسياح من التشريع والخلق يمنعه إلا بحقه ، ولا عيب في حب الشاعر ، فهذا أمر فطري ، ولكن العيب والأسى في اتخاذ الحب طريقا لا يرضى عنه صاحبه ، ولا ترضاه القيم الفاضلة ، ويخضع له معذبا تائها على وجه الأرض .

وترى السنوسى إذا أسرف على نفسه في الغزل يكون محتفظا في تصويره ، يقول في (حسناء الريف) :

ريفية تهتز أعطافها	خصوية من مرح وارتياح
ترعرعت بين ظلال الرنى	ونسمة السوادى وعزف الرياح
تحية منى إلى (غادة)	هيفاء لفاء كعاب رداخ
فى الشمس والظل نمت واستوت	فهى مثال للجمال الصراح
تختال من دل ومن صبوة	فى حسننا النشوان من غير راح
لا ما رأث عيني على ما رأث	من الحسان الرائعات الصباح
مثلا لها فى حسننا غادة	باح لها الحسن بما لا يباح
عينان ما عين المها والظبا	وقامة ما البان ؟ ماذا الرماح ؟
وغرة من غير (تسريحة)	تربع السحر بها واستراح ^(١)

وهذه القصيدة هى الفريدة من نوعها فى شعر السنوسى ، قصدت ذكرها حتى لا أترك احتيالا من بعدى ، وقد اجتمع فيها من التصوير الحسى للمرأة ما لم يجتمع فى غيرها من شعره الوجدانى ، ومع ذلك تجد أن التصوير فيها لا يعدو منهج الشاعر فى غزله من التحفظ وطرح الفحش والابتذال المعروف فى شعر الغزل الماجن ، وعلى سبيل المثال : فاهتزاز الأعطاف (لا الردف) ، وخصويتها ، لا عن مجون وخلاعة وفحش ، بل عن طبيعة أصيلة نشأت عليها ،

وتكونت من النعيم والوفرة والسخاء ، فقد عاشت في بيئة مترعة معشوشبة ، غنية بالزروع والأشجار والثمار ، تداعبها نسمة الوادى بأوتار الرياح ، وهى تروح وتغدو بين أشعة الشمس ودفئها ، وبين حنان الظلال ورقته ، وترهو بسحرها في دلال النساء ، وصبوة الحسن ، ونشوة الجمال ، لا نشوة الخمر ، ولا دلال الراح ، وتضاءلت عيون المها والظبا ، أما جمال عينها وجف غصن البان عند قدما الطرى ، وتصلب الرماح بجوار خصوبة قامتها ، وأما وجهها ، فلا يحتاج الى صناعة النساء اليوم من التسريحات والتشكيلات ، لأن السحر قد أقام عندها واستراح .

هذه الأوصاف التى تصور جمال المرأة لا يستغنى عنها الشاعر وإنما الذى أسف فيه شعراء المجون أنهم صوروا نزواتهم وأبرزوا شهواتهم عند كل وصف ، وشاعرنا السنوسى ليس من هؤلاء الشعراء ، بل ترفع فى غزله وخلقه عن ذلك ، ولهذا أطلقت على شعره فى الغزل شعر الوجدان والتأمل .

ولهذا كان الشعر الوجدانى والتأملى لا يشمل الغزل وحده ، ولكن قد يصور فيه الشاعر تأملاته فى الحياة ، كما فى قصيدته (أمامك الدنيا) يقول^(١) :

أمامك الدنيا ترهق القلب والعقلا	فيا خاطرى رفقا وناظرى مهلا
تحير فيها المصلحون وأعجزت	نهى الفيلسوف الفذ والشاعرالفحلا
طلاسم تعبى الفكر فهمافينحنى	خضوعا لها مهما تكبر واستعلى
يعيش بها الانسان طفلا وإن بدا	لعينيه كهلا ثم يتركها طفلا

إلى قوله :

وُلدُ بحمى الايمان وارض بما قضى	به الله واعلم أن حكمته أعلى
فللدين فضل فى الحياة لأنها	بغير الهدى تغدو جحيما به نصلى
وثق أن من أعطى الحياة جماها	وأقواتها لم يهمل الدود والتفلا

ومثل قصيدة (الموج والشاطيء) ، وقصيدة (لمع السراب) التى يقول فيها :

أرح عينيك من لمع السراب	وقلبك من أمانيه العذاب
وعد عن قشور وإن تراءت	رقاقا فى الضباب وفى السحاب
فقد فاض الطلاء على حياة	تفيض بها الكؤوس بلا شراب
يضوع غيرها من غير عطر	وتزخر كالبحور بلا عباب
وتزهو بالرياض بلا زهور	وتزهو بالثمار بلا لباب

(١) التبايع : ٣٢/٣٠

يشيب شبابها من غير شيب ويبدو شبيهاً مثل الشباب
تتبه بها الجسوم بلا علوم وتفتخر الفهوم بلا كتاب
مموهة تروق العين حسناً خضاب في خضاب في خضاب
فقد صبغ السراب حياة عصر مخضبة الأظافر والإهاب
وصرت أشك حتى في مياه ! أخوض بها ولو بليت ثياب^(١)

ثالثاً - شعر الطبيعة :

تعاطف السنوسى مع مفاتن الطبيعة ، ومظاهر الحياة الجذابة ، في ابداع أدنى ، وموهبة شعرية صافية ، وقرينة وقادة ، وعاطفة مشبوبة بالمدينة التى نشأ فيها لا ينساها ، بل تؤجج ذكراها شاعريته من حين لآخر ، فمرة يناجها ، وثانية يتعاطف مع جبل (فيفاء) فيها ، وثالثة يعنى له ، ويغرد به ، ويعزف بأوتارها لحن الخلود ، في شعره الخالد ، لتظل القرية وجبل فيفاء وأغانيها مشدودة بالأرض ، بل تسمو خالدة في أسمع الزمان ، ويصير لحننا يعزف ، ووترا يضرب ، في كل قرية وجبل ، وأغنية حبيبة الى نفس عاشقها ، وحصاد أرضها ومائها ونبتها هو شعر السنوسى الذى يتفجر عن تجربة ذاتية للشاعر .

فأما القصائد التى جاءت في ديوان (القلائد) منها (اللحن السجين ص ٧٢ - ٧٥) ، وقصيدة (شذى الرياض ص ٧٦ - ٨١) ، وقصيدة (موكب السحاب) في سماء تهامة وخاصة أيام فصل الربيع يقول ، منها :

هب والأفق ديمة وغمامة وجبين السماء بادى الجهامه
إلى قوله :

علم تسبح الكواكب فيه وتشق الدجى به عوامه
ضربت الرياح فاستقبل الأثر ض حثيثاً يثها آلامه
ثائر والسكون يضى على الكون ن جلالاً والليل يرعى نيامه
جلل الأرض والسماء واعيا صائل الرعد أن يدك ركامه
غدق أيقظ الحياة على الأرض وأحيا من الوجود رمامه
سال عبر الفضاء ذوب لجين واستفاضت به البطاح مدامه
وجرى فى الشعاب تبرا مذابا وسجى عسجداً وفاض رخامه
دوحة عند جدول وغدير عند عشب وظبية وبشامه
ومروج تهذلت تملأ الوادى وتستوقف النسيم سلامه

(١) البنايع : ٣٧/٣٦

سطعت فى ظلها لمع الشمس ورقت بها دموع الغمامه
ومشت حولها المهات تقطف الزهـ ر وتحسو الندى وترعى الخزامه
وشدا فى الفروع صادح أيك جاوبت لحنه الرقيق حمامه^(١)

وقصيدة (ساعة فى الريف ص ١٥٨ - ١٦٢) ، وقصيدة (ليلة الراهبة ص
١٧٠ - ١٧٢) ، وقصيدة (الجنوب الحبيب) منها :

ويا وطنى وأنت ولا أعالى نجى الشعر شطآنا وغابا
قرأت على شواطئك القوافى محبرة تفيض بها عابا
خضما تغرف الأمواج منه صدى حلواً وأنغاما عذابا
تنام على جوانبه الراهبى معطرة مخدرة كعابا
وتغضو فوق ضفته الرواسى نواهد عز خاطبها وغابا
تضم صدرها أغلى الأما نى وأحلاها وأكرمها رغابا
عذارى لم يفض لمن ختم ولا كشف النقاب لها نقابا
فهل لى أن أراك وقد تجلت بك الأحلام رائحة عجابا^(٢)

وأما فى ديوان (الأغاريد) فقد ضم قصائد هى : قصيدة (عودة الى الطبيعة ص
٢٢ - ٢٥) ، وقصيدة (جبل فيفاء ص ٢٦ - ٣٠) ، وقصيدة (حديث من الظهران
ص ٦٥ - ٦٨) ، وقصيدة (أغنية فيفاء ص ٧٩ - ٨١) ، وقصيدة (يا ربيع الحياة ص
٨٢ - ٨٥) .

وأما ديوان (أزاهير) فذكر السنوسى فيه قصيدة (جازان أغنية ص ٣٠ - ٣١) ،
وقصيدة (شمعة على الطريق ص ٣٢ - ٣٤) ، وقصيدة (عرس الفجر ص ٤١ - ٤٣) ،
وقصيدة (تحية الى أباها ص ٧٤ - ٧٦) .

وأما ديوان (الينابيع) فاشتمل على قصيدة (الليل والريف ص ٩٠) . وأخيرا ديوان
(نفحات الجنوب) يضم قصيدة (نفحة الياسمين ص ٦٢ - ٦٤) ومنها :

عرفتك يا نفحة الياسمين كما يعرف العطر جانى الزهر
فأجبت فيك جلاء الحياء وعز الإباء وطهر الخفر
وأكبرت فيك ضياء النهى ولمع الذكاء وصفو الفكر

(١) القلائد : ١٠١/٩٦

(٢) القلائد : ١٧٨/١٧٣

أشاعرة أنت واستضحكت
ثلثت بألحانه الحالمات
وغرد ثغر أغن أغر
ورففت كالطير بين الشجر
يرقرقه نغما صافيا
شهى الحلاوة عذب الشجر^(١)

وقصيدة (لؤلؤة الخليج ص ١١٢ - ١١٩) ألقاها الشاعر في قاعة المحاضرات بالمجلس الأعلى لرعاية الآداب والفنون بدولة البحرين الشقيقة ، وذلك في الأمسية الشعرية ، التي أقامها المجلس تكريماً لأعضاء الوفد الأدبي السعودي ، أثناء زيارته لدول الخليج ، وكان الشاعر أحد أعضاء الوفد ، وهم : الأستاذة أحمد فرح العقيلان ، المستشار الثقافي بالرياسة العامة لرعاية الشباب ، والأستاذ الشاعر حسن عبد الله القرشي ، السفير بوزارة الخارجية ، والأستاذ الشاعر محمد علي السنوسي رئيس النادي الثقافي بجزان ، والأستاذ الشاعر الباحث والمحقق والمحقق أبو عبد الرحمن بن عقل الظاهري ، رئيس نادي الرياض الأدبي ، والأستاذ محمد هاشم رشيد ، عضو النادي الأدبي بالمدينة المنورة ، والأستاذ الأديب حمد القاضي ، مدير تحرير مجلة (المجلة العربية) يقول فيها :

ما بين كاظمية وبين زرود
أطرقت أصفى للخليج تهزه
والبحر تلمه الرياح فيتنشى
والمسك من دارين معطار الشذى
والسفن تمخر والصفاف يزينها
إلى قوله :

يجرى العباب بها فتجرى حفلا
تهدى الى التيجان كل يتيمة
أيام كان الدر سلعة تاجر
حر الأصول كريمة أعراقه
يحظى بتقدير الملوك وعزهم
بالدر بين فريدة وفريد
ملء العيون سنا كل مجيد
وركاز سلطان وذخر عميد
صان من التصنيع والتقليد
ويصان من عبث ومن تبديد^(٢)

وقصيدة (أبو ظبي) ألقاها الشاعر في قاعة المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب بدولة الامارات العربية المتحدة (بأبي ظبي) في ١٣٩٩/٧/٢٣ هـ ويقول ، منها :

(١) أزهير : ٦٢

(٢) نفحات الجنوب : ١١٢/١١٩

رفقا بقلبك من ظباء (أبو ظبي)
 وحذار من تلك العيون فإنها
 يا حلوة العينين حسبي من هوى
 صحراؤنا العذراء لا ينمو بها
 فالسحر فى تلك المحاجر مختبى
 لتعيد قلب الشيخ يخفق كالصبى
 عينيك تسهيدى فغنى واطربى
 إلا الهوى العذرى والحسن الأبى^(١)

ودائما تغريه الطبيعة لأنه أحبها ، وتلوح له بالمشاركة لأنه امتزج بها وتمسك إليه بأسرارها
 فيفيض بها فى شعره ، وتحنو عليه ، فتلهب عاطفته ، وتشرق له بابتسامتها وزروعها وأزهارها
 وثمارها فيخلدها فى شعره ، لأنها تستحق الخلود ، فهى تعطى وتنشر الرخاء ولا تضمر كيدا ولا
 أذى لأحد لأنها مسرح الجمال ، وموطن المتعة والانهار ، كيف تكون ؟ والشاعر على أرضها
 قطع عمره فلم تبتس عن أداء واجبها ، وتفجرت أحشاؤها بالعطاء الجزيل لينعم الانسان
 عليها فهى جديرة بالحلب من الانسان ، وحرية بالمشاركة والتعاطف والحنين ، وفى النهاية نحن
 البشر منها واليها (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) ، والقرآن أعطى صورها
 بأنها كائن حتى يعطى كعطاء الانسان وتضمن حين تبخل السماء قال تعالى (ومن آياته أنك
 ترى الأرض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذى أحيها لحى الموق انه على كل
 شىء قدير)^(٢) ، (وترى الأرض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبئت من كل زوج
 بهيج)^(٣)

وكثيرا ما يعود السنوسى الى الطبيعة ، وفى (عودة الى الطبيعة) يقول :

قرتسى قرىتى الوديعه يا عد
 طبع الله حبك العذب فى قلبى
 يا رى لىج بى هواها فما ين
 كم ترشفت من جمال لياليك
 وتنشقت من حلال مجاليك
 فى الدجى والنجوم تغزل أحلا
 والضحى والغيوم ترسم فى الوا
 والنسيم النشوان يحتضن الزهر
 الذى قلبه أرق من الطل
 والذى يزرع الحقول بذورا
 والذى يملأ القلوب شعورا
 ش ويا مقرر جناحى
 ولم يحه سوى الله ما حى
 فك نشوان من هوى ملحاح
 فتونا من الصبا والمراح
 فنونا من الشذى الفواح
 م العذارى على صدور البطاح
 دى ظللالا نديئة الأرواح
 وأصفى من الزلال القراح
 وزهوراً بهمة وكفاح
 بجمال الطبيعة المراح

(١) نفحات الجنوب : ١٢٠/١٢٣

(٢) سورة فصلت : آية ٣٩

(٣) الحج : آية ٥

إلى قوله :

قريتى قريتى الوديدة يا عد ش فؤاد ويا مقر جناحى
كلما ضمنى دجاك ورقت نفحات الصبا على الأدواح
وانتشى الكون بالعبير وراح السيل يختال فى السهول الفساح
يغمر الأرض بالنعيم غزيرا وهز القلوب بالأفراح
نعمت روحى الكئيبة بالصفو وصحت من الأسى والجراح^(١)

وهكذا الى آخر القصيدة ، فى طبيعة هادئة وديعة ، يحتضن القلب بدفئها وحنانها ويستقر الانسان ويسعد فى أحشائها ، لأن الله فطر القلب على محبتها ، فلن يتزحزح من موطنه مهما عصفت العواصف ، فمن رحيق الليالى يرتشف الجمال من الصبا والمراح فتونا وألوانا ، ويستنشق من الحدائق الطيب الفواح والنشر الشدى ، وفى الليل تجسم النجوم أحلام العذارى حقائق الخير على وجه الأرض ، والضحى والغيوم ترسم ظللالا ساحرة بالندى الفواح ، والنسيم رقيق طيب كركرة الفلاح ، فالطبيعة عنده هى المعلمة والقدوة تعلمه الرقة وتطبع فيه الصفاء ، فالرقة ارتشفها من الزهر ، ومن الطل ، والصفاء انساب فيه من الماء العذب الزلال ، تجاوب بين الانسان وبين الطبيعة ، فيتهز الكون طربا بالعبير ، ويتدفق السيل يختال فى السهول ، وتغمر الأرض بالنعيم ، وتهتز القلوب بالأفراح والسرور .

تلك هى خصائص الفن الرفيع فى شعر الطبيعة الساحرة ، التى أحبها الشاعر وأحبته ، وتعاطف معها وتعاطفت معه ، وهام بها فألهمته أسرارها ، وأنس اليها ففاضت عليه من خيراتها ، فبادلها من شعوره شعرا خالدنا لتبقى خالدة ما دامت الحياة .

والسنوسى يعشق وطنه ، الذى نشأ فيه وترعرع ، فيتغنى بسهوله وجباله ، وحواضره وبواديه ، فيشدو بمدينة جازان ويقول :

جيزان يا درة الجنوب
لكل قلب اليك شوق
وأنت فى روعة المجالى
عروسة الشعر والأغاني
وأنت أنت الهوى المصفى
للفن وللحب والحبيب^(٢)

ويحى أبها عروس الجنوب فيقول :

(١) الأغاريد : ٢٥/٢٢

(٢) أزاهير : ٣١/٣٠

تنورتها من وراء السحاب
فلاحت لعينى داراتها
تألقن والليل وصف الدجى
نشأوى ترفرف أنفاسها
تنام بأحضانها الأمنيات
وأبهاء من وطنى درة
ترى الشمس فى جوها لوحة
وتبدو الكواكب فى أفقها
تبرح فيها جمال السماء
وباحت بأسرارها الكائنات
كأنك فيها على روضة

وبى وله نحوها وانجذاب
لآلىء مشورة فى الشعاب
وأشرقن والصبح كث الضباب
بروح الصبا وعبير الشباب
كنوم الجداول فى حوض غاب
يفوق المدى قدرها والحساب
وتحسبها صورة فى كتاب
على قاب قوسين من كل باب
وألقى غلائله والنقاب
فشف السنن وتجلي اللباب
من النجم أو رفر من سحاب^(١)

وجيل (فيفاء) متحف رائع يلهم السنوسى فنه ، فهو مصدر الشعر ينث لسانه
سحرا ، وقلمه بيانا ، وخواطره فكرا وعبرا ، ووجدانه خيالا وانطلاقا :

متحف من أشعة وظلال
سابع فى الفضاء يغمره النور
مرشح الشعر والبيان ومسرى
فى اطار من نضرة واخضلال
بفيض من السنن والجلال
لمحة الفكر وانطلاق الخيال^(٢)

ويقول فى (أغنية فيفاء) :

لست فيفا أنت جنة
إنه فوق بيانى
كل شىء فىك حلو

تلهم الشاعر فنه
جل من أبعد فنه
أنت يا فيفاء جنة^(٣)

رابعا : المدح :

شعر المدح عند السنوسى محدود ، لم يستغرق كثيرا من دواوينه ، فقد سبق أن نوه النقاد
بأن الشاعر لا يتكلف القول ، ولا يقول ما لا يعتقد ، ولا يمدح إلا من يستحق المدح ،
ولا يثنى على أحد إلا بما هو أهل الثناء والتقدير ، ولا يمدح إلا من يرى أنه أهل للمدح ، وإذا
مدح كان صادقا فى مدحه ، قوى العاطفة فى ثنائه وتقديره ، فى تجربة شعرية متدفقة قوية عميقة

(١) أزاهير : ٧٤/٧٦

(٢) الأغاريد : ٢٦/٣٠

(٣) الأغاريد : ٧٩/٨١

خصبة في معانيها وخيالها وصورها الأدبية كالشأن في سائر الأغراض الأدبية في شعره .

فأما المدح في ديوانه (قلائد) فقد اشتمل على قصيدة (درة التاج ص ١ ، ٢) يمدح فيها الملك سعود في ملكه وحكمه ، وقصيدة (البيعة ص ٣ ، ٥) يمدح فيها الملك سعود وولي عهده الفيصل ، وقصيدة (خطاب العرش ص ٦ ، ٧) يمدح فيها ملوك العرش السعودي ، وقصيدة (وعد ملكي كريم ص ٨ ، ٩) يمدح الملك سعود رحمه الله تعالى .

وأما المدح في ديوانه (الأغاريد) نجده في قصيدة (أجنحة التاريخ ص ٤ ، ٥) ، وقصيدة (وردة ص ٨٩ - ٩٢) مهداة للشاعر الكبير عبد القدوس الأنصاري ، وقصيدة (سوزان ص ٩٣ - ٩٦) مهداة للشاعر عبد الله القرشي تحية لديوانه (سوزان) ، وكذلك (نشيد الجيش العربي السعودي ص ٩٧ ، ٩٩) ، وقصيدة (لم يفتك القطار ص ١٠٠ - ١٠٢) مهداة لصديقه الأستاذ شكيب الأموي .

وأما ديوانه (أزاهير) فقد ضم قصيدة (الليل الحيران ص ١٧ - ١٩) مهداة الى سمو الأمير عبد الله الفيصل ، وقصيدة (من شعاع القناديل ص ٢٤ ، ٢٥) مهداة الى الشاعر الكبير الأستاذ أحمد قنديل ، تحية لروحها الشاعرة ، وفكاهته الساحرة .

وأما ديوانه (الينابيع) فنجد قصيدة (لقاء القائد بالشعب ص ٤٥ ، ٤٦) ، وقصيدة (البحر الأخضر ص ٦٧ - ٧٠) تحية وتهنئة ، مهداة لصديقه الشاعر محمد حسن عواد بمناسبة انتخابه عضوا بالمجلس الأعلى للعلوم والآداب والفنون ، ورد عليها العواد بقصيدة يمدح فيها السنوسي بعنوان (مواطن العطاء في الانسان) يقول في مطلعها :

والوشى جاء منمقا ومنمما	والظرف طالعنا بها متيسما
واللمس كان موشحا والحسن كان	مصرحا واللفظ كان مسلما
غرا من جيزان يرقصها النهى	تيها ويمنعها الحياء تقدما
أ (محمد بن على) العالى الذرى	نسبا سلمت إذا ابن آدم سلما ^(١)

وأما ديوانه (نفحات الجنوب) فقد ضم قصيدة (نايف في جازان ص ٤٤ - ٥١) استقبل بها السنوسي سمو الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية لمنطقة جازان ، للتعرف على مطالبها واحتياجاتها ، في شعبان ١٣٩٨ هـ ، ومنها :

لك يا صاحب السمو مواقف	أنت فيها ملء النهى والعواطف
كان عبد العزيز يرنو بنور الله	لما ولدت سماك نايف

(١) جريدة البلاد بتاريخ ١٧/١١/١٣٩٤ هـ

غمرت بالشذى الشواطىء والأرياف
 تحملت فى سبيل الرعايا
 وهكذا كل حاكم مستنير
 قالها قبل أن أقول أبو حفص
 أنا لو ضاع فى العراق بعير
 إلى قوله :

إن جازان سلة الخبز ما زالت
 قيدت خطوات وثلت قواها
 فلماذا جازان يبدو محياها
 وهى أم الحقول والزررع
 وهى مرسى الجنوب تكتظ بالتفريغ
 نحن فى عصر نهضة وانطلاق
 وحرى بأمة أنت منها

تعانى عواقبنا وصوارف
 فهى ظمأى وأنت كاللغيث وأكف
 كئيبا وثرها الحلو كاشف
 وبنيت السيول طام وجارف
 والشحن من تليد وطارف
 عزمها للصعب والصخر ناسف
 أن تراها على السحاب نوائف^(١)

وقصيدة (رشة عطر ص ٧٥ ، ٧٦) أهداها السنوسى لأخيه غازى القصيبي ، تحية
 لهديته النفيسة ديوانه (أبيات غزل) فى عام ١٣٩٦ هـ ، وقصيدة (ضياء الدين رجب) ،
 لكنها أئين وأسى من خلال مدح السنوسى له .

والمدح فى شعر السنوسى اصطبغ بصبغة طريفة ، وارتدى ثوبا جديدا ، فلم تغلب عليه
 النزعة الفردية ، ولم تسيطر فيه عناصر المدح القديمة الشخصية ، فالممدوح كالهزير لا يشق له
 غبار سيفه بتار ، وكالبجر جودا ، وكالشمس رفعة ، والقمر ضياء ، يفك العانى ، ويعفو عن
 الجانى ، وهو الكريم الشجاع الهمام ، ذو المروءة ، والنجدة ، وسليل المجد والرفعة والشرف ،
 وهكذا مما استغرق فيه الشعراء القدامى .

لكن السنوسى لم يسلك هذا الطريق من المدح ، بل كان المدح عنده يأخذ اتجاهاين :

أحدهما : المدح للملوك والقادة ، ولم ينهج فيه منهج السابقين من المدح الفردي
 والشخصى ، وإنما خرج عنه ، وجعله مدحا اجتماعيا لا شخصيا وتمجيدا للقيم والمبادئ المتمثلة
 فى الممدوح لا ثناء على الفرد وحده بصفاته الذاتية ، ليقوم المدح عنده على المشاركة بين
 الممدوح وبين شعبه ورعيته ، وهو شعور متجاوب بين الحاكم والمحكوم فى بناء الوطن الحبيب ،
 وهكذا السنوسى كان فى مدحه للملك عبد العزيز طيب الله ثراه ، وابنه الملك سعود فى القلائد ،

(١) نفحات الجنوب : ٥١/٤٤

ومدحه للملك فيصل بن عبد العزيز رحمه الله تعالى في قصيدته (لقاء القائد بالشعب) يقول
فيها :

يا أبا خالد يحبيك شعب أنت أعطيته الرعاية والعطف
أنت أعطيته السعادة والعز أنت حققت حلمه وأمانيه
كل يوم لنا ابتهاج وعيد أى شعر يوفيك حقلك والشعر
أنت فوق القصيد فوق الأناشيد غير أن الشعور يتخذ الشعر
وإذا الروض جاده القطر عشت يا فيصل العروبة للشعب

جبه فيك قد أذاب فؤاده فأعطاك قلبه ووداده
فأعطاك مخلصا أكباده وحسدت بالفعل مراده
بأياديك نهضة وإشاده عيى وإن أجاد جواده
خلالا وعزة ومجاده سيلا الى العلا مستجاده
غنى كل طير ورغرت كل غادة إماما وفى يديك القيادة^(١)

وأشاد السنوسى بالملك فيصل في قصائد كثيرة ذكرتها في مكانها من الغرض الأول وهو الشعر الاسلامى ، لأننى رأيت فيصلا فيها قد أصبح شخصية عالمية ، وزعامة اسلامية كبرى ، ذابت فيها فرديته في قضايا الأمة الاسلامية ومبادئها السامية ، فأصبحت هذه القصائد ، لا تمجد شخصه ، وإنما هى تصوير لواقعنا الاسلامى والعربى ، وتعبير عن مبادئ التشريع الاسلامى ، فخرجت عندى بذلك على قصائد المدح المعروف ، والتي دخلت فيها القصيدة السابقة (لقاء القائد بالشعب) لأنها أدخلت في باب المدح ، لكنها مع ذلك ليست مدحا فرديا لكنه مدح تجاوزت فيه أصدقاء الراعى مع الرعاية يتمسكون جميعا بالقيم والمبادئ في سبيل نهضة بلادهم ووطنهم السعودى ، فهو مدح جديد وهو (المدح الاجتماعى) .

ولست مع الدكتور بكرى شيخ أمين في أن السنوسى كان معظم شعره في الغزل والمدح كسائر الشعراء في عصره فيقول ما نصه :

« فريق من الشعراء انحاز الى الموضوعات التقليدية فكانت معظم قصائده في الغزل أو المدح أو في غيرهما كابن عثيمين ، وعبد الله الفيصل ، وغادة الصحراء ، ومحمد بن على السنوسى ، وفؤاد شاكر ، وأحمد الغزوى ، وأحمد جمال^(٢) .

والسنوسى ليس كذلك ، فقد رأينا أن معظم الأغراض عنده غلب عليها غرض الشعر

(١) الينابيع : ص ٤٥/٤٦

(٢) الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية : ص ٢٧٤/٢٧٥

الاسلامى ، ولم يكن عنده غزل بالمعنى التقليدى الذى ذكره ، ولكن غزله صبه الشاعر فى شعر وجدانى تأملى جديد وكذلك المدح لم يكن تقليديا كما قرنه بغيره من الشعراء ، بل صبغ مدحه بصبغة جديدة فى ثوب طريف وهو المدح الاجتماعى لا الفردى .

ثانيهما : والاتجاه الآخر فى مدحه جديد كله ، فى طريقة عرضه وفى موضوعه ، وفى طريقة أدائه ، وفى مزجه بالطبيعة ومظاهر الحياة ، فهو مدح للعلم والشعر فى ذات عالم وذات شاعر ، أخذ إطاراً محدوداً محلياً ووطنياً ، لا إطاراً عالمياً حضارياً كما سنرى فى غرض الشاعر أطلقت عليه شعر الحضارة والعلم وسيأتى بعد ، ومن شعره فى هذا الاتجاه الثانى قصيدة (البلبل الحيران) التى أهداها الشاعر إلى صاحب السمو الملكى الأمير الشاعر المبدع (عبد الله الفيصل) قال^(١) .

رب لحن جماله لا يبيدُ	صاغه للقلوب قلب عميدُ
نحسد الطير فى رباها ولا	نعلم ماذا يكابد الغريد
ووراء السنا فؤاد شقى	ووراء الدجى فؤاد سعيد
قلت للصادح المرفرف فى	الروض علام الأنين والتسهيد
ولك الظل والشذى والأزاهير	نشاوى يحلو بين الوجود
والزلال التميمير والنور	والنبع صافيا والورود
والندى والنسيم والأفق الطليق	ورحب من الفضاء مديد
والندى والنسيم والأفق الطليق	ورحب من الفضاء مديد
وسماء كما تشاء وآفاق	كما تشتهى وكيف تريد
ولك الأمس مشرق يملأ النفس	جلالا واليوم زاه مجيد
فشدا شاكيا وردد صوتا	عبقريا له جمال فريد
ماج فى رجة السكون وفا	ضت فى معانيه روعة وخلود
كان (وحى الحرمان) من	فيضه السمح ومنه أنغامه والقصيد
فى طراز من البيان رشيق	لا غموض فيه ولا تعقيد
فى ثغور الحسان منه أغاريد	ومنه على النحور عقود
وله فى فم المغنى أناشيد	وفى عوده له تغريد
وهو كالماء سلسيلا وكالنور	صقيلا قديمه والجديد

(١) رداً على قصيدته (حية) التى أهداها إلى الشاعر السنوسى فى جريدة البلاد - عدد ٢٩٣٠ بتاريخ

١٣٨٨/٧/٨ هـ ومطلعها :

أنا فى حية أموت وأحييا كل يوم وأدعى فى شهود

كان (ابن المعتز) يعتز بالشعب وإن رفرت عليه البنود
ومضى واسمه يردده التاريخ لحنا يزينه التردد
وحياة هنا أجل وأبقى يا أمير العلاء رعتك السعود

فالسنوسى هنا لا يمدح سمو الأمير الشاعر بصفات المدح التقليدية المشهورة عند الشعراء
القدامى ، ولكنه يمدح عبقرته الشعرية ، وإلهامه الأدبى فى القصيد ، فالشعر الجميل لا يبىد ،
لأن عميد الشعر صاغه للقلوب من وحى عبقرته ، التى امتزجت بالطبيعة والحياة ، فهى خير
وسيلة للوحى والاهام ، لأننا لا ندرى لغة التفريد عند الطيور ، ولا ما وراء السنا ، ولا فى حنايا
الظلام والظل ، والشذى والأزاهير ، والزلال التميز والنور والنوار ، والنبع الصافى ، والندى والنسيم ،
والأفق الطليق ، والفضاء الواسع ، والماء والآفاق ، والأمس المشرق ، والنهار الصافى ... لا ندرى
ما وراء ذلك ، لكن (وحى الحرمان) صور كل ذلك من فيض الشاعر السمع ، وأنغامه فى
بيان رشيق ، لا غموض فيه ولا تعقيد ، فأصبح فى ثغور الفاتنات أغانى وأناشيد ، وعلى نحوهم
عقود وآلىء ، وفى الحياة كان ماء عذبا سلسيلا ، ونورا مشرقا مصقولا ، لأنه لحن الخلود ،
الذى ييقى يردده التاريخ ، كما رددته من قبل ألحان الخليفة الشاعر (ابن المعتز) ، يرن صداه
خالدا فى جنبات الخلود .

وأظنك أت معى الآن فيما اتجهت اليه ، وهو أن هذا المدح جديد فى أسلوبه ومنهجه ،
حيث تقمص مظاهر الطبيعة ، لتعبر بوحيا كما يهدف الشاعر ، ولها من الايحاء والألغاز والأسرار
ما يبهى العقل ، ويستبد بالقلب ، ومن وحى الطبيعة وأسرارها كان ديوان الشاعر (وحى
الحرمان) ، وليس فيه نبرة من مقومات المدح القديم ، اللهم إلا أن الشاعر شبه الملوك بالملوك ،
شبه الأمير عبد الله الفيصل بالأمير العباسى عبد الله بن المعتز ، إن كلا منهما ملك شاعر سطر
التاريخ لهما الخلود بشعرهما وإبداعهما الفنى .

ومن شعر المدح للسنوسى فى هذا الاتجاه قصيدة (من شعاع القناديل) التى أهداها
الشاعر إلى أخيه الشاعر الكبير أحمد قنديل يقول^(١) :

حلوة هذه القناديل حلوه	فترنم بها سرورا ونشوه
مرح أسر ولفظ ضحكوك	لطفه يجذب الكسائى نحوه
كلما تموج بالهزل والجند	وفى هزلها وفى الجند صحوه
تنطوى فى دعائها حكم الـ	عقل رقاقا بلا جفاء ونبوه
صاغها شاعر يرفرف كالطير	على نبعه ويختار صفوه
شعره مثل روحه رفة الزهـ	ر رواء ورنة العود غنوه

وكذلك قصيدته (وردة) التي أهداها إلى الأستاذ الكبير عبد القدوس الأنصارى تحية
لكتابه (تاريخ جدة) ومطلعها :

أضاف إلى سنا التاريخ جده كتاب صيغ في (تاريخ جده)
إلى قوله :

كتابك تحفة للتاريخ فنا
رفعت به الى الدنيا عروسا
تألق حسنها وأضياء حتى
ففاض على جوانبها غزيرا
وصفق قلبه الجياش شوقا
وغازل فى شواطئها الأمانى
وغرد للجمال وقد تجلى
بلغت أبا نبيه ذرى المعالى
ومن حمل اليراع وكان جلدا
وأسلوبيا وتحقيقا وجوده
لأعتاب مقدسة وسوده
أعاد شبابها للبحر مده
ومد ذراعاه خيرا وزنده
إلى ثغر الحجاز وهز قده
ترف نضارة وتموج رغه
يضم الروض سوسنه وزنده
بنفس للمعالى مستعده
على تبعاته أعطاه مجده^(١)

وفى هذه القصيدة يمدح السنوسى العلم والتاريخ فى شخص العالم المؤرخ ، لا على طريقة
المداحين المقلدين للقدمات ، ولكن فى نهج جديد ، وأسلوب طريف ، فكتاب الأنصارى تحفة فى
التاريخ أسلوبيا وتحقيقا وجوده ، وعروس زفت الى الدنيا على أبواب الأرض المقدسة الطاهرة ، وفى
حصن من حصونها ، فأشرق جمالها على الحياة ، وأعدت للبحر سيادته وقوته ، ففاض غزيرا على
جوانبه ، يصفق قلبه شوقا الى ثغر الحجاز فى رقصات رشيقة ودلال مع الشواطىء ، يرف
نضارة ، ويموج ثراء ، ويعزف أوتارالجمال ، فتهتز الأزهار والسوسن طربا وشوقا ، لأن كتابه قد
بلغ المعالى ، بهمته العالية ، ومنحه التاريخ مجدا وخلودا .

لا تجد وصفا من أوصاف المدح التقليدى فى هذه الأبيات التى اقتصرت عليها ، وبقية
القصيدة التى تسير على هذا النهج والأسلوب والطريقة الجديدة فى المدح والثناء .

وكذلك مثل قصيدة (سوزان) فهى كما يقول السنوسى باقة من شعور كريم ... مهداة
للصديق الشاعر حسن عبد الله القرشى تحية لديوان (سوزان) ومطلعها :

(سوزان) هذا الاسم من ركبه يا ما أحيلاه وما أعذبه
من ذوب السكر فى جرسه فذاب حتى كدت أشربه

وهكذا الى آخر القصيدة ، وكذلك قصيدته (البحر الأخضر) مهداة للصديق الشاعر محمد حسن عواد ومطلعها :

الأرض يجيها السحاب إذا همر ويجيها قلبا وينطقها فما(١)

وهكذا في قصائد كثيرة وردت في الينابيع والأغاريد والأزاهير والقلائد ، تسير على هذا النمط من المدح في ثوب طريف واتجاه جديد .

خامسا - الشعر الاجتماعي :

وهذا الغرض لا نستطيع أن نحكم عليه بأنه غرض أدبي قديم بل هذا الغرض لابد أن يكون جديدا ، لأنه يصور المجتمع الذي يخالطه الشاعر ، ولاشك أن هذا المجتمع يختلف عن المجتمعات التي سبقتة بما يتناسب مع المرحلة التاريخية ، التي يعيشها الانسان ، فإنسان اليوم الاجتماعي غيوره بالأمس ، والمجتمع في المستقبل يختلف كثيرا ، لأنه يمثل مرحلة تاريخية تابعة من عصره ومجتمعه ، ولذلك كان هذا الغرض جديداً في أسلوبه ونهجه ومعانيه وموضوعاته .

وجاء هذا الغرض في بعض دواوينه مثل قصيدة (صورة شعرية ص ٤٤ ، ٤٦) (٢) ، وقصيدة (اليتيم السعيد) (٣) ، وقصيدة (أتمنى) (٤) ، وقصيدة (لكل صابون ليفة) (٥) ، وقصيدة (كوكب الشرق) (٦) .

وفي (صورة شعرية) يقول السنوسي في مقدمتها : (مهداة الى كل وزير في بلادى الفتية) منها :

يا معالى الوزير إن الوزاره	علم رائع السنأ بل مناره
يرقب الشعب نورها وصدأها	أينما حل ليله ونهاره
مثل ما ترقب المراسد نجما	تجلى نوره وترعى مداره
ومن الشعب تستمد المعالى	ما لها من جلاله ونضاره

(١) الينابيع : ٦٧/٦٩

(٢) الأغاريد : ٤٤/٤٦

(٣) الأغاريد : ٨٦/٨٨

(٤) أزاهير : ٩/١٢

(٥) أزاهير : ١٣/١٤

(٦) الينابيع : ٨٧/٨٩

والوزير العظيم يحضن الشعب	ب وآماله ويلقى دثاره
يتبنى أحلامه وأمانيه	بروح قوية جواره
يسهر الليل كي يحقق رؤيا	قومه فى تقدم وحضاره
واضعاً عينه على كل فرع	وجهاز وشعبه واداره
يتقصى ويستحث ويوصى	وبهز الكراسى الدواره
ويمد الموظفين بروح	منه وهاجة تشع حراره

وهكذا الى آخر القصيدة ، التى يصور فيها كل وزير فى أى بلد كان ، ولا فى تصويره ما يشير الى الحدود الوطنية ، ولا الى بلد معين ، بل جعل صورته الشعرية الى كل مسؤول وزيرا كان أو غيره ، فى تصوير عام يشمل كل من يتحمل مسؤولية الشعب ، وينوب عن المجتمع فى كل مشاكله ويسهر على راحته ، ليحقق آماله وأمانيه ، ويدفع الأذى عنه ، ويفرض التأخر والرجعية ، وذلك بروحه القوية الجبارة ، ويمدده البناء الوهاج ، حتى يدفع أمته قدما الى الأمام ، لترقى الى مدارج الرقى والحضارة .

وهذا تصوير اجتماعى لكل وزير ، بل لكل مسؤول فى أى موقع من مواقع العمل والانتاج ، فى أى بقعة من بقاع العالم ، ولذلك احتل شعره الاجتماعى مركزا عالميا ، فهو شعر انسانى عالمى بروح اسلامية عالمية ، تحب الخير للانسان فى أى مكان ، فكان السنوسى الشاعر السعودى الوحيد التى ترجمت قصائده الى لغة أوروبية ، ولعل هذا الجانب الانسانى الاسلامى العالمى فى شعره هو الدافع الأساسى لانتشار شعره فى العالم الغربى بلغة أخرى غير لغته العربية .

ومن روائع شعره الاجتماعى قصيدته (اليتيم السعيد) (١) :

راح يزهو عليه ثوب جديد	وعلى ثغره ابتسام سعيد
(برعم) من براعم الجيل مازا	ل طريا غصينه الأملود
أيقظته أشعة (العيد) ينسا	ب على الكون فجرها المولود
فصحا تشرق البراءة فى عي	نيه والظهر والرضا والسعود
هب من نومه يغنى كما غنى	على الأيك بلبل غريد
وارتدى ثوبه القشيب وهزت	قلبه الطاهر النقى البرود
فمضى يملأ الشوارع رقصا	وغناء يفيض منه الوجود
مرحاً فى طفولة يستحب الر	قص منها ويستلذ النشيد

(١) الأغاريد : ٨٦/٨٨

مرّ من جانبى يزقزق (كالعصفور) فى كل خطوة تغريد
فهفت مهجتى إليه حنانا أبويا يضمه ويزيد
وتأملته مليا وفى قلبى سؤال به لسانى يميد
وسألت الوليد فى نشوة العيد قد سر بالسؤال الوليد
أين من أنت يا بنى ؟ وأصغيت إليه وبى اشتياق شديد
فرنا باسمنا إلى بعين شاع فى لحظى الجواب السديد
أنا يا سيدى يتيم ولكنى (سعيد) لا بائس أو شريد
سكنى وارف ومائى مسكو ب وزادى مرفه منضود
وفؤادى تربة من يد العلى م يدبره وقلب ودود
فانتشى قلبى المغرد وانثا لت قوافيه واستفاض القصيد

صورة شعرية طريفة ، تجسدت فى تجربة شعرية عميقة وصادقة لكل يتيم ، لا فى شخص اليتيم الذى تسلطت عليه منافذ الادراك عند الشاعر أثناء التقاطه الصورة الحية النابضة ، فاليتيم صوره الشعراء قديما وحديثا ، ولكن السنوسى تميز عن غيره من الشعراء فى طريقة العرض ، ومعالجة الموضوع ، من أهم المميزات :

أولا : أقام الشاعر حوارا قصصيا بينه وبين اليتيم ، الذى خدعه عن اليتيم مظهره وشكله ، وصرفه عن الحقيقة فرحه وبهجته بالعيد ، حتى تورط الشاعر فى سؤال ، قد تكون عاقبته غير محمودة لو كان الولد يتيما بائسا شقيا ، لأن صورة اليتيم فى القصيدة تحرك فى إطار مجتمع مثالى ، يؤمن بواجبه نحو الضعفاء والمساكين ، فلا يرضون لأنفسهم أن يتجمد عضو مشلول فى جسد الأمة الواحدة التى توحد بينها صفة الانسانية والعلم والمعرفة ، وحينما يكون المجتمع كذلك ، يصير مجتمعا أخلاقيا مثاليا رفيعا ، لا تجد فيه بائسا ولا شقيا ، بل ترفرف على الجميع ألوية السعادة ونبود الحبور ، يقول اليتيم :

أنا يا سيدى يتيم ولكنى سعيد لا بائس أو شريد
سكنى وارف ومائى مسكو ب وزادى مرفه منضود

ثانيا : أن الشاعر جعل سبب الأسباب فى سعادة اليتيم لا ترجع إلى العطف والحنان ، ولا فى كفاية الزاد والكساء ، ولا فى بجمحة العيش والثراء ، وإنما ترجع الى العلم ، فهو وحده كفيل بتحقيق السعادة لليتيم ، فبالعلم والمعرفة تعمر القلوب والعقول ، فتفيض بالبر والخير والمودة والمحبة ، لأن العلم هو الغنى الحقيقى ، والثراء الدائم ، الذى يظل كنزا خالدًا لصاحبه .

والعلم والشريعة والقرآن يسمو باليتيم محمد ﷺ إلى شرف الرسالة ، فيكون خير البشر

جميعا وأشرفهم وأفضلهم عند الله عز وجل ، وعند الناس خلودا وبقاء وتشريعا ونورا ومعرفة واستقامة وبناء وتقدما وحضارة .

وفؤادى تربة من يد الع لم يدبره وقلب ودود
فانتشى قلبى المغرد وانثا لت قوافيه واستفاض القصيد

ومن شعره الاجتماعي أيضا قصيدته (أتمنى) ومطلعها^(١) :

أتمنى أننى لا أتمنى فلقد بت بآمالى معنى
المنى يا للمنى من زورق مارسا يوما ولا نحن وصلنا

يصور صديقا ، يتمنى له موفور السعادة وراحة البال ورضى النفس ، لأنه يطوى بين أحشائه قلبا فاسدا ، وصدرا يغتلى حقدا ، ونفسا تفيض حسرة وألما ، وفكرا محموما بالبعض والكراهية .

ثم يتمنى لعدوه أن يصره الله بالحق ، وأن يدير يديه لا بالسلاح والنار ، ولكن بالدليل والعقل والبرهان ، وإلا كان فظا غليظ القلب ، جهولا لدودا .

ثم يتمنى لرئيسه حكمة وللمرؤوسين نشاطا وأمانة ، كل يؤدى واجبه ، مهما كان الانسان مظلوما .

ثم يتمنى لوليدته أن ينشأ نشأة صالحة مثله ، ينزع فى شبابه عن إجلال وحب ورياسة مترفعا عن صغائر الأمور ، عاشقا للمعاني النبيلة والأخلاق السامية .

وفى المقطع الأخير يتمنى لمجتمعه أن يكون رائد الفكر قوى المشاعر ، ميقوظ الوجدان ، يرفض الزيف ، ويعشق المجد ، ويسمو إلى المعالى فى فكر أصيل ، ومنهج قويم ، وضمير حى طاهر ... يتمنى كل ذلك لكن الأمانى زورق تتلاعب به الأمواج وتعصف به الرياح ، ويرتطم بالصخور والعقبات عبر الأزمان والأجيال يقول فى المطلع الأخير :

أتمنى أن أرى مجتمعى لوذعى الفكر مصقول الشعور
يرفض الزيف نهاه ويرى وعيه اليقظان ما خلف القشور
يعشق المجد ويمشى للعلا مستقل الفكر شفاف الضمير
ألمنى يا للمنى من زورق لم يزل يجرى بنا عبر العصور

أما قصيدته (لكل صابون ليفة) يصور فيها (النفاق والمنافق) فى أشبع صورة ، وأقبح

(١) أزاهير : ص ٩ وما بعدها

منظر ، فهو كالحرباء ، يتلون حسب أغراضه وحاجاته بألوان كثيرة ، بل الحرباء قد استحيت منه ، لأنه قد بلغ في طبعه المر ، وخداعه العلقم ، ونفاقه اللاذع حداً ، اندفع به إلى مواطن الخزي والاعتداء ، حين أخذ المناق مكان الحرباء ودورها ليؤدى وظيفتها التى خلقت من أجلها (وخلق كل شىء فقدره تقديراً) ، (إنا كل شىء خلقناه بقدر) ... يقول السنوسى (١) :

أصدقائى أم أصدقاء الوظيفة	أتم يا ذوى النفوس الضعيفه
الأولى تهمزون بالمثل العليا	وتلهون بالمعاني الشريفه
بسمات ملونات وأحلاق	وصوليبة غلاظ سخيغه
ونفاق ملون تخجل الحرباء	منه فتنشى مكسوفه
تتدلى وتستكين وتنمعا	وتغدو لكل صابونة ليفه
فاذا ولت الوظيفة ولوا	وأثاروا عليك حربا عنيفه
خلق يشمئز منه كريم النفس	والطبع والخصال المنيفه
يا لنفسى من أنفس تقذف الحجر	عداء من الثياب النظيفه
وعلى كل جانب من قذاها	قذر يزكم الأنوف وجيفه
خضت فى بحرها وكنت غريرا	فطفلا موجها وكانت حصيفه
أوجه كالبلال لا تنبت الزهر	وإن كانت المياه كنيفه
وقلوب مثل الكهوف ظلاما	والضحى يغمر الوجود مخيفه
غير أنى وإن تألم قلبى	فهو ما زال كالظلال الوريغه
لست خبا والخب قد يخدع	البّر وهذه حكاية معروفه

★ ★ ★

سادسا : شعر الحضارة الحديثة :

ومن الأغراض الجديدة فى شعر السنوسى ، ما أنشده فى التقدم العلمى والأدبى الحديث ، ومظاهر الحضارة المعاصرة ، فيصور هذا التقدم من خلال مشاعره وخواطره ، فى تجربة شعورية مشحونة بالعاطفة القوية التى تجاوزت مع أحداث عصره ، واستجابت لوسائل التقدم الحضارى ، فأخذت موقعها من شعره ، بعد أن أخذت مواقعها من حياتنا كلها العملية والنظرية على السواء ، فالشعر القوى النابض والصادق هو قطعة من الحياة التى يعانى تجربتها الشاعر ، ومقطع من شريط الدنيا له منزلة كبيرة بمقدار ما يسهم فى تطور الحياة ويشارك فى بناء حضارتها كجزء من أجزاء التاريخ البشرى إلى أن يقضى الله أمرا كان مفعولا .

(١) أزاهير : ص ١٤/١٣

فأما الديوان الأول (القلائد) فنجد قصيدة (فى موكب الفن ص ٤٢ - ٥١) يـصـور فيها السنوسى شخصيات رواد الألب الخالد ، تقديرا لفنهم الشعرى الذى يمثل حضارة الأدب السعودى المعاصر ، وكانت هذه الندوة فى هذه المرة فى دار الأستاذ عبد القدوس الأنصارى صاحب مجلة المنهل تكريما للسنوسى فى ١٣٧٦/٦/٢ هـ وفيها كوكبة من شعراء الألب وأديائه سبق ذكرهم ، وقصيدة (أحمد أمين العالم والأديب المصرى الكبير ص ٨٨ - ٩٥) يسمو بما قدمه الرجل للعلم والأدب والنقد فى عصره ، وهذه أبيات منها :

ثمن المجد أن تعيش غريبا	فيلسوبا أو شاعرا أو أديبا
تتحدى عواصف الفكر والرأى	وتلقى سلم النهى والخطوبا
يا حياة كانت على العلم أركى	من حياة الربيع خصبا وطيبا
فجرت فى مسارب الكون نبعنا	وهى تستقطر الحياة حبوبا
(فجرها) و (الضحى) على الأفق	العلمى مجدا يخلدان الغروبا
حملت من رسالة الفكر نورا	ومضت تشر اللواء القشيبا
تستثير الحقول من كل فن	من فنون النهى وتحى الجديبا
دقة العالم الذى يزن اللفظ	ويستخلص النضار المشوبا
وخيال الأديب وهو شعور	جنحت روحه وهبت هبوبا
أبها الباحث المجدد للشرق	تراثا يحى النهى والقلوبا
عجب هذه الحياة وسر	أعجز العلم كشفه والطيبا
فى رحاب الوجود تحتل ذكراك	مكاننا من الخلود رغبيا
عاليا عاليا تمر به الأيام حسرى	والدهر يمشى دبيبا(١)

وقصيدة (المنهل ص ١٧٩ - ١٨٦) بمناسبة اليوبيل الفضى للمجلة وما شاركت به فى بناء حضارة المملكة فى الفكر والأدب ، وقصيدة (مولد النور ص ١٩٧ - ٢٠٣) بمناسبة افتتاح محطة الكهرباء بجازان فى الليلة الأولى من شهر ذى القعدة عام ١٣٧٨ هـ ومنها :

قلت ماذا أرى وقد برق النور	ولم ترتجز هناك بروق
تتسامى إلى الفضاء ويعلو	كعمود الصباح منها العمود
تتدل بها المصابيح (كالطلح)	على كل (قائم) عنقود
لا فتيل ولا ذبال ولا شمع	فماذا إذن وكيف الرقود
هست كهرباؤنا وأجابست	وعلى ثغرها المشح نشيد

والعلم حاكم لا يجيد
نورا مطفئاً ما تريد
ومن قوة حواها الحديد
وما فوقها لمن يستفيد
عقول عظيمة وجهود
في رموز لها جمال فريد
شادها سيد البلاد سعود
والهاتفات والتعبيد
والانطلاق والتشييد
والملك وما روتيه الجدود
تبدي حديثها وتعيد
(قيصر) في جلاله و (الرشيد)
هارون ولا سار في القطار (الوليد)
وعلى الشمع كان يقرأ (يزيد)
نورا لا يعتريه الخمود
الأفلاك سيارة مداها بعيد
وتهاوت حواجز وحدود
والآلات والفن سيد ومسود
الينابيع كل يوم تزيد
ولا ضاق بالحياة (ليبد)^(١)

إننى شلة تحكم فى العلم
موقدا ما تشاء منى إذا أحببت
أنا من (طاقة) يولدها الماء
جل من سخر السموات والأرض
إن (فلتا) وإن (واتا) و (أمبيراً)
تلك أسماؤهم تشير إليهم
أى عصر هذا وأية دنيا
المطارات والقطارات والأضواء
والرق الحديث والعمل البناء
قد قرأنا عن الحضارة والعمران
واستمعنا إلى التاريخ والأسفار
ورأينا حضارة ما رآها
إى ورى لم يركب (التكسى)
سهر الليل بالقناديل كسرى
أين تلك العصور من عصرنا العلمى
ويصوغ الأقمار تجرى مع
خضعت للورى المسافات فيه
وتساوى بنعمة العلم
وجرت هذه الحياة كما تجرى
لو رآها (ليبد) ما ستم الدنيا

وهكذا إلى آخر القصيد من مطلعها حتى نهايتها تصور حضارة العلم الحديث وما قدمه
لل بشرية من وسائل التقدم والرقى التى لا تحتاج إلى جهد فى أناقة ورقة وانتظام فقد تعددت
وسائل الحضارة فى القصيدة التى تفجرت عن الكهرباء وهى التكسى والقطار ، والهاتف والمطار
والطيران وتعبيد الطرق وتشبيد العمارات والمؤسسات ، والأقمار الصناعية العابرة للقارات
والمحيطات ، والطاقة والذرة ، والآلات والمعدات الحديثة ، وغيرها من وسائل التقدم العلمى
والحضارى فى تصوير أدنى رائع وخيال خصب موفور وأفكار عميقة رحبة وصور شعرية غزيرة
بالأضواء والألوان والظلال ، والإيجاء والأشعة التى تخطف الأبصار ويغوص فى أعماقها
العقل — عقول عظيمة وجهود — فى رموز لها جمال فريد ، والرموز هى
(الفولت — الوات — الامبير) . أى عصر هذا وأية دنيا !!!

(١) القلائد : ٢٠٣/١٩٧

وقصيدة (جامعة سعود ص ٢١٢ - ٢١٩) التي توارت وراء جامعة الرياض حينما ، ليعود سعود إليها كما كانت من قبل جامعة الملك سعود بعد خمس وعشرين عاما من افتتاحها وذلك في الاحتفال باليوبيل الفضي لها في عام ١٤٠٢ هـ ، ومطلعها :

العلم أقوى سلاح في يد الأمم فاصرع به الجهل تحيا خافق العلم
واملاً حجاجك به نورا فإن له فجرا من الحق يجلو كل مبهم
وجددوا عزة الأجداد وإنكمو أحفاد قوم محو أمية الأمم
كانوا أساتذة الدنيا وسادتها في الحرب والسلم والتشريع والنظم^(١)

وأما الحضارة في (الأعراب) في قصيدة (طموح ص ٥١ - ٥٣) ، وقصيدة (إلى غزاة الفضاء) ، ومنها^(٢) :

عيشوا على الأرض أجبابا وإخوانا ونسقوها أزاهيرا وربحانا
وظهروها من الأحقاد واتخذوا طريقكم في سبيل الحق أعوانا
وانفقوا ذهب الدنيا وفضتها للخير والبر أرواحا وأبدانا
وانقذوها من الوحش الذي ابتليت به الحضارة آمادا وأزمانا
وامشوا على ظهرها هونا فما برحت تحس في خطوكم بغيا وعدوانا
ليس الحضارة (صاروخا) و (قنبلة) ولا التمدن (أقمارا) و (أفرانا)
إن الحضارة أسماها وأرفعها أن تحسن المشي فوق الأرض إنسانا
إلى قوله :

(محمد) رائد الدنيا وقائدها إلى المحبة أجناسا وألوانا
شريعة كشعاع الشمس نيرة الناس في ظلها كالمشط أسنانا
فأنت إليها شعوب الأرض واعتصمت بجبلها وسمت أمنا وإيماننا
من المدينة من أطواها انطلقت لا من (نيورك) ولا (موسكو) وإيفانا
(مدينة النور) عاد النور منطلقا من لا يتيك قويا مثل ما كانا

وفي (أزاهير) من الحضارة العلمية (رحلة القمر ص ٢٦ ، ٢٩) ، وفي (الينابيع)
قصيدة (تحية المعهد العلمي ص ٨٥ ، ٨٦) ، وفي (نفحات الجنوب) قصيدة (جزيري ص
٢٣ ، ٩) في عام ١٣٩٧ هـ ، وقصيدة (على آلة التلفاز ص ٧١ ، ٧٤) في عام
١٣٩٧ هـ ومطلعها :

(١) القلائد : ٢١٩/٢١٢

(٢) الأعراب : ٧٦/٧٣

على آلة (التلفاز) للفن ألوان
 ضغطت على أزراره فتألفت
 روائع علم أتقن العقل صنعها
 رأيت بها من صحن بيتي عولما
 لقيت بها صحبي وبينى وبينهم
 بها ابتمت أبها وأشرق جازان
 بشاشته البيضاء حور وولدان
 وكم رفع الانسان علم وإيمان
 تظالعتى والجو برق وهتان
 مسافات أبعاد طوال وأزمان^(١)

وقصيدة (المنهل في عامه الثاني والأربعين ص ٧٧ - ٧٩) في عام ١٣٩٧ هـ ،
 باعتبارها تؤدي رسالتها العلمية والأدبية والحضارية ، في اثنين وأربعين عاما مضت عليها ، وقصيدة
 (هموم الحياة ص ٩٢ - ٩٤) يصور فيها الحضارات المعاصرة ، من فلسفات شيوعية
 ورأسمالية ، وكيف هوت وسقطت أمام حضارة الاسلام ، وفموخها في كل عصر ، فالسكينة
 والنور واليقين في الاسلام ، ومطلعها :

يا هموم الحياة إن فؤادي
 إننى في سكينة من هدى الدين
 كتب الله لى حياتى ورزقى
 من (شيوعية) يصير بها الانسان
 و (رأسمالية) يزيد بها الانسان
 أنا آمنت بالذى خلق الكون
 لا يباليك فاقصرى أو تهادى
 ونور اليقين ذخرى وزادى
 فتتحى يا (فلسفات) العباد
 ترسا فى آلهة الحداد
 بؤسا فى سعيه لازدياد
 وما فيه من هدى وفساد^(٢)

وقصيدة (على ضفاف دجلة) ألقاها الشاعر فى قاعة ابن النديم بمقر اتحاد الأدباء العرب
 ببغداد ، فى الملتقى الأدبى الذى أقامه الاتحاد تكريما لأعضاء الوفد الأدبى السعودى ، وكان
 السنوسى أحد أعضاء الوفد^(٣) .

أما قصيدة (العقاد العملاق) يقول فيها السنوسى ، منها :

عاش للفكر عيشة الزهاد
 ثروة ثرة من العلم والجهد
 علم تنتهى إليه ذرى الأ
 كان فى الشرق قلعة من قلاع ال
 وهو فى ثروة من الأجداد
 سم تجلى بها رفيع العماد
 علام والنابغين والبرواد
 فكر جبارة لصد الأعداد

(١) نفعات الجنوب : ٧٤/٧١

(٢) نفعات الجنوب : ٩٤/٩٢

(٣) نفعات الجنوب : ١١١/١٠٤

لم يكن ينحنى لغير جلال الح
 قلم رائع البيان وعقل
 إن أفاض الحديث قلت جرى
 وإذا أوجز الكلام ترامت
 وإذا ما عدا يوضح فهما
 وإذا ما مضى يجادل خصما
 حجة النابغين في أدب الضا
 كم له من يد على اللغة الفص
 تخمى في ذراه من كل أفا
 مات يا للمصاب .. الله .. إني
 لا لم يمت أبو (العقرياً
 ق والحق منطلق العقاد
 عبقرى ذو قوة واعتداد
 السيل وفاض العباب من كل واد
 قطرات الندى على الأوراد
 نشر النور في سواد المداد
 جاء برهانه كما الفجر هادى
 د ونبراس كل هاد وشاد
 حى وتاريخها تبرز الأيدى
 ك وترهو به على كل ناد
 لأحس الأسى يذيب فؤادى
 ت) النشاوى و (الترجمات) الجياد
 إلى قوله :

وأفاقوا على الحقيقة (والمد
 كان صوت العقاد يسهل من
 رحم الله ذلك الكاتب العملا
 ق) يهتز من فم رعاد
 فيه فأضحى صدى لذلك الجواد
 ق في كل مذهب واعتقاد^(١)

لا أظن أحدا يقول أن هذه القصيدة في رثاء العقاد ، فنبرات الحزن والأسى والدموع التى
 تسير فى ركاب الرثاء لا نحس بها هنا ، وإنما الذى نراه ونسمعه هى شموخ العقاد العملاق الذى
 ما زال خالدا فى التراث الحضارى من بعده ، الذى ملأ الأفق ، مما جعل السنوسى ينسى الغرض
 وهو الرثاء ، ويصور ما هو أهم وأجدى للبشرية ، وهو الأعمال الجبارة التى شيدها العقاد فى
 الفكر والعلم والأدب والفلسفة والاسلام واللغة الفصحى وسواها من موسوعات العقاد ، فى كل
 مذهب واعتقاد .

لهذا يا أخى لا تلمنى إن قلت إن هذه القصيدة وأمثالها التى تسير على نهجها مدحا أو
 رثاء هى أدخل فى غرض الحضارة لا فى غرض الرثاء ، كما لا أرضى أن تكون هذه مرحلة متطورة
 من مراحل تطور الرثاء ، لأن شعر الحضارة فى العصر الحديث ينبغى ألا يكون غرضا أدبيا تابعا
 بل يجب أن يكون غرضا أساسيا يقف شامحا بجوار الأغراض الأدبية الأخرى ، كيف لا ؟ وقد
 أصبحت وسائل التقدم الحضارى تسد الأفق ، وتسيطر على الحياة وتأخذ المنزلة الرفيعة فى قلوب
 الناس وعقولهم إنها ليست غرضا مستقلا فحسب بل هى أساس الأغراض ومصدرها ، وفى
 النهاية غرض الأغراض الأدبية الحديثة .

(١) الأعراب : ٦١/٥٨

ومثل هذا الغرض الجديد في شعر السنوسي يسمو بالشاعر إلى منزلة رفيعة بين شعراء العصر الحديث ، الذي يعيش مع عصره بعقله وقلبه ووجدانه وعاطفته وأدبه وتصويره الشعري .

سابعاً - الوصف :

والوصف من الأغراض الأدبية في شعر السنوسي ، نجد في ديوانه (الأغاريد) قصيدة (يا قلمي ص ٣٣ - ٣٥) ، وقصيدة (الكتاب ص ٦٩ - ٧٢) ، وفي (أزاهير) نجد قصيدة (الحصان المقيد ص ٧٢ ، ٧٣) يقول في (قلمي) :

هلم إلى يا قلمي	هلم فقد طغى ألمي
فأنت إذا أشرت يدي	وأنت إذا صرخت فمي
وأنت نجى آهاتني	وأناق ونبض دمي
وأنت إذا بكيت أسي	دموعي ففضن في كلمي
وأنت إذا صبوت هوي	وغنيت الهوى نغمي
وأنت ملاذ أمالي	إذا ضاقت بها هممي
أبتك ما أنوء به	من الأرزاء والنقم
فتصغى لي بلا ضجر	ولا ملل ولا سأم
حملتك في سبيل الحق	والآداب والقيم
وكنت وما أزال بها	رضيعا غير منقطم
أهيم بها وإن جرحت	منأى وحطمت حلمي
وأعشقها على الآلا	م والضراء والسقم
وأسرى في ظلام الدر	ب مرفوعا بها علمي
كما سار الدليل على	ضياء النجم في الظلم (١)

مع أن خصائص الوصف تقوم على تصوير ظواهر الأشياء من غير استبطان لأعماقها ، وتجاوب معها لهذا انصرف السنوسي عنه إلى الأغراض الحية النابضة ولم نجده إلا في ثلاث قصائد . لكن الشاعر تجاوب مع القلم وكأنه صديق له ونجى يناجيه ويث إليه آلامه فهو هواه ونغمه الشجي يشه همومه ، فيصغى إليه بلا سأم ولا ضجر ، وهو خير من يحمل الأمانة في سبيل الحق والعلم والآداب والقيم ، مهما لقي في سبيل ذلك من العنت والآلام وتجشم الضراء والأسقام ، يسير إلى غايته مرفوع الجبين في ظلام الليل وعقبات الحياة لتحقيق الهدف الواضح أمامه كوضوح النجم في الظلام الدامس .

(١) الأغاريد : ٣٥/٣٣

فالشاعر جعل من القلم شخصا يحس ويتألم ويتحمل الأمانة ويدافع عنها في سبيل الحق والقيم ، إنه إنسان عاقل له رسالة يؤديها في الحياة كالشاعر تماما ولولا أن القلم لا يدخل في مظاهر الطبيعة لقلنا بأن القصيدة من شعر الطبيعة لما فيها من تشخيص قوى نابض ، وهذه أهم سمات الوصف عند السنوسى .

ثامنا — الرثاء :

والرثاء هنا يسير على النمط التقليدى القديم غالبا ، على العكس من القصائد التى رثى بها الشاعر الملك فيصل فى (وافيصلاه) فقد غلب على القصيدة معالجة القضايا الاسلامية والعربية ، ولذلك أدخلتها فى غرض الشعر الاسلامى .

وكذلك قصيدة (العقاد العملاق) ، فقد أخضعها السنوسى بموهبته الشعرية وثقافته الواسعة إلى شعر الحضارة والفكر التقدمى المعاصر ، لذلك أدخلتها فى شعر الحضارة كما سبق .

أما غرض الرثاء فيظهر عنده فى (القلائد) مثل قصيدة (دمعة وفاء ص ٢٠٨ — ٢١١) فى ذكرى الفقيه محمد سعيد بامهير ، الذى كانت حياته فى جازان مثلا رائعا للتضحية فى سبيل الوطن ، ونموذجا ساميا من التفانى فى خدمة الصالح العام .

وقى (الينابيع) قصيدة (أبو حسن ص ٦٣ — ٦٦) يقول الشاعر فى مقدمتها (دمعة حزن وأنة أسى على فقيد الأدب والنبيل والشهامة والمعالي المرحوم الشيخ محمد سرور الصبان الذى وافته المنية فى القاهرة بتاريخ ١٣٩١/٢/٢ هـ) يقول :

(أبا حسن) لا الحزن يجدى ولا الدمع
 وإن كان فى قلبى لوقدهما لذع
 تصامت لما قيل مات (محمد)
 سرور قلوب كم به جبر الصدع
 فلما تبينت الحقيقة لم أجد ملاذا
 سوى ما سنه الله والشرع
 إلى الله إنا راجعون وكلنا سيذهب
 لا فرد سيقى ولا جمع
 أبا حسن ما العمر إلا مسافة
 من المهد حتى اللحد غايتها القطع
 مشيت إليها فى أناة وحكمة
 بخطو رصين لا غبار ولا نفع
 وكنت الجلى سيرة وشمائل
 بهم بها الرأى ويعشقها السمع
 مضيت كما يمضى الشجاع مخلفا
 وراءك ذكرا دونه الومض واللمع
 وأنت العصامى الذى شاد مجده
 بنفس لها فى كل مكرمة صنع
 تساميت حتى بات كل مثقف
 يجلك إجلال الهوى والهوى طبع
 يرى فىك أخلاق الكرام تجسمت
 ممثلة يزهو بها الأصل والفرع
 أبا حسن غاض السرور الذى جرى
 على كل قلب من تدفقه نبع
 وضوع روض كان فى كل مهجة
 بك اتصلت يندى بها النبت والزرع

وهكذا إلى نهاية القصيدة في وصف محاسن الممدوح الشخصية وشمائله التي اتصف بها في حياته ، وعصاميته التي شاد بها مجده وخلقه الكريم الذي يتسامى به الأصل والفرع ، وغيرها من الصفات ، التي لا يجدى على صاحبها الحزن ولا يرده الدمع ، ولا يجبر الصدع ، وليس أمام الانسان إلا أن يلوذ بربه ويرجع ، ويصبر ولا يجزع فالبقاء لله وحده سبحانه وهذه صفات فردية تتصل بشخص المرثى ، ولم يصورها الشاعر في قيم مطلقة بل كان الحزن في الرثاء يتجه إلى شخصه لا إلى الاشادة بالقيم وتمجيدها لذاتها ، كما في قصيدة رثاء الملك فيصل والعقاد وغيرها ، وعلى ذلك يكون هذا الغرض الأدبي من الأغراض القديمة التي سار فيها الشاعر على منهج القدماء في فن الرثاء .

تاسعا — الهجاء :

والهجاء عند السنوسى من الأغراض التي تناولها في شعره ، لكن في ثوب جديد يخرج عن الهجاء التقليدى عند القدماء ، لأن الشاعر لا يهجو شخصا بعينه ، ولا يهجو بألفاظ واضحة في السباب ، أو صريحة في الشتم ، فيهجو الانحراف الذى يخالف ما عليه المجتمع من تقاليد وعادات ، ويذم المتفصح الذى يخرج به عشاقه عن العرف السائد ، وذلك في قصيدته (القدر الفنان) يقول في مقدمتها : (رمزنا بها إلى بعض الشباب المتفصح) (١)

رأيتهُ وهو يمشى مشى فنان
يهز عطفيه إعجابا بجلته
في (بدلة) تبرز الأعطاف مائلة
فقلت ماذا أرى يا قوم هل مسخت
إني أرى بينكم قردا فكيف أرتى
فقال شيخ طريف الروح يعجبه
لا يا أحمى إنه (قرد) مثقفة
وسوف تسمع منه كل رائعة
(فكان ما كان مما لست أذكره)
فقلت للشيخ إعجابا بنكته
القرد قرد وإن رقت شمائله
تراه يرقص في جد وفي هزل
يلغو ويلهو ويأتى من عجائبه

كأنه فارس في وسط ميدان
ويمسح الشعر من آن إلى آن
أركانها وزواياها (كفستان)
طباع صحبى وإخوتى وأقرانى
وكيف ألبستموه لبس إنسان
حك الفكاهة في جد وإتقان
أخلاقه عبقرى الفكر والشان
من البيان المصفى والنهى البان
من الهراء ومن إسفاقه الدانى
وبالطرافة في أسلوبه القانى
وإن تعلم نطق الإنس والجان
ليضحك الناس منه مثل (طرزان)
بالمضحكات كأحلى قرد فنان

(١) أزهير : ١٦/١٥

فالسنوسى هنا ساخر أكثر منه هجاء ، وهجاؤه ليس على النهج التقليدى من التصريح بالمهجو حتى يلصق العار باسمه وشخصه ، ولم يتخذ ألفاظ السباب والقبح والفحش مادة لتصويره الأدبى ، وإذا اضطر إلى ذلك اكتفى بالتكنية والرمز والايحاء إلى ما يريد فى لفظ عف ، وتعبير غير مسف ، يترفع السنوسى عن ذكره فيقول مثلا (فكان ما كان مما لست أذكره) .

وكذلك فالشاعر أدار حوارا فى الهجاء بينه وبين شيخ صاحب تجربة وخبرة فى السخر والفكاهة ، ليفيض شعره بالحركة والحيوية ، ويكون أقدر على تصوير السخر وأوقع فى النفس .

وكذلك جعل الشاعر الهجاء فى قضية عامة ، طرحت على العرف السائد فى عادات قومه وتقاليدهم ، فهو يهجو القضية ذاتها ، ولا يهبط إلى هجاء شخص بعينه ولا إنسان باسمه ، وإنما يهجو صورة هذا التغيير ، ويسخر من ذلك التطور ، الذى خرج على عادات قومه وتقاليدهم .

والسخر أقوى من الهجاء فى الشعر ، بل هو المرحلة المهيبة من مراحل تطور الهجاء فى أدبنا العربى ، لأن الهجاء شتم وإقذاع للتشفى وردع الخصم بألفاظه المعروفة بلا حجة ولا تعليل ، فالمهجو هكذا أمره من الأوصاف الخبيثة مما لا يحتاج إلى برهان .

أما السخر فهو هجاء يقوم على المقدمات والأسباب ، ويستقر فى النفس عن تعليل وتدليل ، ويأخذ بالقلب والعقل معا عن حجة واقتناع .

وابن الرومى كان يمثل مرحلة التطور فى الهجاء العربى ، حيث تطور الهجاء على يديه فى بعض القصائد والمقطوعات إلى السخر ، وإن ابن الرومى قد برع فى الهجاء المكشوف ، والبذىء فى قصائد أخرى ، لكنه يعد أول شعراء العرب الذين نقلوا الهجاء إلى طور آخر أسمى منه وهو (السخر) ، وشعره الساخر اشتهر بين الأدباء والنقاد ومنه قوله فى البخيل :

يقتــــر عيسى على نفسه وليس بيباق ولا خالد
فلو يستطيع لتقتــــيه نفس من منخر واحد

ولقد ميزت بين الهجاء والسخر والضحك والعبث واللعب بصورة واضحة ، حتى لا اضطر إلى التكرار (١) .

عاشرا — الأناشيد :

للسنوسى مهارته الشعرية فى الأوزان الخفيفة العذبة السائرة ، والتوقعات الموسيقية ، التى تحمل المعانى الانسانية والوطنية ، والاسلامية ، فيتغننى بها أبناء الوطن لحفتها وعذوبتها ، وما تحمل

(١) البناء الفنى للصورة الأدبية فى شعر ابن الرومى : للمؤلف

من شحنات قومية ووطنية وإسلامية ، وما تهدف إليه من سمو الهدف ورفعة المقصد ، وذلك في أناشيده التي سارت مع الزمان والمكان في المناسبات الوطنية والرسمية ، مثل (نشيد الجيش العربي السعودي) :

نحن أبطال الجريـره	المتشـى والمغـير
نحن جيش الحق	والحق علمـم
قد رفعناه على	أسمى القمـم
وجعلناه منارا	للأمـم
نحن أبطال الجريـره	المتشـى والمغـير

نحن جيش وحد الله ولي	وأجاب الدعوه الكبرى وهبا
ومضى يضرب في الآفاق ضربا	في سبيل الله جل الله ربا
نحن أبطال الجريـره	المتشـى والمغـيرة (١)

وكذلك نشيد (الحرس الوطني ص ١٠٥ - الينابيع) ، ونشيد (طلبة مدارس الحرس الوطني ص ١٠٦ ، ١٠٧ - الينابيع) .

وله أناشيد أيضا في ديوانه (نفحات الجنوب) مثل (نشيد العروبة ص ١٢٧ ، ١٢٨) ، ونشيد (الفرسان ص ١٢٩) ، ونشيد (فرحة العيد ص ١٣٠) ، يقول في (نشيد العروبة) :

أحب الحجاز أحب اليمن	ونجدا أحب وأهوى عدن
وأعشق لبنان مأوى النجوم	وأهوى الكنانة أخت الحرم
بلادى بلاد الهدى والشيم	

وفاس ووهران والرافدين	وعمان والقدس صنو الحرم
وأصبو إلى جلق والكويت	وأهوى المنامة ذات الخضم
بلادى بلاد الهدى والشيم	

بلاد العروبة أنى تكون	بلادى العزيزة ابنا وعم
أحب هواها وشطآنها	وأهوى منازلها والقمم
بلادى بلاد الهدى والشيم	

وصنعاء صنعاء ذات الذرى	ومسقط مهوى الندى والكرم
يرف على جانبيها الشدى	ويهفو الصبا نحوها والنسم
بلادى بلاد الهدى والشيم (٢)	

(١) الأغاريد : ٩٧/٧٧

(٢) نفحات الجنوب : ١٢٧/١٢٨

الحادى عشر - الشعر الوطنى :

وتناول السنوسى فى الشعر الوطنى بناء الوطن السعودى والسمو به فى منازل الرق والحضارة وحث أبنائه على المشاركة فى البناء والاسهام فى التقدم ، والعمل المتواصل فى المشروعات الضرورية التى تدفع بالأمة إلى الرخاء والكفاية . واشتمل ديوانه (القلائد) على قصيدة (نداء ص ١٠ ، ١١) لأبناء المملكة العربية السعودية ليشاركوا فى فجر النهضة يقول فى مطلعها :

بنى وطنى إنا على فجر نهضة تصد الدجى أنى تدجى وتصدع
ومنها :

مضى السلف الأبرار يعبق ذكرهم
وما الفخر بالماضى إذا لم يكن له
خذوا بأكف الأسد من أسهم العلى
يد الدهر لا تسخو بمجد لعاجز
وما قيمة الأوطان إن لم يكن لها
جرت حكمة الدنيا على الناس أنها
حصدنا الضنى لما زرعتنا له المتى
فسيروا كما سار على الدهر واصنعوا
من الحاضر الزاهى بناء مرفع
نصيبا فإن الحاضر اليوم أوسع
ضعيف ولا تنسدى ولا تتبرع
(رجال) يلوذون الشقاء لينفعوا
تصد لمن صدوا وتسعى لمن سعوا
وجل حصاد المرء من حيث يزرع^(١)

وقصيدة (قطوف وأصداء) قالها الشاعر بمناسبة أبناء المشروع الزراعى فى جازان ، التى كانت حديث النوادى والأسمار ، واستحوذت أصداء هذا المشروع على اهتمام الجمهور ، لما ينطوى عليه من بشائر النهضة والعمران ، ومن خلجات القلوب المتعطشة إلى الحياة السعيدة والمجد الأئيل ، فكانت هذه القصيدة تحية للفجر المرتقب والأمل المنشود يقول فيها^(٢) :

أمل لاح فى سماء الوجود
لبسته تألقا وأذالت
ذهبى السنا زكى الورد
فيه (جازان) ضافيات البرود

ومنها :

شاقها مولد (النهوض) فهبت
وجلت طوالع اليمن والمجد
وأظلت (رؤاه) أضواء (فجر)
تبارى إلى احتضان الوليد
وحفت به نجوم السعود
لغد أسعد وعيش رغيد

(١) القلائد : ١١/١٠

(٢) القلائد : ٣١/٢٤

هاتف في مواكب (النهضة الكبرى) وفي مطلع النجاح الأكيد
 يعلن الفرحة التي أعلنته بلسان العلى رجال السدود
 تلك بشرى النهى بإقبال عصر من عصور التقدم المنشود
 أشرفت في جلاله الأرض بشد را ومشت في ركابه المشهود
 إنما هذه (الزراعة) أصل لفروع ولبنة لمشيد
 في تضاعيفها بشائر مشروع لعذب من المياه برود
 أصبحت كالجنان وارفة الظل على منهل شهى السورود
 نحن في فترة التطور والتكوين والانتقال والتجديد
 فاحشدوا حولها الكفايات وامضوا حسرا عن سواعد من حديد
 واستحثوا الخطى هوى واشتياقا نحو مستقبل أغر مجيد

وقصيدة (آل سعود في التاريخ) يشيد فيها بآل سعود وما حققوه للوطن من مجد وتقدم
 ورق وحضارة بعد كفاح طويل وجهاد في سبيل الله ، يقول (١) :

عرش على الشرق للدنيا وللدین أشم يختال بالشم العرانيين
 مدعم بالهدى والحق متشح بالنور يسطع من وحى وتلقين
 أحيا النفوس وأجرى في أعنتها روح التحرر من غل الشياطين
 سما (بآل سعود) فرعه ورسى بهم على الدهر في عز وتمكين
 أبطال معركة الإسلام في زمن مضرج بالضحايا والقرايين
 يضمخون ثرى الأوطان من دمهم عطرا ويفدونها من كل (نيرون)
 وينثرون على الآفاق (أمثلة) من الشمائل عطراء الرياحين
 بعرشهم رفع الإسلام رايته على الجزيرة خضراء الأفانين
 وأشرق الحق كالصبح المبين سنا وأصبح العدل مضبوط الموازين

إلى آخر القصيدة وقد اقتصرنا على بعض أبيات منه ، وكذلك قصيدة (القهر) ، وهو
 جبل يبلغ ارتفاعه حوالى (٢٩٠) كيلو مترا ، وقد اشتهر هذا الجبل بصعوبة مسلكه ، ووعورة
 أخلاق ساكنيه ، وهم قبائل بدوية تدعى الريث ، لعبت في تاريخ الجنوب أدواراً عديدة غايتها
 السلب والنهب وكان آخرها حركة التمرد والعصيان التي قامت بها القبائل عام ١٣٧٥ هـ في عهد
 جلالة الملك سعود المعظم ، وهذه القصيدة صدى من أحداث الماضى والحاضر (٢) ومنها :

(١) القلائد : ١٢٤/١٢٩

(٢) القلائد : ١٥٧/١٥٠

أدر اللحن رائعا جبارا
وأتل من رائع البطولات
إنه موقف يلوح بحياه
قهر (القهر) غازيا ومغيرا
أوقدوا فتنة فكانت وقودا
أيقظت في (تمامة) و (عسير)
عقدوا الراية السعودية الخضراء وساروا في ظلها أحرارا
يعلنون الولاء محضا لعرش
أقبلوا في قبائل وحشود
إنها دولة لها جعل الله
هى لم تألم أناة ولم تب
كصدى (الرعد) يملأ الأقطارا
فضلا عربيا يخلد الأشعارا
جلالا وعزة وانـتصارا
وأذل العصاة والأشرارا
للظاهها تأججا واستعارا
أنفسا حرة وقوما غيارا
رفع الله سمكه وأدارا
تخذت حبا (سعودا) شعارا
من الحق والحق أنصارا
خل عليهم روية واصطبارا

إلى آخر القصيدة وقد اقتصرنا على بعض أبيات منها ، وهى تصور رأب الصدع فى هذا
الجيل وعودة الريث إلى المشاركة فى بناء الوطن الحبيب .



التصوير الأدبي في شعر السنوسي

خلعت صحافة المملكة العربية السعودية على شاعرها السنوسي « شاعر الجنوب » فهو بحق رائد من رواد الشعر الحديث في المملكة ، ورائد الشعر في الجنوب منطقة عسير . يقول أحد رواد الشعر الحديث في المملكة يصف زميله في الريادة الحديثة وهو الشاعر الكبير محمد حسن عواد يصف السنوسي :

ولطالما عبق (الجنوب) وطالما صدح (الجنوب) بلحنه وترنما (١)
وهذه المنزلة السامقة ترجع إلى موهبته الشعرية الرائدة ، وشاعريته القوية المتدفقة ، فقد كان أكثر شعراء الجنوب شعرا ، إذ صدر له حتى الآن خمسة دواوين : القلائد — الأغاريد — أزاهير — الينابيع — نفحات الجنوب ، وما زال ينشر الجديد من شعره في الصحف والمجلات والندوات حتى الآن . يقول عنه صاحب مجلة (المنهل) الأستاذ عبد القدوس الأنصاري :

(قدم الصديق الأديب الأستاذ محمد بن علي السنوسي من جازان وهو شاعرها) . ويقول الشاعر محمود عارف : (في ندوة سمر ساحر جمعتنى دعوة كريمة من الأستاذ الجليل عبد القدوس الأنصاري صاحب مجلة (المنهل) بصفوة من الشعراء والأدباء السعوديين في حفلة أقامها في داره العامرة ليلة الجمعة الموافق ١٣٧٦/٦/٢ هـ تكريما لشاعر الجنوب الأستاذ محمد بن علي السنوسي) (٢) .

ولقد كان للديوان الأول (القلائد) وحده صدى عميق في أرجاء العالم العربي ، هز به مشاعر الأدباء والنقاد والشعراء حتى أخذ منزلته السامية بين شعراء العصر الحديث المجددين على مستوى العالم العربي ، يقول عنه الشاعر الدكتور مختار الوكيل :

(إن شعر السنوسي يمتاز بذلك الصفاء الروحي الأصيل ، ويبرز لنا صوفية عذبة رقيقة مستحبة ، ولعله أقرب ما يكون شها بشاعرين من إخواننا الشعراء المصريين هم الأستاذ حسن كامل الصيرفي ، والأستاذ صالح جودت ، وهما من رفاقي في رحاب أبولو) (٣) .

ويقول الأستاذ عبد القدوس الأنصاري أيضا :

(١) جريدة البلاد : ١٣٧٤/١١/١٧ هـ

(٢) مجلة المنهل : جمادى الثانية ١٣٧٦ هـ

(٣) نفحات الجنوب : التقديم

(هو شاعرنا الذى تعزز به المملكة العربية السعودية ، وتضعه فى الصف الأول من بين شعرائها الأبرار .. شعراء الشباب المبدعين .. شعراء الأدب الرفيع ، واللسان العف ، والضمير النقى من الشوائب والأوضار)^(١) .

والسنوسى الشاعر فى مدرسة التجديد المحافظ هو خير من يسير على المنهج فى المذهب الأدى لهذه المدرسة الجديدة فى الشعر السعودى الحديث ، فهو فى تجديده يحافظ على الأصالة العربية الاسلامية فى المعانى والأغراض — والألفاظ والأساليب ، والنظم والتراكيب — والخيال والصور — والوزن والقافية — والاتجاه والمذهب — وسوى ذلك من خصائص هذه المدرسة التى سبق أن وضعناها بالتفصيل .

خصائص الألفاظ والأساليب :

والسنوسى مع تطلعه المستمر إلى التجديد يحافظ على أصالته العربية الاسلامية فى شعره ، فما زالت ألفاظه جزلة فخمة قوية ، وكلماته عذبة سهلة مناسبة كانسباب الماء الصافى الزلال ، وأساليبه متينة محكمة ، وتراكيبه رصينة متلاحمة ، ونظمه دقيق متفجر بالمعانى والابحاث الشعرية . يقول الأستاذ محمد سعيد العامودى :

وأعتقد أن لثقافة السنوسى المتعددة الجوانب أثرها فى شعره بصورة عامة إلى جانب موهبته الفنية المعطاءة ، ولعله من هنا يبدو لنا ما نلمسه فى شعره غالبا من نبض فى الأسلوب ، وحيوية فى الألفاظ وعمق فى المعانى ، وسمو فى الأغراض^(٢) .

فبالأسلوب النابض هو المتدفق بالمشاعر ، والمتفجر بالشعرية والألفاظ الحية هى التى أخذت مكانها من النظم ، فمناحها الحركة والحيوية ، وانتقلت بذلك إلى عالمها المحس لا المجرد فى أوضاع اللغة مع سلامتها من الوحشية والغرابية ، وتنافر الحروف وثقلها . لأنها نبعت من عاطفة شاعر متمكن فى اللغة .

« ما أروع الشعر ، ينبع من عاطفة شاعر متمكن فى اللغة ، جامع لأعنة الأسلوب العرى الرائع ، مع سعة أفق وذهن وإخلاص مبدأ ، وصدق عاطفة ، وصحة بيان .

وهذه الصفات اللامعة احتشدت كلها فى هذا الديوان الأغر (القلائد) الذى يخرجها للناس شاعر ضليع ، ذو قوة فى البيان وإشراق فى الفكر ، وروعة فى المنطق ، وجدة فى الأسلوب^(٣) .

(١) مقدمة القلائد : ص — ذ

(٢) مقدمة الأعاريد : الأستاذ محمد سعيد العامودى — ل

(٣) مقدمة القلائد : الأستاذ عبد القدوس الأنصارى — ز

وحينما نقلب النظر في تأمل مع ما ذكرناه من شعره ستقف على هذه الخصائص الفنية للألفاظ والأساليب ، ولا يمنع هذا من وضع اليد والحس عليها هنا من خلال هذه الأبيات لنؤكد ما سبق ولنشخص المعالم بالتحليل والنقد ، يقول السنوسي في الطبيعة :

يا ربا لـج بى هواها فما يند	فك نشوان من هوى ملحاح
كم ترشفت من جمال لياليك	فتونا من الصبا والمراح
وتنشقت من جلال مجالسيك	فنوننا من الشذى الفواح
فى الدجى والنجوم تغزل أحلام	م العذارى على صدور البطاح
والضحى والغيوم ترسم فى الوا	دى ظلالات نديفة الأدواح
والنسيم النشوان يحتضن الزهر	ر رقيقا كطيبة الفلاح
الذى قلبه أرق من الظل	وأصفى من الزلال القراح

إلى قوله :

كلما ضنى دجاك ورقت	نفحات الصبا على الأدواح
وانتشى الكون بالعبير وراح السيل	يختال فى السهول الفساح
يغمر الأرض بالنسيم غزيرا	ويهز القلوب بالأفراح
نعمت روحى الكئيبة بالصف	ح وصحت من الأمى والجراح ^(١)

ترى الجزالة والفخامة فى الألفاظ ، فى موسيقى قوية تدخل الآذان بلا استئذان فى :
(نشوان — ترشفت — فتونا — الصبا والمراح — جلال مجالسيك — الشذى الفواح — أحلام العذارى — صدور البطاح — ندية الأدواح — النسيم النشوان — الزلال القراح — إلى آخره من الألفاظ) .

وكذلك التراكيب محكمة رصينة ، والأساليب قوية متأسكة فلا ترى فيها قلقا ، ولا اضطرابا ، ولا ضعفا ولا تهتكا ، ولا لحنا وسوقية .. فالنجوم تغزل أحلام العذارى على صدور البطاح — والضحى والغيوم ترسم فى الوادى ظلالات ندية الأدواح .. وهكذا وهكذا .

أما صور الخيال التقليدية فى هذا النص فناهيك عنها ، انها تطل برأسها فى كل بيت ، فالصور القديمة نراها فى (يا ربا لـج بى هواها) — (ترشفت من جمال لياليك) — (فتونا من الصبا والمراح) — (تنشقت من جلال مجالسيك فنونا من الشذى الفواح) — (تغزل أحلام العذارى على صدور البطاح) — (ترسم فى الوادى ظلالات ندية الأدواح) — (والنسيم النشوان

يحتضن الزهر) - وهكذا تكون الخصائص الفنية التي تدل على الأصالة الأدبية في الألفاظ والأساليب والصور القديمة . وأقرب شعره إلى الأصالة العربية الذي تسيّر على منهج الفحول من الشعراء القدامى ديوانه الأول (القلائد) يقول في (شذى الرياض) ، منها :

هب نفع الصبا فقم حتى نجد
واعتصر من هواك لنا ذكيا
وتمهّل فهذه جلبة الشعر
سرح الخاطر المشوق وجدد
تلك آثارهم وهذى مغا
كلما هبت الصبا هبت (الروح)
نفحات من الفراديس رفت
عب منها الهواء عطرا وذابت
أرج شيق العبير وروح
يسكب النور والعطور ويضفى

وتنشق شذى الرياض المندى
ريقا كالنسيم صفوا ويردا
ومجرى الجياد قبسا وجردا
(امرأ القيس) والنوابغ عهدا
نيمهم وروض الشباب ما زال يندى
طيوفنا وردد الفكر أصدا
أقحواننا وأرجواننا ورنندا
فوق صدر الفضاء مسكا وندا
عطر الكون بالجمال وندى
من ظلال النخيل والروض بردا

حتى لحن الصباح وأبسط ذرا
وامتزج بالصبا الشغوف وقبل
نسج الفجر في غلائله الطل
واصطفاه (رسالة) من ربا
ترد (النيل) و (الفراتين) و (الأرز)
وترود الضفاف تهمس (للزيتو)
عيك وضم النسيم شوقا ووجدا
نفسا قبل الخمائيل خدا
وجاك السننا حريرا وسدى
وأنفاسها سلاما وودا
(ز) و (غمدان) و (الخليج) و (بردى)
(ن) نجوى و (للجزائر) وعدا (١)

وهكذا إلى نهاية القصيدة (وهى طويلة) تعود بنا إلى عصر أبى تمام والبحترى وابن المعتز والمنتبى وغيرهم من فحول الشعراء .

الوزن والقافية :

السنوسى يعشق أوزان الخليل وقوافيه ، وبعد الخروج على عمود الشعر فى الموسيقى ترمداً على الأصالة ، وتمزقا لطبيعة الشعر الأصيل المتميز على النثر الأدبى ، والشعر المنثور ، وإذا ما تجوز فى موسيقاه ، كما يتجوز شعراء عصره ، نراه ينزل إلى مستوى الموشحات الأندلسية كالمخمسات ، والمقطعات الشعرية ، التى تختلف فيها القافية فى كل مقطع مع الاحتفاظ بالبحر

العروضى حتى نهاية القصيدة فى كل المقطعات ، هذا أقصى ما يخرج به الشاعر عن السمى الخليلى ، وذلك مثل قصيدة (عودة الماضى) تسير على نظام المقطعات وسبق ذكرها (١) ، وقصيدة (أتمنى) (٢) وقد مرت هى كذلك .

ولا يكتفى السنوسى بالمحافظة على القالب الموسيقى ، والالتزام به فحسب ، بل كثيرا ما يقلقه الخروج عليه ، والتمرد على الخليل بن أحمد ، من شعراء التفعيلة الذين يطرون وراء كل هبعة ، ويردون صدى كل ناعق ، فيهمج عليهم وعلى عشاق الشعر الحر ، تارة بالافصاح عن اللحن الشعرى القوى الذى يعبر فيه الشاعر عن أصالته العربية فى الشرق والغرب :

نعمه من لغة الانسا ن فى شرق وغرب
 يفهم القلب معانيها بلا حرف ولا كتب
 ويعبها غير محتاج إلى ضم ونصب
 وإلى أنغامها الحلوة يهفو ويلبى
 وينبغها إذا ناعقت بتحنان وحسب
 إنها أفصح من أفصح شعر المتنبى
 إى ورى إنه ابنى إنه (عصفور قلبى) (٣)

ويعبر عن أصالة الشاعر أيضا فى قصيدته (الكلمات والشاعر) :

فى عالم الكلمات دنيا للشعر والشعراء عليا
 فى ظلها للفكر منطلق ولأرواح لقياسا
 فى عالم الكلمات دنيا سقيا لها منى ورعيا
 كم بت فى أحضانها أستلهم الأضواء وحييا
 وأساهر الأشواق منطلقا بها فكرا ورأيا
 وأذيب أنفاسى وأمزجها بها راحا وأريا
 وأزفها للظامئين حيا وللغافقين وعيا
 والشاعر الفنان دنياه من الكلمات تحيا (٤)

وتارة يتفجر السنوسى نائرا على الشعر الحر ، وعلى شعراء التفعيلة ، والخارجين على الشعر

(١) القلاهد : ٤١/٣٤

(٢) أزاهير : ١٢/٩

(٣) الأغاريد : ٥٧/٥٥

(٤) مجلة الأديب : ٥١٣٩٤

العمودي ، وذلك في ثورة عنيفة ، ولهب مشتعل ، شاعرا وناقدا ومؤرخا وثائرا . يقول في قصيدته
(الشعر الحر) (١) :

لا العود عودي ولا الأوتار أوتارى
من أين جئتم بهذا الطير وبحكمو
إني أرى في جناحيه وسحته
وصرت أسمع ألفاظا مقلقلة
أبستموني ثيابا لا تشرفنى
سود وحمى وصفى لا انسجام لها
ماذا تقولون : تجديد؟ لقد هزلت
ما الشعر؟ هل هو ألفاظ مسيبة
الشعر هندسة كبرى تكاد ترى
والوزن للشعر روح وهى إن فقدت
قصيدة النثر مثل المشى جامدة
ورب حرف صغير الشأن يرفضه
تأبى الحروف التى صيغت نماذجها
إن تلتقى معكم فى سبق خاطرة
لكل فن أصول يستقل بها
تبينوا بعض ما تبغون وانطلقوا
وجبنونا غشاء لا جمال له
إن كان لا بد من فن نجدده
وأنطقوا الصخر فى ترنيم قافية
حرية الشعر فى إشراق فكرته
وأن يكون لكم فى كل معترك
أما كفى أننا فقر ومخمصة
والشعر نور ونار والنفوس لها
ورب ذى قلم أعطى لأمته

ولا أغاريدكم من شدوى وأطيارى
لا الريش ريشى ولا المنقار منقارى
سمات (البيوت) لاسيماء (بشار)
طرق المسامير فى دكان نجار
كأنها فوق جسمى جبل قفصار
كرسم (بيكاس) يعنى فهمه القارى
وسامها كل مهذار وثرثار
بلا قيود ردىء للمنطق الهارى
فى النسخ واللفظ منه روح فرجار
أضحى جسادا بلا حس كأحجار
والشعر كالرقص فى سيقان أبكار
لحن المشاعر فى ترنيم قيثار
من رعشة الروح فى أعماق أسرار
عرجاء تحجل فى ميثاء مهيار
شتان ما بين سباك وعمار
فى الروض ما بين أزهار وأثمار
ولا رواء ولا يوحى بإكبار
فجددوا فى مضامين وأفكار
كرعشة الضوء فى لمع السنا السارى
وفى تساميه عن لغو وإقذار
رأى جهير وعزم غير خوار
نستورد الغرب نيكلا بخسا بدينار
طبع الفراشات عشق النور والنار
ما ليس يعطيه فيها نهرها الجارى

فالسنوسى شاعر عمودى ، يسير على درب القدماء فى المحافظة على البحر العروضى
الخليلى ، والألتزام بالقافية ، لأنها روح الشعر ، ودونها يكون جسدا بلا روح ، وجمادا لا يشعر

(١) الينابيع : ٩٦/٩٨

ولا يحس ، بل نثرا يقوم على توقعات جامدة أشبه بالمشى الذى لا يثير انتباها ، ولا يوقظ حسا .

أما إيقاع الشعر فهو كرقص الغادة ، تعزف بسيقانها موسيقى شجية تثير المشاعر ، وتستلهم الوجدان ، لأن الشعر هندسة كبرى ، وانسجام بين الألفاظ بعضها مع البعض الآخر ، وترابط بينها وبين معانيها .

بينما الشعر الحر يقوم على حشد الألفاظ بلا روابط وانسجام بين إيقاعاتها ومعانيها ، بما يتجافى مع طبيعة الشعر ، ومنطق العقل ، لأنه غريب على الذوق العربى الأصيل ، يحمل في طياته سمات الغرب ، وينزف بدم (اليوت) لا بسمات الشرق ونشرو الفواح ، الذى يعبق الدنيا بطيب (بشار بن برد) ، فالشعر الحر ثرثرة وهذر وغناء لا روعة فيه ولا جمال ، ولا رواء ولا إكبار ، وإذا كان للشعراء من دور لا بد منه في التجديد ، فليتسابقوا ويتنافسوا إلى التجديد في المنهج والمضمون ، لا في اللغو والعبث ، وليتباروا في المعانى البكر ، والأفكار الجادة البناءة ، لا في هدم مباني الشعر ، وتمزيق طبيعته ، ليكون الشعر جنديا ، يدفع بالأمة إلى الحضارة والرقى في عزم وشجاعة وقوة ، لنحافظ على الأصالة العربية الاسلامية ، ونترفع عن التقليد الأعمى للغرب في كل شيء ، بما لا يتناسب مع الروح الشرقية وعراققتها ، فقد كان الشعر ولازال نارا ونورا ، وينبغى أن يكون كذلك ، لأن الانسان لا يزال يعشق نور العلم ، ويدفع عن نفسه بنار الحرب ، فكثيرا ما أعطى الشعر ، ولا يزال يعطى الشاعر لأمته لبناء الأخلاق والأجيال ، أكثر مما تعطيه الأرض من الطعام والشراب فهما معا قوام الحياة وركيزة الحضارة الانسانية .

وهذا يحافظ السنوسى في مذهبه الأدبى على الأصالة العربية الاسلامية في شعره ، كما رأينا ، وهو في نفس الوقت يعشق التجديد في المضمون والمعانى والأفكار ، والمغازى والأغراض ، والخيال والصور . وسبق الحديث عن التجديد في الأغراض ، فقد لبست معظمها ثوبا جديدا قشيبا في معانيها ومضامينها وموضوعاتها وغايتها ومغزاها . وستحدث عن التجديد في الخيالات والصور الأدبية في مجال التصوير الأدبى .

التشخيص في التصوير الأدبى :

خيال السنوسى بعث الحياة في المعانى والمجردات ، وحرك الأفكار والجمادات في صور أدبية حية تموج بالحركة والحياة ، وتنبض بالحوية والقوة . وتشع منها الألوان والأضواء والظلال ، وترتسم في شكل يتناسب مع طبيعة الغرض ، وحجم يتفق مع المغزى وغير ذلك من عناصر التصوير الأدبى الغنى بالخيال الخصب العميق .

فالجلبل (فيفاء) ليس صخرًا ولا حجرا ، ولا ترابا ولا مدرا ، ولكنه بخيال الشاعر إنسان

قوى يتحدى العواصف والزلازل ، وشجاع شاخ يصول العوالى والمعالي ، يترفع عن الأرض وهو
منها وعليها ، ليعشق النجوم فى السماء وهو غريب عنها وتحت ظلالتها ، ويراحم فى ذلك كواكب
السماء ، وهم أحق وأجدر بمن فى الأرض .

مهابته مشرئبة فى صلف وغرور ، وشموخ وكبرياء ، قد تجلت هامته بالخضرة اليانعة ،
وتعممت بالزهور الفواحة ، وهكذا يكون دور الخيال فى التشخيص وبعث الحياة وبث الروح
يقول السنوسى :

(جبل) تعشق النجوم مجاليه وتصبو إلى ذراه العوالى
يزحم النيرات منكب الضخم ويحتله بالسها والهلل
مشرئب إلى السماء برأس صلف فى شموخه متعال
أخضر السفح أزهر السطح مصقو ل الحواشى زاهى الرنى والتلال^(١)

فناصر التصوير الأدبى تظهر فى الحركة المتجددة فى استمرار من استعمال الفعل
المضارع (تعشق — تصبو — يزحم — يحتك) الذى يدل على الحدوث والمستقبل
والاستمرار ، وتظهر فى الألوان الزاهية : فى خضرة المجالى وذرى المعالى والسفح الأخضر ،
والسطح الأزهر ، وصقل الحواشى ، وزهو الرنى والتلال ، ولعان السها ، وبريق الهلال ، وتظهر
فى حجم الجبل فهو ضخم من الرواسى يتربع على الأرض متطلع إلى المعالى وإلى السماء ، وتظهر
فى شكل (فيفا) فهو إنسان لا جبل له منكب يشرئب برأسه فى شموخ وتعال وكبر وصلف
وغرور قد تعممت هامته بالخضرة ، وفاحت منها نشر الزهور ، وهكذا أحكمت الصورة الأدبية
بناصر التصوير الشعرى التى تترها بالألوان والأضواء والحركة والحجم والشكل^(٢) .

أما ليل السنوسى فى الريف غير الليل فى المدن ، فهو ملك ضاف الجناحين يضم الحياة
والأحياء فى دفء وحنين ، يسرى إلى النفس ليداعب العينين بالنوم ، وهو فيلسوف فى سكونه
ووقاره ، يتأمل ويتدبر أحوال الناس فيطرق عجباً وخجلاً من هفواتهم ، وهو شاعر عبقرى سابع
فى وحيه وإلهامه ، لا يدرى عن عمره شيئاً ، وهو طاهر متجرد عن المفاسد والمعاطن ، وعاشق
ذاب غارقاً فى حبه ، لا يعنيه شىء كان أو لم يكن ، وهو صامت يخلق بالأرواح فى العالم الغنى
بالجمال ، يسرى هدوؤه وسجوه بين الأحشاء فى نعومة وصفاء ، ليؤلف بين روح السماء

(١) الأغاريد : ٢٧

(٢) ميزت بين الروافد فى الصورة الأدبية وبين العناصر فيها — انظر كتابى : الصورة الأدبية — تأريخ ونقد ،
دار الحارثى بالطائف عام ١٤٠١ هـ

وجسم الأرض متجسدا في أسمى المعاني وأروع الصور . يقول السنوسى في (الليل في الريف)^(١) :

الليل في الريف غير الليل في المدن
واستقبل الليل فيها إنه ملك
كأنه فيلسوف مطرق عجبا
أو شاعر عبقرى الفكر منغمر
أو خاطر في ضمير بات منفصلا
أو عاشق غارق في حب فاتنة
صمت يخلق بالأرواح في أفق
يضيف الهدوء عليه من نعومته
وتلتقى في معانيه وصورته

فافتح ذراعيك للأرياف واحتضن
ضاق الجناحين يغرى العين بالوسن
مما يرى في حياة الناس من درن
في لجة الوحي لا يدرى عن الزمن
بطهره ومزاياه عن الإحسَن
فليس يعنيه شيء كان أو لم يكن
من الكون ثرى بالجمال غنى
صفو يضيء به الاحساس في البدن
روح السماء وجسم الأرض في قرن

الروح الاسلامية في التصوير الأدبي :

الخيال في الشعر قد ينحت صوره الأدبية من صُخور الطبيعة وجبالها وأنهارها وبحارها ، وأرضها وسماؤها ، وطيورها وبلابلها ، وزروعها وأشجارها ، وقد ينسجها الخيال من تاريخ أمة قد اندثرت حضارتها ، وحطم الفساد شموخها ، وأذل الضلال أنوفها .

وقد يمتح صوره من حضارة خالدة ، ورسالة طاهرة ، شع نورها في جنبات الدنيا ، وتردد صداها بين جوانب الحياة ، وهذا الخيال هو الذى سيطر على شعر السنوسى ، فترى الصورة عنده تستمد روافدها من نبع الاسلام الصافى ، وتتلاحم عناصرها من نور الحضارة الاسلامية ، ويكون ذلك بالضرورة إن كان الغرض إسلاميا ، مثل قصائده في الشعر الاسلامى التى سبق ذكرها في فصل الأغراض مثل قصيدة(الرسالة والرسول) ، وقصيدة (ثانى اثنين) ، (أذان الفجر) ، (دعوة الحق) وغيرها .

وحيثما يتخيل السنوسى (الجزيرة) العربية ، يصورها بقوله :

(١) الينابيع : ص ٩٠

هي الجزيرة فاقبس أيها السارى
 واستلهم الرشد من آى ومن سور
 تفرقت في شفاه الضاد وامتزجت
 واطلعت أمة كالشمس عالية
 مجد يدعمه الاسلام لا صنم
 هدى من البيت أو نورا من الغار
 وضاعة وأحاديث وآثار
 بقلبه وجرت كالسلسل الجارى
 هي العروبة ذات المجد والغار
 من الأساطير مشدود بأحجار^(١)

وهكذا إلى آخر القصيدة حيث يريد الشاعر أن يتحدث عن الجزيرة العربية ذاتها وعن أهلها الذين اشتهروا بالكرم والنجدة والمروءة ، فاذا بخياله يجتاز التاريخ بسرعة فينسى منه كل شيء إلا نور الاسلام الذى تبددت أمامه أساطير الجزيرة ، وتجسدت عروبتها في البيت الحرام والوحي والغار ، والقرآن والحديث ، والسير والآثار ، وغيرها من الصور الرائعة التى نسجها من نور الاسلام لا من أساطير الجزيرة ومتاهاتها وغيلانها وجننها وشياطين الشعراء .

وربما يريد على الخاطر أن الشاعر مضطر إلى صبغ صورته الخيالية بالروح الاسلامية حين يكون الغرض في الشعر الاسلامى بالذات ، فهذا القول مردود لأمرين :

أحدهما : أن الشاعر قد يستغنى عن التصوير الخيالى بالتعبير الحقيقى كما هو الحال في شعر آل الحفظى السابق ، وعندهم قد خلا الشعر من الصور الخيالية الرائعة ، التى توقظ الاحساس وتلهب العواطف ، وليس السنوسى كذلك ، بل نسخ خياله بالصور الأدبية من النبع الاسلامى الصافى .

ثانيهما : وهو أدل من الأول أن الصور الخيالية التى نبعت من الروح الاسلامية عند السنوسى سيطرت على شعره كله في جميع الأغراض حتى في شعره الوجدانى وغزله العفيف ، فترى الصور الاسلامية تطل في الغزل من حين لآخر ، يقول في (رحلة القمر) :

قال لى وهو ساخر	وهو لا يحسن السخر
أيها الشاعر الكبير	أما جاءك الخير
وصل القوم للسما	ء وطافوا بها زمر
واستفاقت حبيبتى	من خداع ومن خدر
لم يعد حسن وجهها	أبدا يشبه القمر
بعد ما ديس وجهه	ومشى فوقه البشر

(١) الأغاريد : ٣/١

قلت مهلاً خلني من هواء وهو نذر
ذاك شيء علمته منذ وعى قلبي الفكر
كانت الأرض والسما ء أما تقرأ السور
فتق الله رتقها فاندحى الكون وانتشر

إلى قوله :

سوف تبقى حبيتي أبداً تشبه القمر^(١)

فهو مستمد من قوله تعالى : (أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون)^(٢) .

ومن قوله تعالى : (والأرض بعد ذلك دحاهم)^(٣) .

ويقول السنوسي في (حسناء الريف) :

تختال من دل ومن صبوة في حسنها النشوان من غير راح^(٤)
فهى تزهو بجماها وتختال بدلاها ، وتميس بحسنا كالنشوان لا من خمر وراح ، فقد حرمها
الاسلام ، ولكن من سحر حلال وجمال مشروع ، وليس هذا القول مردودا بقول السنوسي في
آخر بيت لهذه القصيدة وهو :

فإنها في مهجتي منية وفي فمي لحن وشهد وراح

فالراح في البيت الأخير على العكس من الراح في البيت الأول ، الذي لا يتحمل في معناه
غير الخمر ، بدليل أن الشاعر نفاه بكلمة (غير) ، أما الراح في البيت الثاني ، فيحتمل الطيب
أو الراحة أو الخمر ، واحتماله الخمر بعيد ، لأن المقصود من الخمر أثرها في نشوة القلب والعقل
والبدن ، ولا عبرة في تذوقها بالفم ، لأن التذوق بالفم ليس هو مقصودها ، فالشاعر يريد من
الراح الثانية مجرد الطعم والتذوق وليس السكر في الصورة ، بدليل أن الشاعر جعل اللحن أيضا
من مذاقات الفم (وفي فمي لحن) بينا الأذن تهتز للحن وتطرب لا الفم ، إلا إذا قصد الشاعر
أن يتحدث الفم عن طرب الأذن باللحن الجميل .

(١) أزاهير : ٢٧/٢٩

(٢) الأنبياء : آية ٣٠

(٣) النازعات : آية ٣٠

(٤) أزاهير : ٣٩

وأما سبحات السنوسى فى الليل ، فىخلق خياله بين دياجيرو لينسج صوره مما طواه الليل
بين صفحاته من نور الاسلام وحضارته يقول فى قصيدته (الليل والشاعر) :

هدأ الليل فاهدئى يا مشاعر ودعيني من الرؤى والخواطر
هدأ الليل وانطوت فى دياجيرو قلوب كليمه ونواظر
بات قلبى يحن شوقا إلى الماضى وروحى تمن حزنا لحاضر
أنا من أمة رعى الله ماضيها لقد كان جوهرًا من جواهر
كان منها الهادى إلى الحق والحامى حماه من كل طاغ وفاجر
كان منها محمد وأبو بكر وعثمان والوزير وعامر
وعلى وطلحة والمثنى وأبو حفص والشهيد ابن ياسر^(١)

الصور الخيالية :

للسنوسى صوره الأدبية التى صاغها على النهج القديم على نحو ما عند الشعراء الفحول ،
وسبق أن ذكرت بعضها فى الحديث عن الأسلوب .

وله أيضا صوره الخيالية الجديدة والمنتكرة ، التى نبتت من حياته وعصره ، وتجربته الذاتية
التى تعبر عن شخصه ، فهى توحى بأنه أول من استولدها على نمط لم يسبق إليه ، وذلك حين
يصور ترفع الصائم عن الكذب والزور والإثم بصورة المستاك مما يضر الفم والأسنان والجسد كله
فيقول :

واستاك إذ يستاك من كذب وزور واحترام^(٢)

وحين يصور العابرة الفاتنة فى أناقتها ورشاقها وتقاسيمها وتوقعاتها يصورها بلحن
مناسب ، وتوقع موسيقى مراق ، وجلال ملائكى طاهر ، لا جمال بشرى .

خطوات ممسوقات وجسم فى تقاسيمه لحون مراقه
غيد أسر ودل فتون وجمال ملائكى الطلاقه^(٣)

وحين يخلق خياله فى أبها ، وهو مخلق بالطائرة فى الفضاء ، يتنورها من وراء السحاب فى
وله وشوق ، والطائرة تطوى الأفق طى السجل الكتاب تهادى فى حممة ، لتستوى على الجو

(١) أزاهير : ٤٨

(٢) الأغاريد : ١٦

(٣) الأغاريد : ٣٦

اندفاعا كالعقاب ، وتطفو فوق الذرى كالحياب ، وإذا بدارات أبها كالآلآء المنثورة في الشعاب ... صورة أدبية بدیعة للطائرة ، وهى تحمحم فى سماء أبها ، وتطوى السحب طیا ، وهى من الصور الحدیثة والجديدة فى شعرنا العربى الحدیث یقول السنوسى فى قصیدة (تحية إلى أبها) :

تنورتها من وراء السحاب	وبى وله نحوها وانجذاب
وقد طار فى نحوها طائر	طوى الأفق طى السجل الكتاب
تهادى وححم ثم استوى	على الجو منطلقا كالعقاب
وحوم يلوى الذرى الشاخنا	ت وينساب من فوقها كالحياب
فلاحت لعينى داراتها	لآلىء منثورة فى الشعاب
تألقن والليل وحف الدجى	وأشرقن والصبح كث الضباب(١)

ومن الصور البديعة التى اخترعها خيال السنوسى فى شعر عسير من الأدب السعودى صورة (المنظار الكاشف) :

قالها لى وهو يستزيد المرايا	شكل نظارتك حلو الزوايا
قلت لكنها ترينى قشورا	حين أرنو ولا ترينى الخفايا
لم ؟ لم يخترع لنا العلم منظارا	يرينا ماذا تسر الحشايا
قال : لو كان ذاك أفقرت الدنيا	ولم تأتلف عليها البرايا
هبه . قد كان . لا . ولن	ترنى بعد إذا ما كشفت عنيًا(٢)

وهى من الصور الأدبية الكلية ، التى تعبر عن لقطة واحدة من مشاهد الحياة بعمق ودقة ، مع أنها تضم بين أجزائها صورا جزئية لا تقوم بذاتها ، ولكن يحتاج القارىء فى فهمها أن تكون متلاحمة مع ما قبلها وما بعدها ، لتعطى تصورا كليا دقيقا عن المنظار المكبر ، وما يوحي بالطلاء الكاذب ، حين تصور الأشياء على غير ما تراه العين المجردة القوية ، حتى تنقل الشئ المرئى بدقة دون خداع وتزييف للحقائق .

ويوم أن يكون للمنظار الكاشف دور فى إظهار ما يخفيه الانسان ستكون نهاية التألف والنواد ، لأن البشر ، لا يخلو من عوارض النقصان ، الذى هو من طبيعة الانسانية ، عند ذلك لا تجد صاحبيا ولا صديقا ، ولا معينا ولا أبا .

(١) أزاهير : ٧٤

(٢) الينابيع : ٣٥

لذلك كان الاسلام حكيما حينما بنى أحكامه على التنفيذ والعمل والتصرف والفعل والسلوك ، لا على النية وحدها مجردة من العمل لأن الانسان قد يضمم شرا لآخر ، فإن رجع عنه أو بقى في صدره ولم يخرج إلى حيز التنفيذ لا يعاقب عليه صاحبه ، إلا إذا تحولت النية إلى سلوك ، وحينئذ يستحق الانسان العقاب .

صورة أدبية كلية بديعة رائعة ، لأنها أوحى إلينا بتلك المعاني البكر عن طريق ذلك المنظار الكاشف ، وهى آلة حديثة من وحى علم العصر الحديث .

ومن الصور الكلية الفريدة في شعر الجنوب ، صورة (لمع السراب) (١) :

أرح عينيك من لمع السراب	وقلبك من أمانيه العذاب
وعد عن القشور وإن تراءت	رقاقا في الضباب وفي السحاب
فقد فاض الطلاء على حياة	تفيض بها الكؤوس بلا شراب
يضوع غيرها من غير عطر	وتزخر كالبحور بلا عباب
وتزهو بالرياص بلا زهور	وتزهو بالثمار بلا لباب
يشيب شبابها من غير شيب	ويبدو شبيها مثل الشباب
تنيه بها الجسم بلا علوم	وتفتخر الفهوم بلا كتاب
مموهة تروق العين حسنا	خضاب في خضاب في خضاب
فقد صبغ السراب حياة عصر	مخضبة الأظافر والإهاب
وصرت أشك حتى في مياه	أحوض بها ولو بلت ثياب

وفي قصيدة (وحشة قلب) (٢) يقول في مطلعها :

عالم صاحب ودينا عنيفه	ميكانيكية الحياة مخيفه
كهربتنا سلوكها بسلك	أحرق الروح والمعاني اللطيفه
كل شيء فيها تعقد حتى	الأكل والشرب والتحايا الخفيفه

إلى قولد :

حرت يا نفس فيك فاتمسي دربا	وعيشى أحلامك الفيلسوفه
تعسفت من حضارة ما لها قلب	ولا للسلام فيها وظيفه

(١) جريدة المدينة المنورة رقم ١٧/٣٣٧٦/٤/١٣٩٣ هـ

(٢) تفحات الجنوب : ٣٢/٣٢

صور أدبية رائعة نبعت من تجارب الشاعر في حياته ومن واقع عصره ، الذي يعيشه بوجوده ومشاعره ، وجدان الشاعر ، ومشاعر الأديب ، عاش السنوسى رداً من حياته مديراً لشركة كهرباء جازان ، تصدع أذنيه حركة الماكينات المولدة للكهرباء بأصواتها القاسية العنيفة ، وأسلاكها المعقدة الكثيفة ، فيكاد الانسان أن يفقد نفسه وسط هذا الزحام الصاخب ولا ترتد إليه حتى يعود إلى سحر الطبيعة والحياة الفطرية ، التى نأت بعيداً عن تعقد الانسان باسم الحضارة والتقدم .

هذا المقطع (الميكانيكى) الصغير المعقد ، انتقل إلى العالم الصاخب ، والدنيا العنيفة ، فأصبحت هى الأخرى (بميكانيكية) مخيفة ، كهربت سلوكها سلوك الانسان ، فأحرقت القيم والمبادئ الانسانية فى الحياة لا الأسلاك ، فتعقد فيها كل شىء ، حتى الأكل والشرب والتحية ، لهذا أصبح القلب فى وحشة والنفس فى حيرة من هذه الحضارة التعيسة ، فلا قلب فيها ينبض بالحياة ، ولا مكان فيه للأمن والسلام .

صورة بديعة جديدة نبعت من واقع عصر الشاعر وحياته ، وتجربته مع الحياة ... إنها صورة قائمة حزينة ، تعبر عن وحشة القلب ، وغرته فى هذا الزمان .

وعناصر الصورة قد تلاهمت من هذا القمام ، فالحركة بطيئة من كثرة المدات فى الكلمات (حروف اللين) . وألوانها قائمة ، فالصخب والعنف والميكانيكية والخوف والكهربة والحرق ، والتعقيد والحيرة والفلسفة والتعاسة .. كلها توحى باللون القاتم ، والضباب المخير ، والتيه الضليل . وطعم ذلك كله مر وعلقم ، ورائحته تشمئز منه النفوس ذات عادم يخنق النفس .

تلك عناصر التصوير الأدبى من حركة ، ولون ، وطعم ، ورائحة فى هذه الصورة الأدبية البكر الرائعة .

وفى قصيدة (الظل والضوء) يقول السنوسى (١) :

أعيش فى الظل أو فى الضوء سيات	خرافة كل مفتون بها فان
الظل والضوء ألوان وأصبغة	لا باهت ثابت منها ولا قانى
فهم ووهم ولا شىء خلافهما	الوهم من مارج والفهم روحانى
فان ركبت جناحا وانطلقت به	مخلقا غير آفاق وألوان
فلا تظنن أن الأرض قد ذهبت	أو أنها خلقت من كل إنسان

(١) نفحات الجنوب : ٧٠/٦٨

الأرض ثابتة والنفس ذاهبة وأنت منها ، وفيها عائد ثاني
ضحكت من زمني هزواً وسخرية وربما ضحك الجنى للجاني
ترف شم الرواسى نضرة وندى وملاء أعماقها نيران وبركان
وتغضب القمة القعساء إن سقطت فيها النصور وأضحت وكر غريان
فحش حياتك مرفوع الجبين ولا تكن عبدها في أى ميزان

التقسيم العقلى يفسد الشعر ، وينقله من عالمه إلى عالم العلم والمنطق ، والتدليل الصريح
على الحقيقة فى الشعر يتناقض مع منهجه لأمرين لا ثالث لهما ، هما : فهم أى (عقل وحق) ،
ووهم أى (وسوسة وباطل) ، فالأول مصدر الدين والروح ، والثانى يتفجر من مارج من نار .

فالعجيب ليس فى هذا التقسيم العقلى ، ولكنه فى الشاعر ذاته ، كيف نبضت صورته
الشعرية هنا بمشاعره ، واصطبغت بوجوده المحموم ، وسرى الروتين العقلى فيها ، كما يسرى النسيم
على الطل والندى والشذى ، فيتضوع الجو أريجاً رقيقاً كرقعة مشاعره فى هذه الصورة الشعرية
البيعية .

كما نجد ابداع السنوسى فى تصوير التناقض على نحو غير مألوف ومتعارف ، فيصور
الانسان الضعيف المغلوب على أمره ، المهزوم من دهره بصورة القوى المنتصر ، الذى لا يأبه
لأحداثه ، فيضحك وهو الضعيف الجنى عليه من الدهر وهو القوى الجانى استهزاء وسخرية .

وكذلك يصور هذا التناقض بصورة الجبل الذى ازدهى بالخضرة ، وتوقر بالنضرة ، وتلطف
بالماء والندى ، ولكنه فى باطنه يتفجر لهيباً وبركاناً ، ويندلع موتاً ونيراناً .

وكذلك تغضب الشواغخ ، موطن النصور ملوك الطيور ، حين يعيش فى جنباتها
الغريان ، وبين أوكارها الخسيس من الطيور ، لأن شموخها يناجى شواغخ الطيور ، ويأبى فى جنباته
سواقطها ، التى تجد السكن والأمن فى أوكاره .

صورة أدبية رائعة تفيض بعناصر التصوير بما يتناسب مع الظل ، وهو (الباطل والفساد
والشيطان والضلال) ، وما يتلاءم مع الضوء ، وهو (الحق والعقل والدين والخير) ، فيمنح
الشاعر صورته الأدبية عناصرها الشعرية بما ينسجم مع الظل أو الضوء : فالوهم نار ، لونها أحمر
حارق ، وريحها سموم لافح ، وطعمها لاذع يكوى ، والفهم روحانى ، لونه لطيف ، وريحه نسيم
عليل ، وطعمه حلو كحللوة الايمان ، والوهم أيضاً كالبركان فى أعماق الجبال ، والبركان نار
وهيب ، لها لونها وطعمها وريحها كما سبق ، والفهم كذلك كالنضرة والخضرة والماء فى شم
الرواسى ، لونها أخضر ، وطعمها لذيد وممتع ، ورائحتها طيبة زكية ، وحركتها تتأوج مع النسيم فى
الصباح ، وتتعانق مع الرياح فى النهار والليل .

إنها صورة شعرية اكتملت فيها عناصر التصوير الأدبي من لون ، وحركة ، وطعم ،
ورائحة ، مثل القطعة الحية من الطبيعة الساحرة ، والحياة النابضة .

ومن الصور الجديدة البديعة التي تسير مع عصر الشاعر ، وتتجاوب مع أصداء الحياة
العالمية ، وما يوج فيها من طغيان وظلم ، للذين أزهقت أرواحهم ، وانتزعت أمواتهم ،
واستعمرت أوطانهم بالباطل ... وباسم المبادئ الانسانية المتحضرة ، وباسم حرية الانسان في
عصر استعمار الانسان لا حرته ، يقول السنوسي في (الحق المهان) (١) :

بخزي الضمير ويجرح الإحساسا	حق يهان فلا يثير الناسا
وعجبية أن تستمر عصابة	تطأ الهدى وتلوث الأقداسا
رعنا أسكرها الغرور فأمعنت	بطورا وزادت خسة وشراسا
تلهو وتعبث لا تقيم لمنطق	وزنا ولا لمبادئ مقياسا
ومنظمات الحق .. كل جهودها	للحق لا تتجاوز القرطاسا
لا مجلس الأمن استعاد وقاره	وأقام هيئته وثار حماسا
كلا ولا جمعية الأمم انتهت	يوما إلى حكم يرد شماسا
ويقال إن العصر عصر مبادئ	فضلي تقيم الوزن والقسطاسا

الوحدة الفنية :

قضية الوحدة في القصيدة من أهم قضايا النقد الحديث ، الجديرة بالدراسة والتطبيق في
الشعر ونقده الحديثين ، فقد شغلت النقاد والشعراء على السواء ، وخاصة بعد المنافسة بين
المذاهب الأدبية الحديثة ومدارسها النقدية ، مثل مدرسة المحافظين ومدرسة الديوان ، ومدرسة
أبولو ، ومدرسة المهاجر ، وكذلك المذهب (الكلاسيكي) ، والمذهب (الرومانسي) ،
والمذهب (الواقعي) ، وغيرها ، ووقف الجميع في صمود يدافع عن الوحدة الفكرية في بناء
القصيدة ، بل بالغ بعضهم في تطبيق الوحدة العضوية على الشعر الغنائي أيضا ، كالثأن في
الموضوعي والمسرحي والتمثيلي ، وأن منهج القصيدة القديمة التي تقوم على تعدد الأغراض
والموضوعات لا يتناسب مع هذا العصر ، الذي يتسم بالتقدم في العلوم والفنون والآداب على
أساس من الذوق الرفيع ، والفكر العميق ، والعقل التجريبي .

لذلك كان من الضروري أن تكون القصيدة الشعرية صدى لهذه الحضارة العميقة ، فتقوم
على أساس من الوحدة الفكرية والموضوعية في بناء فني متكامل ، وتصوير أدبي ، تنسجم فيه

(١) التبايع : ص ٤١

الصور الجزئية والألفاظ والأساليب والإيقاع والموسيقى مع المعاني والأفكار والغرض والعاطفة والتجربة الشعورية ، في تلاحم قوى وتلاؤم انسياني ، فلا يصطدم الذوق الأدنى حين يتذوق القصيدة باضطراب في أسلوبها أو تناقض في معانيها ، أو تعدد في أغراضها ، أو يفزع بنشاز في إيقاعها أو بقلق في موسيقاها ، ولا يشعر بتهتك بيد تلاؤم الصورة مع الخيال والعاطفة والمعاني ، وغير ذلك مما يؤثر في تمزيق الوحدة الفنية في القصيدة فتتفجر في ميزان النقد المستقيم .

وعلى ذلك فالوحدة الفنية هي : أن تتلاءم التجربة الشعورية والعاطفية والخيال والمشاعر والأحاسيس والمعاني والأفكار والغرض والمغزى وغير ذلك مما يتصل بالمضمون والمحتوى للقصيدة فيتلاءم هذا كله مع البناء الفني لها ، وهو انسجام الألفاظ والأساليب والصور الجزئية والتجسيم والتشخيص ، والإيقاع الداخلى والخفى والموسيقى الخارجية في الوزن والقافية ، لتتلاحم هذه العناصر كلها في انسجام وتناسب ، واتساق وتلاحم ، كالشأن في المخلوق السوى ، الذى تكاملت أجزاؤه في أحسن تقويم^(١) .

والسنوسى في شعره يلتزم الوحدة الفنية غالبا ، فتقوم القصيدة عنده من المطلع إلى آخر بيت على غرض واحد ، تدور حوله الأفكار والمعاني ، وتتجاوب مع المشاعر والعاطفة والخيال في البناء الفني للقصيدة وحينئذ يتلاءم المضمون في العمل الفني مع الألفاظ والأساليب والصور والموسيقى والإيقاع .

ولا تجد قصيدة في دواوين السنوسى الخمسة قد تعددت فيها الأغراض ، بل تحقق الاتساق والتلاحم بين الغرض وبين تصويره الأدنى . وهذا لا يحتاج إلى ذكر أمثلة وشواهد ، فقد سبقت قصائد كثيرة في باب الأغراض ، وبقية القصائد في الدواوين تسير على هذا النهج من الوحدة الفنية .

لكن الذى يحتاج إلى التنصيص عليه ، هو ما يخرج فيه الشاعر عن الوحدة الفنية من صور لا تتلاءم مع الغرض في القصيدة ، وهذا قليل ومتناثر بالنسبة لمنهج في الالتزام بالوحدة الفنية في شعره ، وسأوضح بعض الشواهد على ذلك بالتحليل والنقد .

صور غير متلائمة :

الرتاء غرض أدنى ينصهر في بوتقة التجربة الحزينة وفي محمى العاطفة الشعورية القائمة ،

(١) انظر كاتى : البناء الفني للصورة الشعرية : دار الحارثى بالطائف . فقد وضحت فيه الوحدة الفنية دفعا للتكرار . نشر عام ١٤٠١ هـ

فتقطر أسى ، وتذوب ألما وحرنا فإذا ما جاء الشاعر بلفظ أو صورة من حقل الإعجاب والبهجة والسرور ، يبدد شمل الوحدة الفنية ، ويذهب بتلاحمها .

وهذا ما حدث للسنوسى عندما كان يرثى معالى الشيخ محمد سرور الصبان ، الذى وافته المنية فى مصر بتاريخ ١٣٩١/١٢/٢ هـ يقول^(١) :

تصامت لما قيل مات (محمد) سرور (قلوب) كم به جبر الصدع
فلا محل لذكر سرور القلوب هنا ، لأنه يبدد قتام الحزن المتلائم مع الرثاء ، وكذلك قوله فى نفس القصيدة :

أبا حسن غاض السرور الذى جرى على كل قلب من تدفقه نبع
وضوح روض كان فى كل مهجة بك اتصلت يندى بها النبت والزرع

فالسرور وإن غاض بموته ، لكنها تبرق بالبهجة ، مما لا يتناسب مع الرثاء والحزن ، وكذلك الروض الذى كان يفوح طيبه فى حياة المرثى ، فيزدهر به النبت والزرع ، يبدد قتام الحزن فى القصيدة ، لأن نشر الروض وازدهار الزرع والنبت ، كان ينبغي ألا يكون لها مكان من التصوير الأدبى ، لعدم التلاؤم بحال مع الرثاء والحزن .

ومما يؤخذ على الشاعر تمزيقه جمال التصوير الشعرى بكلمة ليست هى من حقل الشعر ، وإنما هى من حقل العلوم ، ومن مجال العقل لا العاطفة ، مثل كلمة (مقياس) :

يا فتنة القلب ومهوى البصر جاوزت مقياس جمال البشر^(٢)
وكذلك الكلمتان (إيجاز — والمختصر) ، فهما يختصان بعلوم البلاغة ومنطق العقل أكثر من التصوير الشعرى يقول^(٣) :

ورق فى خصرك حتى استوى إيجازه فى قدك المختصر
وكذلك مما يبدد التصوير الأدبى العربى الأصيل استعانته ببعض الكلمات الأجنبية ، التى يمجهها الذوق العربى السليم ، مثل كلمة (الديرتو)^(٤) :

(١) الينابيع : ٦٣

(٢) أزاهير : ٣٥

(٣) أزاهير : ٣٥

(٤) أزاهير : ٣٤

تجرى عليك (الديزتو) تختال والفرد فرها
وكذلك قوله :

زاه ساكن (الألب) (أبوللو) رائدا ينشد الجمال المثالى
موازنة ونقد :

السنوسى شاعر محافظ فى تجديده ، يتجاوب مع الواقع الذى يعيشه ويحياه ، فالشعراء
القدامى صوروا النغم والغناء فى الشعر العربى القديم ، وخاصة الشاعر المصور ابن الرومى ،
وتناوله كذلك شعراء فى العصر الحديث مثل العقاد والمازنى وبرايم ناجى وغيرهم^(١) وتأثر
الجميع كثيرا بابن الرومى فى تصويره الغناء الساحر الجذاب فى قوله يصور صوت (وحيد)
المغنية :

ظبية تسكن القلوب وترعا	ها وقمرية لها تغريد
تتغنى وكأنها لا تتغنى	من سكون الأوصال وهى تميد
لا تراها هناك تجحظ عين	لك فيها ولا يدر ويريد
من هدوء ليس فيه انقطاع	وسجوا وما به تبليد
مدّ فى شأو صوتها نفس	كاف كأنفاس عاشقها مديد
وأرق الدلال والغنج منه	وبراه الشجا فكاد يبيد
فتراه يموت طورا ويحيا	مستلذ بسيطه والنشيد
فيه وشى وفيه حلى من النغ	م مصوغ يختال فيه القصيد
فى هوى مثلها يخف حليم	راجح حلمه ويغرى رشيد
ما تعاطى القلوب إلا أصابت	بهواها منهن حيث تريد
وتر العزف فى يديها مضاء	وتر الرجف فيه سهم سديد
عيها أنها إذا غنت الأحرا	ر ظلوا وهم لها عبيد ^(٢)

فالصوت الشجى مع هدوئه متصل لا ينقطع ، ومع سموه حى غير متبلد ، مديد
كأنفاس العاشقين ، ساعد فى مده طول النفس ، وأرقه الدلال ، ولطفه الوله ، حتى كاد أن
يختفى ، فيموت طورا ويحيا طورا ، ويتعاقب النغم على مسرح الغناء فيتخذ قبة تحيط بالسامعين ،

(١) عقدت موازنة نقدية فى كتابى : البناء الفنى للصورة الأدبية عند ابن الرومى . نشر عام ١٩٧٦ م

(٢) المرجع السابق ص ٢٢١ ، ٣٦١

في صورة حية نابضة ، ينسجم فيها الوشى المنساب مع الألوان ، ويتجاوب فيها اللحن المتماوج مع موجات الهواء ، فيتراقص معه القصيد ، ويختال فيه النشيد ، فيستبد بالقلوب ، ويشنف الأذان ، فيعشقه المستمع ، ليقع في غرامه لا في غرام وحيد . ويصور ابن الرومي الغناء أيضا في صورة أخرى فيقول :

كل طفل يدعى بأسماء شتى بين عود ومزهر وكـرـان
ذات صوت تمزه كيف شاءت مثل ما هزت الصبا غصن بان
يتنشى فينفض الطل عنه في تننيه مثل حب الجمـان
صبيغ من طبع صوتها كل لحن معها من لحن تلك الأغاني(١)

ويأتي السنوسي في العصر الحديث ليصور هو أيضا الغناء في سحر وقوة متأثرا بابن الرومي فيما سبق ، لكنه يتجاوب فيه مع أصداء عصره ، فيقول الشاعر في صوت (كوكب الشرق) كالثوم :

يا كوكب الشرق طال الليل بالسارى
وسلسلى فيه صوتا ملء نبرته
ورددى في دجاء شدو ساجعيه
مدية في الليل ينداح الصباح سنا
فنانة الضاد كم للضاد من نغم
جلوته فجلوت الفن مرتفعا
صوت إذا حركته في الدجى سحبت
يلقاك بالسحر في الألفاظ منطلقا
وغنة ما وعت أذن ولا سمعت
كأنما في أغانيها وفي فمها
تمزه فتمز الشرق أجمعه
يصغى إليها كما يصغى الحبيب
إن قلت : يا ليل قال الليل من طرب
تعلو به طبقات الجو صادحة
أنا تضخمه أنا ترققه
كأنه في يديها غصن ناضرة
كم بات يصغى إليها كل ذى كبد

فقصريه بألحان وأوتارى
صفو الندى والشذى والكوثر الجارى
يذوب بين يديها كل قيثار
وفي الضحى يتردى ثوب أعمار
على شفاهك منه ذوب مضمار
يموج بين أغاريد وأشعار
أردانها الريح في غيناء معطار
وبالحنان المصفى والجوى النار
بمثلها منذ أزمان وأدهار
أنغام إسحاق أو ألحان موزار
قلبا بقلب وأفكار بأفكار
إلى حبيب في مناجاة وأسرار
أو قلت يا عين لم تهدب بإشطار
فينتنشى كل نجم في الدجى سار
فعل الهوى والتصانى بين سمار
تسمو به ثم تدنو ذات منقار
حرى اللواعج من شوق وتذكار

(١) المرجع السابق ص ٢٢١ ، ٢٦١

فراغ يطغى صداه وهى صادحة
 غنت للشرق ألحان الخلود هوى
 من كان يجهل شوقيا وقد صدحت
 ولا يرى فى غناها ذو الحجى حرجا
 قمرية النيل ما للنيل واجمة
 غاضت بعينه أنوار الهوى وذوت
 ولاح فى صفحته ذعر شاكله
 ما كل طير هزازا حين تسمعه
 بصوتها العذب من سيل وأنهار
 وللعروبة لحن المجد والغار
 بشعره آب عنه كاتبها قارى
 وذو وقار يزرى به زار
 ضفافه وأساه مائج جار
 بكفه خضر أوراق وأزهار
 وحيدها بعد سن يائس هار
 كلا ولا كل ذى ريش بطيار^(١)

صورة أدبية كلية رائعة لتصوير النغم والغناء ، تسير على النهج الفنى لصورة ابن الرومى ، فكلاهما يهزان الوجدان والنفس هزا قويا ، لدقتهما فى التصوير ، وقوتهما فى التأثير ، وقد اتفق الشعرا فى خصائص ، واختلفا فى أخرى ، فأما الخصائص التى اتفقت عند الشعارين — والفضل لمن سبق — هى :

أولا : كلاهما وصف المغنية بالجمال ، وصورها بصورة جميلة فى الطبيعة الساحرة ، فمغنية ابن الرومى (وحيد) ظبية وقمرية فى الليل ، ومغنية السنوسى كوكب الشرق فى الليل السارى وقمرية النيل .

ثانيا : سحر الغناء عندهما ينساب إلى الأسماع ، ويتسلل إلى القلوب فى خفاء ، حتى لا يشعر السامع بمصدر اللحن ، فالمغنية (وحيد) ثابتة الأوصال مناسبة العينين بلا جحوظ ولا حملقة ، ولا معاناة فى إخراج الصوت ، ولا انتفاخ فى الأوداج والعروق ، فيخرج النغم هادئا متصلا ، لا انقطاع فيه ولا عواصف ، بل يتصاعد ساجيا ممدودا دافئا كأنفاس العاشقين . وأما ألحان (كوكب الشرق) فتتسلل كالندى الصافى ، وتفوح كالشذى المعطر وتعذب كالكوثر الجارى ، فهو ينداح فى الليل ممدوداً ، حتى يفجر إشراق الصباح ونور الضحى .

ثالثا : الشعرا مزجا سحر النغم بالسحر المذاب فى مظاهر الطبيعة فالصوت تميزه (وحيد) كيف شاءت ، يستجيب له كل المعانى والألفاظ طائعة منقادة ، مثل ما يستجيب غصن البان لريخ الصبا ، ويمتدح طربا له ، فيتشئ ذهابا وإيابا ، ويتناثر الطل كحبات الفضة ، أما نغم (كوكب الشرق) فينساب فى الليل والدجى والصباح والضحى ، ويعلو طبقات الجو ، فيتشئ النجم طربا ، وينقاد طوع أمرها كالغصن اللين ، الذى يتراقص مهتزا على أنغام الطير الصداح ، وهو كالسيل فى تدفق الأنهار ، وكالماء فى النيل عذوبة ، وليس كل طير يتمتع فى الغناء

(١) الينابيع : ٨٧/٨٩

فصفا النفاق تأصلت في المنافق كالشأن في شجر الخلاف ، فمنظره ساحر فتان ، ومخبو مر خداع ، كالغصن الأخضر أخذ الشكل والرونق مرير الذوق كالعقلم .

ويدل على أصالة النفاق في المنافق ، ما توحى به الصورة من التجدد والاستمرار عن طريق الفعل المضارع (يورق — ويأى) وكذلك القصر بتقديم الخبر (وما له ثمر) (١) .

يقول عبد القاهر : « انظر إلى المعنى في الحالة الثانية ، كيف يورق شجره ويشمر ، ويفتر غره وييسم وكيف تشتار الأرى من مذاقه كما ترى الحسن في شارته » (٢) .

وصورة أخرى لابن الرومي في النفاق يقول :

ملك النفاق طباعه فتعلبا وأنى السماحة لؤمه فاستكلبا
فقرى غرورا ظاهرا من تحته نكد فقبح شاهدا ومغيبا
ولشر من جربته في حاجة من لا تزال به معنى متعبا

أما شاعرنا السنوسي فيصور النفاق في قصيدته (لكل صابون ليفه) :

بسمات ملونات وأخلاق وصولية غلاظ سخيفه
ونفاق ملون تحجل الحرباء منه فتنثنى مكسوفه
تتدلى وتستكين وتناع وتغدو لكل صابونة ليفه
فإذا ولت الوظيفة ولو خلق يشمئز منه كريم النفس
يا لنفسي من أنفـس تغدق الخبر وأثاروا عليه حربا عنيفه
وعلى كل جانب من قذاها والطبع والخصال المنيفه
خضت في بحرهما وكنت غريرا عداء من الثياب النظيفه
أوجه كالبلاط لا تبت الزهر قدر يركم الأنوف وجيفه
وقلوب مثل الكهوف ظلاما فطفـا موجهـا وكانت حصيفه
غير أنى وإن تألم قلبى وإن كانت المياه كثيفه
لست خبا والخب قد يخدع والضحى يغمر الوجود مخيفه
فهو ما زال كالظلال الوريفه البرّ وهذه حكاية معروفه (٣)

(١) انظر كتابي : شاعرية ابن الرومي بين الأصالة العربية والدعوى الرومية دار المريخ — الرياض ١٤٠٢

(٢) أسرار البلاغة : ص ٩١

(٣) القصيدة كاملة سبقت في الشعر الاجتماعي

ولا كل ريش يستطيع الطير في الهواء ، فهو صوت فريد في مجال اللحن والغناء .

ومع ذلك فقد غلب على تصوير ابن الرومي للغناء التجرد عن مظاهر الطبيعة وخاصة في القصيدة الأولى ، وساد عند السنوسى تجسيم الغناء في مظاهر الطبيعة .

أما ما اختلف فيه الشعراء فهو مدى استجابة المستمعين للغناء ، فجمهور (وحيد) تجاوزوا حب الطرب والغناء إلى ما هو أكثر من ذلك من الغرام والإعراء ، مما يخشى على العاقل الذى رجح عقله ، ويخاف على الرشيد ، لأنها تصبى القلوب بحبها فالجمهور عندها مزعزع الايمان ضعيف العقيدة ، يخشى على دينه ، ويخاف من الوقوع في حبال الشياطين .

لكن جمهور كوكب الشرق يحب غناها المجرد عنها ، فذو العقل لا يتردى في حرج من غنائها ، وذو الوقار والاتزان يجد في وقارها واتزانها ما تستجيب له نفسه يقول :

ولا يرى في غناها ذو الحجى حرجا وذو وقار ولا يزرى به زار
لأنها غنت للشرق الاسلامى ألحان الخلود في حضارة الاسلام وغنت للعروبة ، التى سما بها
الاسلام في سماء المجد ، كما غنت للرسول ﷺ الذى نزل عليه الوحي ، وصاحب الغار والذى
أقام حضارة الاسلام بعد الهجرة النبوية المباركة .

فجمهورها قوى في إيمانه متمسك بعقيدته ، يزداد إيمانا حينما ينساب الغناء في حضارة
الاسلام فتسبد بقلبه تلك الحضارة فيزداد اقتناعا بعقيدته وحبها لها لا لكوكب الشرق ، التى لم
تتخذ الدلال وسيلة للاغراء في الغناء ، كما اتخذته (وحيد) مغنية ابن الرومي .

ومن الصور التى تأثر بها السنوسى صورة المنافق في الشعر العربى القديم ، ذكر عبد القاهر
الجرجاني في تحليل بلاغة الكلام قول ابن لنكك :

في شجر السرو منهم مثل له رواء ومــــا له ثمر
وقول ابن الرومي :

فندا كالحلاف يورق للعين ويأبى الإثمار كل الإباء
وقوله الآخر :

وإن طرة راقستك فانظر فرما أمر مذاق العود والعود أخضر(١)

(١) أسرار البلاغة : عبد القاهر الجرجاني ص ٩١ تحقيق محمد رشيد رضا

والتأثر ظاهر بصورة النفاق بين الشعاعين وبخاصة فى صورة ابن الرومى الأحيى ، فالمنافق فى مكره ، ودهائه ، ورداءة طبعه كالتعلب يؤثر منفعتة ، ولا يسعى إلا لحاجته الذاتية ، فهو ثعلب فى طباعه يسير هادئا لينا فى خفاء وتحفظ كالقط الأليف . والمنافق فى لؤمه كالكلب المسعور يهش للقدام سماحة ، ويداعبه غدرا ، لينقض على فريسته كالذئب فى غدرة وخيانتة ، فهو فى الظاهر مستوى الخلقة ، متكامل السمات ، يتستر وراء الغرور والوقار ، ويتشدد بالنصيحة ، ويتلاعب بالحكمة ، لكنه من الباطن يتفجر عن غدر ونكد ، وينطوى على حقد وشر ، فلا يسلم من يتعامل معه من محالب الغدر ، فيظل يعانى منه آلاما ومرارة ومتاعب .

والمنافق عند السنوسى كالحرباء ، بل الحرباء تحجل منه ، وتعرض عنه مكسوفة ، وتلك طبيعة المنافق فى تكوينه ، يلبس لكل حال لبوسها ، ويتقلب حسب الأغراض والأهداف ، كما تتأقلم الحرباء حسب اختلاف البيئات ، وتغاير الألوان فى الجبال والرمال ، لتكون قطعة متجانسة مع الأرض التى يعيش عليها .

لكن الصورة عند ابن الرومى أدق وأعمق حين صور المنافق بالتعلب والكلب المسعور ، لأن المنافق غالبا ما يتخدع الناس لحسن ظنهم فيه ، وينال منهم كما ينهش الكلب المسعور فريسته ، بعد الهدوء والمسالمة وحلاوة اللسان على العكس من الحرباء فتتلون ولا تؤذى أحدا .

أما السنوسى يصور المنافق حين يتعامل مع الآخرين ، الذين لا يسلمون من شره وأذاه ، كمن يلطخ الثياب البيضاء بالحبر الأسود ، والمنافق أشد من الوباء الذى يعدى فى خفاء ، فيزكم الأنوف بمرضه ، ويقتل النفوس بجيفته المنتنة .

ويصوره أيضا بأرض بور ، بل كالبلالط الذى لا ينبت زهرا ولا يجلب خيرا ، مهما فاضت المياه ، ويصور قلب المنافق فى ظلمه وظلامه كالكهوف المظلمة تغشيها الدجنة باستمرار ، فتأوى إليه الحيات والعقارب ، والحشرات السامة ، ومع كل ذلك فهو ضعيف لا يقوى على مواجهة الحق ، رقيق كالظلال الوريقة تمرق النسيم اللطيف .

وتلك صورة جديدة تفرد بها السنوسى عن سابقيه ، وكذلك موضوع القصيدة ، كانت منه لفظة لطيفة وطريفة حين طوع المثل العام ، الذى يجرى على كل لسان وهو (لكل صابونة ليفه) ليجعل منه موضوعا شعريا وغرضا أدبيا ، ليفيض الشعر عليه بالإيجاء والقوة والشاعرية ، والموضوع فى ذاته صورة جديدة للمنافق فى عصرنا الحديث .

والسنوسى بهذه الصورة الطريفة للمنافق ، التى أطنب فيها ، حتى صارت قصيدة ، تضع الشاعر فى مكانه البارز بين شعراء عصره ولا تقل عن صورة المنافق فى الشعر القديم ، وإن اتصفت بالابجاز والقصر ، لأن للشعراء السابقين فضل السبق ، ولشاعرنا السنوسى فضل الزيادة

في صورته الجديدة التي تتناسب مع عصره ، ولو خلت منها قصيدته لما وجدت طريقها إلى قلب القارىء ، ولما أخذت مجالها في النقد والموازنة الأدبية .

وبهذا يكون الشاعر السنوسى أشهر شعراء الجنوب في منطقة عسير ، بل شاعر الجنوب كما أطلقت عليه صحافة المملكة ومن الرواد الأوائل لشعراء المملكة الذين كان لهم دور كبير في الففرة السريعة للشعر الحديث حتى تعددت مدارس ومذاهبه الأدبية ، وكان أيضا أشهر شاعر في مدرسة التجديد المحافظ في مذهبها الأدبي لشعر الجنوب خاصة وشعر المملكة عامة .

ولقد كانت الدراسة السابقة للسنوسى التي قامت على التحليل والنقد ، والاستقراء والموازنة ، ووضعت هذه الدراسة الفنية علامات بارزة على الطريق من أهمها :

أن السنوسى كان مجددا في معظم الأغراض الأدبية وفي الموضوعات وكذلك في معظم الأفكار والمعاني وخاصة بالنسبة للشعر السعودى خاصة ، والشعر العربى بصفة عامة .

« إن للسنوسى مكانته بين شعرائنا البارزين ، فهو صاحب « القلائد » ولقد كان لديوانه القلائد وما يزال صداه الطيب الجميل في أوساطنا الأدبية ، إنه اول شاعر من شعرائنا يترجم له بعض شعره إلى لغة أوربية .. إن أهم سمات شاعرنا السنوسى في اعتقاده أنه لا يحاول أن يتكلف أو يظهر بغير حقيقته ، أو يقول ما لا يعتقد ، أو يمدح من لا يرى أنه أهل لثناء أو مدح ، وإنما هو في كل ما طالعته من شعره لا أراه إلا حريصا كل الحرص على التزامه لهذه السمة ، سمة الصدق في التعبير » (١) .

ويكفى للشاعر الفذ أن يكون في شعره صادقا يعبر بصدق عن شاعريته وهل يحتاج التجديد في الأغراض الأدبية إلا الصدق الفنى ، الذى كان من أبرز مظاهر التجديد في الشعر الحديث بعد الركود والجمود في العصر السابق الذى قضى تماما على الصدق الفنى في الشعر . وقال باحث عن السنوسى : « ومن أهم سماته أنه لا يتكلف ، أو يقول ما لا يعتقد ، أو يمدح من لا يرى أنه أهل للمدح » (٢) .

ويقول صاحب المنهل : وأعتقد أن ديوان القلائد لصاحبه الشاعر الأستاذ محمد بن على السنوسى (والاسم هذا كالمسمى) .. سيثبت بصدوره أن الشعر العربى الأصيل الذى جمع بين المبنى والطرافة والتجديد فى المعنى هو حى ولا يزال حيا ذا تأثير فعال فى المجتمع والأفراد .. يؤز

(١) الأستاذ محمد سعيد العامودى — مقدمة الأغاريد ك . ل

(٢) د . كامل السوافيرى

النفوس الظامنة إلى الحياة الطامحة أزا ، ويدفعها إلى محيط العمل والنشاط دفعا ، ويوفد فيها جذوة الحرية والحماسة ، ويخلق فيها الحركة والانطلاق إلى الأمام على الدوام .. ويساند حركات الاستقلال والاستبسال في نيل المطالب العليا ، كما كان من قبل ألف عام .. أيام البحترى وأنى تمام ، وأيام أنى الطيب المتنبى ، وأخيرا أيام البارودى ، وشوقى ، وحافظ ومن سار على دربهم من فحول الشعراء»^(١) .

والسنوسى كان مجددا في تحفظ للتصوير الأدبى كما رأينا ذلك في مكانه ، فقد بعث الحياة والقوة في الألفاظ الشعرية وأساليبه وأعاد لها عراققتها الأصيلة كما كانت عند الفحول من الشعراء ، كما أنه طوع الأساليب في جزالة وعذوبة وقوة وإيجاء لقضايا عصره وفكره واتجاهاته. وكذلك كان خياله عميقا خصبا يمنح صوره الأدبية جدة وابتكارا ، مما دفع النقاد إلى أن يسجلوا له هذه الخطوات المباركة في التجديد ، يقول أحدهم :

« إن شعر السنوسى يملأ نفسى ويشعرنى أنه يخرج من نفس عربية مؤمنة صادقة قوية اليقين بعروبتها وإسلامها»^(٢) .

ويقول الأستاذ محمد سعيد العامودى :

« وأعتقد أن لثقافة السنوسى المتعددة الجوانب أثرها في شعره بصورة عامة إلى جانب موهبته الفنية المعطاءة .. ولعله من هنا يبدو ما نلمسه في شعره غالبا من نبض في الأسلوب ، وحيوية في الألفاظ وعمق في المعانى ، وسمو في الأغراض»^(٣) .

وأما الموسيقى الشعرية فقد اتخذ الشاعر القالب الموسيقى العربى العمودى ، فالترزم بحرا واحدا وقافية واحدة في القصيدة الواحدة ورأينا ثورته العنيفة على الشعر الحر ، في القصيدة التى سبق ذكرها والتى أعلن فيها أن طبيعة الشعر العربى الأصيل تأبى ذلك كل الإباء وإذا كان ولابد من التجديد فيكون في المعنى والمضمون بما يتناسب مع العصر الحديث وقضاياه الكثيرة .

ولم يتزحزح السنوسى عن القالب الموسيقى إقلا ولا ذلك في نظام المقطعات القائمة على البحر العروضى مع تعدد القافية في كل مقطع من مقاطع القصيدة ، وليس هذا غريبا على طبيعة الشعر العربى بل هو مثل نظام الموشحات الأندلسية مثل قصيدة (أتمنى) السابق ذكرها .

(١) الأستاذ عبد القدوس الأنصارى : مقدمة القلائد : ج

(٢) مقدمة : نفحات الجنوب ص ٨

(٣) مقدمة الأغاريد ص . ل

وأشاد بشعر السنوسى الشاعر الأمير عبد الله الفيصل بقصيدة عنوانها (حية) يقول فى
مطلعها :

أنا فى حية أموت وأحيا كل يوم وأدمعى فى شهود^(١)

ويصف الشاعر محمد حسن عواد أحد رواد الشعر العربى فى السعودية شعر السنوسى
ويشيد بروعة شعره فى قصيدته (مواطن العطاء من الانسان) منها هذه الأبيات :

والظرف طالعنا بها متبسما	والوشى جاء منمقا ومنمنا
مصرحا واللفظ كان مسلما	واللمس كان موشحا والحسن كان
تيا يمنعها الحياء تقديما	غراء من جيزان يرقصها النهى
حلبة والنسج لم يك محكما	أنسيت أنك آنذاك منشأ فى
فى الشعر أصمت إذ أراك ملعنا	إنى وأنت مواطنى ومسايرى
أو كابررو الفكر القوى القيما	لكن سواك من الذين تعاضمو
فاذا انبويت له أسف وبرطما	من كل من جعل التشاعر مهنة
والفكر أكبر أن يرام تأثما	فقد امتطوا عوجاء حين تأثما
والحسن يشجب أن يداهن نوما	والفن يرفض أن يكون ممرغا
فكأنه هرم ولما يهرما	مسخ الفتى منهم رواء شبابه
(خطب) يراه مذما ومحرمما	ورسالة التجديد عند لفيفهم
نقدا وكان كما عرفت مسمما	هى ذى المفاهيم التى أصليتها
قد خوصمو نقدا مضى متجهما	هم هؤلاء - ولست أنت - هم الأولى
يرجو الوفاء من الوفاء وفوق ما	عش للوفاء (أبأ على) مثلما
عربية نسلت عزيزا مسلما ^(٢)	ولأنت من أهليه فابق أرومة

والسنوسى .. « شاعر ضليع ، ذو قوة فى البيان ، وإشراق فى الفكر ، وروعة فى المنطق ،
وجدة فى الأسلوب ، هو شاعرنا الذى تعتر به المملكة العربية السعودية ، وتضعه فى الصف
الأول من بين شعرائها الأبرار شعراء الشباب المبدعين .. شعراء الأدب الرفيع ، واللسان العف
والضمير النقى من الشوائب والأوضار^(٣) .

(١) جريدة البلاد : عدد ٢٩٣٠ - ١٣٨٨/٧/٨ هـ

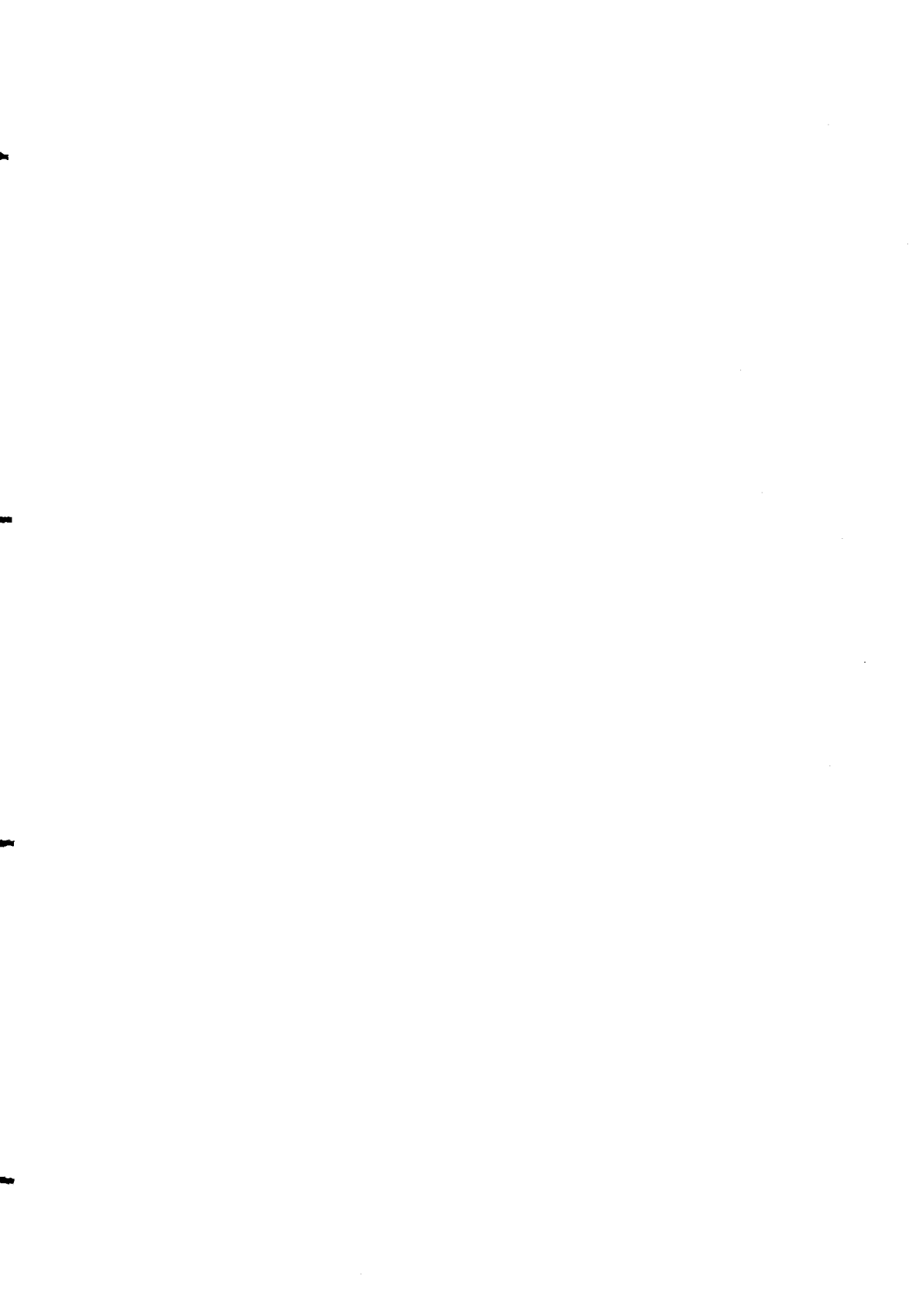
(٢) جريدة البلاد ١٣٩٤/١١/١٧ هـ

(٣) عبد القدوس الأنصارى : مقدمة القلائد : ذ

الفصل الثالث

الشاعر محمد بن أحمد العقيبي

- ١- نشأة الشاعر وحياته .
- ٢- الأغراض الشعرية والتصوير الأدبي لها .
- ٣- المدح وفصائحه الفنية .
- ٤- الشعر الوطني وفصائحه الفنية .
- ٥- الشعر الإسلامي وفصائحه الفنية .
- ٦- الشعر في الحضارة العامية وفصائحه الفنية .
- ٧- الشعر الوهدي وفصائحه الفنية .
- ٨- الوصف وفصائحه الفنية .
- ٩- الأناشييد .



نشأة العقيل وحياته :

هو الشاعر محمد بن أحمد العقيلي ، ولد في مدينة (صيبا) عام (١٣٣٦ هـ - ١٩١٦ م) .

تلقى علومه على أحد المدرسين ، وعلى والده ، وعلى الشيخ عقيل بن أحمد في الفقه والنحو والصرف وعلم المعاني وعلم البيان وغيرها من علوم العربية .

تقلب في وظائف مختلفة في الهيئات الحكومية ، واشتهر في المملكة بكتاباتة الصحفية التي كانت تستهوى القراء والعلماء والباحثين ، يقول الأستاذ حمد الجاسر في ذلك :

« لقد عرفت الأستاذ العقيلي أول ما عرفته مؤرخا وباحثا حينما كان يمد مجلة (الإمامة) منذ تسعة عشر عاما بأبحاثه التي كنت أحس وأنا أقرأها بأنني أجد فيها ما لا أجد في غيرها من أبحاث كثير من كتابنا ، مما تزخر به صحفنا ، ثم يقول : إنني أوفيته حقه في كتاب : (مؤرخو الجزيرة) .. » (١) .

واشتهر العقيلي بمؤلفاته وتحقيقاته ، منها : (المخلاف السليماني) في ثلاثة أجزاء ، وتحقيق ديوان « القاسم بن علي بن هشيميل » ، « التصوف في تهامة » ، وديوان « السلطانين من شعراء القرن السادس » ، وديوان « الجراح بن شاجر الأروى » ، وكتاب « شعراء الجنوب » بالاشتراك مع محمد بن علي السنوسي (٢) .

وفي عام (١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م) صدر ديوان (الأنغام المضيئة - نشر دار الإمامة بالرياض - ومن الغريب أن صاحب كتاب شعر العصر الحديث الذي كانت طبعته الأولى عام ١٩٣٩ هـ - ١٩٧٩ م) لم يذكر هذا الديوان ، بل أغفله تماما مع العلم بأن ديوان العقيل منشور قبل ذلك بثاني سنوات (٣) .

(١) الأنغام المضيئة : المقدمة ص ٦

(٢) انظر الترجمة في « مؤرخو الجزيرة » : حمد الجاسر ، وكتاب شعراء العصر الحديث : عبد الكريم الحقييل ٢٠٨ وغيرها

(٣) الأستاذ عبد الكريم الحقييل : صاحب كتاب شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب

وقسم الشاعر ديوانه إلى فصول ، أعطى لكل فصل عنوانا على النحو التالى : سعوديات
— فى ربوع الوطن — عربيات — حضارة — الغزليات — تحيات — الوصف — أناشيد .

والعقيلى شاعر معروف بين شعراء المملكة العربية السعودية بشعره الإسلامى المشرق
والعربى الناصع ، الذى يغلب الالتزام بتصوير المعانى السامية والأخلاق الفاضلة من نفس مؤمنة
مفعمة بالإيمان الصادق ، والإخلاص للمسلمين ، والوفاء لوطنه والقائمين عليه ، وهو من أشهر
شعراء الجنوب الذين كان لهم دور كبير فى مدرسة التجديد المحافظ ، يقول الأستاذ حمد
الجارى :

« ولكن إذا قصد بالشعر التعبير عن المعانى السامية والأخلاق النبيلة والاتصاف بها ،
ففى شعر العقيلى ما يعبر عن عمق إيمانه بالله سبحانه وتعالى ، وصدق إخلاص ، ووفاء لأمته
ووطنه ، وصادق ولاء لمن ولاهم الله أمر هذه البلاد ولاء قائما على المحبة الخالصة ... ولعل نظرة
العقيلى إلى الشعر تتفق مع نظرتة إلى الأدب .. ومن ثم يصح القول بأنه يرى الشعر ما عبر عن
كريم الخلال ، وأبرز مجالى الحسن وقوم معوج الخلق سيرا على أن الغايات — لا الوسائل —
هى أولى ما يجب أن يعنى به ويتجه إليه ولا شىء سوى ذلك » (١) .

والشاعر العقيلى تناول فى (الأنعام المضيئة) أكثر الأغراض الأدبية التى سيطرت على
الشعر فى الجنوب ، وسنوضح هذه الأغراض وخصائصها الفنية فى الموضوع والمعانى والألفاظ
والأساليب والخيال وصوره الأدبية والموسيقى الشعرية وغيرها من القيم الفنية فى العمل الأدبى .



(١) الأنعام المضيئة : حمد الجارى ص ٧

التصوير الأدبي للأغراض الأدبية

أولاً - المدح وخصائص التصوير الأدبي :

تناول الشاعر العقيلي في ديوانه غرض المدح في قصائد كثيرة ذكرها في موطنين : أحدهما : تحت عنوان (السعوديات) وتشمل هذه القصائد قصيدة (على صهوات الجو ص ١٣) ، وقصيدة (تألفت في سماء الشرق ص ١٨) ، وقصيدة (عهد الخلفاء الراشدين ص ٢٣) ، وقصيدة (يوم على صفحة التاريخ ص ٢٧) ، وقصيدة (باقة شعر ص ٣٠) ، وقصيدة (موكب التاج ص ٣٥) ، وقصيدة (تحية التاج ص ٣٨) ، وقصيدة (في سنا تاجه وصولجانه ص ٤٠) ، وقصيدة (لك الود ص ٤٣) ، وقصيدة (أبو الشعب ص ٤٦) ، وقصيدة (الفرحة الكبرى ص ٤٨) ، وقصيدة (تالألاً الحق ص ٤٩) ، وقصيدة (يا ابن عبد العزيز ص ٥١) .

ثانيهما : تحت عنوان (تحيات) ويضم هذه القصائد وهي : (حى الشباب ص ١٢٣) يحيى شباب مدرسة جازان عام ١٣٦٨ هـ ، وقصيدة (تحية الجيش ص ١٢٥) ، وقصيدة (عين من الخلد ص ١٢٧) ، وهي عين ماء جازان ، وقصيدة (قصر الامارة في جازان ص ١٣١) ، بمناسبة اضاءة القصر بنور الكهرباء ، وقصيدة (تحية الشعر ص ١٣٦) قالها العقيلي في تكريم الأستاذ الشاعر عبد الله بن خميس يمدحه في جازان بتاريخ ١٠/٢/١٣٨٨ هـ - ، وقصيدة (زهرة ص ١٣٨) يمدح بها الشاعر الأستاذ حسين سرحان .

يقول العقيلي في إحدى قصائده التى يمدح فيها صاحب الجلالة الملك فيصل المعظم ، ومطلعها : (١)

شذى يتعالى بالتجلة أو شدوا
ورن بها جازان علوية الشذى
لها ومضات البرق فى كل مطلع
وأنسام أزهار الفراديس نفضة
تضوع من فيفا عيبرا ومن رضوى
سماوية الأنفاس وقدسية النجوى
سطوعا وصوت الرعد مرتجرا دوى
على الأفق المخضل والمنظر الأحوى

(١) الأنعام المضيفة : ص ٤٣/٤٦

إلى قوله :

طلعت بعهد عبقرى طرازه تطاول أمجاد أوراق الدنا صنفوا
مواسم للإصلاح فى كل مرفق وأعياد أعمال تفوق الورى شأوا
مضت لم تشاهدها الجزيرة أو ترى لها فى تقصى عهد سالفها صنوا

إلى أن يقول :

لك الود منا خالصا لا يشوبه رياء ولا يلتات بالزيف والدعوى
يمجد فىك الفكر ريان مشرقا ويكبر فىك العقل والخلق الأقرى
وعزما لإنهاض البلاد بهمة (سعودية) التصميم (نجدية) العزوى

وهكذا يسير المدح على النمط من المدائح ، التى تقوم على استقلال القصيدة على غرض واحد من المطلع ، حتى نهاية القصيدة بلا تعدد فى الأغراض ، وهذا منهج فى القصيدة ، يخالف منهج القدماء فيها ، حيث تعددت فيها الأغراض كما هو معروف فى الشعر العربى القديم .

ومن الخصائص الفنية فى مطالعه أنه يشرك الطبيعة فى الابتهاج بالمدح فهى تتغنى معه بالثناء على المدح والحفاوة به ، وذلك فى الأبيات الأولى من القصيدة .

وكذلك فالقصيدة التى معنا تعتمد على ذكر الصفات الخاصة بشخص الملك فيصل المعظم ؛ فهو عبقرى جند نفسه لاصلاح بلاده ، وسمت أعماله فيها إلى درجة التمجيد والبهجة والسرور مثل بهجة الأعياد ، وقد سبق سلفه فيها تقدما ورقيا . كما يتصف أيضا بالفكر العميق المثمر ، والعقل الكبير ، والخلق القوى ، والعزم الشديد لانهاض بلاده بهمة اشتهرت بها الأمة السعودية ، وبتصميم نجدى فى المضاء والانجاز .

وتلك صفات شخصية يمدح بها الملك لا يتعدى أثرها انهاض المملكة العربية السعودية ذلك الوطن العربى السعودى فقط ، ولذلك أدخلت هذه القصيدة فى غرض المدح .

أما التصوير الأدبى عند الشاعر فى المدح فقد امتازت الألفاظ والأساليب بالجزالة والفصاحة ، والأسلوب بالوضوح والسلامة من الخطأ ، وإن كنت أرى أن بعض الأساليب تجدد قلقا فى مكانها من البيت بلا احكام قوى فى التركيب مثل قوله : (وأعياد أعمال تفوق الورى شأوا) والمعنى وأعمال سارة كالأعياد البهيجة ، ولكن هذا المراد من العسير اخراجه بسرعة من هذا الأسلوب وهو أعياد أعمال .

والتصوير الأدبى يعتمد على العقل والفكر أكثر من اعتماده على الخيال بصوره البيانية ، ومن التعبير العقلى الحقيقى قوله (لا يشوبه رياء ولا يلتات بالزيف والدعوى) فالشوب والزيف

والدعوى تعبيرات عقلية لا خيالية ، وحين نتذوق صورة خيالية عنده مثل (شذى يتعالى بالتجلة) نحس فيها بالجمود لا الحركة والحيوية فالشذى يتضوع أو ينساب أو يعبق أو يسمو ، ولا يتعالى بالتجلة ، فليس ذلك مألوفا مع الشذى .

وأما الموسيقى الشعرية فالشاعر ملتزم بالعمود الشعري والقالب الخليلي من المحافظة على البحر والقافية .

ثانيا - الشعر الوطني وخصائصه الفنية :

وهذا الغرض في الديوان تحت عنوان (في ربوع الوطن) وضم قصائد وهي : قصيدة (المشاعر المقدسة ص ٥٥) ، وقصيدة (الجزيرة العربية ص ٥٨) ، وقصيدة (جازان ص ٦١) ، وقصيدة (صبيا ص ٦٤) ، وقصيدة (جبل فيفا ص ٦٦) ، وقصيدة (البلاد العربية ص ٦٨) ، وقصيدة (بين جمال الطبيعة وجلال البحر ص ٧١) ، يقول العقيلي في قصيدة (الجزيرة العربية) (١) :

شبه الجزيرة منعة وإباء	وحى العروبة منيرا ولوواء
وفضاء أرض قد تألق وازدهى	أفقا يشع رسالة وهناء
أرنبو إليك فأستشف جلاله	شما توحى العزة القعساء
أعتز بالماضى العظيم وأنتشى	أملا بات يفرع الجوزاء
أرضا على التاريخ من أمجادها	عبق يردده الزمان ثناء
خفت بأعلام الفتوح فحدثت	أما وعمت الوجود رخاء
حملت مصابيح الحضارة للورى	تبنى الشعوب وتنشر الآراء
تتوسدين ذراع أحمر زاخر	كالتبر ذوبا والشعاع رواء
متألء الأمواج فى راد الضحى	متألقا ضافى الجلال مساء
يرتاد منه اللحظ أضفى زرقة	من (لازورد) يغمر الأحياء

إلى قوله :

حى الخليج وحى بحرا ماؤه
حيث المعادن والكنوز دفينه
در على وجه الخضم تراءى
والزيت منبجس العيون سخاء
وهكذا إلى آخر القصيدة ، التى يحدد معالم وطنه العزيز والمفدى ويوضح حدود الجزيرة ،

(١) الأنعام المضيئة : ص ٦١/٥٨

وهي البحر الأحمر الزاخر بالتبر والشعاع المتألق ، والمحيط في الجنوب ، والخليج العربي ، الذي فاض بكنوزه ، ومعادنه الثمينة ، وتفجر البترول من أحشائه فعم الفراء في الوطن وسادت حضارته قديما وحديثا .

والقصيدة هنا وغيرها من القصائد في هذا الغرض تقوم على غرض واحد فقط ، تدور معانيه حول موضوعه ، كما هو واضح من قصيدة الجزيرة العربية ، فاتجهت عناصر القصيدة ومعانيها وخواطر الشاعر في الموضوع وتلك هي الوحدة الموضوعية التي التزمها الشاعر في أغراضه الأدبية .

والألفاظ والأساليب جاءت هنا جزلة قوية عذبة ، والتراكيب محكمة قوية رصينة ، وأما الخيال كان عميقا ، وما زالت الحيشيات العقلية تستحوذ على شعره مثل لفظ (حيث) ليس من حقل الشعر ، وإنما هو من ألفاظ العقل والأسلوب العلمي لا الأدبي .

ثالثا - الشعر الاسلامي وخصائصه الفنية :

تناول العقيلي هذا الغرض الأدبي تحت عنوان (عربيات) ويشتمل على قصائد هي : قصيدة (هزوا اللواء ص ٧٥) ، وقصيدة (تحية الأقطاب الكبار ص ٧٩) ، وقصيدة (يوم الجزائر في جيزان ص ٨٢) بمناسبة استقلال الجزائر ، يقول العقيلي في (تحية الأقطاب الكبار) بمناسبة الاجتماع التاريخي في جدة عام ١٣٧٤ هـ لأقطاب العالم العربي الكبار (١) :

روعة الفتح وشاع الجلال	قد أعادوها على أسمى مثال
وزنا التاريخ في ذروته	ساطعا والشرق وهاج الخلال
وخطا خطوة جبار إلى	ساحة العز وأجواء الكمال
هتفت أصواته قاصفة	تملأ الدنيا بأجماد الفعال
أى روح أيقظوها فسمت	تلهب الشرق حماسا واشتعال
نفثوا في كل صقع قوة	للكفاح الحر في دنيا النضال
فأقضوا مضجع البغى على	قدم العهد وإفساح المجال
في الجنوب الحر في الأردن في الـ	مغرب الأقصى وفي سوح القتال
لم يفق من غشية الهول على	صفعة إلا وأخرى في القذال
خطط محكمة التدبير في	سرعة التنفيذ من جد النضال

(١) الأنغام المضيئة : ٨٢/٧٩

إلى قوله :

حيوا أقطابا كبارا وثبوا
دعموا الوحدة من أساسها
في اجتماع وجف الغرب له
أطلع الشرق بهم في أفقه
سادة من أعظم القادة في
ينضح الاخلاص من أعطافهم
نذروا الأنفس للذود عن الـ
وبناء الوحدة الكبرى على
مستمدين على إخلاصهم
إنها التهيئة العظمى لمن
وبناء لوجود صادق
وانتفاضات حياة حرة
هزت الأمة من أطرافها

إلى قوله :

شهدت مكة في ساحاتها
تخفق الأعلام نشوة عزة
الشموس الغر من يعرب قد
موكب القادة يسمو في احتيال
وتميد الأرض فخرا والجبال
سطعت في مكة ذات الجلال

الآبيات كلها تدور حول الغرض منها وهو وحدة الأمة الاسلامية في كفاحها ضد أعدائها ، فأقتضوا مضاجع البغاة وارتجف الغرب ، في تصوير أدنى يقوم على ألفاظ جزلة وكلمات فخمة ، وأسلوب قوى ، أحكم صنعته ، وعاطفة صادقة مشبوبة ، ومشاعر حية نابضة ، لكن لا أدري كيف ينضح الاخلاص من الأعطاف ؟

أما الموسيقى الشعرية في القصيدة فلا تتناسب مع الحماسة في الغرض ، الذي يقوم على حفز همم القادة ، والأمة العربية ضد الغرب أعداء الاسلام والعربية ، وهذه الحماسة تقتضى بحرا كثير التفاعيل ، وقد كان هذا على نحو ما ، لكن الذى لم يكن الإيقاع المناسب للغرض ، فالحماسة تقتضى إيقاعا عنيفا يعصف بالحمم ، وموسيقى داخلية نائرة تتفجر بركانا ملتبها ، والنعف والعاصفة ، والثورة والبركان تتنافى مع كثرة حروف اللين والمدات في داخل الآبيات ، التى تحدث رخاوة وهدوءا وبطأ وامتدادا ، انظر إلى حروف اللين في البيت في أصواتها الرخية التى تحتاج إلى نفس طويل لا أنفاس حماسية متتابعة مما يجعل اللسان يتعثر في النطق بهما بما لا

يتناسب مع السرعة في الحماسة فمثلا في البيت الأول فيه (شاع الجلال — أعادوها على — أسمى — مثال) ثمانى مدات في بيت واحد ، وفي البيت الثانى (رنا — التاريخ — فى — ساطعا — وهاج — الخلال) سبع مدات بالاضافة إلى تعثر اللسان بشدتين فى التاريخ وفى وهاج ، مما يزيد التثاقل والبطء وهكذا فى كل الأبيات حتى نهاية القصيدة وكان الأولى بالشاعر تبعا للحماسة أن يستبدل كلمات يحمل السكون فيها محل حروف اللين وكلاهما واحد فى مقياس التفعيلة والوزن ولكنهما مختلفان فى الإيقاع المناسب للغرض فاللين يتناسب مع الأغراض التى تحتاج إلى تأمل وطول نفص كالرثاء والاعتذار وشعر الوجدان أما التسكين لما فيه من القطع والعنف لا الرخاوة والامتداد يتناسب مع الحماسة والمدح والفخر ، وأغراض القوة كلها .

وكذلك كان الأمر فى القافية ، فقد أحل حرف اللين مما ينبغى أن يكون فى الحماسة من القوة والدقفة العنيفة التى لا تتأتى من حرف اللين فى القافية وإنما يوحى بها السكون الذى يجزم الأصوات ولا يحط فيه ، وإذا أعدنا النظر إلى القافية كلها لكان الأمر كذلك مثل (مثال — الخلال — الكمال .. الخ) .

رابعاً — شعر الحضارة وخصائصه الفنية :

وجاء هذا الغرض فى الديوان تحت عنوان (فى الحضارة) واشتمل على قصائد ، منها قصيدة (برسى شيلى ص ٨٩) وهو من أشهر شعراء الانجليز ١٧٩٢ ، ١٨٢٢ م ومن دواوينه (أدونيس) ومن أشهر كتبه (ثورة الاسلام) ومطلعها (١) :

روح على الفن من إشعاعه ألق يلوح فى ومضات الفكر يأتلق
وشعلة من ذكاء ظل يلهبها قلب غدا بأوار الحب يحترق

وقصيدة (قمة افرست ص ٩٢) بمناسبة اكتشاف القمة الخالدة ، وقصيدة (القبلة الذرية) ومطلعها : (٢)

صدى نبأ قد رددته الجوانب وسر اكتشاف حقيقته التجارب
أصاحت له الأفلاك والدهر واجف وحارت له الأفكار والكون واجب
به رجحت للسلم فى الكون كفة وأدرك أسمى غاية النصر غالب
قوى طاقة الذر الذى فى اكتشافها تحقق من أسمى المطامح جانب
قوى لو بها راموا البناء أحدثت أمورا تعم الكون منها الغرائب

(١) الأنعام المضيئة : ٩٢/٨٩

(٢) الديوان : ٩٨/٩٣

قوى من شعاع لا تقاس إذا بدت
إذا فجروها غيم الجو فجأة
وأظلم قرص الشمس وامتقع الضحى
ودوى انفجار ترجف الأرض رهبة
أمن (ذرة) لا تبصر العين جرمها
هباء من الأجرام طار مفرقا
تؤول قوى حصادة أنفس الورى
تضائل عنها الكهرياء وسرها
إلى قوله :

أفى العدل أم فى العرف أم أى شرعة
ترى يستجاز الظلم فى حق أمة
ويقضى على حق الليوث بذلة
من الشرع قد قامت عليها المذاهب
مسألة أخنت عليها النسائب
لتحى على أوطانهم الثعالب

ومن شعر الحضارة قصيدة (باكستان ص ٩٨) قالها العقيلى حين زار الملك فيصل
باكستان عام ١٣٨٨ هـ ، ومنها قصيدة (ديجول ص ١٠١) الرئيس الفرنسى فى ذى الحجة
عام ١٣٨٨ هـ ، وقصيدة (الحية) للشاعر الانجلىزى (رسكن) عام ١٣٨٨ هـ .

ومن خصائص شعر الحضارة عند العقيلى أن موضوعاته متنوعة فتارة يصور فى شعره
العربى أدب الحضارة والرقى فى انجلترا ، وحضارة الاسلام التى فرضت وجودها كحقيقة مقررة
على أعداء الاسلام وذلك فى قصيدته (برسى شيلى) الشاعر الانجلىزى الفذ الذى سجل حضارة
الاسلام فى كتابه (ثورة الاسلام) وهذا يدل على سعة ثقافة شاعرنا العقيلى . وكذلك الأمر
بالنسبة للشاعر الانجلىزى (رسكن) .

وتارة يصور فى شعره الحضارة المادية العلمية فى عصر التقدم الذرى وذلك فى قصيدته
(القنبلة الذرية) فىرى أنها ستكون من دوافع السلم لا الحرب ، بل ينبغى أن تستخدم الطاقة
الذرية فى تقدم الأمم وحضارتها لا فى دمار الحروب والقضاء على التقدم البشرى لأنها فى ذاتها تقدم
علمى حضارى فكيف تستخدم فى التدمير والارهاب .

وتارة يصور فى شعره حضارة الاسلام فى باكستان التى أوجبت على زعماء الأمة الاسلامية
أن يتعاونوا ويقفوا صفا واحدا ضد أعدائهم ، وهذه الروح الوثابة تبدو فى أسمى مظاهرها حين
التقى الملك فيصل رحمه الله تعالى بالأمة الاسلامية فى باكستان ليوثق هذه الروابط الاسلامية
العالمية ، وذلك فى قصيدة (باكستان) .

وتارة يصور فى شعره الحضارة الغربية البناءة فى شخصية زعيم من زعمائها (ديجول)
الرئيس الفرنسى الذى أعلن شعار الاسلام فى هذا العصر ، فقد انتهى عصر الحروب

والاستعمار والظلم والاستبداد بالشعوب الضعيفة ، والانسان اليوم في أشد الحاجة إلى بناء الحياة على أساس السلام والتقدم والرفاهية وترسيخ الحضارة العلمية التي تسمو بالأُمم وتحقق للانسان حرية واستقراره وترفرف عليه السعادة والرفاهية ، وذلك في قصيدة (ديجول) الذي أنشدها العقيلي في ذى الحجة عام ١٣٨٨ هـ .

وتلك التجارب الشعرية تدل على سعة ثقافة الشاعر العقيلي واهتمامه بقضايا الانسان بصفة عامة ، ومواكبة الحضارة والرقى البشرى في أى موقع من مواقع الانسان فى العالم ، والدقة فى اختيار الموضوعات تدل على ذكاء الشاعر وعمقه ، وإدراكه الواعى والدقيق للقضايا التي تنبئ عليها حضارة الانسان فى العصر الحديث .

والتصوير الأدبى فى شعر الحضارة جديد فى صوره الخيالية البديعة من حيث المضمون وخصوصية الخيال وروعه فالقنبلة الذرية اكتشاف علمى جديد يقتضى من الشاعر خيالا واسعا وخصبا عميقا ، يستمد التصوير الأدبى روافده القوية من خصوصيته وعمقه .

والإيقاع الموسيقى هنا يتلاءم مع الغرض فكان رافدا قويا من روافد الابداع فى التصوير الأدبى وقوة الإيقاع فى القصيدة ترجع إلى تناسب حروف اللين الكثيرة مع التروى والتأمل وطول النظر فى مجال العلم وساحة البحث والفكر .

وقد يصور الشاعر الحضارة العربية فى الوطن السعودى من خلال التقدم فى الفكر والعلم فى هذا البلد الأمين ، وذلك حينما يمدح رائدا من رواد الفكر والعلم والأدب والنقد وهو الأستاذ حمد الجاسر يصور ذلك كله فى قصيدته (يا ومضة الفكر) يهديها إلى علامة الجزيرة حمد الجاسر فى ١٣٩٠/٧/٢٤ هـ (١) ومطلعها :

يا قمة شامخة فى الذرى
ومضة للفكر وهاجرة
وفيض علم زاخر دافق
شموخك البكر سنا روعة
وكوكبا بين مسار الخلود
تضىء فى العصر ضياء البدور
مستفحل التيار طامسى المدود
علوية من نحوات الحدود

* * *

يا قلمما كالبراق فى ومضة
كالجدول المنساب فى رقعة
يعطى الضاد بأمجاده
يستنطق الآثار مستلهمما
ورعشة النجم وسحر المساء
وكالأعاصير وعصف الهواء
فى العلم والبحث وكشف الخفاء
روائع التاريخ فيها مضاء

* * *

(١) الأنغام المضيقية : ١٣٥/١٣٣

إلى قوله :

من رادة العلم ورواده ومن حداة العلم في كل ناد
من معشر حياتهم منجسم ثر يمد الفكر منه امتداد
تراث علم خالد في السورى وإرث فن نوره في اتقـاد
ونبع خير وجمال سمـت بها نفوس وتعالـت بلاد

★ ★ ★

إليك أستاذى صدى نغمة من قمم الإلهام تستنطق
من يشق سامى الرؤى والهوى لنفحها الأرواح تستنشق
تبقى على الآماد فى نضرة يشع من لألائها رونق
قد رسمت لكم فيها سيرة وضيئة أو خلق مشرق

وتقوم هذه القصيدة فى قالبها الموسيقى على نظام المقطعات وهو خروج محافظ .

خامسا — شعر الوجدان وخصائصه الفنية :

تناول العقيلي هذا الغرض فى ديوانه تحت عنوان (الغزليات) ، وتشمل قصيدة (الغرام الأول ص ١٠٩) وهى أول قصيدة للشاعر فى عام ١٣٥٩ هـ ، وقصيدة (نظرة فى الغسق ص ١١١) فى عام ١٣٦٠ هـ ، وقصيدة (كنت يا دار ص ١١٢) ، وقصيدة (على ضفاف فوار انظلياس ص ١١٥) أنشدها العقيلي فى لبنان وهو يعالج ، وكان فى صحبته صديقه الأستاذ حمد الجاسر ، وقصيدة (الباخرة العربية كليوباترا ص ١١٨) .

يقول العقيلي فى (كنت يا دار) حين مر على دار غرامه الأول فشجاه دثورها ، فأنشدها وأهداها إلى السيد محمد عقيل بن أحمد ومطلعها(١) :

كنت يا دار على رغم البلى
هيكـل الحب ومحراب الهوى
حرما للحسن قد شع على
ساحة الظهر وقد حام السنا

★ ★ ★

(١) الأنغام المضيقية : ١١٥/١١٢

طالما رفت قلوب وهفت
مهج صوبك في جنح الظلام
حومت خفاقة تمنعها
هية الوجد ويدنها الغرام

كان مصباحك قلبا نابضا
وشعاعا في الدياتجى يهتف
فاذا للألأ في أفق الدجى
دنت الأرواح منه تلهف

تمتلاك لحاظ عربدت
تحتسى حسنك سكرى لا تفيق
غرقت في نشوة الحب وقد
طاف جام الحسن يطفو بالرحيق

فلك أنت لشمس أفـلت
طالما شعت على تلك الخدور
حجب الموت سناها فهوت
وكذا تغرب في الأفق البدور

هكذا وردت القصيدة في الديوان مقطعة الأبيات إلى شطرات كل مقطعة بيتان مشورة في أربع شطرات ، والمقطع متحد القافية ومختلف فيها مع بقية المقطعات الأخرى ، وهذا أقصى ما يخرج فيه الشاعر على القالب الموسيقى العمودى ، وخروجه في القافية لا في الوزن والبحر حيث التزمه في شعره كله . وتخيّل أن الشاعر بهذا التفتيت للأبيات والتمزق فيها يريد أن يضيف على المقطعات هيلمانا أكبر ليكون المقطع في أربعة أسطر لا في بيتين على سطرين ، ولا أظن أن الشاعر يريد أن يهيج طريق شعراء التفعيلة في اكتناز المسافة في السطور والاطناب من غير داع في كثرتها . لأن الشاعر معتد بمدرسته المحافظة على شكل القصيدة ومنهجها الموسيقى .

والتصوير الأدبى في القصيدة بناء فنى قوى يستمد قوته من العاطفة المشبوبة ، والمشاعر العميقة المتدفقة ، والألفاظ الرقيقة العذبة ، والأسلوب السهل المنساب ، والخيال القوى الخصب ، والموسيقى الممتعة الجذابة . فالدار الدثورة لا زالت هيكل الحب ومحراب الهوى وهمى

للحسن ، وساحة للطهر ، ترف حولها القلوب خفاقة يُوججها الشوق ، ويمنعها هيبه الوجد ، مصباحها قلب نابض يهتف شعاعها بالحياة فتستجيب لها الأرواح في لهفة وشوق ، تعود إلى الماضي والذكريات وإذا بالحقيقة ضاعت بين الدثور والغرام قد انطوى في الغيوب ، واختفى في الحذور ، وهكذا الشأن في البدور حينما يلفها الأفق وراء الغروب .. صور خيالية رائعة تعد أروع الصور في شعر العقيلي .. حيوية وحركة وقوة وتأثيرا .

وهكذا يمضي الشاعر في الشعر الوجداني وهو من أقوى الأغراض الأدبية في ديوان الشاعر من حيث التجربة الشعورية الصادقة والعاطفة المشبوبة والمشاعر الحارة المتدفقة ، والروعة في التصوير الأدبي وخصوبة الخيال ، في صوره الأدبية النابضة البديعة .

سادسا - الوصف وخصائصه الفنية :

وجاء هذا الغرض بعنوان (الوصف) واشتمل على قصيدتين الأولى قصيدة (كإح الجحل ص ١٣٩) والثانية قصيدة (قلم ص ١٤٠) ومطلعها :^(١)

هنا قلم شخت الشباه نجيل	به الفن يسمو والبيان يصول
ترشف أضواء الكواكب وانثنى	يداعب ومض البرق وهو صقيل
يحوم بأفاق الخيال محلقا	ويمرح في دنيا الهوى ويقيل
ويبدع في تصوير ألوان شعره	ظلالا وأضواء تكساد تجول
خطوط من الإلهام في الشعر صورت	عواطف تسمو بالحجا وميول
ها من جلال الفن ما يبهز النهى	جلالا ومن زهو الحياة دليل
ها روعة الليل البهيم إذا دجى	ومن بهجة الصبح المبين شكول

وهكذا إلى آخر القصيدة يصور فيها القلم يصف شكله ودوره في جودة الخط وجمال التصوير ، وما يصول فيه العلم والبيان الذى تبدد أنواره ظلام الجهل مثل الكواكب التى تبدد الظلام وموض البرق وسط الغيوم ، كما يخلق مع الخيال ويسجل أحاديث الهوى وشجون المحبين ، ويدج الشعر ألوانا وظلالا فيسير بين الناس ينقل إليهم عواطف الشعراء وخواطرهم وميوهم فيأخذ بالعقول ويستولى على القلوب بجلاله وسحر فنه ويث الروعة في الليل البهيم ، وينشر البهجة في الصبح النير ، وغير ذلك من معاني القصيدة وأفكارها العميقة في صور أدبية رائعة وخيال عميق ، وألفاظ عذبة رقيقة ، وأسلوب واضح محكم لا قلق فيه ولا اضطراب يلتزم فيه بخصائص مدرسة التجديد المحافظ على منهج القصيدة العربية القديمة .

(١) الأنغام المضيئة : ١٤٠/١٤٣

سابعاً — الأناشيد :

ويشمل هذا الغرض نشيدين : أحدهما (نشيد المملكة العربية السعودية ص ١٤٣) ،
وثانيهما نشيد (أبناء الجزيرة العربية ص ١٤٥) ومطلعه^(١) :

نحن أبناء الجزيرة
أجمد الأحياء في التاريخ سيره
نحن نسمو للمعالى
نحن نسعى للصالح

نحن أصل العرب في كل البلاد
زاننا صفوة خلق الله من بين العباد

إنه سامى الفعال
خير داع للفلاح

وهكذا إلى آخر النشيد في خفة وزن وحلاوة أسلوب وشرف المعنى وسمو الهدف ، وجمال التصوير ، ليدل على أن العقيل يستطيع بملكته الشعرية أن يتناول كل الأغراض في شعره يتناول القصيد ، والمقطوعات الغنائية الخفيفة مع فصاحتها وسلامة الاعراب فيها .

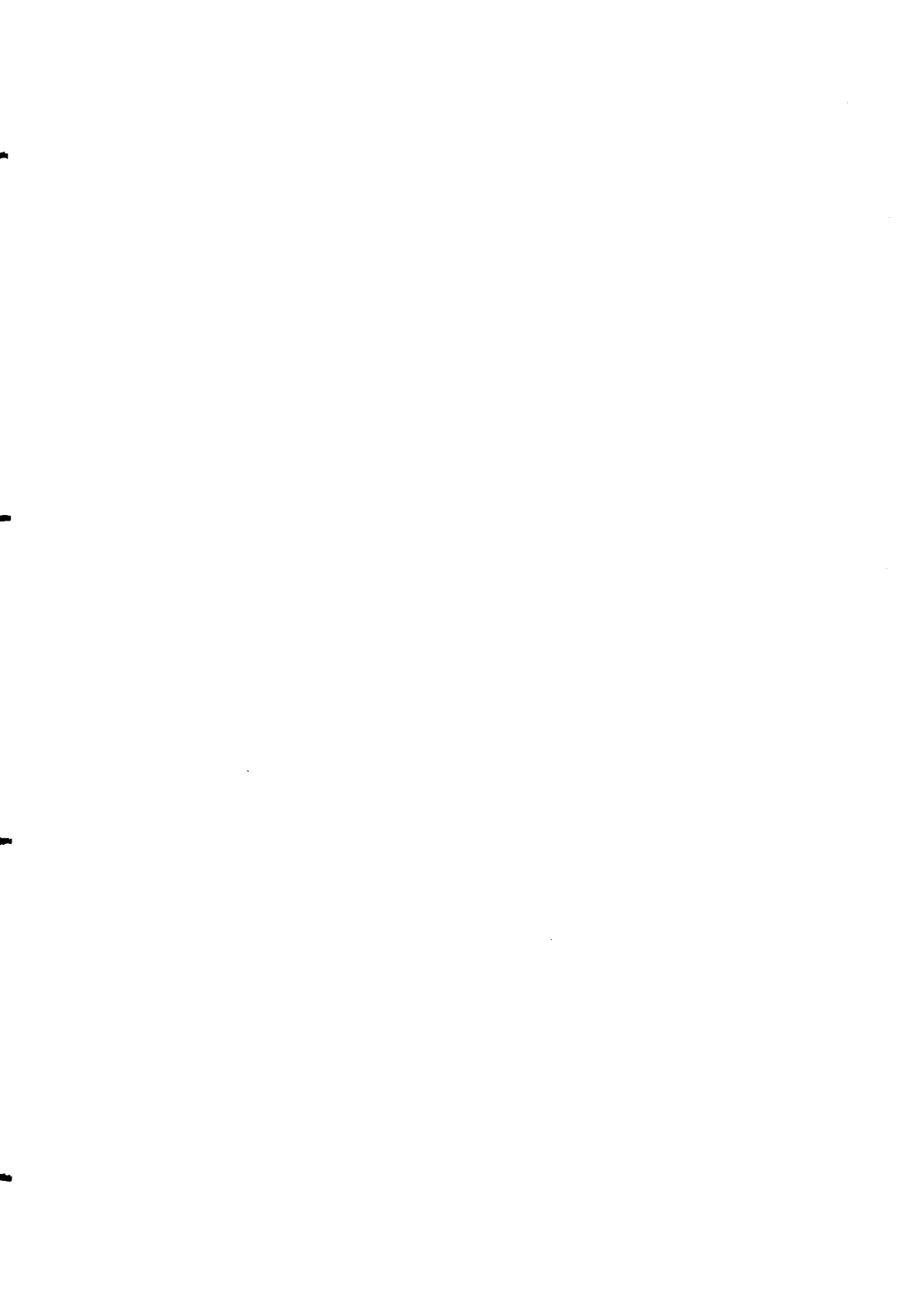


(١) الأنغام المضيئة : ١٤٥

الفصل الرابع

الشاعر زاهر عواض الألمعي

- ١- نشأة الشاعر وحياته .
- ٢- الأغراض الشعرية وفصائلها الفنية .
- ٣- التجربة السعودية .
- ٤- المناهات في الشعر .
- ٥- الصدق الفني .
- ٦- الألفاظ والأدباليب .
- ٧- الخيال وصوره الجزئية .
- ٨- الوحدة الفنية في شعر زاهر .



نشأة الشاعر وحياته

هو الشاعر الدكتور زاهر عواض الألعى ، من مدينة (رجال المَع) في الجنوب ولد عام (١٣٥٣ هـ) .

وفي مقبل شبابه انخرط جنديا في سلك الخدمة العسكرية (بجازان) عام (١٣٧١ هـ) ، ومن خلال عمله كان يواصل دراسته عند بعض المشايخ في جازان ، وخاصة بعد فراغه من العمل اليومي .

وفي عام (١٣٧٦ هـ) استقال من الجندية ، ليلتحق بمعهد (شهداء العلمى) ليكون طالبا فيه عام (١٣٧٧ هـ) .

وبعد أن استكمل دراسته في المعهد العلمى التحق بكلية (العلوم الشرعية) بالرياض .

وحيثما تخرج من الكلية انتدب للتدريس (بمعهد أبها العلمى) في عام (١٣٨٩ هـ) ، ثم ارتقى مديرا (لمعهد نجران العلمى) في عام (١٣٨٥ هـ) .

وفي زحام الحياة والعمل حصل على (الليسانس) من (كلية الشريعة) بالرياض في عام (١٣٨٦ هـ) ثم (الماجستير) من كلية (أصول الدين) بجامعة الأزهر في عام (١٣٨٩ هـ) .

وبعد حصوله على (الماجستير) عين أستاذا بكلية (العلوم الشرعية) خلال عامى (٩١ - ١٣٩٢ هـ) ، وفي أثناء ذلك حصل على درجة (الدكتوراة) من كلية (أصول الدين) جامعة الأزهر .

وبعد حصوله على (الدكتوراة) تقلد منصب العمادة لشؤون المكتبات بجامعة الامام محمد ابن سعود الاسلامية .

والشاعر زاهر له مؤلفات مطبوعة ومخطوطة : منها كتاب (مع المفسرين والمستشرقين في زواج النبي ﷺ بزَيْنَب بنت جحش) ، (مداخل الأصول الفقهية) ، (أصحاب الأخدود) ، (مناهج الجدل في القرآن الكريم) (١) .

(١) انظر شعراء العصر الحديث : عبد الكريم الحقييل : ص ١٤ ، وديوان (الألمعات) التقديم

وفي عام ١٣٩١ هـ) صدر له الديوان الأول (الألبعات) في حجم متوسط ، ١٥٦ صفحة ، طبع دار القلم في بيروت ، وقدم له الأستاذ عبد العزيز الرفاعي . الطائف في ١٣٩١/٦/٤ هـ .

وفي عام (١٤٠٠ هـ) صدر له الديوان الثاني (على درب الجهاد) في حجم متوسط ، ٢٢٠ صفحة ، مطابع الفرزدق التجارية بالمملكة العربية السعودية .

يقول الأستاذ عبد العزيز الرفاعي في تقديم الشاعر : صاحب هذا الديوان عصامية متجددة ، بدأ حياته من أول درجات السلم ، ثم أخذ يتدرج صعودا كلما ارتقى درجة حفزته نفسه الطموح إلى أخرى أعلى ، فاندفع وفي نفسه مضاء وعزم وأمامه هدف ، ولا أدل على ذلك من ترجمة حياته المثبتة في هذا الديوان فهو يبدأ حياة الكفاح جنديا في أول سلم الجندية ، ثم يأخذ في الارتقاء لا في سلم الجندية ، فقد غادرها إلى حياة التعلم والتعليم ، لكنه لم يفقد روح الجندي عزيمته وتصميما وتطلعا إلى مرتبة أعلى^(١) .

ويقول الشاعر في تصدير الديوان الثاني : هذا هو ديواني الثاني يضم بين دفتيه عشرين قصيدة حروفها نبض قلب يعتصره الألم لما عليه حال أمتنا الاسلامية ، ومعانيها ومض فكر توثقه هموم الأجيال المسلمة التي تنون إلى تحرير أرض الاسلام من قبضة الأعداء ، وتطبيق شرع الله في جميع الأرجاء .. وهي في مجموعها مرآة تعكس ما يعتلج في قلوب بنى العروبة والاسلام من آلام وآمال . وما تتطلع إليه أجيالها من حسن مآل^(٢) .



(١) مقدمة ديوان الألبعات

(٢) على درب الجهاد : ص ٥

الأغراض الأدبية

تعددت الأغراض الأدبية في شعر زاهر ، وإن غلب على الديوان الثاني (على درب الجهاد) الشعر الاسلامى ، واحتل هذا الغرض مكان الصدارة من شعره كله ، ثم تأتى أغراض أخرى دونه من أهمها شعر القوميات والوطنيات ، وشعر الطبيعة ، والرثاء ، والمدح ، وشعر الحضارة .

وهذه الأغراض الأدبية ، منها ما هو قديم سبقه إليها الفحول من الشعراء القدامى ، ومنها الجديد ، الذى تجاوب به الشاعر مع قضايا عصره ، وعالمه الاسلامى والعربى ، أو كان الغرض صدى لواقع البيئة التى يعيشها الشاعر فى عالمه المعاصر ، وسأوضح ذلك عند تناول كل غرض أدبى على حدة فى مكانه باذن الله تعالى .

أولا — الشعر الاسلامى :

هو الغرض الأدبى الغالب على فنه الأدبى ، وسيطر على عطاء الشاعر فى كل مناسبة اسلامية ، أو قومية ، أو وطنية ، فالمناسبات كانت من أهم الدوافع ، التى جعلت الشاعر من الشعراء الملتزمين فى الشعر السعودى خاصة والاسلامى بصفة عامة ، وهناك دوافع أخرى تقف من وراء هذا الدافع وهى :

١ — روح الجنديّة والعسكريّة ، التى بدأ بها حياته العملية قبل أن يكون طالبا للعلم ، فأحييت فى نفسه غريزة الحث على الجهاد فى سبيل الاسلام والمسلمين .

٢ — حضور مؤتمرات الحجيج فى منى وغيرها ، وخاصة فى الحفل الذى يقيمه جلالة الملك سنويا فى « منى » فينتهز الشاعر هذه الفرصة ليعبر عن مشاعره الاسلامية فى هذا الموكب العظيم ، الذى يفجر المشاعر عند كل مسلم ، ويحرك الأحاسيس ، ويلهب العواطف الجياشة ، ويهب الوجدان والضمير ، نحو التضحية والفداء فى سبيل الاسلام والمسلمين .

٣ — تخصصه العلمى والعمل فى حياته العملية ، فقد حصل على أعلى درجة علمية ، وهى « الدكتوراه » فى الشريعة الاسلامية ، وعمل أستاذا فى كلية « العلوم الشرعية » ، ثم عميدا لشؤون المكتبات فى جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية .

٤ — التحدى السافر من تكاتف الصليبية المسيحية مع الصهيونية العالمية أعداء الاسلام

ضد المسلمين وعقيدتهم ، مما أدى إلى السيطرة على أراضيهم واستغلال أموالهم واحتلال القدس الشريف ، فانطلق الشاعر يحث الأمة الاسلامية على التضامن في سبيل التحرير الكامل للقدس الشريف والأراضي الاسلامية العربية .

والشعر الاسلامي يضم هذه القصائد في ديوانه « الأمليات »^(١) منها قصيدة « مؤتمر الحج الأكبر ص ٣٣ ، ٣٨ » ألقاها الشاعر في الحفل السنوي الذي أقامه جلالة الملك فيصل ابن عبد العزيز ، تكريماً لحجاج بيت الله الحرام في « منى » ١١/١٢/١٣٨٩ هـ ، وقصيدة « من رحاب الله ص ٣٩ ، ٤٨ » ألقيت في الحفل السنوي الذي أقامه جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز تكريماً لحجاج بيت الله الحرام « بمنى » في ١١/١٢/١٣٩٠ هـ ، وقصيدة « جحافل المجد ص ٥٤ ، ٥٦ » ألقيت في الحفل الثقافي ، الذي أقيم في « معهد شقراء العلمي » في ١٣/٦/١٣٧٨ هـ ، وقصيدة « دولة الاسلام في ماضيها المجيد ص ٧٢ ، ٧٦ » ، ألقيت في حفل كبير « بمعهد أبا العلمي » في ١٨/٧/١٣٨٤ هـ .

أما قصيدة « من ربا أم القرى ص ٨٢ ، ٨٧ » ، ألقيت في الحفل السنوي الذي أقامه جلالة الملك « فيصل بن عبد العزيز » تكريماً لحجاج بيت الله الحرام في « منى » في ١١/١٢/١٣٨٨ هـ ، وقصيدة « تحية المعهد ص ٩١ ، ٩٢ » أنشدها الشاعر عندما زار أحد المعاهد العلمية ، فأعجب بشبابه النابهن ، ولمس فيهم الطموح ، فحيا المعهد بها ، وقصيدة « نجدة الاسلام ص ١٠٨ ، ١١٢ » ألقيت في حفل ثقافي كبير « بمعهد شقراء العلمي » حضره عدد من رجال التربية والتعليم ؛ وقصيدة « وحدة العرب ص ١٣١ ، ١٣٥ » ألقيت في حفل ثقافي كبير أقامه « معهد أبا العلمي » عام ١٣٨٣ هـ .

أما الشعر الاسلامي في ديوانه « على درب الجهاد »^(٢) فقد اشتمل على قصائد منها : قصيدة « عودي إلى درب الجهاد ص ٩ ، ١٧ » ألقاها الشاعر في « منى » عام ١٣٩٩ هـ ، يناشد فيها ليلاه العودة إلى أصلاتها ، ويحذرها من كيد أعدائها المتربصين بها ، ولا يرى لها انفكاكا عن دينها ووحدتها ، لأنها معدن التضحية والفداء ، ويناشد المسلمين نبذ الفرقة والخلاف وتحرير المسجد الأقصى ؛ وقصيدة « في رحاب البيت ص ١٩ ، ٢٥ » ألقيت في موسم الحج « بمنى » لعام ١٣٩٤ هـ انطلاقاً لما يجيش في صدر الشاعر من حب لبيت الله الحرام تتجلى في وصف المشاعر المقدسة ومواكب الحجيج ؛ وقصيدة « مشاعر الالهام ص ٢٧ ، ٣٧ » ألقاها الشاعر في مؤتمر الأدباء بمكة المكرمة عام ١٣٩٤ هـ بدأها بمطلع غزلي

(١) في كل صفحة منه ستة عشر بيتاً تقريباً

(٢) تضم الصفحة الواحدة خمسة أبيات تقريباً

عفيف ، ثم يشيد بالرسول الأعظم ورسائله الخالدة ، والقصيدة تعكس معاني الحب الصادقة في قلب الشاعر .

أما قصيدة « وحدة العرب ص ٣٩ ، ٤٦ » ، وهى فى تصور الشاعر تختلف عن المفاهيم القومية الضيقة ، فيوضح الأسس السليمة التى يمكن أن تقوم عليها هذه الوحدة ، لتلتقى مع الوحدة الاسلامية الشاملة ، فواقع الأمة الراهن من أهم ما يشغله ، والقصيدة تعكس جانباً كبيراً من الدعوة إلى الوحدة والاهتمام بها ؛ وقصيدة « ضيوف الرحمن ص ٧٥ ، ٨٢ » ألفت فى « منى » عام ١٣٩٤ هـ لايفاظ مشاعر الحجاج حول قضايا الساعة ، والإشادة بأبطال الاسلام ومنهم المغفور له الملك فيصل بن عبد العزيز طيب الله ثراه ، فقد خصه بأكبر جزء من القصيدة .

وأما قصيدة « فى ربا الحرمين ص ٩٥ ، ١٠٥ » ألقاها الشاعر فى منى عام ١٣٩٥ هـ ، يصور فيها أثر فرقة المسلمين واختلافهم فيما بينهم من المأسى التى تحز فى قلب الشاعر ، فيحث المسلمين على التمسك بأهداب الشرع الشريف ، ويحضهم على نبذ الفرقة والخلاف ، وذلك فى الحفل الذى يقيمه جلالة الملك سنوياً « بمنى » ؛ وقصيدة « دعوة الحق ص ١١٧ ، ١٢٩ » يتهل فيها الشاعر إلى الله تعالى أن يوقظ أمة الاسلام ، ويلم شعنها على الكتاب والسنة ، وعلى اقتفاء آثار الرسول الأعظم ﷺ وخلفائه الراشدين فى الجهاد فى سبيل نصره الاسلام ورفع رايته ، ولم ينس كعاداته أن يذكر المسلمين بما يحيط بهم من أخطار تهددهم ، وتهدد عقيدتهم وكيانهم ، وقصيدة « فجع الأيام ص ١٣١ ، ١٤٠ » ، يرثى فيها الشاعر فقيد العروبة والاسلام الملك فيصل بن عبد العزيز طيب الله ثراه ، ويشيد بآثاره ومناقبه التى قدمها فى خدمة الاسلام والمسلمين فى كل قطر ، ويهيب بالزعماء أن يقتفوا أثره فى مواقفه الاسلامية والسياسية الرائعة .

وأما قصيدة « فى مشاعر الحج ص ١٤١ ، ١٥٧ » ألقاها الشاعر فى « منى » عام ١٣٩١ هـ يهيب فيها بالمسلمين لنصرة دين الله وإحياء شريعته ، ومحاربة الفساد والإلحاد فى كل قطر من أقطار المسلمين ، ويذكرهم بما يجرى فى المسجد الأقصى من عبث وفساد الصهانية ، كما يذكرهم بما جرى للدولة الاسلامية الشقيقة « باكستان » من الغزو الوثنى الذى دبره أعداؤها ، وعاضده الكفار الملاحدة ، وما يجرى على مسلمى « زنجبار » و « الفلبين » من التنكيل العنصرى ، والاضطهاد الصليبي ؛ وكذلك من « قصيدة فى حرب رمضان ص ١٥٩ ، ١٦٦ » ألقاها الشاعر فى « مكة المكرمة » عام ١٣٩٣ هـ ، وتحطيمه لخط « بارليف » ، ويحث المسلمين كعادته على استعادة القدس الشريف ، وتحريره من احتلال أعداء الانسانية « اليهود » .

وأما قصيدة « رسالة الاسلام الخالدة ص ١٦٧ ، ١٧٧ » ألقاها الشاعر على جموع

الحجيج لبيت الله الحرام في الحفل الذي يقيمه جلاله الملك في كل عام ، وأشاد في هذه القصيدة بعظمة الاسلام ومجده وفتوحاته العظمى وقهره للفرس والرومان أغنى دول العالم في فجر الاسلام ، كما أشاد بانتصارات المسلمين في « حطين » و « ذات الصواري » ، وحث المسلمين على استعادة مجد الآباء والأجداد من أبطال الاسلام ، وقصيدة « يا قادة الاسلام ص ١٨٧ ، ١٩٦ » ألقاها الشاعر في « منى » عام ١٣٩٨ هـ على وفود الحجيج يشيد فيها بمجهود وجهاد الرسول الأعظم محمد ﷺ والسابقين الأولين ، ويحث صاحب السمو الملكي الأمير فهد ابن عبد العزيز للعمل على لَم شعث العرب ، وتوحيدهم تحت راية الاسلام لانقاذ القدس الشريف .

وأما قصيدة « رحاب القدس ص ١٩٧ ، ٢٠٥ » وهذه القصيدة تشغل بال الشاعر ، فلا تكاد تخلو قصيدة من قصائده دون تعريج على القدس ، ودعوة المسلمين لتحريرها ، ولكنه لا يرى مع النزعات القومية والأحزاب المتصارعة بارقة أمل لتحرير المسجد الأقصى ، ولا يرى سبيلا لتحريره إلا بالعودة إلى الاسلام ، واجتماع الكلمة على منهج الله العادل ؛ وقصيدة « شريعة الله » أنشدها الشاعر في الرياض عام ١٣٩٣ هـ يوضح فيها أن شريعة الله هي البلسم الشافي لكل أمراض الشعوب ، والمنهج الوافي لجميع شؤون الحياة تربية ونظاما ووسيلة وغاية ، وفي هذه القصيدة وصف لشريعة الله بأصولها من توحيد وعبادات ومعاملات وحدود ، وختمها الشاعر ببعض التأملات في هذا الملكوت العريض والتدبر في إبداعه .

أولا - الخصائص الفنية للشعر الاسلامي :

تميز الشعر الاسلامي عند زاهر بخصائص فنية ، منها طريقتة في منهج القصيدة ، فأحيانا تتجرد القصيدة للشعر الاسلامي بلا مقدمات غزلية ، فتخلص له من مطلعها إلى نهايتها ، وخاصة في ديوانه الأول « الأملعات » ، فقد خلت كل القصائد الاسلامية فيه من المقدمات الغزلية ، مثل قصيدة « مؤتمر الحج الأكبر »^(١) ومطلعها :

أرب البيت عفوك والمتابا	وألمنا بعزتك الصوابا
وألبسنا بفضلك تاج نصر	إذا سقنا إلى « الأقصى » ركابا
فقد خشعت جوائح كل فرد	وأحنينا لعزتك الرقابا
وفي البيت العتيق علا هتاف	يناشدك المثوبة والمتابا
وقد عبق الأرج وكان مسكا	وعم البقاع واعتنق السحابا

(١) الأملعات : ٣٨/٣٣

إلى قوله :

« أمومر الحجيج » سموت نهجا
ولبيت النداء بكل فج
وفي نبرات صوتك ذكريات
وقد هزت مشاعر كل فرد
لأننا أمة عاشت لمجد
وإن بدرت بواعث كل شر
ففى « اليرموك » أذكينا ضراما
وقد أزجى بوادى النيل عمرو
وفى « البسفور » غارات وزحف
ودان الرافدان لجيش « سعد »
وفى مدريد طاقتها ليوث
ونادى « طارق » أسمى نفير
بنى الاسلام هل حان اعتصام
ونمضى فى ركاب المجد زحفا
ومن عشق البطولة وهوشهم
فبالإقدام نبى كل مجد
(وما استعصى على قوم منال

وذلت المتاعب والصعابا
وأديت المناسك مستجابا
أعادت فى ضمائرنا الشبابا
يريد المجد أو يهوى الطلابا
وتحمى صفوه من أن يشابا
نصبنا فى مسالكها الحرابا
وسيف الله لا يأوى قرابا
جنوداً تعشق الموت احتسابا
طوى فيه « ابن عباس » الصعابا
وقد جاب المشارف والرحابا
ودقت حصنها العاق فذابا
وقد قطع البحار به وجابا
بجل الله لا نخشى غلابا
به تعلق صوارمنا الرقابا
أماط العار واخترق الصعابا
و « شوق » حين أنشد قد أصابا
إذا الاقدام كان لهم ركابا

ثم بحث المسلمين إلى الجهاد فى سبيل المسجد الأقصى فيقول :

فإن رمت زوال الضيم فاسعوا
فذاك « المسجد الأقصى » رهين
إلى سبيل الوغى أسداً غضابا
وقد كنتم له سوراً مهابا

وهكذا يمضى فى أبيات كثيرة حين ينادى حامى حمى الاسلام الملك فيصل بن عبد
العزير فى مواقفه التاريخية فيقول :

فيا حامى حمى الاسلام جرد
وقدنا فى ملاحم ضاربات
فقد ناديت للأقصى شعوباً
فإن تسبق إلى الأقصى ركاب
فدم يا فيصل الاسلام ذخوراً
وفى أسمى الذرى تبنى بعزم
سيف الله تلهب النهابا
فأنت القائد الأعلى جنابا
وكان دعاؤك الأسمى مجابا
فإن « لفيصل » منها ركابا
زعيماً فى الورى بطلا مهابا
صروح المجد مؤتلقاً مثابا

والقصيدة طويلة جدا اقتصرت على بعض أبيات في المطلع والوسط والخاتمة ، ومن خلالها يصور الشاعر أمجاد الاسلام وبطولاته وتشريعاته وحضارته ، ثم يبحث على الجهاد ومواصلة الكفاح للحفاظ على تراثه المجيد وحضارته العريقة ، وعلى تحرير الأرض المغتصبة ، والمسجد الأقصى وغيرها من المعاني والخواطر التي دارت حول الغرض منها بلا مقدمات غزلية ، وبلا خروج عن موضوع الغرض العام وهو « مؤتمر الحج » الذي فجر تجربة الشاعر الشعورية بهذه الخواطر المختلفة والتي تتأخى جوانبه ومشاعره فيه ، وتلاحم هذه المعاني الكثيرة مع ما يوحي به مؤتمر الحجيج ، لأنه موضوع عام تدخل فيه هذه الجوانب كلها ، ولم يقتصر الشاعر على جزئية واحدة فقط ، لأنه يناشد مؤتمر الحجيج من جميع بقاع العالم الاسلامى ، وهذه الجوانب تتناسب معه ، ولا تخرج عن موضوعه .

واستجاب الوزن والقافية فيها للمعاني والأفكار ، التي تلاحت مع الغرض ، لأن مظاهر تأثر زاهر بقصيدة « المولد النبوى الشريف » لأمير الشعراء واضحة في هذه الجوانب ، ولذلك انسابت أفكاره ومعانيه مع الوزن والقافية انسياب الماء الزلال بلا تكلف أو تعمل ، ولكن في ثورة شاعرية متدفقة في انثيال الألفاظ ومطاوعة الأساليب ، لتصويره الأدبى الرائع الذى يتسارع إلى الذهن فلا يتعثر في الفهم ، وتفتح منافذ العقل والقلب معا ، بل استجابة القارئ لشعره تسير مع القراءة أو السماع جنبا إلى جنب ، وانظر كيف انسابت بعض الأفكار والمعاني والأبيات لشوق في قصيدة الشاعر زاهر بلا استئذان كما في قوله :

فبالاقدام نبنى كل مجد وشوق حين أنشد قد أصابا
وما استعصى على قوم منال إذا الاقدام كان لهم ركابا

وليس معنى ذلك أنه قد عارض شوقيا في كل المعاني والأفكار والصور ولكنه بلا شك قد ظهرت شخصيته في معان كثيرة اقتضاها الغرض ، لأن قصيدة شوق في المولد النبوى الشريف ، وقصيدة زاهر في موضوع آخر يختلف عن غرض الشاعر ، وهما يفترقان في معان وصور كثيرة .

وشاعرنا يتأثر بأمير الشعراء في بعض المعاني والصور ، بالاضافة إلى الايقاع الموسيقى والوزن أما التأثير بكلمات القافية فهذا أمر طبيعى ما دام البحر واحدا والروى واحدا .

ونرى الشاعر في هذه القصيدة تسيطر عليه بعض الألفاظ الثغرية الخطابية ، مثل لفظ « قد » فقد كررها ما يقرب من عشرين مرة ، وليس هذا من حقل الألفاظ الشعرية لأن للشعر ألفاظه ولثغره ألفاظه ، واستعمالها مع الفعل الماضى هنا يجمد الحدث في التصوير ليحقق الوقوع في الماضى بلا استمرار وتجدد ، وهذا لا يتناسب مع الحيوية والحركة التي هى من عناصر الصورة الشعرية وإلا تجمدت وتجمدت ، واستعمال الفعل الماضى وحده من غير قد في الشعر لا يلتزم

جمود الحدث ووقوعه في الماضي بل يوحى بالتجدد والحركة ، وتأمل معنى الفرق في الاستعماليين عند الشاعر ، مثل قوله : « وقد هزت مشاعر كل فرد » فدل على وقوع الهزة في الماضي فقط بلا إيجاء الاستمرار ، أما قوله بعده مباشرة « لأننا أمة عاشت لمجد » فدلالة الماضي على وقوع الحدث فيه أو حتى الصورة فيه مع ذلك بالاستمرار والحركة المتجددة والمعنى فلا تزال أمة الاسلام تعيش لمجد ، على حد قوله تعالى : « أتى أمر الله فلا تستعجلوه »^(١) والمراد والله أعلم سيأتي أمر الله بقيام الساعة مع أن التعبير بلفظ « لأن » يتجافى مع طبيعة الشعر ، التي تنأى عن التعديل والتدليل ، وإنما يتناسب مع الأسلوب العلمى الذى يقوم على ذلك .

ويقول زاهر في قصيدة « وحدة العرب » ومطلعها^(٢) :

من معهد العلم شماعة القمم من منبت العز من دوامة الكرم
من قلب « أبها » وقد حفت جوانبها بالعلم بالصيد أبطال ذوى شمم
صوت يدوى له في الأفق جلجلة يمتد في الأفق من وهاجة الضرم
قلبي جريج لداء العرب ملتهب وعلة القوم أدهى من أذى السقم
ما للزرعازع تجرى في مواكبهم تحشو السموم بدء قاتل عمم
ومنها :

لا مجد للعرب ما دامت أكفهموا في كل أمر تنادى هيئة الأمم
يا أيها العرب أحيوا نهج شرعتكم من طارف المجد ومن تالد الكرم
وبرهنوا للملأ أهداف وحدتكم حتى تماسك بالخافات واللجم
أما البناء على الفوضى بدون هدى فقد سئنا فضول القول والكلم
فهل لكم وحدة تبنى على أسس من العدالة والاسلام والحكم
من منبع النور تستسقى مشارها لا من بنى الغرب في العادات والنظم
أقولها من هنا شماء ناصعة بالدين نزعى مقام العدل والذمم
لا وحدة اليوم ما دامت منكسة معالم الدين بين العرب والعجم
الدين منطلق الاصلاح منبلج بفجره الساطع البناء للأمم
يا قوم نادوا شعوباً عاثها دول أن ليس هذا من الأخلاق والشيم
أيدى الكرم إذا الاذلال نازعها تفتت أسيافها مخضوبة بدم
تأبى الأشاوش أن يحتل معقلها وأن تلين لبطش الغاصب العرم
فأيقظوا الوعى من كابوس غفلته بزاجر من ذوى الأجداد محتدم
إن المبادئ والأخلاق ستها تبنى الشعوب وترعى حرمة الأمم

(١) النحل : الآية الأولى

(٢) الألعيات : ص ١٣١/١٣٥

وهذه الأبيات مقتطفات من القصيدة الطويلة ، التى تقوم على غرض واحد ، تتجه معانيها كلها إلى موضوع واحد وهو « وحدة العرب » ، التى صورها الشاعر بمفهوم واسع ، لا يقتصر على الجنس العربى فقط ، وإلا كانت قاصرة فى مفهومها وأبعادها وغايتها النبيلة الشاملة ، وإنما المقصود من الوحدة العربية فى تصويره الأدىنى هى الوحدة الاسلامية الشاملة ، وهى مطلب كل مسلم ، وإن كانت الوحدة العربية هى الجسر القوى الذى يعبر عليه المسلمون فى جميع أنحاء العالم لتحقيق الوحدة للأمة الاسلامية ، على أن لغة القرآن والاسلام هى اللغة العربية ، فكل من يتكلم العربية فهو عربى ولو كان ذلك من خلال القرآن أو الصلاة .

والوحدة الاسلامية — لا العربية — هى التى تقف شامخة كما كانت قديما أمام أعداء الاسلام ، لأنها تقوم على المساواة والعدل والإخاء والأصلاح والأخلاق وغيرها من مقومات التشريع الاسلامى ، الذى يصلح لكل زمان ومكان ، ولا يتحقق مثل ذلك من خلال وحدة الجنس مهما كان هذا الجنس البشرى ملتزما بقيمه الخاصة لا بقيم الاسلام .

ودائما ينشد الشاعر الوحدة العربية بهذا المفهوم الواسع ، فقد أنشد قصيدة أخرى بنفس الموضوع والغرض « وحدة العرب » فى ديوانه الثانى « على درب الجهاد » ومطلعها^(١) :

من دوحة المجد شماعة القمم	من منبت العز خفاقة العلم
نادى المنادى إلى الايمان فاستبقوا	وأسوا جراح أسيرته فى الظلم
قلبي جريح بداء العرب ملتهب	وفتنة القوم أدهى من أذى السقم

ومنها :

لا مجد للعرب ما دامت حناجرهم	فى كل أمر تنادى هيئة الأمم
يا أيها العرب أحيوا نهج شرعتكم	من طارف العز أو من تالد الكرم
وبرهنوا للورى عن صدق وحدتكم	وابنوا البلاد على الأسمى من النظم
أما البناء على الفوضى بدون هدى	فقد سئمنا فضول القول والكلم
فهل لكم وحدة تبنى على أسس	من العدالة والاسلام والقيم
من منبع الوحى تستسقى مشاربها	لا من رؤى الغرب أو مستسمن الورم
أقولها من هنا شماء ناصعة	بالدين نرعى مقام العدل والذم
لا وحدة اليوم ما دامت منكسة	أعلام أمجادنا فى القدس فى الحرم
الدين منطلق الاصلاح منبلج	بفجره الساطع الوضاء فى القمم

(١) على درب الجهاد : ٤٦/٣٩

يا قوم نادوا شعوبا عمها وهن أن ليس هذا من الأخلاق والشيم
أيدى الكريم إذا الباغي ألم بها تفتن أسياها مخصوبة بدم
تأبى الأشاوس أن ترتاد ساحتها وأن تلين لزحف غاصب عرم
فأيقظوا الوعي من كابوس غفلته بزاجر من ذرى الأجداد محمد
إن المبادئ والأخلاق ستها تبنى الشعوب وترعى حرمة الأمم

وهاتان القصيدتان يجمعهما موضوع واحد وغرض واحد ، تحت عنوان « وحدة العرب » ، وتكاد الأبيات فيهما تتفق لفظا ومعنى وأسلوبا وتصويرا وخيالا وهدفا ووزنا وقافية ، وبعض الأبيات متفقة تماما في القصيدتين ، وبعضها يختلف في بعض الألفاظ دون المعنى . والقصيدة في الديوان الثانى زادت عنها أبياتا فى الديوان الأول ، وهذا واضح من خلال القصيدتين لو أعدنا النظر مرة ومرة ، وهذا ما قصدته من ذكر بعضهما معا من باب الموازنة والمقارنة ، ولعل الشاعر يقصد من وراء ذلك تخصيص الديوان الثانى « على درب الجهاد » بالشعر الذى يتصل بالجهاد ، ولذلك جاء بها هنا لتناسبها مع اتجاه الديوان .

ويضاف إلى ذلك أن القصيدة الثانية زادت قليلا من الأبيات عن الأولى ، وتبدلت فيها بعض الألفاظ والصور ، ولاشك أن التغيير كان أقوى وأدق فى الغالب وتأمل معنى المطمع فى القصيدتين فالتعبير بقوله « من دوحه المجد » أقوى فى الغرض والتصوير الأدبى من قوله الأول : « من معهد العلم » فدوحه المجد أنسب وأعم وأقوى إيقاعا وأخف على اللسان بسبب اجتماع « العين والهاء » وهى حروف ثقيلة وأثقل على اللسان بسبب اجتماع « العين والهاء » وهى حروف ثقيلة إذا اجتمعت نخل بجمال الإيقاع ، وتحدث قلقا فى أصواتها واضطرابا مما يؤثر فى جمال الصورة وينزل من قدرها ، وهكذا كان يقصد الشاعر من التغيير والتكرار فيسمو بالتصوير الشعرى كما رأيناه ، ومثل ذلك التغيير فى (وعلة القوم) فبدلها بقوله (وفتنة القوم) وقوله : « عانها دول » مع قوله : « عمها وهن » ؛ وقوله : « مادامت حناجرهم » أقوى من قوله « مادامت أكفهموا » وغيرها .

وهكذا يضى الشاعر فى قصائد كثيرة من الشعر الإسلامى الذى يقوم على غرض واحد فقط فى القصيدة الواحدة وتلك سمة من سمات هذا الغرض الأدبى عند الشاعر .

ومن خصائص هذا الغرض ، أن الشاعر قد يزوج فى القصيدة بين غرضين فيجمع بين مقدمة غزلية عفيفة ، وبين الغرض الأساسى فى الشعر الإسلامى وخاصة فى ديوانه « الثانى » ، ثم ينساب منها فى رفق وبراعة إلى الغرض الأساسى ، بلا فجوة أو تناقض أو ابتذال وإسفاف ، بل قد لا يدرك القارىء الفاصل بين المقدمة والغرض إلا بعد روية وتأمل ، لانسجام الغزل العفيف مع المعانى التى يشتمل عليها الغرض .

وكان أحيانا يرمز بليلاه عن « الوحدة العربية الاسلامية » ، التي ينشدها في شعره ، كما في قصيدة « عودي إلى درب الجهاد » ، وذلك في غزل عف طاهر ، يشتمل في المطلع على سبعة عشر بيتا ، ينتقل بعدها إلى الغرض ، وهو حث المسلمين على الجهاد في سبيل « المسجد الأقصى » ، وصرّهم عن التناحر بين الأحزاب المعاصرة ، من يمينية ويسارية ورجعية ، وفي النهاية يعود إلى الحث على الجهاد في آخر القصيدة كما بدأ(١) .

وكذلك في قصيدة « تحية المغرب العربي » بدأها الشاعر بمطلع غزلي عفيف في ثلاثة عشر بيتا ، ثم يتسلل إلى الاشادة بحضارة الاسلام والمسلمين في المغرب والأندلس وأبجادهم هناك(٢) ، وهكذا في قصيدة « في رحاب البيت » يصور فيها الشاعر أثر الحج في النفوس أولا ثم يجتمها بليلاه رمز الوحدة الاسلامية عند الشاعر في بيتين(٣) .

أما قصيدة « مشاعر الإلهام » فقد بدأها زاهر بالغزل الطاهر في تسعة عشر بيتا ، ثم أشاد بالرسالة المحمدية الخالدة في ثلاثة وعشرين بيتا يعبر فيها عن مشاعره نحو الاسلام والمسلمين ، وما يرجوه لهم من مجد ، يمتد في أصالته إلى أمجاد المسلمين في القديم ، يقول في المقدمة الغزلية(٤) :

طلعت فلاح اليمن في طلعاتها	وبدا جمال الورد في وجناتها
وسرى النسيم على مشارف ثغرها	تتضوع الأرجاء من نسوماتها
ورنت بألحاظ الجفون نوعسا	تتراقص الأطياف في ومضاتها
وتبسمت عن ثغر حسن باسم	فشقائق الأكام من بسماتها
ونظرت - عف النفس - سحر جمالها	ومصارع العشاق في لمحاتها
ومفاتن السحر الحلال تشدني	شوقا وما مست يدي حرمانها
فأطل ثم الحارسان وأشرعا	نحوى الأنسة من كمين كراتها
فأدرت في ذهني عجائب أمرها	وحشيت هول السطو من طعناتها
فإذا هما فوق الترائب والحناء	من قلبها الخفاق بعض سماتها
قالت : رويدك فالمراق صعبة	لا ترتقيها الطير في غدواتها
فأجبتها أوَمَا علمت بأننسى	كالصقر يغزو الطير في وكناتها
قالت : معاذ الله أن تحشى الحمى	وتبيح محل الدر من صدقاتها

(١) على درب الجهاد : ١٧/٩

(٢) الديوان السابق : ١١٧/١٠٧

(٣) الديوان السابق : ٢٥/١٩

(٤) على درب الجهاد : ٣٧/٢٧

إني عشقت من النفوس أيها
فأجبتها: نفسي الأبية في الهوى
وتهدت أعماق روحي لوعة
لولا ارتياعى من مغبات الهوى
ولسرت أمتاح الرياض وأجتلى
لكن أطياقي وإن جنحت بها
وتتوق أشواقى إلى سنن الهدى
من كانت الأخلاق خير صفاتها
تفديك قد أجمت من زفرتها
وسرى الجوى والشوق في جنباتها
لقطعت زهر الورد من جنباتها
منها رضاب الشهد من زهراتها
فتن الجمال تعف عن زلاتها
فمشاعر الإلهام في رجباتها(١)

أرأيت هذا الغزل العفيف الطاهر ، لا يجرح مشاعر مسلم ، ولا يخدش بكرامة مسلمة ، وإنما هو تنفيس بشرى عن غريزة الحب التي غرسها الله تعالى في الانسان غريزة ، تنساق مع طبيعته البشرية ، وما أجمل أن يعبر عنها الانسان في لفظ عف ، وتصوير برىء ، وأسلوب طاهر على غرار هذا التصوير الغزلى البريء ، الذى يعبر بصدق عن تلك الفطرة الانسانية ، في إطار الخلق الاسلامى ، وأدب القرآن الكريم .

والحب العفيف في جوهره جانب إنسانى روحى ، يسمو به الانسان ، إذا صوره في ظلال خلق الاسلام ، لينتقل الشاعر في تسلل وانسياب إلى جانب روحى وينا، نفسى آخر ، وهو الحديث عن شريعة الاسلام ، وأخلاقه في بناء المسلمين .

ثم أرأيت الخيط الرفيع في البيتين الأخيرين ، الذى شد به المقدمة الغزلية إلى الغرض ، إن القارئ لا يفجع بهذا الربط ، وإنما يتأمل فيه ، ويدقق النظر ، حتى يعثر على ما دق من أدوات الربط الدقيقة في مهارة ، ويستمر الشاعر في التصريح المباشر بالغرض الأساسى بعد الوحى والتلميح من أول هذه الأبيات(٢) :

تمتد آفاق وترقى همتى
ويشد حب النبى محمد
يا من حملت أبر قلب فى الورى
تمفو إليك قصائدى ومشاغرى
فلقد نشأت على سلامة فطرة
ولقد أويت إلى حراء وكنت فى
فأتاك جبيل الأمين ولم تكن
سبل الجهاد أخوض فى غمراتها
من شاد بالسمحاء مجد دعائها
وأعز نفس جانبت شهواتها
فى ظل هديك واصلت رحلاتها
وصفاء نفس فى عظيم صفاتها
عسق الدجى نورا يضىء جهاتها
من قبل تتلو أو ترى قبساتها

(١) على درب الجهاد : ٣٢/٢٨

(٢) على درب الجهاد : ٣٧/٣٣

فدنا وقال : إقرأ . ولست بقارىء
بل كنت أميا ولكن الذى
وقرأت باسم الله فانجاب الدجى
آى من الذكر الحكيم ومنطق
وإذا تسامى الفيلسوف وأوغلت
رجعت إليه الموغلات ضوالعا
سور يشع النور من آياتها

أما قريش فجانب سبل الهدى
لم تلتفت للنور فوق ربوعها
بل كذبت داعى الهدى وتنكرت
ولربما يعشى الصباح نواظرا
من لى بناشئة على درب الهدى
تحمى حمى الغراء مما يفتري
إن الحياة هى الجهاد وإن نُمتَّ
والله أنزل فى الكتاب بصائرا
فامضوا على نهج الهداة وجددوا

وتجانفت للإثم فى ندواتها
أو تلتمس خيرا بمؤثراتها
واستوحشت والإنس فى جنباتها
وتموت مرضى وهى بين أساتها
وثابة العزمات فى دعواتها
وتصد بالإقدام كيد غزاتها
فيه وإن الموت فى شهواتها
تهدى الورى وتنير درب هداتها
من دعوة الاصلاح مجد دعائها

هذه هى القصيدة كلها لكى نرد بها دعوى الذين يرفضون الشعر الملتزم بالقضايا المعاصرة لمعالجتها وتوجيه الرأى العام إلى جوهر الحقيقة فيها ، أو بالأحرى يقولون بأن الشعر الاسلامى لا يمكن الشاعر من التصوير الأدبى الرائع الذى يهز الوجدان ويحرك المشاعر ، وهما هى القصيدة فى الشعر الاسلامى الملتزم نرد عليهم بروعة التصوير فيها .

فالعاطفة فيها مشبوبة صادقة ، والمشاعر قوية متدفقة ، والأحاسيس دقيقة متوفرة ، والوجدان ملتهب ثرار ، فى خيال خصب عميق وصور أدبية قوية سارت على نهج القدماء فى التصوير الشعرى يلتزم الشاعر عمودهم الشعرى فى انتقاء الالفاظ ، وإحكام الأساليب وإيجاء النظم والسير على بُحور الخليل بن أحمد ويلتزم القافية القوية العمودية .

فالشاعر هنا يصور مبادئ الاسلام وقيمه من خلال مشاعره الذاتية ، ووجدانه النفسى المحموم ، فلا يقوم بوضع النقاط على الحروف التى من شأنها أن تكون مهمة ، وإنما تتدفق الحروف منقوطة من وجدانه ومشاعره تفيض بإيجاءات زاخرة ، ومعان حية تنبض بعواطف الشاعر وأحاسيسه .

ويوم أن يسير الشعر المتزم على هذا النهج يكون حقق ما يهدف إليه الشعر القوى ، وما يبتغيه الشاعر من تصوير أدنى رائع يوقظ الاحساس في الآخرين ويثير عواطفهم ومشاعرهم ويحرك الكوامن في وجدانهم ، وهل نريد من الشعر أكثر من هذا ، بل هذه القصيدة تسمو بالنفس ، وترقى بالدوق الأدبي وتنميه ، وتضبط المشاعر عن التطرف والمبالغة ، فتسير في استواء واتزان نحو الغاية المنشودة ، التي تحقق السعادة للإنسان ، وهل يبتغى الإنسان من الشعر أكثر من تحقيق هذه السعادة ، وفيها الامتاع ، وإليها الإثارة والإقناع . وهي في ذاتها الغاية من التصوير الأدبي ، الذى يثير المشاعر ، ليقوّض العقل والقلب والوجدان فيتبسط الجميع بالتسليم والاقناع عن صدق ويقين ، هذا هو الشعر الشاعر والأدب الحى الخالد ، لا « أزهار الشر » ، ولا شجر « السرو » و « الخلاف » يعجب رواؤه وما له ثمر ، ويخطف ضوءه ، فيعشى البصر .

وقصيدة « فى ربا الحرمين » أيضا ، بدأها زاهر بمطلع غزلى عفيف ، ضم خمسة أبيات ، ثم انساب إلى مراده فيها يقول (١) :

سرت فى هجعة المسرى تسامى	وترمق فى تطلعها المراما
وكان الشوق يحدوها ابتهاجا	ويذكى فى مشاعرها الغراما
وفى جنباتها تمشى طيوف	كأطياف الحب إذا استهاما
فقلت لها وفى نبرات صوتى	وداد أين أزمعت المقاما
فقلت فى ربا الحرمين أشدو	أناجى البيت والبلد الحراما

غزل عفيف طاهر بلا تبذل أو سقوط ، يمضى مع الغرض من القصيدة بلا استئذان ، فليلا ترمع الرحيل معه إلى ما يؤم ، إلى ربا الحرمين ليتناجيان مع البيت الحرام ، وينعمان بالبلد الأمين ، وتمتد هذه المعانى فى جوانب الأبيات الباقية من القصيدة ومنها :

وعند الركن تنحسر الخطايا	ململمة جوانحها انهما
فتنشرح الصدور بطيب ذكر	أماط الكرب عنها والقماما
سأعشق موطن القرى وإنى	على حب القداسة لن ألما
فقد عبث الأريج بكل فنج	وعم النفع زمزم والمقاما (٢)

وهكذا يمضى الشاعر إلى آخر القصيدة وهى طويلة ، تدور معانيها حول الغرض منها ما عدا المقدمة الغزلية السابقة .

(١) على درب الجهاد : ٩٧

(٢) الديوان السابق : ١٠٥/٩٧

ومن خصائص الشعر الاسلامى عند الشاعر أنه جعل الحروب العربية ضد اسرائيل حربا إسلاميا تنزف بدماء المسلمين كما تنزف قيم الاسلام في العصر الحديث ، واسرائيل في قلب الأمة العربية أفعى مسمومة تبت سمومها لتتخر في عظام الأمة الاسلامية ، وتبدد قيمها السامية ، فالصهاينة أعداء للاسلام ، للعروبة ، لأنهم يعتقدون بأن القضاء على العروبة هي الجسر القوي للقضاء على الشريعة الاسلامية ، التي تقلق مضاجعهم ، فالقرآن الكريم لغته العربية ، وسيبقى خالدا لعروته ، إذن فالعربية في نظر أعدائنا هي الاسلام ، والاسلام في العربية فهما متلازمان ، وعلى هذا الاتجاه يحاربنا أعداء العروبة والاسلام وهم الصهاينة والصليبيون .

ومن هذا المنظور جعل زاهر تصوير الانتصار في حرب رمضان شعرا إسلاميا ، لأن الاسلام انتصر فيه على أعدائه يقول : « من قصيدة في حرب رمضان » أنشدها في مكة المكرمة عام ١٣٩٣ هـ ، ويبدو أن الشاعر اختزلها في ديوانه ، فأغلب الظن أنها أكبر من ذلك بما سيجود به الزمان في المستقبل ، لقوله « من قصيدة »^(١) :

تنت أمامى وهى لا تعرف الخطبا	وقالت : لهيب الحب في القلب قد شبا
تثنت بأعطاف وألوت بمعصم	ورنت بأنغام لتأسر لى القلبيا
فكانت كخصن البان لاس فرعه	نسيم الصبا فاهتز من أنسه عجا
فقلت لها مهلا فلست بهامم	برى في سراب القاع من زيفه شربا
وليس هيام الحب يصرع عفتى	ولا مارد الإغراء في أفرعى دبا
فلا تمتطى صهو السفاهة والردى	ولا تركبى في الحب مركبه الصعبا
وكونى مع الأحداث سبرا لغورها	إذا انتظمت سلما أو اشتعلت حربا
فما أفلحت في موكب المجد أمة	إذا لم يكن درب الجهاد لها دريا
أتلک رحاب القدس ضجت فروعت	قلوبا وأزجت في ضمائرنا رعبا
أتلک النساء الصارخات بمعقل	هيبن بوجه البغى مستشريا هبا
أتلک فتاة الخدر يثلم عرضها	نحارب عنه الدهر ولو ملكت غضبا
فليت لها من أمة المجد أمة	وخاضت طريقا في الوغى ثبجا رجا
وسارت جنود الله في كل جبهة	صداها من التكبير قد جاوز السحبا
لقد نفضت عنها مذلة نكسة	أحاطت بها شؤما وأودت بها نكبا
فكانت على صرح الجهاد انتفاضة	أدالت على الأعداء منعظفا صعبا
تواثبت الأبطال يمتد زحفها	وهبت أسود من خنادقها غضبى
أقامت على متن القناة معابرا	جسورا إلى سيناء مدت بها وثبا

(١) على درب الجهاد : ١٦٦/١٥٩

وقد حطمت بارليف قصفا مزلزلا
وكم من فتى في صهوة الخطب صامد
وقد هب للتحريير مستعذبا له
وفي جبهة الجولان كرت أشاوس
وضمت كفاح الجبهتين انتفاضة
وسارت بأرض الرافدين جحافل
تلاقت على الجولان فاعتز ركنها
ومنهم صقور الجو تنقض كالردي
يقودون أسرابا صقورا كواسرا
وكم من فتى في الروع أغلب بانيل
وما ميت من مات ذودا عن الحمى
دروب العلا للطامحين رحيية

ودكت حصونا طالما افتخرت عجبا
بدبابية فوق المجازر دبا
ككوس المنايا فهو يمتاحها شربا
وصبت عذابا من قذائفها صبا
من المغرب الأقصى إلى (حلب) الشهبأ
كما هب من (أم القرى) جيشها لجبا
وسار على (سيناء) محورها صلبا
تذيب قلوب الغدر تملؤها رعبا
إذا اعتلى سرب أضافوا له سربرا
قضى في سبيل الله مستشهدا نجبا
فتلك هي الحسنى وأنعم بها كسبا
ودرب الشهيد الحر أوسعها دربا

ومن خصائص الشعر الاسلامى عند زاهر أنه جعل الرثاء لفقيد العروبة والاسلام شعرا
إسلاميا حين صور الشاعر مواقف المرثى العربية والاسلامية ، والتي سجلها التاريخ خالدة تعبر
عن حضارة الاسلام والعرب في عصرنا الحديث ، ولذلك كانت هذه القصيدة أقرب إلى
الاسلامى منه إلى فن الرثاء الذى سيأتى ضمن الأغراض الأدبية يقول الشاعر فى قصيدة « فجع
الأيام » يصور فيها التاريخ الخالد للملك فيصل بن عبد العزيز طيب الله ثراه (١) منها :

يا فيصل الاسلام يا من جرحه
تبكيك من أرض الهدى أطلالها
ومنايع الشعر الرفيع نواضب
فالمسلمون لهم بفقذك غربة
ولسوف تذكرك المحافل والنهى
ولسوف تذكرك السياسة بعدما
فلطالما أصغت لرأيك خشعا
ولطالما أحكمتها لذوى الحجبا
ونهجت منهاج الفلاح بأمة
ودعوت نحو تضامن وتكاتف
فإذا بلاد المسلمين يضمها

سيظل فى الأعماق نارا تضرم
نواحة لو أنها تتكلم
وفم البيان لهول فقذك ملجم
ولهم عليك تنهد وترجم
ويروعها الحدث الرهيب ويدهم
هرعت إليك فحولها تستلهم
ومشت إليك قلوبها والأجسم
وأحاطها منك السياج المحكم
حتى علت وصحا لصوتك نؤم
لم يئن عزمك للوئام تصرم
شمل يوحدنا ودين أقوم

(١) على درب الجهاد : ١٤٠/١٣١

وسيلذكر الاسلام ما قدمتهه
 فلأنت للاسلام سيف مرهف
 واليوم تنعك الدنى فيزهها
 لكن هذا الخطب خفف هولته
 وولى عهد المسلمين نصيوه
 وكلاهما فى الحكم يخذو (فيصلاً)
 ولكم ذرا (عبد العزيز) ضيا غما
 لبنيه إن جار الزمان عليهم
 تحميه من كيد البغاة وتحسم
 ألم الفراق ولوعه تتضم
 شمل يلسم (بخالد) وينظّم
 (فهد) الأمين لمجدنا يتسنم
 فكأنه فى الشعب حتى يحكم
 حملوا الأمانة فى الورى وتقدموا

ثانياً - الشعر الوطنى والقومى :

هذا هو الغرض الثانى من الأغراض الأدبية فى شعر زاهر ، وهو يلى الشعر الاسلامى كثرة
 وهمولا ، ويضم الشعر الذى أنشده الشاعر فى وطنه العام : المملكة العربية السعودية ، وشعره
 الذى أنشده فى وطنه الصغير : البيته التى ولد فيها ، والبلد الذى نما فيه صباه وترعرع شبابه ،
 وشعره الذى قاله فى وطنه الأكبر : فى الدول العربية والاسلامية الشقيقة كالجزائر وبغداد ،
 وسواها من دول العالم الاسلامى والعربى .

ويضم الشعر الوطنى والقومى قصائد كثيرة فى « الألمييات » : مثل قصيدة « ثورة
 الجزائر ص ٢٠ ، ٢٢ » ألقاها الشاعر فى الحفل الكبير الذى أقيم « بمعهد شقراء العلمى » فى
 ١٣٨٠/٧/١٠ هـ ، ويصور فيها كفاح الجزائر ، وثورته على الطغاة المستعمرين وبطولاتها التى
 حررت الشعب العربى الاسلامى ؛ وقصيدة « مجد الشباب ص ٦٠ ، ٦٢ » ألقىت فى النادى
 الثقافى « بمعهد شقراء العلمى » فى ١٣٧٩/٧/٢٢ هـ ، وفيها يحث شباب أمته ووطنه على
 العمل فى سبيل الوطن ، وفى سبيل الأمة الاسلامية جمعاء ، وخاصة تحرير فلسطين المحتلة من
 أعداء الاسلام .

أما قصيدة « مواكب المجد ص ٦٣ ، ٦٦ » ألقاها الشاعر فى حفل عسكري ، يحث
 فيها الجيش على النضال فى سبيل الوطن والجهاد فى سبيل الأمة الاسلامية جمعاء ، فقد سجل
 التاريخ البطولات الرائعة ، التى كان لها الوجه المشرق فى كل بقعة من بقاع العالم ، وقصيدة « سد
 جازان » ألقاها الشاعر فى حفل افتتاح سد وادى جازان فى ١٣٩١/١/٢٥ هـ ، وقد حضر
 الاحتفال سمو النائب الثانى لرئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية فهد بن عبد العزيز وعدد من
 الأمراء والوزراء ورجالات الدولة ، وفيها يصف السد وآثاره العميمة ، التى عمت البلاد ، وبعثت
 فى المنطقة الحياة ، مما يساعد على تقدم المملكة ورفيها بزيادة الانتاج الزراعى الموفور ، وذلك
 بفضل الأيدى البيضاء لأسرة الملك عبد العزيز ، التى تزرع الخير دائماً للأمة الاسلامية
 العربية ، والتاريخ يعيد نفسه فى هذه المنطقة حيث كان فيها سد مأرب ، الذى كان له آثاره

الجليلة في الحضارة السبئية المشرفة ، بل إن سد مأرب لو رأى سد جازان لاعتراه الخجل وانزوى في ركن من أركان الدنيا بعيدا عن الأضواء ، ليحتل هو مكان الصدارة في المنطقة العريقة ، يقول الشاعر (١) :

ومضى البرق في ذرى الأجماد والمثيرات أقبلت تنهادى
تنفح المعصرات من عاطر الودق واستهل الغمام باليمن والبشرى
لو رأى « سد مأرب » كيف ترسى لاعتراه من روعة الحسن طيف
وكأن الأيام قد لعبت دورا لكن المرفق المثالي بجا
منجزات تبقى على معبر الدهر أي « سد » حوى رحيقا زلالا
سوف يبنى لأمتي خير مجد فالسهول الفيحاء تمتد عرضا
تنهادى الرحاب تتهز فخرا تنهز لها الجداول تجرى
والمروج الخضرا تهدي عبيرا والطيور المغردات تغنى
نغمات بها البلابل تشدو مكرمات يبقى لها الدهر ذكرا

فاشرأبت له القرى والبوادي تملأ الأفق بالثقال الغوادي
فيسرى التنسيم في الأجساد (٢) « لجازان » يرتوى كل صادي
عاتيات السدود بالأوتاد وانزوى في جوانب الإخلاذ
أمالت أكفاه سد عاد زان سيقى للقادم المرتاد
مر منارا يضيء للأحفاد ومعينا شدا به كل حادي
سجلته من طارف وتلاذ وامتداداً إلى مناري « عكاد »
وابتهاجا بفجرها الوقاد بين أزهي حدائق الرواد
فاح بالنشر في الربا والوهاد صادحات بأروع الإنشاد
في أفانين دوحها المياد خالدا في محافل الأحفاد

وهكذا يمضي الشاعر في قصيدة طويلة اقتصر فيها على وصف السد وأثره على المنطقة .

وأما قصيدة « تحية بغداد ص ٧٧ ، ٧٨ » ألقاها الشاعر في مهرجان شعري في بغداد عام ١٣٨٤ هـ ، وقصيدة « رسالة العيد ص ٧٩ ، ٨١ » ، وقصيدة « صيحة الجهاد ص ٨٨ ، ٩٠ » ألقى في الحفل الكبير الذي أقيم « بمعهد نجران العلمي » عام ١٣٨٨ هـ ، ويبحث فيها شباب الوطن على الجهاد في سبيل تحرير القدس ، وقصيدة « بطولة وفداء

(١) الأمليات : ٧١/٦٧

(٢) الودق : قليل المطر وكثيو - المعصرات : السحابة التي تكاد أن تمطر

ص ٩٢ ، ٩٤ » ، ألقاها الشاعر في حفل كبير ، « بمعهد شقراء العلمي » عام ١٣٨١ هـ ، حينما اختطفت القوات الفرنسية زعماء الجزائر الخمسة ، عند استقلالهم طائرة إلى بعض الجهات ، وذهبت بهم إلى فرنسا لاحضاع الثورة الجزائرية ، ولكن حدث ما لم تتوقعه فرنسا ، فقد اشتدت ثورة الشعب الجزائرى ولم تهدأ إلا بعد رجوع الزعماء المختطفين ، ثم أعقبها إجراء المفاوضات التى انتهت باستقلال الجزائر ، وجلاء القوات الفرنسية عنها .

وأما قصيدة « صرخة العرب ص ٩٩ ، ١٠١ » ألقىت بمناسبة الاحتفال بثورة الجزائر المنتصرة على فرنسا في الحفل الثقافى المقام « بمعهد شقراء العلمي » عام ١٣٧٨ هـ ، وقصيدة « صدى المؤتمر » التى ألقاها في مؤتمر المعاهد المتعددة فى الرياض فى ١١/٢٩/١٣٨٨ هـ ، بحث فيها قادة الجيل على الالتزام بمنهج الاسلام ، وارساء حضارته ، ليكونوا مثلاً أعلى للأجيال من بعدهم ، ولتطبيق المنهج الاسلامى والسمو بحضارته^(١) :

ألا فاسعدوا يا قادة الجيل بالبشرى وأحيوا لها فى كل حاضرة ذكرى
وشيدوا لها بين الربوع معاقلا لتنشد فى أسمى مقاصدها شعرا
فمن كل أقطار البلاد توافدت مناهل عرفان تشرفها قدرا

إلى قوله :

فيا قادة الجيل المؤمل أنتم مئائـر إيمان فشدوا له أزرا
وأحيوا له ما ضاع من كل سنة لتجنوا ثمار الخير فى سعيكم أجرا
فما هى إلا دعوة وعزيمة ينظمها الاسلام أنتم بها أحرى
فسيروا على نهج الذين بهديهم أقمنا حضارات سمونا بها فخرا
فما أنتم إلا هداة وقادة تربيون أشبالا لتخطوا بهم نصرا
فمرحى بأفكار الرجال ونهجها ومرحى بمن يحمى لهم شرعة غرا
وشكرا لداعيها الذى ضم شملها وشكرا لمن لبيّ وشكرا لمن أقرى
وحيوا رحاب العلم والبلد الذى أتاح لكم جمعا وأهدى لكم نشرا

وأما قصيدة « ترحيب وأمل ص ١١٣ ، ١١٥ » ألقاها الشاعر فى حفل تكريمى كبير ، أقامه « معهد شقراء العلمي » تكريما لوفد يضم عددا من المدرسين والطلاب من معهدى الرياض والإحساء فى ٢٠/٨/١٣٨٢ هـ ، وقصيدة « إشراق الأمل ص ١١٦ ، ١١٩ » ألقىت بمناسبة الحفل الافتتاحى الكبير لمعهد نجران العلمى « عام ١٣٨٥ هـ ، وقصيدة « أمتى ص ١٣٦ » ، وقصيدة « حماة المجد ص ١٣٧ ، ١٣٩ »

(١) الأمليات : ١٠٥/١٠٤

رحب فيها الشاعر بسمو وزير الدفاع والطيران السعودى الأمير سلطان بن عبد العزيز عند زيارته لبعض القواعد العسكرية عام ١٣٩٠ هـ ، وقصيدة « يا قادة الدين ص ١٤٦ ، ١٤٩ » ألفت في المنتدى الأدبى الذى أقيم « بمعهد شقراء العلمى » عام ١٣٨١ هـ .

وأما الشعر الوطنى والقومى فى ديوانه الثانى « على درب الجهاد » ، فقد ضم قصيدة « عيد الفطر ص ٥٥ ، ٦١ » ألقاها الشاعر بمناسبة الاحتفال الذى أقامه سمو أمير منطقة عسير الأمير خالد الفيصل بعد صلاة العيد ، فى مقر الضيافة بأبها ، ليشيد بأثار الصوم الطيبة فى النفس والمجتمع ، ثم أشاد بجهود الدولة ورجالها المخلصين ، ومنهم أمير المنطقة الأمير خالد الفيصل ، وقصيدة « فوق أرض الجنوب » استقبل بها الشاعر جلالة الملك خالد بن عبد العزيز ، وبعض زعماء دول الخليج واليمن ، حين زار منطقة عسير فى ١٣٩٩/٨/٢ هـ ، بحى الضيوف الكرام ، ويحثهم على العمل والوحدة لعزة الاسلام ونصرة المسلمين يقول فيها :

هى أبها فى بهجة المهرجان
وطيوف الأحلام تنساب وسنى
فاستفاقت وحوها بشريات
فاذا العاهل المفدى مطل
وضيوف على البلاد كرام
وهم اليوم قوة وائتلاف

تملأ السعير بالمرأتى الحسان
ثم تصحو بغاليات الأماني
تتوالى كالحاظل الهتآن
شاخ الأنف فى أجل كيان
أخلصوا للاسلام والأوطان
يتحدى مكابيد الطغيان

إلى قوله :

هزنى باعث حثيث من الشوق
كلما سرت بين تل وسفح
وأرى نهضة البلاد اشمخرت
نهضة فى شموخها تهر العيب
وجمال مع استقامة أمن
بيد أن الطريق ما زال صعبا
وطموح الرجال دون حدود
وانطلاق إلى البناء وهم
ورصيد الشعوب فى المثل العلى

وحب البناء للأوطان
شمتم فيها مظاهر العمران
وتداني القطاف حلو المجاني
بين وتذكى مشاعر الوجدان
نعمة من مواهب الرحمان
يقتضى الجد من قصى ودانى
سوف ينسى منائر الإيمان
فى دنا العرق ليس يلتقيان
يا وحزم فى نائبات الزمان

(١) على درب الجهاد : ٧٣/٦٣

وإذا امتد في البلاد ضلال
وإذا تاه في الجهالة قوم
وبلادى في نعمة الله
وسباق مع الزمان لتبقى
لا يقيم الأمور إلا اعتصام
والتزام بمنهج الله يعلى

رقدت في مجاهل النسيان
ساورتهم مطامع الشيطان
ومجد موطئ الأركان
معقل المجد والهدى والبيان
بجناب المهيمن الديان
في ثبات شريعة القرآن

ومن شعر الوطنية والقومية أيضا قصيدة « تحية فهد » استقبل بها الشاعر نائب جلالة الملك صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز بمناسبة افتتاحه لخط الطائف - أبها - جازان ، في ١٤/١١/١٣٩٨ هـ بالباحة ويشيد أيضا بجهود المملكة في مجال احياء البلاد وإقامة المشاريع الحيوية ، ثم أشاد بجمال المنطقة ، وتجاوب أهلها في مجال البناء وال عمران ، وحث على التضحية والعطاء لبناء الفرد والمجتمع على مبادئ سليمة وأسس قوية ، ومطلعها^(١) :

ليس أجدى في منهج الشعر عندي
والقوافي إذا استقامت على الحق
جنتحت في ذرى المكارم تيبها
وتغسنت بها البلبال شدوا

من وفاء لكل صانع مجد
وصاغت من درها كل عقد
وتهادت ما بين جزر ومسد
صادحات في كل غور ونجد

إلى قوله :

ياربا الباحة الجميلة إننا
فانفجى العطر في الربوع نديا
وافرشي بالورود درب المعالي
إن جازان والتماص وأبها
رائد يئذل النفس ويسعى

في ذراك السماء في يوم خلد
وانسجى بالصفاء أروع برد
بين ودق من السحاب ورعد
تجتلى في ذراك طلعة « فهد »
لتظلل البلاد مؤئل رشد

وكذلك قصيدة « سد أبها ص ١٧٩ ، ١٨٦ » يبارك فيها الشاعر جهود المملكة باقامة سد أبها العظيم ، الذى سيعود على السكان بالنفع العميم ، كما يتغنى بالمنطقة وجمالها ، فهى مسقط رأسه ، ومقر أهله وعشيرته ، فى أبها عام ١٣٩٤ هـ .

(١) على درب الجهاد : ٩٤/٨٣

ثالثا - شعر الطبيعة :

هذا هو الغرض الثالث في شعر زاهر ، جاء في ديوانه « على درب الجهاد » مختلطا مع الشعر الوطني غالبا ، لسبيين :

أحدهما : أن ينشد الشاعر قصيدته في مناسبة وطنية ، مثل قصيدة « سد جازان » ، وقصيدة « فوق أرض الجنوب » ، وقصيدة « سد أبها » .

ثانيهما : أن وصف الطبيعة جاء من خلال الاشادة بتلك الطبيعة الجميلة ، التي هي جزء من الوطن الحبيب .

ولذلك كان شعر الطبيعة نبعا للغرض الوطني ، ورافداً من روافده ، ليفيض على الوطن بالجمال والروعة فتحشقه النفوس وتهوى إليه القلوب ، فيزداد حبا له ، ويتفانى تضحية في سبيله .

أما القصائد التي غلب عليها شعر الطبيعة فهي قصيدة « في ربوع الجنوب » التي ألقاها الشاعر في المهرجان الكبير ، المقام في مدينة « أبها » تكريما لسمو أميرها « خالد الفيصل » في ١٥/٣/١٣٩١ هـ (١) .

وقصيدة « في ربوع القصيم » نظمها ، حينما قام الشاعر هو ومدير معهد شقراء العلمي الشيخ « عبد الله الضحيان » ، ومجموعة من الأساتذة إلى القصيم ، فصور الشاعر انطباعاته عن تلك الرحلة في ١٥/٧/١٣٨٠ هـ يقول في المطلع (٢) :

ركب تطلع من ذرى شقراء خنقت معالمه منى وسناء
واهتز في حبل المسير كأنه طود أشم تماسكا وإخاء
إلى قوله :

يا روضة غمرت بساحر نورها جمع الوفود أناقة وسناء
فيك العيون تفجرت بمياهها كالدر بين الحاجزين صفاء
فيك الينابيع في الرياض جداول فاضت برقراق التمر سخاء
فيك الحدائق غضة أغصانها وتفوح من نفع النسيم شداء
فترى البلابل غردت فوق الرى وشدت بلحن يغمر الأرجاء
قد رددت لنا بساحر نغمة طربا أثار برجعه الشعراء
وترى بها الأفنان تقطر بالندى متسامقات في العلاء شماء

(١) الألمييات : ٢٥/٢٣

(٢) الألمييات : ٢٩/٢١

وقصيدة « في ربوع القرعاء » حين قام الشاعر هو وصحبه برحلة إلى « القرعاء » في عام ١٣٩٠ هـ ، وهي مصيغ جميل في ضواحي أبها يطل على منحدرات تهامة ، يقول (١) :

شعاع من الاشراق والبسمات
فأيقظ عزمي واستثار مشاعري
فسرت له والشوق منى مطية
ويمت « للقرعاء » وجه مطيتي
وقفت على « القرعاء » وقفة شاعر
فجالت بي الأنظار بين رحابها
وأدلت في أشعافها ووهادها
فما أجمل المصطاف حين تفتحت
ونفح الشذى أضحي يعم بنشو
وإني بعاليها وقرني منارة
تلوح بها الأفنان وهي شذية
وبلبها الصداح شاد بلحنه
ترى غصنها المياد جاش بهزة
فله من ساعات أنس تتابعت
ونشرو نفع النشر لما تضرعت
يبيت بها ظل يكفكف دمه
فأغصانها السماء تقطر بالندى
على بركات يا زهرة الربا

مطل على الآفاق والفلسات
وأبرز ما في القلب من خلجات
أجوب بها البيداء والعقبات
فتعدو بوثب صادق العزمات
رأى روضة مفتوحة الزهرات
وشاهدت ما فيها من الثمرات
فكانت بحق روضة البركات
زهور الربا بالعطر والنفحات
مشارف قصر عالي الشرفات (٢)
جميلة شكل ساطع القسمات
فتهدى عير النشر والنسمات
فأطربنا من ساحر النغمات
فرت له الأنغام بالسنبرات
على نشر القرعاء مزدهرات (٣)
به أيكة منظومة الشدرات
وهمي نديا عاطر القطرات
على « مهمة » من أرضها النضرات (٤)
سأمضى وقلبي مفعم الحسرات

وكذلك قصيدة « في ذرى نجران ص ٥١ ، ٥٣) التي ألقاها الشاعر في الحفل التكريمي لوكلاء الوزارات عند زيارتهم التفقدية لمنطقة الجنوب في ١٣٨٩/٢/٣ هـ ، وقصيدة « زلة القول » والمناسبة التي قيلت فيها أن الشاعر « أحمد البدرى » زار أبها ، فتأثر بشدة البؤ في المنطقة ، وحمل عليها حملة عنيفة ، وأنكر جمال الطبيعة ، فعارضه شاعرنا في رأيه بهذه القصيدة

(١) الأمليات : ٥٠/٤٩

(٢) القصر الملكي في الوسط بين غابات أشجار العرعر

(٣) النشر : المكان المرتفع

(٤) مهمة : جمع مهمام وهي المغارة البعيدة المقفرة

انتصارا للحق ، لا أخذًا بالثأر ، فوصف سحر الطبيعة وجمالها الأخاذ ، ومنها^(١) :

أما الغبار فلا يبدو لها شبح
لأنها في الذرى باتت محصنة
أما رأيت جمال « السودة »
كم بلبل شاد صداحا برونقها
يكسو التلال ساجا من خمائلها
فيها عبير الشذى يغرى بنشوته
في أفق « أبها » فذاك القول بهتان
يحيطها من سجاج الزهر ألوان
اصطبغت بعاطر الورد والأزهار تزدان
يردد اللحن فيها وهو جذلان
والورس برد وزهر الروض فستان
ولالأريج بها نفح وعرفان

وكذلك قصيدة « تحية نجران ص ١٤٩ ، ١٥٢ » في الألعيات أيضا وشعر الطبيعة كله ورد في « الألعيات » ، ولم يرد في الديوان الثاني « على درب الجهاد » ، لأن الشاعر خصه للقضايا الاسلامية والشعر الاسلامي وما يتصل به ، ولكن ليس معنى ذلك أنه لم يتعرض لسحر الطبيعة في هذا الديوان . لا .. بل كان يقصد الغرض الاسلامي أولا ، ثم يكون تصوير الطبيعة تابعا له ، كما في قصيدة تحية المعهد الوطنية ، وقد مرّت أمثلة كثيرة .

وشعر الطبيعة عند زاهر تموج به الحياة ، وتمتز الطبيعة للأحاسيس الرقيقة ، وتتعاطف مع المشاعر العميقة ، فتبدل حبها لمن يحبها ، وتنساب أسرار الجمال فيها لمن يفتن لأسرارها ، ولذلك حينما تبدلت مشاعر الشاعر « أحمد البدرى » وتجمدت أحاسيسه ، وهجم على أبها مدعيا أنها تسىء إلى الآخرين ، فيكتنون بناها هب زاهر يدافع عن محبوبته « أبها » وجمال سحرها ، ويصفه بجمود الاحساس وتبلد العواطف يقول له^(٢) :

لكل قول مدى الأزمان خذلان
وزلة القول يهوى في مداركها
فمنذ أن ردد « البدرى » قوله
جاء طيفى له في الأفق جلجلة
عجبت من شاعر نددت مشاعره
فما رأى روضة بالزهر تزدان
إن لم يقمه على الإنصاف ميزان
من خانه الفهم واستجراه شيطان
في ذم أبها وللأطيف طوفان
تفتت منه القوافى وهى بركان
فما رأى روضة بالزهر تزدان

لماذا ؟ لأن زاهر يجول بوجدانه ومشاعره في مجالى الطبيعة ، فيسير أعماقها ، ويسعد بأسرار الجمال فيها ، لأنه أحبها وأحبتة ، وهام بها وهامت به ، فجاء طيفه مجلجلا بالأشعار ، تفيض حمما بالمشاعر والعواطف كالبركان ، أما البدرى فقد جمدت مشاعره ، وغابت عن وجدانه ، فليس بشاعر ، لأن الشاعر هو الذى يهتز لأسرار الحياة ويفطن لمكاتم الطبيعة الساحرة أكثر من

(١) الألعيات : ١٤٥/١٤٠

(٢) الألعيات : ١٤٦/١٤٠

غيو ، لدقة أحاسيسه ، ورفاهية مشاعره ، وكيف يغيب البدرى عن وجوده ، ويتجرد من وجدانه المتحجر أما العروس ، التى ترتدى أجمل حللها من الزهور ، وتميس فى روضة أخاذة فتنة ودلالا وتبها :

فذاك القول لا يرمى لعزتها ولا يقول به يا صاح يقظان
وليس قولك يخفى من محاسنها فالناس تعرفها أيان ما كانوا
هى الجمال هى المصطاف يقصدها من كل صقع مدى الأزمان إخوان^(١)
فيها القرى « والصفوح » الغض منظره فى سوحها الخشع والصفير والبان
فكيف أغضيت طرفا من محاسنها أما استمال القوافى منك وجدان
وقلت فى لهجة الملهوف من كمد على زمان مضى فيها له شان
فما رأينا بها وردا ولا زهرا وإنما هى أطلال وكثبان
وما إخالك تدرى عن مرابعها ولا يتوق إليها منك تبيان
فقد حكمت بقول ندد مضره كأنما قلته والقول حيران
قد تنكر العين نور الشمس من وسن وما عليه إذا ما غط وسنان

وفى النهاية يطلق الحكم على البدرى توقيعا يتردد بموسيقاه العذبة فى جوانب الدنيا ، لتظل أبها كما كانت بين بطاح الأرض منتجعا لعشاق الطبيعة ، وتاريخا حافلا بالجد والشهرة ، التى طبقت الآفاق بأشجارها وغاباتها وأزهارها وربوعها وألبانها :

ولكن كفتك بطاح الأرض منتجعا عن مجد « أبها » وفى ذرواتها البان^(٢)

تلك هى الطبيعة فى شعر زاهر ، يدافع عنها ، ويحمى ذمارها ، ويتخوض المعارك فى سبيلها ، لأنه يثور إن أساء إليها أحد ، أو نال من شرف الجمال فيها ، أو خاض بالباطل فى عرصاتها ومجالها ، فذلك اعتداء سافر على خدرها الجميل ، وكيف لا يثور ويغضب ، ويتفجر بركانا وشعرا ، وهو الهائم بالطبيعة ويسحر الحياة فيها ، المتيم بما وراء الأزهار والأشجار من أسرار وعجائب والمأخوذ بما خلف الأغاريد والأنغام من دفائن ، والمنساب من رقة النسيم الخانى والعطوف ، فتفتح له أكمام الأزهار باسمه لتفصح عن وجدان الشاعر ، الذى اهتز لأسرار تجمدت بها مشاعر الموق والمتحجرين ، وغابت عنها عقول الحيارى النائمين .

قد تنكر العين نور الشمس من وسن وما عليه إذا ما غط وسنان

(١) ما بين الأقواس أسماء لأحياء فى أبها

(٢) ضرب من الشجر فى أبها واحده : بانه

تلك خصائص شعر الجنوب من شاعر ارتضع لبانها واغتذى من رحيقها ، وحيى بهوائها ونسيمها فأخلص لها الحب والوفاء والعتاء ، فكان هذا الغرض بكرًا من بين أغراضه الأدبية .

رابعاً — الرثاء :

الرثاء الغرض الرابع في شعر زاهر ، فقد اشتمل على قصائد في « الألمعات » مثل قصيدة « نجم هوى ص ٣٠ ، ٣٢ » رثى بها الشاعر سماحة الشيخ « محمد بن ابراهيم آل الشيخ » مفتي الديار السعودية المتوفى في شهر رمضان عام ١٣٨٩ هـ ومطلعها (١) :

ونفجعت من هولـه الأرجاء	ونجم هوى فارتجت البيـداء
سحب جهام كلها دهماً	وأغبر وجه الأرض وانداحت به
برزيّة عصفت بها النكبـاء	ودهمى الجزيرة خطب هول فادح
في الشام في أردنها العلمـاء	وأصغت لها بغداد واضطربت لها
من هول فاجعة لها أصداء	وعلى ضفاف النيل دوت صبيحة
ومجدد لتراثنا بنـاء	أحمد قطب الفضيلة والحجـاء
ومشت تحف بنعشك العظـماء	أدرجت في كفن السماحة والندى

إلى قوله :

وتكشفت عن وجهها الظلماء	كم ليلة أحييتها فتنورت
فلأنت بدر في الدجى وضاء	قد كنت في حلقات علم رائدا
بالحلم منصاع لك العلمـاء	ولأنت بجر في العلوم متوج
فنمت بفيض معينها أكفاء	أحييت بالعلم الشريف محافلا
وبها سمت وتعال الغراء	وارتادها من كل قطر رائد
فعلت بك الآداب والأدبـاء	أمضيت عمرك في العلوم مجددا
تحمى الحمى فهابك الأعداء	قد كنت للإسلام درعا ضامنا
عظمت وكان شعارها العليـاء	فلكم على مرّ الزمان مآثر
لا يرتقى لمناره إعفاء	يا من له في كل قلب موطن
واستوحشت لفراقك البطحاء	فقدتك من أرض الجزيرة أمة
وتحدث الأدبـاء والشعـراء	ونعتك من أرض الدنيا قادتها

(١) الألمعات : ٣٢/٣٠

والمكرمات الغر قد أدلى بها ذكر جميل في الورى وثناء
تردان فيك سماحة ورجاحة وعدالة تقضى بها ورفاء
الله من ساحات حربه أطبقت بهمومها فتوالت الأرزاء
لكنها الأقدار تجرى في الورى فالصبر سلوان لنا وعزاء

رثاء تميز بخصائص جعلته يسير في ركاب التجديد لهذا الغرض الأدبي حيث جعل الشاعر
لمرثيته عنوانا وموضوعا شاعريا ، لا كالشأن في الرثاء القديم ، كان الشاعر ينسب قصيدته إلى
المرثى ، ويجعل اسمه عنوانا وموضوعا لمرثيته ، لكن زاهر يجعل العنوان والموضوع شعرا ، يختار
صورة شعرية رائعة ، تتناسب مع الفاجعة الحزينة ، وتتلاءم مع الكارثة المذهلة ألا وهى « نجم
هوى » وما أدراك ما النجم إذا هوى ، لقد أقسم رب العزة به « والنجم إذا هوى ما ضل
صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى علمه شديد القوى » ... إنها
النهاية ، فسقوط النجم اختلال في موازين الكون ، وهذا لن يكون ، لأن الرسالة حقيقة ،
والوحى حقيقة ، ومحمد الرسول حقيقة ، فالحقائق هذه تجعل النجم في مداره لا يسقط أبدا إلا
بإذن الله تعالى .

أما نجم الشاعر فقد سقط ، لماذا ؟ لأن الشعر يقوم على الخيال ، والتصوير الأحاذ ..
والقنبلة تفجر مشاعر الأحزان ، وتأخذ الحزين من ساحة الصدمة والألم ، إلى الاشتغال بهذا
الحدث الجلل ، فيكون مصدرا للتعويض ، ومنطلقا للتخلص من الصدمة العنيفة ، فينصرف من
حال إلى حال ، وفي التحول يكون الصبر ، واستمرار الحياة كما أراد الله ، ولهذا آثر الشاعر ،
ذلك العنوان الشاعرى الموحى بأكثر مما ذكرت .

ومن خصائص التجديد في الرثاء عند زاهر ، أنه لم يستغرق كثيرا في تصوير الصدمة إلا
في الخمسة الأولى ، أما الأبيات التالية التى تربو عن العشرين ، اتجه الشاعر فيها إلى تصوير القيم
الاسلامية ، والمبادئ التشريعية ، وما كان لها من أثر قوى في فداحة الجلل .. فهو رائد العلم
وبحر العلوم ، ومجدد التراث ، ودرع الاسلام ، وصاحب العقل والسماحة والرجاحة ، ومقيم
العدل ، وغير ذلك من القيم الاسلامية التى جاءت بها الشريعة الاسلامية الغراء .

ومن الخصائص أيضا أن القصيدة قامت على غرض واحد ، بلا مقدمات غزلية أو
غيرها ، كما في الرثاء القديم ، وبعض الرثاء الحديث ، وتلك هى الوحدة الفنية والموضوعية ، التى
امتاز بها الشعر الحديث .

ومن الخصائص أيضا أن الشاعر جسم حزنه وصدومه ، فسرت من وجدانه إلى مظاهر
الكون ، لأنها وحدها هى الفيصل فى الحكم على المرثى ، فيكون إجماعا من كل الخلق ، والسماء
والأرض ، والبيداء والأرجاء والسحب ، فاصطدمت العراق والشام ، والأردن والنيل ، وكل الدنيا ..

لكن الشاعر لو عبر عن حزنه وحده ، لكان حكما من طرف واحد ، وبذلك لم يكن منصفاً لحق المرثى ، الذى طبق الآفاق علمه وفضله ، فهى الجديرة بالحكم عليه ، لا الشاعر وحده ، وتلك من خصائص التجديد فى شعر الرثاء عند زاهر ، التى عبرت عن صدق الشاعى فى تجربته الشعورية ، فهى لقوتها وصدقها ناء بها الشاعر وحده ، فشاركه الكون بمن فيه ، وما فيه ، من هول الفاجعة ، المتفجرة من وجدانه .

وتسير على هذا النمط قصيدة « دهى الخطب ص ١٠٦ ، ١٠٧ » ، أنشدها الشاعر فى رثاء الأستاذ عامر بن على الألعى — مساعد مدير التعليم بمنطقة جازان ، حينما أصيب بحادث مفاجئ فى عقبه « ضلع » عام ١٣٨٦ هـ^(١) .

وكذلك قصيدته « تعزية ومواساة ص ١١٨ ، ١١٩ »^(٢) ، التى بعث بها إلى صديق فقد صديقه فى عام ١٣٨٢ هـ ، وقصيدة « فقيد العلم »^(٣) قالها الشاعر فى رثاء سماحة المفتى لشؤون الكليات والمعاهد العلمية الشيخ عبد اللطيف بن ابراهيم آل الشيخ المتوفى عام ١٣٨٦ هـ . وقصيدة « فقيد الاسلام »^(٤) فى رثاء الشيخ حافظ بن أحمد الحكمى المتوفى عام ١٣٧٨ هـ .

والرثاء عند زاهر جاء فى ديوانه الأول « الألعيات » ، أما الثانى « على درب الجهاد » فقد اشتمل على قصيدة واحدة أخرجتها من باب الرثاء ، وأدخلتها فى باب الشعر الاسلامى لأسباب أهمها :

أن المرثى وهو المغفور له الملك فيصل بن عبد العزيز طيب الله ثراه لم تكن شخصيته فى ذاته ، وإنما تحول إلى زعامة إسلامية كبرى ، لها نمطها الاسلامى الكبير ، فأصبحت زعامته الاسلامية قيمة مجردة ، ومحسمة فى ذاتها ، يتحدث عنها الشاعر حديث القيم الاسلامية التى جاء بها الاسلام ليجعل منها منارة فى كل عصر ، يتهدى بها المخلصون فى كل مكان ، وهذه القصيدة هى « فجع الأنام »^(٥) .

(١) الألعيات : ١٠٧/١٠٦

(٢) الألعيات : ١١٩/١١٨

(٣) الألعيات : ١٢١/١٢٠

(٤) الألعيات : ١٢٧/١٢٦

(٥) على درب الجهاد : ١٤٠/١٣١

خامسا - المدح :

والمدح في شعر زاهر هو الغرض الخامس من الأغراض الأدبية ، والشعر فيه قليل بالنسبة للأغراض الأخرى ، وتجمعت قصائده في « الألمعيات » ، فضم قصيدة « فرحة و لقاء » ألقاها الشاعر في الحفل التكريمي ، الذي أقيم لسمو وزير الدفاع والطيران سلطان بن عبد العزيز حينما زار نجران في عام ١٣٨٨ هـ ، ومطلعها :

أسلطان قد جاءت بأنبائك البشري فهزت قلوبنا بالأحاسيس والذكرى
ونادى بها من ربيع نجران أشبل يحيون في سلطانك القوة الكبرى
يحيون فيك المجد والقائد الذي بنور الاسلام نادى بها جهرا
وشاد لهذا الشعب أركان مجده فقام بها ثقلا وشد لها أزرا
فأهلا بمن في دومة المجد أصله ومن هو من بيت علا في الورى قدرا
وأهلا بباني الجيش والجيش قوة على مسرح الأحداث يبنى بها فخرا^(١)

وكذلك قصيدة « رائد نهضة » ألقاها الشاعر في الحفل التكريمي الذي أقامه « معهد أبا العلمى » على شرف معالي وزير المعارف الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ عند زيارته للمعهد في ١٣٨٤/٧/٢٢ هـ في نطاق جولته التفقدية لمنطقة الجنوب ، ومطلعها^(٢) :

سطع الضياء على المشارف والذرى وأطل من برج المعارف نيرا
فسمت به الآمال وهى جديرة وتطلعت تلك البوادي والقرى
تحدو بها البشري برائد نهضة للعلم للاسلام في دنيا الورى
بطل تذرع بالأمانة خطوة والعلم ردعا والشجاعة مئزرا
ذا اليوم عهد للبلاد متوج بقدمكم ضيفا عزيزا أكبرا
فالمعهد العلمى يرفل بهجة ويفوح نشرا بالقدم معطرا
إني أرحب بالوزير أصالة وعن المعاهد نائبا ومعبرا
فشابنا الداعى يفيض شعوره بالمقدم الميمون أنبل ما يرى

وهكذا تمضى القصيدة على هذا النحو ، وقصيدة « تحية إجلال وتقدير » بعث بها الشاعر إلى معالي الأمير خالد الأحمد السديري المشرف على إمارة نجران تحية وتقديرا لجهوده الخيرة ، وتشجيعا للعلم والأدب ، ومطلعها^(٣) :

(١) الألمعيات : ٩٨/٩٥

(٢) الألمعيات : ١٠٣/١٠٢

(٣) الألمعيات : ١٢٥/١٢٢

أمير المعالي خالد في الوري شهيم كريم الفعال الغر والرائد القرم
أمير له العليسا قسم ومنهج كفى شرفا أن المعالي له قسم
تسلسل من أمجاد فخر وسؤدد لهم شيم قد زانها العدل والحلم

إلى آخر القصيدة ، وقصيدة « أسفر الصبح » ألقاها الشاعر في الحفل التكريمي ، الذي
أقامه الشيخ أحمد بن محمد العسكري في قرية « الشرف » تكريما لسمو وزير الدفاع والطيران
الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود عند زيارته التفقدية لمنطقة الجنوب عام ١٣٨٣ هـ
ومطلعها^(١) :

أسفر الصبح بالهدى والمكارم وانجلي بالشعاع ضاحي المعالم
وأدهم الغمام في ومض برق في ذرى العسكري وأرض المتاحم^(٢)
فإذا بالربيع يحتال طلعا يغمر الروض نوره المتزاحم
فرحة عبقرية غمرتنا في حمى الضيف ذى النهى والمكارم
يا ابن عبد العزيز يا ابن إمام ترتسم خطوه القرون القوادم
زررتنا رائدا فحيثك منا نبضات القلوب قبل المباسم
إيه سلطان فلتعش عبقريا في ذرى المجد متوجا بالكرائم

ويتميز المدح عند زاهر بخصائص فنية ، تسمو بهذا الغرض إلى مراتب التجديد في الشعر
السعودي الحديث ، وهي :

أولاً — القصيدة عنده قامت منذ البداية على موضوع واحد يدور حول الغرض وهو
المدح ، الذي يبدأ به المطلع في القصيدة ما عدا القصيدة الأخرى ، استهلها الشاعر بالطبيعة
الساحرة ، التي عبرت هي الأخرى عن الترحيب بالمدح وحسن استقباله ، فيتسم الروض ،
وتتفتح الأزهار ، وتطل الأنوار ، وهذا الاستدلال الجيد المشوق ، لا يخرج عن موضوع
الغرض ، بل داخل فيه ، ومتلاحم معه ، حيث جند الشاعر الطبيعة معه لتعبر هي الأخرى عن
فرحتها واتباعها لاستقبال المدح الأمير سلطان بن عبد العزيز .

ثانياً — الشاعر لا يمدح الرجل إلا بما فيه ، من غير مبالغة ولا معازلة ، فالعالم وزير
المعارف يمدحه بعلمه وفضله ، وحسن ريادته في العلوم والآداب ، والقائد كالأمر سلطان وزير
الدفاع والطيران يمدحه بما هو فيه : من حسن الكياسة والسياسة ، وشرف القيادة والحنكة

(١) الألعيا : ١٢٨/١٢٩

(٢) العسكري شيخ قبيلة بنى العوص ، إحدى قبائل رجال ألع ، والمتاحم هم أمراء من عسير ، من القبائل
التي تتبعهم : ربيعة ورفيدة وبنو شوعة ، وأميرهم الخالي عبد الوهاب المنحفي .

العسكرية ، والمهارة الفنية ، وغير ذلك مما ورد في القصيدة بما يتناسب مع مهارته العسكرية ، ومنصبه في الجيش الذى يقوده ويتولى أمره ورعايته .

ثالثا — القيم التى قامت عليها مدائحه قيم نبعت من ظروف عصره ومقتضيات أمته ، فقصيدة « رائد نهضة » اشتملت على القيم العلمية والفكرية والأدبية ، التى جعلت معالى الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ وزيرا للمعارف ، وموجها للمعاهد العلمية فى المملكة العربية السعودية ، وكذلك قصيدة « فرحة ولقاء » وقصيدة « أسفر الصبح » قامتتا على قيم سامية نبعت من مكانة الأمير القيادية والعسكرية ، وحنكته السياسية ، بما هو به جدير ، فصار أهلا لهذه القيادة ، وكذلك الأمر فى القصيدة الرابعة .

رابعا — تجردت المدائح عند زاهر من الإطالة فى المدح القديم ، وتسخيروا لحاجة القائل من الرغبة فى المنح والعطايا التى يبتغيها من المدوح ، حيث كان الشاعر القديم ، يقصد من شعره العطية ابتداء ، فإن لم يفيض عليه المدوح بها انقلب الشاعر هاجيا ناقما ، مما جعل القصائد فى المدح القديم سلما تقليديا ، يتدرج فيه الشاعر ، على القيم التقليدية فى المدح عند الشعراء فلا يخرج عنها .

لكن زاهر حينما ينشد قصيدة فى المدح ، لا يتغنى من ورائها شيئا من ذلك مما يعبر بصدق عن الصفات التى لا تنفصل عن المدوح والتى نبعت من ظروف عصره لا عن تقليد للغير ، وفاضت بها طبيعته وروحه ومنهجه فى الحياة المعاصرة ، ولذلك كانت القيم التى يمتدح بها الشاعر ممدوحه قيما جديدة معاصرة ، تتلاءم مع شخصية المدوح ، وطبيعة العمل الذى يقوم به ، فطبيعة شخصية صاحب السمو الملكى قائد جيش ، وصاحب المعالى وزير للمعارف وموجه فى التعليم ، وطبيعة الأمير السديرى تختلف هى الأخرى عن الطبيعتين السابقتين ، وهكذا أصبح لشاعرنا اتجاه خاص فى مدحه يختلف فيه عن المدح فى الشعر القديم .

سادسا — شعر الحضارة :

وهذا غرض جديد من أغراض الشعر الحديث ، يصور فيه الشاعر الحضارة المعاصرة بشقيها ، الأول : المعنوى والأخلاقى والثالثى . والثانى : المادى من التقدم العلمى الصناعى والزراعى والاقتصادى وغيرها .

وقد يتجاوب بعض الشعراء المحدثين مع التقدم الحضارى فى شعر يصور هذه الجوانب ، وقد لا يتجاوب البعض الآخر ، وشاعرنا زاهر قد أنشد شعره فى هذا الغرض الجديد ، مثل قصيدته « مراق الفضاء » التى ألقاها الشاعر فى الحفل الثقافى الكبير « بمعهد أبحاث العلمى » عام ١٤٨٤ هـ ، وذلك حينما حدثت ضجة كبرى حول غزو الفضاء ، وظهرت بوادر الإنكار

من بسطاء الناس ، لذلك التقدم العلمى ، فاشتملت القصيدة — كما يقول الشاعر — على هذا الغرض الحضارى ، ثم ختمها بجوانب من التوجيه والدعوة إلى العلم يقول (١) :

واعتلى الفكر شامخا بالضياء
شعلة النور راية النجباء
أنجم الكون والعلا والبناء
ر الذى كان آية فى البهاء
ء الإله خلوده فى البقاء
م شعاعا مبشرا بالهناء
من صروح السلام نهج إخاء
تعلى فيه دوحة السعداء
أما فى مواكب العلياء
لا ينال بيعها والشراء
تكشف الحجب عن وميض السناء
قد حداها فطاحل العلماء
لا تغيض فيوضه بالفناء
متعة للنفوس للنساء
من تراث مهذب الآراء
واستنبروا بشرعة الأنبياء
واستطارت على ذرى الأرجاء
صوتها فى مراتع الكرياء
حققوه من موجبات الرخاء
سخره فى غزوههم للفضاء
باعث الجهل معشر العقلاء
وينور نرق ذرى الكرماء
لا نبالى ببدا الضعفاء
فيكم اليوم فاسمعوا لندائى
وغدا فى مواكب الزعماء
تبتنى المجد فى ذرى شمء

زيجر الركب فى مراق الفضاء
وانطوى هيكل الدواجى فبات
ليت شعرى من أى برج أطلت ؟
ليت شعرى من أين منطلق النو
إن إشعاع دعوة الحق قد شا
أياها المسلمون قد أصبح اليو
فارتقوا فى معارج المجد وابنوا
وابتنوا فى ذرى الأماجد صرحا
تصعد القادة العظام وتزجى
فبرى العلم عندها بمكان
بل بقدهج الزناد للفكر حتى
إن للعلم دولة لا تسامى
فانهلوا من معين عذب زلال
منهل تنطوى الليالى ويقي
يارجال الاسلام أحيوا علوما
جددوا فى العلوم من كل فن
سبقتنا إلى الفضاء شعوب
وغزت عالم الفضاء فدوى
فبنو الشرق يفخرون بما قد
وينو الغرب قد تباهاوا بعلم
فلماذا محا المعالم منا
شرعة الله أن نعيش كراما
ثم نبى بقوة ما استطعنا
يا شباب الاسلام إنى مناد
أنتم اليوم أشبل فى ذراننا
فانثروا الوعى فى الجماهير حتى

(١) الألعياى : ١٧/١٩

إننى اليوم لا أروم خيالا
بل أقول بدافع من شعور
هل لنا اليوم فى المعالى شباب
يحملون الأعباء عِزًّا كراما
فالبدار البدار يا أمة المجد
واصرخى فى بنيك أحفاد (سعد)
فبخار الشعوب بالمثل الأعلى (والمثنى) ، (وخالد) العلياء
لهموا غاية منار الثريا دون أدنى مرامها البنساء
بارك الله فى شباب تساموا للمعالى وللبنا والفضاء
وارتقوا فى مشارف المثل العليا وكانوا أشاوش الهيجاء

يصور الشاعر مدى التقدم العلمى الحضارى الحديث ، الذى وصل فيه العلماء إلى
الفضاء ، وغزوا معالم الأرجاء ، ثم يوجه شباب أمته أن يواصلوا الدأب والكفاح فى سبيل تحصيل
العلوم ، لكى تعيش الأمة الاسلامية كريمة لترقى مشارف الكرماء ، ولتبني حضارتها بقوة لا تبالى
أحداً ، ولا تتخذ مبادئ الضعفاء منهجا وسلوكا ، كيف لا يتحملون هذه الأعباء كراما ،
ليرتقوا بها فى ظلال شريعة سمحاء ، كان سعد وخالد والمثنى رضى الله عنهم المثل الأعلى لهذا
الجيل المثقف الذى كان دائما يسمو للمعالى والبناء والتضحية والفداء .

والشاعر هنا قد مزج بين شقى الحضارة العلمية المادية ، والفكرية الأخلاقية ، فحث
الشباب على سباق الزمن ، لكى يصلوا إلى ما وصل إليه الغرب من تقدم فى مجال الصناعة
العلمية ، التى تمَّ بها غزو الفضاء ، ولا يصلح هذا التقدم إلا فى ظلال الحضارة الأخلاقية والقيم
الفاضلة التى هى جوهر شريعة الاسلام ، والتى جعلت من قوادها مثلا أعلى يقتدى بهم فى كل
عصر وجيل ، لأن الحضارة العلمية المادية وحدها لا تنفع ، ولا ترقى بالأمة ، بل لا بد من مؤازرة
الحضارة الأخلاقية والمثالية لتهديب النفس واستقامتها على الجادة فى بناء الحياة وتقدمها ،
وإرسائها على أساس قوى متين من الحضارة الانسانية النافعة .

واهتم الشاعر كثيرا فى شعره بإبراز الحضارة الأخلاقية التشريعية التى جاء بها الاسلام ،
فهى الركن السامى ، والجاد فى بناء الحضارة المادية الصناعية والزراعية ، وذلك فى قصيدته « تحية
مؤتمر الفقه الاسلامى » الذى دعت إليه جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، المنعقد فى
الفترة من ١٣٩٦/١١/١ هـ إلى ١٣٩٦/١١/١٨ هـ ، ليشيد بعلماء الاسلام وفقهائه ومحدثيه
والدعوة إلى الاقتداء بهم منهجا وهدفا وتضامنا^(١) :

(١) على درب الجهاد : ٥٣/٤٧

أقول وقد لاحت بأفاقنا البشرى
أتلك مراقى مالك وابن حنبل
أتلك رحاب الشافعى وصحبه
أتلك ربا النعمان والصحب حوله
أتلك بلاد الشام فاحت تضوعا
أتلك ربوع القيروان تحركت
أتلك بخارى تنفح المسك أذفرا
بلاد أقامت للحضارات منهاجا
ومؤتمر الفقه الذى ذاع فى الورى
ويعمه من كل فج فطاحل
وأهلا بكم يا قادة الفكر والنهى
فسيروا على نهج الألى شيدوا لنا
وقد حلقوا للمجد فى عزم صامد
تولوا كتاب الله بحثا وخدمة
وللسنة الغراء قد جد جدهم
فأصبح ينبوع المعارف مترعا
وإن هدى القرآن للناس ساطع
كما واصل الأسلاف فى هدأة الدجى
فشادوا من التشريع صرحا مخلدا
هو الأمن والايان والنعمة التى

أتلك رياض العلم تستقبل الفجرا
تفجر من عرفاتها فى الدنا بحرا
تفيض على الأنفاس من روحها نشرا
أناروا لنا دريا وأثروا لنا فكرا
وقد أنجبت أسمى فطاحلها قدرا
وتأقت إلى القادات إذ يمت مصرا
وقرطبة الغراء كانت لنا فخرا
يطاول فى عليائه الأنجم الزهرا
وأسمى بحمد الله فى ليلنا بدرا
وقد سيرت أبعاد أغواره سيرا
ومؤتمرات الخير أنم بها أحرى
صروحا من التشريع ناصعة غرا
تخطى صعاب الدهر واستسهل الوعرا
وغاصوا من اللجات أعمقها غورا
فجابوا فجاج الأرض ما تركوا قطرا
تطوف على رفاقه أمم تترى
فأحيوا بتشريعاته فى الورى ذكرا
دراساتهم للذكر فاكثبوا أجرا
ألا ننضوى فى ظله مرة أخرى
بها تسعد الأجيال فى شأنها طرا

وهكذا يمضى الشاعر إلى نهاية القصيدة ، يشيد فيها بحضارة الشريعة الغراء والفقه الاسلامى الذى يقيم منهاجا جادا وسلوكا فاضلا ، أقام أصوله وجمع أبوابه أئمة أجلاء فى العلم والمعرفة مثل الامام مالك والامام أحمد بن حنبل ، والامام الشافعى وصحبه ، والامام أبى حنيفة النعمان وصحبه ، وقد أينعت هذه حضارة الفقه الاسلامية فى بلاد الشام فأنجبت أسمى فطاحلها ، وفى ربوع القيروان ، وفى قادات مصر ، وفى بخارى وقرطبة الغراء ، وغيرها من الحواضر الاسلامية القديمة ، التى أقامت للحضارات منهاجا ، تطاول إلى النجوم فى الشرف والرفعة ، فشادوا من التشريع الاسلامى صرحا شامخا خالدا ، يرفرف على الأجيال بالأمن والايان والنعمة والسعادة ، فقد أنقذهم من الضلال والتهيه والفساد فى البر والبحر والجو كتاب الله وسنة رسوله ، والجهاد المقدس فى سبيل الله وسنة رسوله ، فالخير العميم للأمة الاسلامية والأجر الجزيل للمؤمنين ، إنما يكون بالسير على منهج الاسلام وتنفيذ حكم الله فى مجالات الحياة ، وفى الوحدة الاسلامية الكبرى .

تلك هي القيم الأخلاقية والروحية ، التي تعد أساسا في بناء الحضارة في أى عصر وفي كل جيل ، وليس هذا فحسب فحضارة الاسلام أيضا تقوم على ذلك النظام الاقتصادى الإسلامى المادى الفريد في منهجه وممارسته لهذا الاقتصاد ، الذى تولى تنظيمه وتوضيحه الفقه التشريعى ، على نحو لا مثيل له في المذاهب الاقتصادية الحديثة من اشتراكية ورأسمالية .

فالفقه الإسلامى أرسى قواعد النظام الاقتصادى المادى في كتاب المعاملات على النحو الآتى :

اهتم بموضوع المقاييس الصحيحة في تحديد القيم العليا ليجعلها أساسا للتفاضل بين الناس وهى الأخلاق وحسن الأعمال لا الأموال والعقارات ، قال تعالى : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ولو كان التفاضل وبلوغ المنزلة السامية عند الله بكثرة الأموال لتحولت البشرية إلى وحوش ضارية ، يفترس فيها القوى الضعيف بلا مبالاة ، لأن ذلك شريعة .. ولكن الله لطيف بعباده .

أقرت الشريعة الإسلامية أن المسلم مستخلف على هذا المال ، وأمين عليه ، وموظف فيه من قبل الله عز وجل ، الذى جعل مهمته على المال المستخلف عليه هى التنمية والانفاق ، لا الكنز ولا الاحتكار .

اهتم بالمصادر التى يكتسب فيها العبد المال ، فحث على أن تكون مصادر طيبة أحلها الله سبحانه وتعالى وشرعها لعباده ، وحرّم المصادر الخبيثة والكسب الحرام « كلوا من طيبات ما رزقناكم » ، « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل لتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون » .

وفرض الله على المسلمين في أموالهم حقوقا واجبة مثل حق النفقة على الزوجة والأولاد والآباء والأمهات ، والنفقة على الأقارب وحق الزكاة وحق الانفاق في سبيل الله .

أقام نظاما تشريعيا فقهيا عادلا في العقود والمعاملات حتى لا يتظالم الناس ، فوضع الأصول والقواعد والشروط والواجبات في أبوابه المختلفة من بيع وشراء وهبة وإجارة وإعارة وإحياء موات وزراعة ، وشركة ومضاربة ، وقرض وسلم ، وخيار ووصية ، وغيرها من أبواب المعاملات في الفقه الإسلامى .

كما نظم عملية الانتاج والعمل ، ونظم السوق والحركة الاقتصادية فيه من وضوح السلعة ، وضبط الأسعار ، والوفاء بالكيل والميزان وغير ذلك لمن أراد أن يستزيد .

وبهذا يتضح لنا أن الفقه الإسلامى في باب العقود والمعاملات يحمل بين طياته النظام الاقتصادى الإسلامى الذى يبنى الحضارة المادية ، ويسمو بالأمة الإسلامية حضاريا ، لا من

الجانب المادى فحسب ، بل سبب الأسباب ، هو البناء الأخلاقي المثالى الذى يتلاحم مع الجانب المادى .

فإخلاص العمل المادى ليكون لوجه الله تعالى يسبغ عليه طابعا تعبديا أخلاقيا .

والجوانب المادية تتحرك من خلال مراقبة ذاتية داخلية فى ضمير المسلم يخشى الله ويخاف عذابه وحسابه . قال تعالى : « وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لا يحب المفسدين » .

وكذلك قصيدته « تحية المغرب العرى » التى يشيد فيها بحضارة الاسلام فى المغرب العرى وبلاد الأندلس ، ومطلعها(١) :

عبقت بالنشر فى أسنى مكان وبدت شماء فى أفق الزمان
إلى قوله :

أنا فى أرض سما المجد بها ونمت أيامه فى كل آن
فاذكروا القادات فى راياتها عندما خاضت عباب المعمران
وتسامى « طارق » فى أوجهها يتخطى فوق أطراف السنان
واستقامت فى ربا أندلس جنة الدنيا ونبراس المغانى
أنا إن حلقت فى الأفق وإن غصت فى الأعماق فالجد حماني
ألمح الشطآن من أندلس وابن زيدون أمامى وابن هانى
فاذكروا بالفخر أرباب النهى من رقوا فيه إلى أسنى مكان



(١) على درب الجهاد : ١٠٧/١١٥

التصوير الأدبي

أولاً - التجربة الشعورية :

هو انفعال الشاعر بمشهد أو حدث أو فكرة أو موضوع أو عاطفة أو خاطرة ، أو غير ذلك مما يهز المشاعر ، ويحرك الأحاسيس ، ويثير الوجدان ، ويلهب العاطفة ، ويحيى الخواطر ويعيشتها ، لتتلاحم كلها في عالم الشعور ، أى في معامل النفس والوجدان والمشاعر والعواطف في تجربة شعرية تتحرك إلى مجالها : مجال الأسلوب والابداع في التصوير ، الذى يتعاون فيه العقل والخيال معا في انتقاء الألفاظ والأساليب والصور والموسيقى والايقاع ، ليتناسب الجميع مع الغرض والموضوع والمعاني والعاطفة والمحسات ، في اتزان وتوازن بين العقل والخيال ، بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر في داخل النفس .

فإن طغى الخيال ، وانطلقت العاطفة والمشاعر والوجدان انصهرت القصيدة في تصوير أدبي ينساب كالسراب بعيد عن الواقع والالتزام ، مسرف في الذاتية والأنانية ، ومتحرر من كل ما يشد الشاعر ألى واقعه فى الأرض ، فيخلق الشاعر إلى برج بعيد يملؤه التمرد والتحرر المطلق ، والذاتية المسرفة والأنانية الزاهدة .

وإن طغى العقل تنوعت القصيدة إلى عدة أشكال نتيجة للتحجر العقلى والإسار المنطقى ، بما لا يتناسب مع طبيعة الشعر .. فإما أن تكون القصيدة فى أسلوب علمى ، يقرر القواعد والأصول ، ويطلق الأحكام ، ويعلن النتائج ، وهو ما يطلق عليه النظم العلمى ، مثل ألفية ابن مالك والبديعيات كالقصيدة البدعية لصفى الدين الحلبي وغيرها .

وإما شعرى تقليدى أثخنه الزخارف والأنثقال ، وتعثر فى الجمود العاطفى والفكرى ، وتجمدت فيه المشاعر والأحاسيس ، فى نظم يدور على ما قاله القدماء ، فى تقليد أعمى بلا موهبة شعرية ، ولا استعداد أدبى لقول الشعر ، وذلك مثل الشعر قبل البعث الأدبى المعاصر على يد البارودى ومن معه .

وإما محافظ « كلاسيكى » يطبق فيه الشاعر عمود الشعر العربى لكنته فى جفاف العقل ومقاييس المنطق ، ويأبى أن تمتد شرايين الخيال ، لتبعث فيه الحياة ، ويكفيه أن يصور الحقيقة مقنعة ، تأخذ مكانها من العقل لا الوجدان ولا القلب ، وهذا الشعر يذهب عن قارئه بمجرد أن ينتهى لا يجد له أثرا مثل شعر ابن عثيمين فى السعودية وشعر ابن نباتة المصرى والشيخ العطار من مصر وغيرهم .

أما إن سار العقل والخيال في اتزان ومطاوعة للفكرة والمشاعر والعاطفة والواقع جاء الشعر في تصوير أدنى يحرك المشاعر ويهز العواطف ويحيى الخواطر ويبعث النشاط الفكرى ، وبهذا الاتزان في الشعر تتحقق الغاية منه وهى : التأثير ، والإقناع معا . وهو ما يعتمد عليه الشعر القوى المتمزم ، فيؤدى دوره في الحياة ، من تربية الذوق الأدبى ، وتنمية الملكة الشعرية ، وبناء الحياة وتقدمها ، وهذا ما يجب علينا نحو الحياة والانسان والمجتمع وقضاياها المعاصرة .

والصدق الفنى في التجربة يتحقق عن طريق التلاؤم بين العاطفة والخيال ، والمعانى والأفكار ، والموضوع والغرض ، والمشاعر والأحاسيس ، وبين التصوير الأدبى من ألفاظ وأساليب ، ونظم وصور ، وإيقاع موسيقى ، وفي التلاؤم بين هذين الشطرين يتحقق الصدق الفنى في التجربة الشعرية .

والتجربة الشعرية عند زاهر فيها الخواطر والأساليب ، والعواطف والصور ، بتآزر العقل والخيال معا على السواء في تجربة شعرية قوية ، التزم فيها الشاعر بقضايا وطنه وأمتة وعالمه الاسلامى الكبير ، وكان من وراء ذلك دوافع في بناء تجربته ، أسبغت عليها تلك الخصائص ، من أهمها :

الأول : حضور زاهر ومؤتمرات الحجيج في جميع أقطار العالم الاسلامى في كل عام ، وإن في هذا الموقف دافعا قويا ، ودفعة شعرية ، وإثارة للوجدان والعاطفة ، بما يقل شأننا عن المواقف الشعرية المتدفقة ، التى ينثال فيها الشعر انثيالا ، ويتراسل التصوير الأدبى بالصور المتراخمة لإرسالا ، فى شاعرية أخاذة ، يستمد الشاعر تجربته من رافدين قوين . أحدهما : الموقف الروحى ، الذى يتفجر من الوحدة الاسلامية بين الحجيج ، مع اختلاف أجناسهم وألوانهم ، وتباين لغاتهم واتجاهاتهم ، وتدقق الجانب الروحى والنفسى يدفع إلى تدفق المشاعر ، وقوة الانفعال ، وإثارة الوجدان ، وحمم العاطفة وبعث الخواطر .

ثانيهما : إحياء المشاعر المقدسة فى مكة المكرمة ، وفى منى وعرفات بما جاء فى الاسلام من شريعة بناءة ، وحضارة مشرقة للعالم أجمع ، يدفع بالشاعر إلى بحر الشريعة الاسلامية العميق ، فتنساب روافده القوية فى شعره ، التى تفي بالقيم الاسلامية والأخلاق القرآنية ، ليناجى أمة الاسلام فى ممثليها الحجيج ، بالعودة إليها ، وتطبيق تعاليمها وقيمها ، فهو السبيل الأوحد فى انتصار الأمة الاسلامية على أعدائها ، كما أقام السلف الصالح على هذه الأرض الطاهرة تلك الحضارة الاسلامية الشامخة ، وذلك مثل قصيدة « مشاعر الالهام » وقصيدة « فى ربا الحرمين » ، وقصيدة « فى مشاعر الحج » وقد مرت أمثلة منها .

الثانى : روح الجندية التى بدأ بها حياته ، فقد رسمت طريقه ومنهجه فى الحياة ، الذى يقوم على أساس من الصمود وتخطى العقبات مهما كانت شاقة ، فقد قطع شوطا طويلا فى الجندية ثم

حصل على أعلى الدرجات العلمية بعدها ، حصل على الدكتوراة وأصبح أستاذا في الشريعة . وانعكست حياة الجندي على شعره ، فوجه غايته الكبرى إلى شعر الجهاد والحث عليه في سبيل نصرة الاسلام والمسلمين ، فلا يرى إلا البارود والنار ولذلك كانت أغراضه الشعرية تصور القضايا الاسلامية وخلود الشريعة وأمجادها في الماضي .

ويذكرني هذا الاتجاه برائد البعث الشعري محمود سامي البارودي في مصر مع الفارق الزمني بينهما ، فقد كان البارودي فارسا وجنديا لكنه وجه عنايته إلى البعث اللغوي ، وإحياء الأدب لإعادة اللغة العربية وآدابها إلى وجهها المشرق ، الذي كان لها في عصورها الزاهرة عصر الأجداد .

واتجاه زاهر متفق مع اتجاه البارودي من حيث المنبع والمصدر والهدف ، لكنه يختلف من حيث الوسيلة لا الغاية ، فالوسيلة عند زاهر هي الدعوة إلى الجهاد في سبيل الله ، وتحرير الأرض من الصهانية واليهود ، لتعود أمجاد الأمة كما كانت ، لكن البارودي جندي فارس أعاد المجد إلى اللغة العربية وأدبها ، لغة القرآن الكريم والشريعة الاسلامية .. وشتان بين الوسيطين .

وشتان بين عصرى الشعارين ، فالبارودي بمعارضاته رائد البعث الشعري في العصر الحديث ، وزاهر من مدرسة المحافظين التي افتتحها البارودي يسير شاعرنا على الديباجة العربية الأصيلية وإشراق الأساليب والتزام العمود الشعري ، مع تجنبه المعارضات الشعرية ، لأن قضية الجهاد شغلته عنها ، أما نضاعة الأسلوب وتحرر الشعر من قيود الزينة وأغلاها فقد كفاه البارودي مشقة معاناتها والتخلص منها ومهد بذلك الطريق لمن بعده من الشعراء ومنهم شاعرنا زاهر الأملعي ، الشاعر الجندي الفارس المحافظ في تجديده (١) .

ثانيا : المناسبات الشعرية : من الدوافع التي أثرت في تجربة الشاعر المواقف والأحداث والمناسبات ، التي تفرضها على شعره إنسانيته ، ويدفعه إليها دينه وعقيدته ، كحق إنساني ، وواجب ديني ، فالقضايا الاسلامية المعاصرة تحض الشاعر على أن يجند شعره لجهاد أعداء الاسلام وهم الصهيونية واليسارية واليمينية ، وأن يعود المسلمون إلى الشريعة الاسلامية ، التي أقام السلف الصالح حضارتها الراسخة .

وسيطرت قضية فلسطين على شعره كله ، فلا تخلو قصيدة من الايماء إليها على الأقل أو تكاد ، أما التصريح بالقضية فقد جاء في قصائد كثيرة سواء أكانت القضية هي الغرض من القصيدة ، أم جاءت تبعا لغرض آخر ، وسيوضح هذا عند الحديث عن الوحدة الفنية ، وذلك مثل القصائد التي قالها في مؤتمرات الحجيج كل عام .

(١) انظر : مقدمة الأملعيات : للأستاذ عبد العزيز الرفاعي ص ١٣/١٢

ويبحث زاهر على التعليم والتعلم والتربية الاسلامية الفاضلة ، وذلك في المناسبات التي تتصل بذلك كافتتاح المعاهد العلمية ، والاحتفالات التي تقام فيها ، أو في مناسبات أخرى مثل الرثاء لعالم أو رائد ، أو صاحب جهود في ارساء العلم وتدعيمه ، مثل قصائد « مراقب القضاء » « نجم هوى » ، « تحية المعهد » ، « جحافل المجد » ، « دولة الاسلام في ماضيها المجيد » ، « صيحة الجهاد » ، « بطولة وفداء » ، « صرخة العرب » ، « رائد نهضة » ، « صدى المؤتمر » ، « دهي الخطب » ، « نجدة الاسلام » ، « ترحيب وأمل » ، « إشراق الأمل » ، « فقيد العلم » ، « تحية إجلال وتقدير » ، « فقيد الاسلام » ، « وحدة العرب » ، « يا قادة الدين » .

ويبحث في مناسبات أخرى على بناء الوطن الصغير والكبير ، والنهوض به ، والاشادة بالمنجزات التي تحققت ، وذلك في قصائد كثيرة مثل : « ربوع الجنوب » ، « في ربوع القصيم » ، « في ربوع القرعاء » ، « في ذرى نجران » ، « مواكب المجد » ، « سد جازان » ، « تحية بغداد » ، « فرحة ولقاء » ، « أسفر الصبح » ، « أمتي » ، « حماة المجد » ، « تحية نجران » .

لا يستريح الأستاذ عبد العزيز الرفاعي إلى المناسبات في شعر زاهر ، لأنه يفسد على الشاعر الصدق الفني في التجربة الشعورية ، فيقول : « صاحب هذا الديوان يملك النواة ، وتأتي عليه عصاميته إلا أن يصقلها ، فهو يريد ما ويريد معها اتهامات أخرى ... وفي غمرة كل شواغله ، لا يهمل الشعر ، ولكنه لأمر ما ، لا يعطينا كل شعره ، أو هذا ما أحسنني قد رجحته بعد أن فرغت من ديوانه ، فهو يعطينا من شعره الجانب الخطأى .. يعطينا شعر المناسبات ، التي أحسبه يساهم فيها ، وهو يعتقد أنه يؤدي واجبا أدبيا مفروضاً تفرضه عصاميته ، ويفرضه تطلعه »^(١) .

وهذا الكلام يحتاج إلى وقفة منصفة في مجال النقد الأدبي ، فالناقد الرفاعي يرى أن الشاعر يعطينا الجانب الخطأى من شعره ، ويفسر الخطأية بالمناسبة في الشعر بقوله : يعطينا شعر المناسبات وهذا تفسير بعيد عن الصواب لأن معنى الخطأية هو الاستطراد والحشد والتأليف بين عناصرها على أساسين رئيسيين هما التأثير في الجمهور والاقناع مع المناسبة أيضا ، والتأثير والاقناع إن خلا منهما الشعر يكون ميتا لا حياة فيه ، ومهملا مردولا ، وعلى ذلك فلا بد منهما في الخطابة والشعر على السواء .

(١) مقدمة ديوان الأملعات : الأستاذ عبد العزيز الرفاعي ص ٧

والحق أن ما يستوقف النظر من شق واحد فقط هو المناسبة ، فليست هي الفصيل بين الشعر والخطابة ، وليس كل شعر جيد هو الذى خلا من المناسبات ، وإلا لسقط شعر الفحول من شعراء العرب القدامى ، وإلا لما قلّد الأدب والنقد شوقيا إمارة الشعر ، وهو المتهم من العقاد وغيره من شبابهم بأن المناسبة أفسدت شاعرية شوق ، ثم يرجع العقاد وزملاؤه عن هذا الحكم فى مرحلة الكهولة والاعتزان وأثناء خصوماته الأدبية ، ليقرر الحقيقة التى بقيت للتاريخ فى شعر شوق وحافظ فيقول إن الخصومات حول الشاعرين كانت من حماقة الشباب^(١) .

والخطابية إذا كانت بمعنى المناسبات التى يقصدها الرفاعى لا تستلزم عدم الانفعال ، لأن التجربة الصادقة تنفجر من موقف معين ومناسبة دافعة ، وعند ذلك تكون المناسبة هى المثيرة للانفعال ، ولا أدرى كيف ينشد الشاعر قصيدة دون دافع أو مناسبة مفاجرة وإلا لما تحقق الانفعال ، الذى يلهب العواطف ، ويحرك المشاعر والخواطر .

وعلى ذلك أرى أن كلام الرفاعى بعيد عن الصواب حين يقول : « بيد أن شعر المناسبات وإن أعطى للحوادث تسجيلا ، ولصاحبه ذكرا إلا أن عناصر الانفعال فيه قد لا يرتقى إلى المستوى الأول المأمول فإن شعر المناسبة تحكمه ظروف المناسبة ذاتها ، فقد لا يكون مهيبا تهيبا نفسية كافية حينما تطرأ المناسبة ، فقد يمر على شاعر المناسبة أن يطلب إليه أن يقول شعرا فى عرس ، بينما تكون نفسه ذاتها فى مأتم ، ومع ذلك فلا يملك إلا أن يستجيب »^(٢) .

هذا الكلام مقبول وصحيح لو كان مجردا عن نسبهته إلى ديوان زاهر ، الذى حكم الرفاعى على شعره بالمناسبات ، وأشد على يديه لو كان القول مجردا عن النسبة ، لأن المناسبة قد تفرض على الشاعر وهو غير متهىء وجدانيا لموضوع المناسبة ، فهذا نظم وليس بشعر مطلقا ، ولكن زاهر لم يكن كذلك ، بل كان متهيبا وجدانيا ، ونفسيا للمناسبة التى قال فيها شعره إذا أمعنا النظر طويلا فيه ، وعلى سبيل المثال المراثيات التى ذكرناها ، لا نجد فيها تصويرا لا يتناسب مع الغرض من الحزن والتأسى ، بل كانت الصور كلها قائمة حزينة مما يدل على قوة الانفعال وصدق التجربة الشعرية ، مع أن الشاعر أنشد المراثيات فى مناسبات ذكرتها آنفا .

وكذلك لو رجعنا إلى القصائد التى قالها فى مناسبات العلم والتعليم وفى مؤتمرات الحجيج كل عام فعلى الرغم من هذه المناسبات نجد انفعالا قويا وتجربة حية صادقة مثل قصيدة «عودى إلى درب الجهاد» وقصيدة « فى رحاب البيت » ، « مشاعر الألهام » ، « ضيوف الرحمن » ، « فى ربا الحرمين » ، « فى مشاعر الحج » وغيرها وقد مرت الأمثلة .

(١) الأدب الحديث : د . عبد الرحمن عنان .

(٢) مقدمة ديوان الأملعات : ص ٧

ويؤيد ما اتجهت إليه من أن المناسبة عند زاهر كانت مفجرا انفعاله في معظم شعر المناسبات ، وأقر به الرفاعي بعد ذلك بقليل : وهو أن الشاعر كان في شعر المناسبات مدفوعاً بمشاعره الذاتية وصادرا عن إرادته لا عن إرادة غيره يقول الرفاعي ما نصه :

« غير أني أعتقد أن صاحب هذا الديوان يشترك فيما يشترك فيه من المناسبات مدفوعا بمشاعره الذاتية .. صادراً عن إرادته هو لا عن إرادة سواه ، وهو كثير ما يجول في ميدان أحبه وآثره هو ميدان العلم والتعليم ، فلا تكاد تفوته مناسبات الحفلات التعليمية في مجاله دائما أن يشيد بها » (١) .

وماذا يريد الرفاعي من الشاعر أكثر من أن يكون مدفوعا للمناسبة بمشاعره الذاتية ، هل الشعر إلا مشاعر ذاتية ، ويوم أن يكون غير ذلك فلا يكون شعرا ، بأن يكون مدفوعا بغير ذاته أي خارجا عن ذاته ومنفصلا عن مشاعره ، وما اعترف به الرفاعي هنا هو نفسه ما أخذته عليه مسبقا ومنذ قليل .

وهذا نفسه هو ما رجع إليه الرفاعي في نهاية كلامه حينما تحدث عن قضية التزام الأدباء والشعراء ، فيتجاوبوا مع الأحداث ومع الناس ، وألا ينغلقوا على أنفسهم وذاتياتهم ، وينصرفوا إلى وجدانهم بشرط ألا يفقدوا الصدق الفني .. يقرر هذا في قوله :

« ولا يجب أن ننسى أننا ندعو أدباءنا وشعراءنا أن يتجاوبوا دائما مع الأحداث ، وأن يعيشوا مع الناس ، وألا ينغلقوا على ذاتياتهم ، وينصرفوا إلى وجدانياتهم فحسب ، ولكنني لا أغفل في هذا شرطاً هاماً هو ألا يفقدوا الصدق الفني في كل أثر من آثارهم ، وصاحب هذا الديوان حينما يتجاوب مع دعوة التضامن الاسلامي ، وحينما يخاطب شعرا في منابر الحجيج التي يقيمها العاهل العظيم ... إنما يجد في ذلك ارتياحا حقيقيا في نفسه ، ويشعر أنه إنما يؤدي واجبا مفترضا يجب أداءه بقدر ما يسعه من طاقة ، أو بقدر ما يستطيع أن يقدم من جهد .. ولست أشك أن هذه الأفكار الصالحة مع مرور الزمن ستكون أكثر رسوخا في نفسه ومع تطور شعره سيكون هو أقدر على الافصاح عنها ، والابداع فيها » .

وهذا ما صنعه زاهر في معظم شعره حين التزم بقضايا عصره ولم ينغلق على وجدانه ، أو يتمدد في ذاتيته وأنانيته ، ولكن الذي أرفضه أن الشاعر لم يفرض عليه واجب في مناسبة ما فرضا غير مقبول منه أو كارها له ، لأنه لم يحمل على شيء يقوله من خارج ذاته وإرادته ويؤديه بقدر ما يسعه من طاقة ، فما دمت قد أيدت الالتزام عند الشعراء وفي منهج صاحب الديوان ، فالمناسبة عنده هي التي فجرت الانفعال من ذاته ، وانصهرت في وجدانه ومشاعره ، فأخرجها

(١) المرجع السابق ص ٧

من ذاته وأحاسيسه وازادته ، لا من شئ خارج عن ذاته .

أما الصدق الفني فقد ربطه الرفاعي بالمناسبة ، فما دام زاهر قد أنشد شعره في المناسبات ، حينئذ يتجرد من الصدق الفني ، وينسلخ عن شعر الذات أو عن شعر العاطفة والوجدان ، إلا قصيدة واحدة فقط وهي « رسالة العيد » يقول الرفاعي :

« لقد قلت ان وراء شعر هذا الديوان شعرا لم نره فيه هو الشعر الذاق أو شعر العاطفة والوجدان ، وهو الشعر الذى يخرج من القلب ليصل إلى القلوب ، فمن أين أثبت بهذا الادعاء ؟ لقد وجدت في الديوان طرف الخيط ، إنه قصيدته « رسالة العيد » فقد عاد الشاعر بعد صلاة عيد الفطر إلى غرفته وحيدا بعيدا عن أهله وخلانته .. يشكو الغربة والوحدة فلا أنيس ولا زائر ... وهي قصيدة جميلة تنساب في رقة بلا تكلف ولا افتعال .. » (١) .

لا أنكر على الرفاعي أن رسالة العيد شعر وجداني عاطفي ، وبالتالي لا أنكر الصدق الفني فيها ، فهذا ما لا يقبل الانكار ، أما الذى يحتاج إلى تأمل وهو أن الصدق الفني يساوى شعر الوجدان فقط ، بل شعر الوجدان غرض من أغراض الشعر ، والشعر الاسلامى الذى قيل في مؤتمرات الحجيج غرض من أغراض الشعر ، والرثاء كذلك ... وهكذا بقية الأغراض عند الشاعر . وعندى أن الأغراض كلها لا تصلح ولا تسمو إلى مواطن الجودة إلا بالصدق الفني بين التجربة الشعرية وبين التصوير الأدبى لهذه التجربة ، وقد تكون التجربة وجدانية أو التزمت بقضايا المجتمع ، لكن الجودة ترتبط فيها بالصدق الفني ، هذه ناحية .

وناحية أخرى وهل شعر الوجدان فقط هو الذى يصل من القلب إلى القلب ، وماذا نقول في الشعر الاسلامى ، الذى ينبع من تجربة صادقة في عاطفة ملتبهة مثل بردة البوصيرى ، ونهج البردة لشوق ، هل مثل هذا الشعر لم يخرج من القلب إلى القلب ، مع أنه لم يكن شعرا وجدانيا !!؟ لكن الحق أن البردة ونهجها لا زالت تهتز لها أعماق القلوب ، وكذلك الأمر في شعر زاهر الاسلامى مثل قصيدة « مشاعر الالهام » ، « في رحاب البيت » ، « في مشاعر الحج » ، وغيرها ، فقد عبر فيها الشاعر عن تجربة صادقة قوية تهز أعماق النفس ، وتفتح لها جوانب القلب .

وناحية أخرى وهي أن قصيدة « رسالة العيد » لم تكن وحدها هى الشعر عند زاهر ، ولم تكن هى الخيط الرفيع الذى يدل على موهبة الشاعر وأصالته الشعرية ، بل لديه قصائد كثيرة تدل على ذلك منها معظم القصائد التى قالها في مؤتمرات الحجيج مثل « عودى إلى درب

(١) المرجع السابق : ١٢/١١

الجهاد» ، وقصائد الرثاء مثل « فجع الأيام » ، وقصيدة « زلة القول » فهي من شعر الطبيعة الذى ينبع من وجدان مفعم بالحب لأبها ، ولنوازنها بقصيدة « رسالة العيد » ، لتكون هي الثانية وليست الوحيدة في نظر الناقد ، عند ذلك يكون في شعره أكثر من خليط يدل على موهبته ، وسنذكر القصيدتين حتى نلاحظ مدى القوة فيهما معا لا في رسالة العيد فقط ، يقول زاهر في « رسالة العيد » (١) :

يا عيد بلغ أسرتى وبلادى
وانقل لهم يا عيد وصف مشاعرى
أنا في الرياض وحال دون أحبتى
والقلب ملتحاق بحارق لوعة
لكنى أنسى أن أكون ببلدة
بلد بها للمكرمات منارة
تمشى طيوف الشعر بين جوانحى
فتهزنى شوقا إلى تلك الذرى
وبها سراة قد تأصل مجدها
يمتد طرفك من مشارف « تهلل »
في ربوة « الشعبين » في « واد حلى »
حي المعازل والرروع ومن بها
أنا لا أزال أقيم في أرض بها
مازلت في لوعات شوق حارق
فأرّف أشواقى إلى بلد بها
وأزفها من قلب نجد نفحة

أزكى تحياتى وشوق فؤادى
وأين لهم من لوعتى وودادى
شرف من الواحات والأطواد
والعيد عيد الأنس والإسعاد
لحقت بها الأعياد بالأعياد
وهاجّة بمفاخر الأجداد
خفاقة الرايات والأعتاد
بمعاقل شماخة الأنجاد
واستوطنت في ذروة الآساد
فبرى الربا منداحة الأبعاد
في رأس « غمرة » موطن الأسياد
بلد الجمال وجنة المرتاد
جسمى وفي أخرى يهيم فؤادى
وتطلع وترقب وجهاد
قومى وفي ذرواتها أولادى
فاح العبير بها مدى الآباد (٢)

وأما قصيدة « زلة القول » فقد ذكرتها ولنعد قراءتها مرة ثانية في مجال الموازنة مع هذه القصيدة تجد أن الصدق الفنى في القصيدتين يكاد يكون واحدا .



(١) الألعيات : ٨١/٧٩

(٢) تهلل جبل يشرف على مدينة رجال ألمع - الشعبين : حاضرة رجال ألمع - وادى حلى يحتضن معظم السهول بها . غمرة جبل مرتفع أهل بالسكان - الاصطياد جمع أصيد وهو القوى الشجاع .

ثالثاً - الألفاظ والأساليب :

زاهر الألعى شاعر من شعراء التجديد المحافظ ، الذين يتخذون العمود الشعري منهجا ، وطريقا في شعرهم ، فيحافظ زاهر مثلهم على الأوزان الخليلية ، ويحافظ على القافية الواحدة ، التي يلتزمها في القصيدة كلها ، وتراه لا يخرج عن ذلك في شعره ، فلا يعرف الشعر الحر ، ولا شعر التفعيلة ، ولا الموشحات ، ولا المقطعات ، ولا غيرها ، مما يخرج عن العمود الشعري القديم في الوزن والبحر والقافية والأمثلة على ذلك شعره كله في ديوانيه .

وكذلك الشاعر يحافظ على العمود العرني في الألفاظ والأساليب وبناء التراكيب ، فينتقى من الألفاظ ما هو جزل قوى وعذب ينساب إلى الشعر في قوة واقتدار ، ويقوم الأسلوب بإحكام ودقة ، بلا تعقيد ولا ألغاز ، بل تجد المعاني ساخرة والأفكار واضحة مكشوفة لا تحتاج إلى كبير عناء في تحصيلها ، ولا إلى مشقة في الوصول إلى الغرض منها ، ولذلك كان شعره واضحا لدرجة أن الرفاعي حكم عليه بالخطابية ، ومن صفات الخطبة أن تكون واضحة ، تصل إلى السامع في يسر وسهولة ، ولذلك كان من أهم خصائص الأسلوب عنده :

الأولى : جزالة الألفاظ ، وإحكام التراكيب ، وسبك الأسلوب مع وضوح الدلالة على المعنى والغرض بلا جهد أو أدنى تأمل ، لا يحتاج معه القارئ إلى معجم يفسر الغموض في الألفاظ أو الأسلوب ، والأمثلة على ذلك شعره كله يقول في قصيدة « مواكب المجد » (١) :

يمضي الزمان وتخلد الأجماد	والمجد صرح بالجهاد يشاد
والمجد منطلق على درب الهدى	تسمو به القادات والأجناد
تأبى الأشاوس أن تدين لغاصب	أو أن يطوف عرينها مصطاد
هي كالجبال الراسيات شواخ	تمفو لها الأرواح والأجساد
وإذا التقى الجمعان كانت قوة	تعنو لها الأغوار والأنجاد

ويقول في قصيدته «عودى إلى درب الجهاد» (٢) :

المسجد الأقصى وخفق حشاشتي	منه ونبض تألمى وترنمى
ما بين نعمة شاعر إيمانه	حبي ووثبة نائر متجهم
لكنه جهاد عادل متناول	فتأهبى يا أمتى وتقدمى
في فيلق صاروخه عزماته	بالله يقصف كالقضاء المبرم

(١) الألعيات : ٦٣

(٢) على درب الجهاد : ١٧/١٦

يا قادة الاسلام ما زالت جرا ح القدس في الأمان راعفة الدم
فتشبثوا بالله والتزموا التقى وثبوا على الأعداء وثبة ضيغم
لا ترهبوا خوض المعامع إنها مهر العلا في نصرنا المتحتم

الثانية : أقام الأسلوب في شعره على ألفاظ تعبر عن بيئة الشاعر ، التي عاش فيها : في جنوب المملكة العربية السعودية ، كما في قصيدته « في ربوع القرعاء »^(١) ، وقصيدة « في ذرى نجران »^(٢) :

تسامى في ذرى « نجران » وفد جدير بالوفسا والمكرمات
وقل ما شئت من أخبار قوم ففى « الأحدود » أنواع العظمت
فإن يأن لموكبكم رحيل « لأبها » حيث زهر الطيبات
وجو ساحر ورياض نبت مطرزة بوشى خيرات
فخرجوا في ضواحيها ومروا جبال « السوداء » المتبخرات

فالمواقع نجران ، والأحدود ، وأبها ، والسودة ، كلها من بيئة الشاعر في الجنوب ، وكذلك الألعيين ، وتهلل ، وتوالب ، كلها من بيئة الشاعر في قصيدة « خواطر »^(٣) ، وقصيدة « في ربوع الجنوب »^(٤) ، وقصيدة « سد جازان »^(٥) ، وقصيدة « زلة القول »^(٦) ، وقصيدة « تحية نجران »^(٧) ، وقصيدة « فوق أرض الجنوب »^(٨) ، وقصيدة « تحية الفهد »^(٩) ، وقصيدة « سد أبها »^(١٠) .

الثالثة : ومن خصائص الأساليب شيوع ألفاظ تدل على عالمه الاسلامى الكبير في قضايا المعاصرة قديما وحديثا ، فمن عالمه الاسلامى القديم ألفاظ كثيرة مثل بدر ، وحطين ، واليرموك ، والقدس ، ويذكر السلف الصالح من كبار قواد المسلمين مثل سعد بن أبى وقاص ، وخالد بن الوليد ، والمثنى بن حارثة ، وطارق بن زياد وغيرهم من قواد المسلمين الذين أقاموا الحضارة الاسلامية في جهادهم وكفاحهم .

(١) الألعيات : ٤٩

(٢) الألعيات : ٥٣/٥١

(٣) الألعيات : ٥٧

(٤) الألعيات : ٢٣

(٥) الألعيات : ٦٣ ، ١٤٦ ، ١٤٩

(٦) الألعيات : ١٠ ، ٩ ، ٨

وفي عالمه الاسلامى الحديث يذكر ما وقع للمسلمين في جميع العالم من بلاء وحرب من أعداء الاسلام ، فيذكر غزو باكستان ونجبار والفلبين والقدس وغيرها ، يقول في قصيدته « في مشاعر الحج » :

قد اجتاح « باكستان » غزو مدمر
وقد روعت في « زنجبار » ضمائر
وعانت على أرض « الفلبين » عصابة
وظن الورى في مجلس الأمن نجدة
وإذا ما اعتلت في الصين صيحة مسلم
ودوت أرجاء الرباط استجابة
يسانده الاحاد والشرك والكفر
وأزهقت واستفحل القهر
فلم يبق للاسلام في أرضها أمر
فلم يغن منه لا هراء ولا هذر
تجاوب في أم القرى البيت والحجر
وهبت لها بغداد وانتفضت مصر(١)

رابعا - الخيال :

وخيال الشاعر يمضى فيه على نسق عمود الشعر العربى في معظم صوره من تشبيه واستعارة وكتابة وغيرها من وسائل التصوير الأدبى مثل قوله :

لنا إخوة في الدين عاث بها الضنى
فيا قادة الاسلام لموا جراحها
ويا فيصل الاسلام أحكم شباكها
فمن لازم الاقدام في ساحة الوغى
تمد عنان الصوت من ذا تجاوبه
وكونوا لها ردءا تهاب جوانبه
وجرد لها غصبا توقد لا هبه
تناهت إلى المجد الرفيع تجاربه

فالاستعارات والكنائيات هناقدية على النمط الذى جاء في الشعر العربى القديم ، وهذا على سبيل المثال ، ولنرجع إلى ما ذكرناه من شعره لتجد الصور موصولة بمنبعها الأصيل من الخيال العمودى .

وإذا نشط الخيال حيناً عند زاهر ، منح بعض الصور الجزئية الأدبية من شعره ثوبا جديدا ، وبعث فيها روح عصره الجديد ، فتتأوج فيها ألوان من النشاط الانسانى الحى ، وترقرقت في جوانبها ظلال من الثقافات المعاصرة ، وانسابت في مجالها روافد العصر ومقتضياته ، وتسطرت على صفحاتها الثقافة الجديدة ، ونبضت شرايينها بما يموج في الحياة من التقدم العلمى والحضارى ، وذلك مثل بعض الصور التى جاءت في قصيدته « مراقى الفضاء » منها(٢) :

(١) على درب الجهاد : ١٥٠

(٢) الألمعيات : ١٩/١٧

زجرج الركب فى مراقى الفضاء
وانطوى هىكل اللىجى فبات
لىت شعرى من أى برج أطلت
لىت شعرى من أين منطلق النور
إن إشعاع دعوة الحق قد شا
ء الإله خلوده فى البقاء
واعلى الفكر شامخا بالضياء
شعلة النور راية النجىاء
أنجم الكون والعلا والبناء
ر الذى كان آية فى البهاء
ء الإله خلوده فى البقاء

خىال ترى فى صوره الألبىة نبضات اللىجىء ، وروح العصر ، فسفينة الفضاء اللى
زجرجت ، فى الكون صورة متحركة توحى باللقدم العلمى فى مراقى الفضاء ، وتشف عن روح
العصر اللى حلقت فى ألبنا المعاصر ، والفكر اللى تجسم شامخا فى الفضاء بفض باللقدم
والنهضة اللىءىة ، ونور العلم لون من ألوان الحضارة العلمىة والتجربىة المابىة ، اللى تمثل عصر
الشاعر .. وسفينة الفضاء اللى شعشت بنور العلم فى اللىجى ، ورفرفت براية اللقم الانسانى
فى مدارج الفضاء كالشعلة الوهاجة ، اللى تطوى الظلام واللىجى طبا سربعا خاطفا .

والشاعر بىجى نفسه ورواد الفضاء ، لىقفوا على مواطن أبراج النجوم وحققتها فى
الكون ، مابمات السفينة تبحت عن حقائق الفضاء ، لا عن حقائق الأرض ، وسائلهم أين
مصدر النور ؟ فى الوجود اللى ما زال آية فى البهاء .. ثم بىبب الشاعر عن مصدر النور
اللىقى ، إنما هو فى شرىة الاسلام وهى حق ، وأساس اللىقىة ، واللىة اللابدة اللى أراد الله
لها أن بقى إلى قىام الساعة « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لىافظون » .

صور جزئىة تسرى فىها روح الللىجى المنساب من روح اللقم العلمى والانطلاق
الفكرى فى العصر اللىءى ، ولكن الشاعر ما زال مرتبطا بقىود الخىال القلىم فى هذه القصىة
تطل صوره من حىن إلى آخر مثل : زجرج ، وهىكل اللىجى ، وشعلة النور ، وأنجم الكون ،
ومنطلق النور ، وآية فى البهاء ، وهكذا .

أما عناصر اللصوىر الألبى من حركة ولون وحجم وشكل وغبها تموج بىن حناىا الصور
فالحركة العنىفة والسرىة للسفينة تنلف من الزجرجة والمراقى والاعلاء والشموخ ، وانطواء الهىكل ،
والإطلال ، والمنطلق وغبها ، واللون يشع بأطباىف الأمل واللقدم فى مراقى الفضاء ، واعلاء
الفكر وشموخه بالضياء ، وشعلة النور اللى تطوى هباكل الظلام ، وأنجم الكون والعلا والبناء ،
ومنطلق النور وآية فى البهاء ، وإشعاع دعوة الحق ، والخلود فى البقاء ، كل هذه الصور تموج
بالوان اللقم والرقى والحضارة والأمل فى اللقى السعابة للانسان فى العوالم الأخرى لا فى الأرض
فحسب .

أما عنصر الحجم فى اللصوىر الألبى هنا فىلحدد فى السفينة اللى اللصوىر رواد الفضاء
وتسبح كاللذرة فى مراقى الجو ، فلقف على أحجام الأبراج والنجوم لأنها أقرب إليها من أهل

الأرض ، كما أن حجم دعوة الحق تملأ الفضاء وتسد الآفاق وشتان بين الحجمين سفينة كالذرة في الكون ، ودعوة باتساع الكون كله .

وأما عنصر الشكل هنا في الصور ، فتمتد فيه خيوط السفينة لترسم الغاية منها وهي الجانب المادى فقط لاسعاد الانسان حيث يبحث عن أرض جديدة بعد أن ضاقت عنه أرضه ، وخاب ظن الذين يرون السعادة في الجانب المادى وحده ، بل هي في الاسلام دعوة الحق لتكون الغاية منها هي الخلود والبقاء ، وشتان بين الشكل المادى الزائل في سفينة الفضاء وبين الشكل الخالد والباقي في دعوة الحق في الاسلام .

ومن الصور الأدبية التي دبت فيها روح العصر قوله في القصيدة السابقة : بحث المسلمين على التمسك بشريعتهم فهي المعين الخالد الذي لا يفنى ولا يتبدل ، بينما العلم الذى وصل إليه علماء الفضاء قد يتبدل ويتغير تبعا لطبيعة العلوم التجريبية ، التي تختلف من عصر إلى عصر حسب حاجات الانسان ومقتضياته ، وظروف حاضره ومتطلباته يقول^(١) :

أيها المسلمون قد أصبح اليو
فارتقوا في معارج المجد وابتنوا
وابتنوا في ذرى الأماجد صرحا
تصعد القادة العظام وترجى
فترى العلم عندها بمكان
إن للعلم دولة لا تسامى
فانهلوا من معين عذب زلال
منهل يطوى الليالى ويبقى
يارجال الاسلام أحيوا علوما
جددوا في العلوم من كل فن
سبقتنا إلى الفضاء شعوب
وغزت عالم الفضاء فدوى
فينو الشرق يفخرون بما قد
وينو الغرب قد تباهوا بعلم
شرعة الله أن تعيش كراما

م شعاعا مبشرا بالهناء
من صروح السلام نهج إخاء
تعلى فيه دوحة السعداء
أما في مواكب العلياء
لا ينال بيعهما والشراء
قد حداها فطاحل العلماء
لا تغيض فيوضه بالفناء
منعمة للنفوس للنبيلاء
من تراث مهذب الآراء
واستنبروا بشرعة الأنبياء
واستطارت على ذرى الأرجاء
صوتها في مراتع الكرياء
حققوه من موجبات الرخاء
سخروه في غزوهم للفضاء
وينور ثرقى ذرى الكرماء

(١) الأملعات : ١٧/١٩

ومن الصور التي أخذت ثوبا جديدا أيضا تصوير العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ م يقول من قصيدة « جحافل المجد »^(١) :

فلاذت بأذيال الفرار وإنما لتشبه قردًا فر من أعسر اليد
وما زال فينا قوة وعزيمة تصون بها الأبطال في كل مشهد

فالشاعر يصور حربا حديثة على أمة اسلامية عربية ، تصدت في شجاعة وقوة لدولتين كبيرتين آنذاك ومن ورائهما صنيعه الاستعمار إسرائيل ، لكنها دافعت في شجاعة وبسالة بقليل من العتاد والسلاح ، فلاذ العدوان الثلاثي بالفرار كما يفر القرد من الرجل المجرّد من السلاح ، لأن العزيمة والقوة التي أشادتها الشريعة الاسلامية هي سلاح الأبطال في كل معركة من معاركنا الاسلامية العربية .

وصور جديدة أخرى غذيت بروافد جديدة من روح العصر وتياراته المعوجة التي حادت عن المنهج الاسلامي المستقيم يقول في قصيدته « عودى إلى درب الجهاد »^(٢) :

شغلتهم الثارات فيما بينهم وتكبوا نهج الصراط الأقوم
هذا يمينى ورجعى ، وذا حزب اليسار يقال عنه تقدمى
بئس التهاثر ضاع في غمراته أمل بوحدة صفنا المثلم

هذه الأمة الاسلامية الواحدة قد مزقتها التيارات المعاصرة والمعادية للشريعة الاسلامية ، وأصبحت أحزابا متصارعة متطاحنة على حساب أمنها الاسلامية ولمصلحة أعدائها فأصبحت بعض الشعوب توصف بالرجعية والتخلف في نظر الأعداء ، حتى يكون ذلك منفذا لظعن الاسلام وصرف أهله عنه ، فيلهثوا وراء مدينتهم الزائفة .

وبعض الشعوب الأخرى تجر أذيال المعسكر اليميني الغربى ، والبعض كذلك عميل للمعسكر الأوروبى الشرق اليسارى ... صراعات حزبية بين أبناء الأمة الواحدة ، ومهاترات تموج بالعداء والتمزق بين العالم الاسلامى ، مما يؤدى إلى تبديد صفوفها ، وتصدع وحدتها ، فلا مكان لدولة مزمقة ، ولا لشعوب متفرقة في عصر التكتلات الاقتصادية والسياسية والدبلوماسية ، فقد توحدت لهدف مشترك دول غرب أوروبا في السوق الأوروبية المشتركة لتواجه القوى الأخرى في العالم ، وبالأمس القريب كانت تموج فيما بينها الصراعات والعداوات ولو ظلت كما كانت لذلت لإحدى القوتين العظميين روسيا وأمريكا ، التي التقت مصالحهما المشتركة اليسارية واليمينية في

(١) الأنبياء : ٥٥

(٢) على درب الجهاد : ١٥

هدف واحد وهو توحيد قواهما ضد الأمم الممزقة الضعيفة ، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية .

ومن الصور الجديدة أيضا قوله^(١) :

لا نجد للعرب مادامت حناجرهم في كل أمر تنادى هيئة الأمم

وكذلك الصور التي سبق ذكرها ، حين صور الشاعر حرب باكستان وزنجبار وكشمير والقدس ، والفلبين ، وصور مجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة وردت في قصائد كثيرة .

والجديد في هذه الصور كلها يرجع إلى أنها استمدت روافدها من روح العصر ، وتجاوبت مع تياراته الحديثة ، والقضايا الراهنة ، لأن زاهر يعيش مع الأحداث بعقله ووجدانه ، ويصورها بقدر ما تمدده مدرسته المحافظة ، والتي يأبى أن يتزحزح عنها إلا قليلا ، لذلك كان زاهر من الشعراء المجددين المحافظين في شعر الجنوب خاصة وفي الشعر السعودي بصفة عامة .

خامسا — الوحدة الفنية :

من القيم النقدية التي لا بد منها في الشعر الجيد حديثا هي الوحدة الفنية ، وهي تقوم على التلاؤم والانسجام في العمل الأدبي بين عناصر القصيدة كلها ، وبين أركانها ، فتتآلف الألفاظ والأساليب وصور الخيال والإيقاع والموسيقى مع التجربة الشعورية والعاطفة والوجدان والمعاني والأفكار التي تنمو داخل الغرض الأدبي من القصيدة .

وعلى ذلك، فالوحدة الفنية تستلزم الوحدة الموضوعية والوحدة في الغرض من القصيدة ، حتى يتم التلاحم والتلاؤم بين المضمون والشكل ولذلك نجد تناقضا فيها للقصيدة التي تحتوى على غرضين ، فالغرض الأول عند الموهبة الشعرية يأخذ شكلا وأسلوبا وتصويرا وعاطفة يختلف عنه الغرض الآخر في الشكل والأسلوب والتصوير والعاطفة .

والوحدة الفنية في شعر زاهر قد اتخذت اتجاهين ، فبعض القصائد قد التزم فيها الشاعر بالوحدة الفنية ، فاشتملت على موضوع واحد من المطلع حتى النهاية ، والبعض الآخر قامت القصيدة فيه على غرضين أدبيين ، لا غرض واحد ، مما يضطر الشاعر أن يزواج في التصوير حسب اختلاف الغرض بما يتناسب مع كل غرض .

الاتجاه الأول : تعدد الأغراض في القصيدة الواحدة ، وخاصة في ديوانه الثاني « على

(١) على درب الجهاد : ٤٢

درب الجهاد» ، فنرى بعض القصائد اشتملت على مقدمات غزلية في المطلع أو في الخاتمة ، فمن المقدمات الغزلية التي أخذت موقعها من المطلع قصيدة « عودى إلى درب الجهاد » ، بدأها الشاعر بالغزل العفيف الطاهر ، ثم انتقل إلى غرض آخر وهو الجهاد في سبيل المسجد الأقصى ، ويحذر المسلمين من انشاققهم إلى أحزاب متصارعة من يمينية ويسارية ورجعية يقول في المطلع^(١) :

عودى فذكرك بالثناء على فمى ومكان حبك من فؤادى فى دمى
وتذكرى محض الوداد أبشه لحنا فيحلو منك طيب ترنم
حتى إذا ندت طيوفك وانرى حبي يثلّم بالصدود ويرتمى
أحجمت لا أرضى ببذل مودتى إلا لمؤتلق المناقب أكرم

وهكذا يصور الشاعر غزله العفيف في سبعة عشر بيتا إلى أن يقول :

ثقتى تقول بأن ليلي برة وغدا سترجع والفؤاد لها ظمى
ولسوف يجمعنا الجهاد وملتقى ويضمننا ورد المنهل زمزم

ويرمز الشاعر بليلاه إلى الوحدة الاسلامية الكبرى ، التي ينشدها في شعره لتكون الأمة صفا واحداً لمواجهة عدوها اللئيم وتحرير المسجد الأقصى من بين أيديهم ، ثم يتسلل في هدوء وانسياب بعد أن مهد للغرض في البيتين السابقين ليبدأ الغرض الأساسى من القصيدة فيقول :

المسجد الأقصى ويا لإهابه حرى مضرجة تحشرج فى فمى
خجلا وحرنا من مواقف معشر من مأثم يتخبطون بمأثم
شغلتهم الثارات فيما بينهم وتنكبوا نهج الصراط الأقوم

وكذلك قصيدته « مشاعر الالهام » ابتدأها بمقدمة غزلية ، فاشتمل المطلع على الغزل الطاهر فى تسعة عشر بيتا يقول^(٢) :

طلعت فلاح اليمن فى طلعاتها وبدا جمال السورد فى وجناتها
وسرى النسيم على مشارف ثغرها تتضوع الأرجاء من نسماها
ورنت بألحاظ الجفون نواعسا تتراقص الأطياف فى ومضاتها
فتبسمت عن ثغر حسن باسم فشقائق الأكام من بسماها

(١) على درب الجهاد : ١٤/١١

(٢) على درب الجهاد : ٣٣/٢٩

وهكذا يصور فتاة أحلامه في غزل عفيف طاهر ، يشف عن روح المؤمن ومنهج المسلم ، حينما يعبر عن غريزة النفس وهى الحب يعبر عنها في تصون وطهر وعفة ، لكى يمهد للغرض من القصيدة فيقول :

لكن أطيا في وإن جنحت بها فتن الجمال تعف عن زلاتها
وتتوق أشواقى إلى سنن الهدى فمشاعر الإلهام فى رحباتها

ثم ينتقل إلى الغرض من القصيدة وهو الإشادة بالرسول الأعظم ورسالته الخالدة ، فيعبر عن مشاعر الحب الصادق للرسول ﷺ وعن حبه للرسالة الخالدة فيقول فى ثلاثة وعشرين بيتاً (١) :

تمتد آفاقى وترقى همتى سبل الجهاد أخوض فى غمراتها
ويشدنى حب النبى محمد من شاد بالسّمحاء مجد دعواتها
يا من حملت أبر قلب فى الورى وأعز نفس جانبت شهواتها
تمفو إليك قصائدى ومشاعرى فى ظل هديك واصلت رحلاتها

وهكذا يستمر الشاعر فى تصويره للغرض إلى آخر القصيدة .

ويتعدد الغرض يختلف التصوير الأدبى حسب كل غرض ، فتصوير الغزل له اتجاهه وأسلوبه وألفاظه وصوره . وتصوير الحب الصادق للرسول العظيم ورسالته الخالدة ، له ألفاظه وأسلوبه وصوره واتجاهه الذى يتناسب معه ، ومن هنا تتمزق الوحدة الفنية فى القصيدة الواحدة تبعاً لتعدد الأغراض فيها .

فإذا ما تأملنا مطلع هذه القصيدة فى الغزل العفيف نرى الرقة فى اللفظ والحلاوة فى الأسلوب ، والسحر فى التصوير ، والتراقص للأطياف ، وابتسام الثغور ، وجمال الورد فى وجناتها وشقائق النعمان فى بسماحتها ، وغير ذلك من الصور التى تتناسب مع الغزل ، وإن كان هنا عفيفاً طاهراً ، لا ابتذال فيه ولا قبح وكيف لا ؟ وهو مطلع لموضوع طاهر ورسالة خالدة .

وحينما ينتهى الشاعر إلى الغرض الأساسى من القصيدة يتخذ اتجاهها آخر ، وطريقة ثانية فى التصوير الأدبى لهذا الموضوع ، ولذلك تنعدم الوحدة الفنية بين المطلع وبين الغرض الأساسى ، الذى اقتضى من الشاعر أن يصوره بمنهج آخر يختلف عما سبق ، فترى قوة فى الألفاظ وجزالة فى الأسلوب ، وفخامة فى التراكيب ، مثل « امتداد الآفاق » ، « وارتقاء الهمة إلى سبل الجهاد » ، « خوض الغمرات » ، « ويشدنى حب محمد » ، « من شاد بالسّمحاء

(١) الديوان السابق : ٣٧/٣٣

مجد دعائها » ، وهكذا يكون التصوير الأدبي إلى نهاية القصيدة بما يتناسب مع النبي العظيم محمد ﷺ ، ومع رسالته القوية الخالدة .

وعلى النمط المتنوع في الموضوع والغرض لا يمكن أن تتحقق الوحدة الفنية في القصيدة ، لأن وحدة الموضوع والغرض لم تتحقق فيها .

والذي ينبغي ألا نغفط حق الشاعر فيه ، أنه يحاول في قصيدته المتعددة الأغراض ألا يهبط بالغزل إلى الاسفاف والسفور المزدول كما هو معروف في الغزل عند الشعراء القدامى والمحدثين ، لأن الشاعر يدرك تماما الشرف في الغرض الثاني ، فلا بد أن يكون هناك اتساق وتلاحم على نحو ما مع المطلع بما يتناسب مع هذا الغرض ، ولذلك لم يجد الشاعر بدءاً من أن يعبر عن طبيعته وعن خلقه الاسلامي ، فيصور الحب وهو غريزة انسانية في مظهرها اللائق بالمؤمن الحق ، ويخلق المسلم كما ينبغي أن يكون .

ولهذا السبب لا يدرك القارىء كثيرا في القصيدة عنده أنها قامت على غرضين ، لصعوبة الفصل بين المطلع في الغزل العفيف الطاهر ، وبين الغرض الأساسي الشريف ، فكلاهما يعبر عن نفس شفافه مؤمنة هذبها شريعة الاسلام بأخلاقه السامية .

وكذلك تعدد الغرض في قصيدة « في ربا الحرمين » فاستهلها بمطلع في الغزل العفيف مع ليلاه في خمسة أبيات يقول (١) :

سرى في هجعة المسرى تسامى	وترمق في تطلعها المراما
وكأن الشوق يحدوها ابتهاجا	ويذكى في مشاعرهما الغراما
وفي جنباتها تمشى طيوف	كأطياف المحب إذا استهاما
فقلت لها وفي نبرات صوتي	وداد . أين أزمعت المقاما
فقلت : في ربا الحرمين أشدو	أناجى البيت والبلد الحراما

ثم ينتقل إلى الغرض من القصيدة فيصور المآسى التي مزقت صفوف المسلمين وقرت شملهم ، فهبت ريح الخلاف والتنازع بينهم ، مما يمزق قلب الشاعر ، ويذمى مشاعره ، ولا يجد سبيلا أمامه إلا أن يحث المسلمين وهو في « منى » في هذه الأيام الطاهرة ، يحثهم على التمسك بالشرعية والسير على منهجها ، وينذ الخلاف والنزاع ، حتى يعودوا صفا واحدا في جسم الأمة الاسلامية ، فيقول في تسعة وثلاثين بيتا :

(١) على درب الجهاد : ص ٩٧

وعند الركن تنحسر الخطايا
فتنشرح الصدور بطيب ذكر
سأعشق موطن القرى وإني .
ملممة حوائجها انهما
أماط الكرب عنها والقتاما
على حب القداسة لن ألاما

وكذلك في قصيدة « تحية المغرب العربي » استهلها الشاعر بمطلع غزلي عفيف في ثلاثة عشر بيتا يقول (١) :

عبرت بالنشر في أسنى مكان
وتهادت بين أزهار الربا
قلت يا حسناء إني مفعم
وبدت شماء في أفق الزمان
غضة هيفاء كالدر المصان
بوداد يتنامى في كياني

إلى قوله :

وانبرت ترهف سمعا كالذى
نظرت حيننا وقالت : إننى
فإلى المغرب تنساب الرؤى
في الذرى يشتف أطيايف الجنان
ألمح الموكب خفاق الجنان
فتخطى شوقنا شم الرعان

وهنا ينتقل إلى الغرض الأساسى من القصيدة التى يعبر فيها الشاعر عن حبه الصادق للعرب ، والمغرب البلد الاسلامى الشقيق ، وعن الايمان العميق بالأخوة العربية الاسلامية ، ثم يربط ذلك بحضارة الاسلام فى الأندلس ، حيث كانت المغرب نقطة انطلاق الجيش الاسلامى فى الأندلس بقيادة طارق بن زياد ، وذلك فى ثمانية عشر بيتا ، يقول (٢) :

أيها المغرب يا رمز الفدا
لك من قومی تحيات الوفا
أنا فى الشرق وفى الغرب معا
نحن من بغداد من أم القرى
وحد الاسلام من راياتنا
نحن فى المغرب فى مهد العلا
يا عرين الدين والمجد المصان
لك من أرض الهدى غر الأمانى
دينى الاسلام والفصحى لسانى
من دمشق الشام أو من قيروان
وبنانا للذنى خير كيان
معقل الأبطال فى يوم الطعان

وهكذا إلى آخر القصيدة .

(١) على درب الجهاد : ١١١/١٠٩

(٢) الديوان السابق : ١١٥/١١١

وتعدد الغرض أيضا « من قصيدة حرب رمضان » في مطلع غزلي عفيف يضم ثمانية أبيات يقول فيها(١) :

تنتت أمامي وهي لا تعرف الخطبا وقالت : لهيب الحب في القلب قد شبا
تنتت بأعطاف وألوت بمعصم ورتت بأنغام لتاسر لي قلبا
فكانت كغصن البان لأمس فرعه نسيم الصبا فاهتز من أنه عجا
إلى قوله :

فلا تمتطى صهو السفاهة والردى ولا تركبى في الحب مركبه الصعبا
وكونى مع الأحداث سيرا لغورها إذا انتظمت سلما أو اشتعلت حربا
فما أفلحت في موكب المجد أمة إذا لم يكن درب الجهاد لها دربا
ويتسلل إلى الغرض فيقول حتى نهاية القصيدة :

أتلك رحاب القدس ضجت فروع قلوبا وأزجت في ضمائرهما رعبا
أما قصيدة « في رحاب البيت » فيستهلها بالغرض الأساسي من القصيدة وهو الأشادة برسالة الاسلام الخالدة ، وأثرها العظيم في الفتوحات العظمى وقهر الفرس والرومان ، ثم أشاد بانتصارات المسلمين في حطين وذات الصواري ليحث المسلمين في هذا العصر على استعادة مجد الآباء والأجداد يقول في ثلاثة وعشرين بيتا(٢) :

أرى في رحاب الله منطلقا رحبا يضم شتات الشمل مؤتلقا خصبا
وقد عظمت لله في مسمع الدنا شعائر ما زالت لوحدتنا قطبا
فبالأمس قد لبث جموع غفيرة وشدت وثاق العزم وانطلقت وثبا
إلى آخر الغرض ثم يختم بليلاه في غزل عف طاهر(٣) :

وما شمت من ليلاي إلا تحفزا لترقى سماء المجد أو تبلغ الشهبا
فبوركت يا أرض القداسة والهدى ولا زلت ميدانا لآمالنا رحبا

ولم تكن المطالع الغزلية وحدها هي التي زاوجت أغراضه الأدبية . ولكن هناك غرضا آخر كان يتسلل من حين إلى آخر في أغراضه خلال قصائده وهو « تحرير القدس » وكثيرا ما نجد

(١) على درب الجهاد : ١٦٢/١٦١

(٢) على درب الجهاد : ٢٤/٢٠

(٣) الديوان السابق : ٢٥

هذه القضية تسيطر على عقل الشاعر وحسه ووجدانه ، فتراه ينظم القصيدة لغرض معين ، ولأدنى ملامسة تنفجر شاعريته بقضية الساعة ، وهي إعادة المسجد الأقصى إلى المسلمين ، وكانت هذه الظاهرة في الديوانين ، وأحيانا يكون الغرض من القصيدة عاما يشمل القضية ، فتندرج تحتها ، ولا تعد غرضا ثانيا ، لأن الموضوع يشملها ، وحينئذ فالوحدة الفنية لا تفارق القصيدة وذلك في مثل قصيدة « الحج الأكبر »^(١) ، فالغرض هنا يشمل أشتاتا من الموضوعات تدخل تحت كلمة « مؤتمر » ، وبهذا يأتي الشاعر بقضية فلسطين وتحرير القدس ، ولا لوم عليه ، لأن الموضوع عام تدخل فيه القضية .

وكذلك قصيدة « من رحاب البيت »^(٢) ، وفيه تلتقى الشعوب المختلفة ، ولكل شعب قضيته ، ومن بينها شعب فلسطين ، فهو يدخل في موضوع القصيدة .

وكذلك قصيدة « أم القرى ص ٨٢ الأمليات » ، وقصيدة « فرحة ولقاء ص ٩٥ الأمليات » ، في تحية الجيش السعودي الذي يعتبر القدس قضيته المعاصرة ، وقصيدة « حماة المجد ص ١٣٧ الأمليات » ، ومثل قصيدة « ضيوف الرحمن ص ٧٦ — على درب الجهاد » ومنهم أبناء فلسطين ، وغيرها من القصائد التي وردت على هذا النمط .

أما إذا كان الغرض خاصا ، وليس عاما ، فينبغي ألا يكون لهذه القضية دخل فيها ، وإن وجدت مكانها في القصيدة تعد مزدوجة الغرض ، وذلك مثل قصيدة « دعوة الحق »^(٣) ، وهي الاسلام فيشئى الشاعر من خلالها بغرض آخر ، وهي قضية فلسطين ، وبذلك يتعدد الغرض ، فتتفك عرى الوحدة الفنية ، لأن لكل غرض من هذين تصويره الأدنى ، الذى يتناسب معه ، وذلك ما صنعه الشاعر في قصيدة « مجد الشباب » حينما أدخل فيها القضية ، فزواج فيها مع الغرض الأساسى ، وهو تصوير المجد ، الذى ينبغى أن يسعى إليه الشباب في مستقبل حياته .

ولقد تنبه لهذه الظاهرة الأستاذ عبد العزيز الرفاعى ورد السبب في ذلك إلى روح الجنديّة التى بدأ بها زاهر حياته العملية يقول :

« وإذا روح الجنديّة قد انعكست على طموحه وآماله .. فإنها أيضا قد انعكست على ديوانه ، فرأيته يشيد بالجهاد ، ويحث على القتال في سبيل الله لنصرة فلسطين ، وإخراج الاسرائيليين من ثالث الحرمين »^(٤) .

(١) الأمليات : ٣٣

(٢) الأمليات : ٣٩

(٣) على درب الجهاد : ١١٩

(٤) مقدمة الأمليات : ص ٦

ولا حاجة بنا إلى ذكر الشواهد هنا ، فقد سبقت أمثلة كثيرة تدل على ذلك فلنرجع إلى

هناك .

الاتجاه الثاني : وهو الوحدة الفنية ، التي تتحقق في وحدة الغرض ، وذلك في قصائد كثيرة ، وخاصة في ديوانه الأول « الأمليات » ، وبعض القصائد في ديوانه الثاني « على درب الجهاد » ، ولذلك تلاحم التصوير الأدبي مع الغرض والمضمون من القصيدة ، من مطلعها حتى نهايتها ، ولم يتخل الشاعر عن الوحدة الموضوعية والوحدة الفنية معا في هذا الاتجاه ، لا في قليل ، ولا في كثير .

وعلى سبيل المثال قصيدة « مواكب المجد » ، وقصيدة « جحافل المجد » ، « سد جازان » ، « سد أبها » ، « دولة الاسلام في ماضيها المجيد » ، « صيحة الجهاد » ، « وحدة العرب » ، « في مشاعر الحج » ، « مؤتمر الفقه الاسلامي » ، « فوق أرض الجنوب » ، « فجعة الأيام » ، « شريعة الله » ، وغيرها من القصائد الكثيرة التي اشتملت على غرض واحد فقط ، تلاحمت عناصره ومعانيه مع وسائل التصوير الأدبي من ألفاظ وأساليب وصور وإيقاع وموسيقى ، والأمثلة الكثيرة مر ذكرها في مواطن متفرقة ، ومن القصائد التي تحققت فيها الوحدة الفنية « شريعة الله » (١) :

سطعت بنور الوحي في عرصاتها
في مكة الغراء قد بزغ الهدى
وبشرعة الله الشريفة رفرت
أوحى بها رب البرية رحمة
البلمس الشافي لكل عويصة
والمهجع الوافي تفوز به السدى
عدل ومرحمة وحسن تعايش
دين السلام على البسيطة كلها
الصف ساوى بين كل موحد
أما الزكاة فإتما هي بلغة
وإعانة للغارمين وقربسة
ونفك منها الرق أو تعطى لمن
وإذا نصبنا للجهاد لواءه

فانزاحت الظلماء من جنباتها
وتألق التوحيد في شرفاتها
أطيارها وزهت على دوحاتها
واختار للتبليغ خير هداتها
أعيت مخاطرها عقول أساتها
لو عم حكم الله كل جهاتها
بين الشعوب على اختلاف فئاتها
دين أقام العدل في ساحاتها
عند الصلاة تقام في أوقاتها
لابن السبيل ومنحة لجباتها
تعطى الفقير فيغتنى بصلاتها
قد يألف الاسلام عند هباتها
كانت لمن يحتاج من نفقاتها

(١) على درب الجهاد : ٢٠٨/٢١٤

والصوم ترويض على ترك الهوى
والحج آخى بين أمة أحمد
الا بتقوى الله حكم عادل
أما الحدود فلبينة جنة
وشهادة التوحيد تهدى كل مر
هى فطرة والعقل قد نادى بها
الله قد فطر النفوس على الهدى
والأرض قد أرسى بها أوتادها
والروح أبرأها وأحكم خلقها
أفلا ترى الأعمار . فى أفلاكها
الله أبدعها وأحسن صنعها
حسب المشرع للخليقة أنه
شتان بين مشرع بفظانة
خسرت عقول حاولت بغرورها
تلك الملاحم من جوانب شرعة
فاستمسكوا بنصوصها وعلومها

فالقصيدية صورة دقيقة للوحدة الفنية ، فالموضوع واحد من أول بيت إلى نهاية القصيدة
وهو شريعة الله ، والعاطفة فيها صادقة مع الموضوع لأنها صورة صادرة من مؤمن يؤمن عن
عقيدة وصدق بتعاليمها ، والقوة فى التشريع الاسلامى تجاوبت معها ألفاظ وأساليب وصور على
شاكلتها من القوة والوضوح ، والحقائق التشريعية لا تحتاج إلى خيال يزيناها أو يبالغ فيها ، وإنما
كانت تقوم على أسلوب التقرير للحقائق ورفضها من خلال وجدان الشاعر وعاطفته الصادقة ،
أما الإيقاع فهو ممتد عميق يصور الامتداد فيه كثرة حروف اللين بما يتناسب مع عمق الحقائق
والتعاليم فى التشريع الاسلامى ، مع طول التفاعيل فى البحر العروضى للقصيدة حتى تتناسب مع
المعاني العميقة والأفكار السامية .



الفصل الخامس

الشاعر يحيى إبراهيم الأمعي

- ١- نشأته وحياته .
- ٢- الأغراض الأدبية في شعره .
- ٣- المصح وفصائله .
- ٤- الشعر الوجداني وفصائله .
- ٥- الشعر الإسلامي وفصائله .
- ٦- الرثاء : وفصائله .
- ٧- وقفات مع الشاعر في التصوير الأدبي .
- ٨- التصوير الأدبي .
- ٩- البيع والضرورات .
- ١٠- معالم الجنوب في شعره .
- ١١- الوحدة الفنية وفصائلها .



نشأة يحيى الألمى وحياته :

إلى مدرسة المحافظين المجددين في مذهبها الأدبي ينضم الشاعر الأديب يحيى ابراهيم الألمى ، ولد بمدينة « رجال ألمع » حاضرة تهامة عسير ، عام (١٣٥٦ هـ) ، وتلقى دراسته الابتدائية فيها وتعلم على علماء المدينة .

ثم اشتغل بالتجارة حتى وصل إلى مدينة « جدة » ليعمل موظفا في وزارة الصحة عام (١٣٧٣ هـ) ، وظل بها سنتين .

وفي عام (١٣٧٥ هـ) عاد إلى أبها ، ليشترك أعماله في الحكومة ، يتقلب في وظائف مختلفة ، في ديوان إمارة منطقة عسير ، حتى عين مديراً للجوازات والجنسية في منطقة « بيشة » عام (١٣٨٤ هـ) .

وفي عام (١٣٨٦ هـ) انتقل إلى أبها ، ليعمل رئيساً لقسم التحرير بمديرية الجوازات والجنسية في عاصمة الجنوب .

ثم عين مديراً للجوازات والجنسية في « ظهران الجنوب » عام (١٣٨٨ هـ) .

ثم عاد إلى مدينة أبها في عمله السابق رئيساً لقسم التحرير في مديرية الجوازات والأحوال المدنية ، وأثناء ذلك عمل رئيساً لتحرير صحيفة عسير ، التي كانت تصدر بصحيفة « عكاظ » خلال عام (٨٢ - ١٣٨٤ هـ) .

ويحيى الألمى في زحمة أعماله كان يعبر عن ذاته ومشاعره في شتى الميادين من الصحف والمجلات السعودية منذ عام ١٣٧٤ هـ ، وله أحاديث كثيرة انتشرت مع موجات الأثير في الإذاعة العربية السعودية استمتع بها المستمعون .

أما مخطوطاته التي أتمنى أن ترى النور من أهمها :

« الإيضاح والتيسير في تاريخ عسير » ، وديوان « أحاسيس » ، وله أيضا « لمسات وهمسات » ، و « حلو ومر »^(١) .

(١) انظر كتاب شعراء العصر الحديث : عبد الكريم الحقييل : ص ١٦ وانظر في « عبير من عسير » في التقديم .

وصدر له من المؤلفات حتى الآن : كتاب « رحلات عسير » ، وكتاب « الأمثال الشعبية في المنطقة الجنوبية » .

وديوان « عبير من عسير » الذى أهده « لحضرة صاحب السمو الملكى الأمير سلمان بن عبد العزيز — أمير منطقة الرياض — الرجل الانسان ذو القلب الكبير .. الذى غمرنى بعطفه وحنانه وكرمه وإحسانه — فىلى سموه الكريم أهدى ديوانى هذا »^(١) .

والديوان ظهر فى حجم كبير ضم نيفا وأربعين قصيدة فى طبعة أنيقة ، أصدرتها مطابع الرياض — الطبعة الأولى عام (١٤٠١ هـ) وقدم له الشاعر الدكتور زاهر عواض الألعى — عميد شؤون المكتبات بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، يقول :

« لا أجدنى فى حاجة إلى وصف أو تقديم لهذا الديوان ، ولا التنويه بقيمة الشعرية ، وقد كفانا الشاعر الفاضل «يحجى» مؤونة ذلك كله بحسن مطالعه فى قصائده ، ومقاطعته فى أبياته بما جال فى خاطره ، وجاش فى صدره ... فأنت من هذا الديوان ستجد نفسك بين أخ لك مواس ومواطن لأمته مخلص ، وعاشق لبلده « أبها » مؤله ينشد على ضفافه الخضر أناشيده المطربة ، ويقدم فى قصوره لزازيره الكرام من « آل سعود » وغيرهم تحياته الشعرية العبقية ... والشاعر الكريم بما جبل عليه من خلق فاضل قد تنزه عن الفحش فخلا ديوانه من الهجاء وكاد يخلو من الوصف .. وهو شديد الارتباط بالشعر العمودى بعيد عن التيارات الحديثة التى طرأت على الشعر العربى الأصيل ... وختاما أقول لأخى الشاعر « يحجى الألعى » هنيئا لك بهذه الباكورة من الشعر راجيا لك التوفيق إلى أقوم طريق »^(٢) .



(١) عبير من عسير : يحجى الألعى : ص ٥

(٢) مقدمة عبير من عسير : ٢٢/١٥

الأغراض الأدبية في شعره

تنوعت الأغراض الأدبية في شعر يحيى الألعى ، فاشتملت على أغراض : المدح والوطنيات ، والشعر الاسلامى ، والشعر الوجدانى ، والوصف ، والثناء ، وحضارة العلم الحديث ، وفي المعارضات الأدبية .

وسنوضح الخصائص الفنية لهذه الأغراض التى تدل على المذهب الأدبى للشاعر ، فى مدرسة المحافظين المجددين فى الشعر الجنوبى خاصة ، وفى الشعر السعودى عامة .

أولا - المدح :

والشعر الوطنى عند الشاعر متلاحم بالمدح ، لأن الشاعر حينما يمدح ملكا أو أميرا أو وزيرا ، إنما يكون ذلك من خلال ما أسدى إلى الوطن من بناء ورقى وتقدم وحضارة ، فهو يشيد بكل مواطن ، يفتدى وطنه بماله ودمه وروحه ، ويمن هو جدير بالثناء والتقدير هؤلاء المسؤولون المخلصون لوطنهم ولشعبهم ولأمتهم ، بل أول المخلصين فى ذلك هم الذين يسوسون الرعية ، ويوجهونها إلى الرقى والتقدم والسعادة والرفاهية .

ومن ذلك كان الشعر الوطنى لا ينفصل عن المدح ، وكذلك المدح لا ينفصل عنه ، قد صيغ معاً فى بنية واحدة ، يقومان على غرض واحد وهو المدح فى بناء الوطن .

ويعد هذا الغرض الأدبى أكثر الأغراض عنده شعرا ، وقصائد ، فى ديوانه المنشور ، الذى يضم بين دفتيه هذه « المدحيات » التى تضم قصيدة « تحية من الأزدي » لحضرة الفيصل العظيم ، ألقاها الشاعر بقصر الحكم بالرياض فى الساعة الحادية عشرة من يوم الخميس الموافق ١٣٨٤/١١/١٦ هـ أمام جلالاته والحاضرين من الأمراء والعلماء ، يقول (١) :

يا بلادى يا موطن الخير غنى واملئى الكون فرحة وابتساما
صفقى اليوم يا جزيرة حتى ترقص الجيد تعتلئ الآكاما
وانترى الورد فى ربوع تحلت بلباس الجبور نالت مقاما
وارقصى واطربى حجازا ونجدا وعسيرا وبشيئة والجماما

(١) عبير من عسير : يحيى ابراهيم الألعى ص ٣٦/٣٢ الطبعة الأولى ١٤٠١ مطابع الرياض

إلى قوله :

أيها الفيصل العظيم هنيئاً لك بالملك عزة وقواماً
أنت رمز البلاد بل أنت فذ قد عرفناك عادلاً رحماً
فلأنت الجدير بالعرش حقاً ولأنت المليك تحمى السلاماً
وحى الدين والعروبة طراً ياله ضرغماً حكيماً هماماً
باني المجد والمفاخر فينا ناشر العدل والهدى لن يضاماً
عمم الأمن حكم الشرع فينا ينشد الحق لا يريد الظلاماً
قائد الشعب ملهم عبقرى من أذاق العدو موتاً زؤاماً
حاز بالسبق للعلا كل فضل وامتنى ذروة السها وتسامى

وهكذا يمضى الشاعر في مدح الفيصل باني الأمة والوطن وناشر العدل والهدى ومحكم الشريعة والحق ، حتى حقق السعادة والأمن لوطنه وأمته ، ويستمر على هذا النحو حتى نهاية القصيدة ، وذلك في أسلوب مشرق واضح قريب إلى الافهام وتصوير عذب يسيل إلى القلب كسيلان الماء على الصخر الأملس في الخمدار .

وقد اشتركت الطبيعة والحياة ، والجزيرة والبلاد ، والكون والورود مع الشاعر في مدح الفيصل بأعماله وبطولاته وإنجازاته وعبقريته وقيادته الحكيمة ورحمته وحمانيته للدين والسلام ، وعرويته وعدله وتحقيقه السعادة والرفاهية لوطنه ، وهذه أبرز خصائص المدح عند الشاعر .

وكذلك قصيدة « العهد الجديد ص ٣٧ ، ٣٩ » رفعها الشاعر مع التحية والاجلال لحضرة صاحب السمو الملكي الأمير خالد بن عبد العزيز ولي العهد المعظم (جلالة الملك حالياً) ، في ١٩/٢/١٣٨٧ هـ ، وقصيدة « تحية ص ٤٩ ، ٥٢ » مهداة مع عظيم الأشواق لحضرة صاحب المعالي الأمير خالد بن أحمد السديري ، وقاه الله من كل مكروه في ١٢/٣/١٣٨٥ هـ ، وقصيدة « تحية » مرفوعة لحضرة صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبد العزيز أمير منطقة عسير ، ألقى أمام سموه يوم الأربعاء الموافق ١٢/٦/١٣٩١ هـ الساعة العاشرة صباحاً في نادى الفاروق بأبها ، بحضور سمو الأمير خالد الفهد وكيل وزارة المعارف ، وسمو الأمير محمد العبد الله الفيصل ، يقول (١) :

(١) عبير من عسير : ٦٩/٦٠

صلاة من عباد خاشعينا
سقى الأشجار والزرع الدفينا
تغرد تارة وتطير حيناً
يردد حمد رب العالمينا
إذا ما فاح يعبق ياسميننا
وفيه الحب ممزوجاً حينياً
وأعنى خالد الفذ الأميننا
سليل المجد موثقاً أميننا

سلام الله يسرى ما أقامت
وما جادت بماء المزن سحب
وما ناحت حمام في غصون
وما طاف الحجيج بركن بيت
سلام عاطر وله أريج
أقدمه مع الاجلال شفعا
إلى الشهم الهمام أوى وليد
وشبل الفيصل المقدم حقا
إلى قوله :

وعهد النور والاشراق فينا
وعدل شامل للقاطنينا
فأبناء الجزيرة آميننا
تراها سهلة للسالكينا
لكى تكفى جميع المعوزينا
وتوفير الدواء للعاجزيننا
كذا التعليم مجاناً لدينا
ستبقى دائماً أثراً سنيننا
وينخر معلناً للمصلحيننا
بما فيها زعيم المسلمينا

فهذا العهد عهد الخير حقا
فأمن وارف والجهل ولى
لقد عم البلاد وكل صقع
وفي الطرق إصلاح عظيم
وإنعاش الزراعة غير خاف
وللمرضى مصحات ودور
فلا ثمن يقدم في علاج
وكم من نعمة وجميل صنع
مشاريع بها التاريخ يزهو
جزى الله الحكومة كل خير
إلى قوله :

ستغدو مقصدا للسائحيننا
وغابات تسر الناظريننا
ونزهة خاطر للصائفيننا
كوادى النيل يروى الظامعينا
و « لبنان » ترى أو « طورسينا »

مناظر في ربانا ساحرات
ترى في « السوداء » الشما
وفي « القرعاء » مصطاف جميل
وفي أرض « المحالة » سلسبيل
كأن « سويسرا » تلك المراعى

★ ★ ★

جميل صالح للقادمينا
وأشجار تظلل السائريننا
وينعش نفس كل المتعبينا

وفي أبا البهية كل شئ
بها ماء زلال في شعاف
وجو بارد في الصيف يخلو

لا أظن أحدا يقول بأن الشاعر من مدرسة التقليد ، لأننا لا نجد أثرا من خصائصها : الإسفاف في المعنى والركاكة في التعبير وفهاهة الأسلوب ولا أن يكون من مدرسة المحافظين فقط الذين يسيرون على نهج القدماء من الشعراء الفحول مقلدا إياهم ، لأن الشاعر يعيش عصره لا عصر الفحول ، ويصور حضارة وطنه المعاصر لا وطنهم يتجاوب مع انجازات مملكته وأمتة من مشروعات الرقي والتقدم لا التخلف والبداءة . ولا أدل على ذلك من تصوير المصيف الجميل الحديث المتحضر عروس الجنوب « أبها » في تصوير أدنى قوى متجدد حياة جديدة في هذا الموطن الجذاب موطن الشاعر الذي عاش فيه وتفجرت تجاربه الشعرية من مناطقه الساحرة في السودا والقرعاء والحالة وغيرها فهي مثل سويسرا ووادي النيل ، ولبنان وطور سيناء .

ولن تخلو القصيدة من هزات تستوقف النظر ، وهي كسر الوزن بقوله : « وتوفير الدواء للعاجزينا » هكذا بتسكين الهمزة ، وقد يصح فيما لو حذف الهمزة : « وتوفير الدواء للعاجزينا » كصنيعه في قوله : ترى في السودا الشما فحذف الهمزة ليصح الوزن . وكذلك قوله « بما فيها زعيم المسلمينا » ، كان الأولى ليسمو عن التثنية والتعبير العامي يأتي بما يتناسب مع سمو الشعر ولغته الخاصة . فيقول : « بقائدها زعيم المسلمينا » ورفق كبير بين القائد والزعيم وبين ما تدل عليه الظرفية « في » وإن كان القائد والزعيم من بينهم .

وكذلك التعبير بلفظ « المراعى » لا يتناسب في التصوير الأدنى مع المصيف الذى يشبه سويسرا ووادي النيل ولبنان ، فلا تسمى جمال الغابات الكثيفة الساحرة والزروع السنديسية الخضراء والماء العذب الزلال بالمراعى والأجدر بالتسمية ، والأقوى تصويرا وإيحاء وشاعرية كلمة « بالمغانى » فهي لفظة شعرية تتلاءم في قوة ووحى وأضواء وظلال مع هذا المصيف الجميل الساحر .

وكذلك قصيدة « تحية ص ٧٦ ، ٨٠ » مرفوعة لأعتاب حضرة صاحب الجلالة الملك « فيصل بن عبد العزيز المعظم ، ألقيت أمام جلالتة في القصر الملكي « بجدة » حين قدم من الرياض لزيارة السودان الشقيق عام ١٣٨٧ هـ ، وقصيدة « تحية ص ٨٣ ، ٨٥ » مرفوعة مع عظيم الاجلال لحضرة صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز ، النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية - (ولى العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء حاليا) - في عام ١٣٨٨ هـ .

وقصيدة « تحية ص ٩٣ ، ٩٧ » مرفوعة لحضرة صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز - أمير منطقة الرياض - وقصيدة « تحية ص ٩٣ ، ٩٧ » مهداة لسعادة الشيخ هاشم معتوق المدير العام للجوازات والجنسية - (وكيل وزارة الداخلية للجوازات والأحوال المدنية حاليا) - في ١٣٩٨/١٢/٩ هـ ، وقصيدة « تحية » مرفوعة لحضرة صاحب الجلالة

(مولاى) الملك فيصل المعظم بمناسبة عودة جلالته من جدة إلى الرياض في ١٣٨٩/١/٢٥ هـ وألقاها الشاعر بقصر « المعذر » بالرياض (١) .

وقصيدة « تحية » وتهنئة بمناسبة اليوم الوطنى للمملكة العربية السعودية ، مرفوعة مع التحية والاحلال لحضرة صاحب الجلالة « مولاى » الملك خالد بن عبد العزيز في ١٣٩٧/١٠/١٠ هـ ، ثم يقول :

إلى الخالد المغوار أرنو وأنشد
لذكرى لدى الشعب العزيز مجيدة
وتغمرنا الأفراح فيها ببسمة
ألا إنها ذكرى بحق سعيدة
فيوم بلادى حين توحيد شعبيها
بأعلى معاني الفخر والشكر والثنا
لباني بناء العز والمجد والعللا
لقد كان توحيد الجزيرة مطلبها
فكافح في عزم وصدق وحكمة
وهذا بحمد الله فضل ونعمة
فحق لنا أن نحتفى بجلولته
ستبقى هذا اليوم ذكرى مجيدة

لعيد عظيم مشرق يتجدد
بها نحتفى في كل عام ونسعد
وفيض سرور وافر يتعدد
ليوم أغر خالد سيمجد
على يد ملك عادل سنخلد
وبالحب والتقدير يسمو ويصمد
لأمتة يسعى لقصد يوحّد
لعبد العزيز الفذ للخير يقصد
لتحقيق ما يصبو إليه وينشد
من الله للشعب السعودى ومقصد
وذكره لن ننسى وسوف تجدد
لدى الشعب في « عبد العزيز » تخلد(٢)

وهكذا إلى آخر القصيدة وهى من غرر وطنياته القوية ومدائحه الهادفة السامية .

وقصيدة « تحية ص ١٢٣ ، ١٢٦ » وتهنئة بمناسبة اليوم الوطنى للمملكة العربية السعودية ، مرفوعة مع التحية والاحلال لحضرة صاحب السمو الملكى الأمير فهد بن عبد العزيز ولى العهد ، ونائب رئيس مجلس الوزراء المعظم في ١٣٩٧/١٠/١٠ هـ ، وقصيدة « تحية » مرفوعة لصاحب السمو الملكى الأمير عبد الله الفيصل عام ١٣٨٩ هـ وهى من حماسياته يقول (٣) :

(١) عبير من عبير : ١١٢/١٠٨

(٢) الديوان : ١٢٢/١١٧

(٣) عبير من عبير : ١٣٨/١٣٤

أيها القاموس أستاذ البيان وأمير الشعر والـدر الحسان
صاحب « المحروم » في نظم الأغاني من بديع اللفظ معروف المعاني
طعمه كالشهد يزهو كالجمان
إيه يا شعري رويدا في النشيد وقليلًا لا تبالع في القصيد
لست تحصى فعل أصحاب المزيد مثل عبد الله ذي الرأي السديد
إنه شهم وصنديد أكيد
يا طويل العمر عفوا يا أمير إن باعى كان في الشعر قصير
ليس هذا المدح بالنظم المثير فبحور الشعر تحتاج الخير
والقوافي بابها باب عسير

وقصيدة « تحية ص ١٤٣ ، ١٤٧ » لسمو الأمير بندر الفيصل في عام ١٣٨٩ هـ ،
وقصيدة « تحية ص ١٥٣ ، ١٥٦ » مرفوعة لصاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد
العزيز وزير الدفاع والطيران ، بمناسبة زيارة سموه لمنطقة الجنوب في شهر جمادى الأولى
١٣٨٨ هـ ، وقصيدة « فرحة الشفاء ص ١٦١ ، ١٦٤ » بمناسبة شفاء وعودة جلالة الملك
خالد بن عبد العزيز إلى أرض الوطن سليما معافى عام ١٣٩٨ هـ ، وقصيدة « تحية وتهنئة
ص ١٦٥ ، ١٦٧ » مرفوعتان مع التحية والاحلال لمقام حضرة صاحب السمو الملكي الأمير
فهد بن عبد العزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء المعظم ، بمناسبة عودة وشفاء العاهل
المفدى جلالة الملك خالد بن عبد العزيز المعظم قيلت في ١٣٩٨/١٢/٢٧ هـ .

ثانياً - الشعر الوجداني :

هذا اللون من الشعر من أقوى الأغراض الأدبية عند يحيى الأملعى وأجودها فهو الذى يعبر
عن موهبته الشعرية فى تصوير أدنى رائع ، والقصائد التى أنشدتها فى هذا الغرض ، قصيدة
« يا ليل » وهو يناجى الليل فى ١٣٧٦/٦/١٨ هـ ، يقول (١) :

يا ليل إني قد ضجرت طويلا وغدوت منك معذبا وعليلا
فلقد رأيت تطاولا لا ينبغى إن التطاول منك ليس جميلا
إن المريض تناله بمخافة وتأوه قد كنت فيه مهيلا
وكذلك الوطان يسهر هائما ويراك عن صبح الفلاح ثقيلًا
ويبيت يمضي ليله فى حرقة وعذابه يا ليل ليس قليلا

(١) عبر من عسير : ٢٣ ، ٢٤

وقصيدة « شكوى ص ٢٥ ، ٢٦ » إلى الله العلي القدير من جوار الكعبة المشرفة في
١٣٨٨/٥/١٠ هـ ، وقصيدة « عتاب » يعارض فيها معلقة عمرو بن كلثوم المشهورة
ومطلعها :

ألا هبى بصحنك فاصبحينا

عارضها الشاعر الألمى في عام ١٣٨٣ هـ بقصيدة مطلعها (١) :

ألا جودى بوصلك وارحمينا ولا تكوى قلوب العاشقينا
وداوى حالتى وجروح قلبى وما قد ساور القلب الحزينا
فمنذ النظرة الأولى رمتنى رموش العين رمى القادرينا
فطارت مهجتى لهفا وشوقا وقرحت الدموع لنا جفونا
فصرت متمما وأسير حب أعانى من مرارته الشجوننا

وقصيدة « مع الأطفاف ص ٤٥ ، ٤٨ » قالها الشاعر في ١٣٨٨ هـ ، وقصيدة « مع
الخيال ص ٧٠ ، ٧٢ » قالها الشاعر في عام ١٣٨٥ هـ ، وقصيدة « إليها » معارضة
للمقطوعة الشعرية التي قالها عمر بن أبى ربيعة في بيع الخمر لدى الدارمى يقول عمر :

قل للمليحة فى الخمار الأسود ماذا فعلت بزاهد متعبد
إلى آخر المقطوعة ، فيعارضها الألمى بقصيدة طويلة عام ١٣٨٤ هـ ومطلعها :

قل للمليحة فى الرداء الأسود ماذا صنعت بناسك متعبد
قد كان حسر للوضوء ذراعه حتى وقفت له بباب المعبد
إلى قوله :

وتأججت نيران قلب قد سلا ونكأت جرح العابد المتزهّد
وسرت دماء الحب فى أحشائه كيف السبيل وأنت كل المقصد
حسنا ما هذا التجنى على فتى متبتل متضرع متهد
« ردى عليه صيامه وقيامه » ودعيه ييقى دائما فى المعبد
لا تصرفيه عن التبتل والدعا « لا تقتليه بحق دين محمد » (٢)

(١) عبير من عبير : ٤٤/٤٠

(٢) عبير من عبير : ٧٥/٧٣

وقصيدة « أحلام الصبا ص ٨١ ، ٨٢ » قالها الشاعر في ١٣٨٨ هـ ، وقصيدة « نجوى ص ٨٦ ، ٨٧ » أنشدها الشاعر في عام ١٣٨٨ هـ ، وقصيدة « صدفة ص ١٠٢ » قالها في ١٣٨٢ هـ ، وقصيدة « مع الخليل ص ١٣٢ ، ١٣٣ » في عام ١٣٨٨ هـ ، وقصيدة « شكوى ص ١٤١ ، ١٤٢ » في عام ١٣٨٨ هـ ، وقصيدة « شكر الإله ص ١٤٨ ، ١٥٠ » وهى وقفة تأمل وتدبر فى آلاء الله بين جبال عسير الشاهقة عام ١٣٨٨ هـ ، وقصيدة « الحبيب المجهول ص ١٥١ ، ١٥٢ » فى عام ١٣٨٨ هـ ، وقصيدة « ذكرى ص ١٥٩ ، ١٦٠ » فى عام ١٣٨٧ هـ وقصيدة « ذكريات وتساؤلات ص ١٦٨ ، ١٧٠ » فى عام ١٣٩٩ هـ ، وقصيدة « مع الأنعام ص ١٣٩ ، ١٤٠ » فى عام ١٣٨٨ هـ ، وقصيدة « ظهران الجنوب ص ١٥٧ ، ١٥٨ » فى عام ١٣٨٨ هـ .

وشعر الوجدان تنساب فيه شاعرية الأملعى انسياب الماء الصافى العذب الزلال ، يتسم بالخفة والحلاوة والعذوبة ينساب مع القارىء كأن ألفة تمت بينهما من قبل فى تجربة سابقة ، ويشعر بأن الشعر للقارىء لا للشاعر ، لأنه فى إمكانه أن يصدر عنه مثله أو هو نفسه ، وذلك لسهولة وجريانه على اللسان كما يجرى الحديث اليومي مع الناس حين يتسامرون ويأثسون ، فلا يحتاج إلى جهد فى فهمه وإدراكه ، ولا إلى مراجعة يحكك فيه ويهذب منه ، بل نشعر بأن الشاعر أنشد هذه القصائد بلا استئذان ولا تهيؤ قبلها ، وكأنه يرتجلها ارتجالا ، لا يعانيتها ، ولا يقلب النظر فى صورها وكلماتها ، بل إذا صدرت عنه ساعتها ، لا يدبر نظره عليها مرة ثانية ، بل تذهب فى الحياة نبعاً فطرياً صافياً ، لا تحتاج منه إلى المراجعة والتدقيق والتهديب ، حتى يحذف منها الكلمة العامية أو يجبر خللاً هز كيان الصورة ، أو يقصر ممدوداً فى وسط البيت ، أو يمد مقصوراً للحفاظ على الوزن ... لا يعنيه كل هذا ما دامت القصيدة قد صدرت عنه لأول مرة .

لهذا كله كان شعر الوجدان عند يحيى الأملعى صادراً عن نفس شفاقة وروح صافية ، سواء أكان وجدانه يكتوى بنار الحب التى ألهبته حبيبته ومزقت بالشوق قلبه ، أم كان وجدانه من شكواه لله عز وجل وثنائه عليه بنعمه وآلائه ليطلب منه المغفرة والعفو ، كلاهما يعتمد على مشاعر الحب العميق الصادق ، وفورة الوجدان المحموم ، والتأمل فى جوانب النفس وحناياها لمعرفة حقيقة الحب والولهان وكنه الوجدان والألهام .

وشعر الوجدان عنده شعر قوى العاطفة صادق التجربة قطعة نابضة من نفس الشاعر وقلبه ، ويكفيه وحده أن يضع الشاعر فى منزلة بين شعراء مدرسته ومذهبها الأدبى : مدرسة التجديد المحافظ ليكون يحيى من شعراء منطقة الجنوب بلا ريب يزاحم شعراء المملكة العربية السعودية بفنه الشعرى .

وليس معنى ذلك أن الأغراض الأخرى لا تدل على موهبة الشاعر لأن الموهبة في ذاتها موجودة عند الشاعر ، وقوية أصيلة ، فلا تهمل الأغراض ، لكن بعضها كالمذبح مثلا كان يحتاج من الشاعر إلى المراجعة والتهديب ، فقد يصيب أحيانا ، وقد يركب الصعب حينما آخر ، وبقيّة الأغراض أخذت منزلتها من الشاعر بعد شعر الوجدان مباشرة ، وعند التعرف على الخصائص الفنية في مجال التصوير الأدبي ساقيم الشواهد والأمثلة ، التي تدل على ما ذهبت إليه من رأى في الأغراض الأدبية عند الشاعر .

ومن خصائص شعر الوجدان أيضا أنه نبع عن الشاعر في عام واحد وهو عام ١٣٨٨ هـ) هذا بالنسبة للأعوام الأخرى ، فقد أنشد كثيرا من القصائد في الغرض كما اتضح ذلك من تاريخ ابداع شعره وإنشاده السابق وهي « شكوى » ، « أحلام الصبا » ، « نجوى » ، « مع الخليل » ، « وشكوى » مرة أخرى ، « شكر الإله » ، « الحبيب المجهول » وغيرها وهي من أجود قصائده ، وأنشد في نفس العام قصيدتين في المدح وهما « تحية » بمناسبة زيارة سمو الأمير سلمان بن عبد العزيز لمنطقة الجنوب ، وقصيدة « تحية » بمناسبة عودة جلاله الملك فيصل من جدة إلى الرياض ، وأنشد قصائد أخرى في نفس العام : مثل قصيدة « مع الأنعام » ، وقصيدة « رمضان » ، وقصيدة « فلسطين ووعده بلفور » .

وهذه القصائد التي أنشدها في عام ١٣٨٨ هـ بعد أن انتقل من عمله في أبها إلى ظهران الجنوب ، تدل على أن الشاعر كان يعاني تجربة وجدانية قوية ، ألهمت عواطفه ، وأرقت مشاعره ، ففاضت تجاربه الشعرية المتدفقة بحشد كبير ، وقد أعقب هذا الانتقال استقرار في أبها حتى الآن .

وفي هذا الشعر أيضا دلالة تدل على نوع من التعويض لفقد رغبة عزيزة كان يرغب فيها ولم تتحقق ، فذهب إلى الجنوب ليجد العوض في هذا الشعر النابض ، الذي يطهر الشاعر من آلامه وآهاته وفقدانه ، ويجد فيه الأنس كل الأنس ، بحيث يملأ هذا الفراغ ، الذي خلفته الآمال المفقودة ، والرغبات التي ذهبت مع الرياح .

ولهذه الأسباب كانت القصائد السابقة يغلب عليها هذا اللون من الحزن والألم والشكوى والمرارة ، سواء أكانت هذه الشكوى في جوار الكعبة المشرفة ، حيث يتنفس الصدر ، ويفيض القلب بمكنونه في البقعة الطاهرة ، فيتطهر من بلوائه التي ألمت به ، ويكشف ضوه الذي مزقه ، وتتجرد أحشائه عن الآهات والأحزان ، وهذا عينه ما يصوره الشاعر في قصيدة «شكوى» يقول (١) :

(١) عبير من عبير : ٢٦/٢٥

إلى الله أشكو لو عتى ويلائى
وأطلب منه كشف ضر ألم بى
ألت بى البلوى فكنت أسيرها
صبرت على ما نالتى صبر زاهد
إذا المرء لم يصبر على ما أصابه
تحمل ذنبا ياله من مصيبة
وأضحى طريدا من رضاء إلهه
فرحماك ربي اننى لست ضائقا
ومنه أرجو الكشف فى البلواء
وأدعوه فى السراء والضراء
ومارت بى الآهات فى الأحشاء
يرى فى ثواب الله خير شفاء
ولم يحمد المولى على البلواء
وأشغل قلبا بالأسى وبكساء
ينوح ويكى فى الضحى ومساء
من الضر ما دام القضاء قضائى

واقترنت على بعضها للدلالة على المراد ، أو كانت الشكوى من الزمان وأهله ، كما فى
قصيدته الثانية « شكوى » يقول (١) :

أشكو الزمان وأهله قد نالنى
أشكو الأجرة والرفاق جميعهم
أشكو هو والله يعلم أننى
فلقد سئمت من الحياة وأهلها
حتى لقد ناجيت ربي سائلا
إن الخطوب إذا أحاطت بالضنى
إنى وجدت مرارة العيش الذى
فلتهنأ الأقسام بالعيش
وعليك يا دنيا السلام فإننى
من هذه الفئتين ما قد نالنى
أشكو بنى عمى ومن قد عالنى
أهوا هو بالرغم من خاننى
لم أبغ منهم أى شىء فاتنى
وأقول يا موت ألا لاقيتنى
كره الحياة وقال ماذا غالنى
جرعته منهم ودوما طالنى
الرغيد وكل شىء جاءنى
لم أبغ منك العيش مما هالنى

أو يهرب الشاعر من واقعه المر ، ومحنته التى يمز بها فى الظهران لينسى آلامه وأحزانه فى
حلم جميل ، وخيال ممتع رائع ، ومأروع أحلام الصبا ، وملاعبه الغانية ، ومسارح الخيال فيه ،
وخاصة عندما يأوى إليها المحروم من آمال الشباب والكهولة ، فيتنفس الصدر فيها ، بما يريح
النفس ولو ساعة ، ويتذوق القلب حلاوتها فتنسيه آلام المكابدة والمعاناة أثناء المعاناة والمكابدة ،
لذلك يتوق بحمى الألقى إلى « أحلام الصبا » يث شكواه فى لوحة فنية أخرى (٢) :

(١) الديوان : ١٤١ ، ١٤٢ ،

(٢) الديوان : ٨١ / ٨٢

ناقت النفس لأحلام الصبا
 تلك آمال بها كل المنى
 في رياض الزهر والورد التي
 ومع الخلان نعدو في الريا
 وغمام السحب يبدو في الذرى
 قطرات كنت قد شبهتها
 ليت شعرى حين تأتى في الدجى
 تحت ظل السدوح فواح الشذا
 يالها من ليلة جادت بها
 حبذا لو صادفتنا دائما
 كى ننال السعد في أيامنا
 والليالى الغر في عهد الصغر
 تغمر النفس بأطياف السحر
 تملأ القلب بإشعاع القمر^(١)
 في مراعيها وأفياء الشجر
 بذرف الطل ويسأق بالمطر
 كجمان نثرها أو كالدرر
 عادة العمر لكى نقضى السمر
 تصدح الطير بأنغام الوتر
 قدرة الله وتصريف القدر
 هذه الأقدار في وقت الكبر
 والليالى عندما نقضى الوطر

قلت : المهوبة الشعرية متمكنة من الشاعر ، ومن يقرأ هذه القصيدة مع ارتجالها ، وتراسل
 المشاعر فيها ، وانثيال الصور الرائعة ، مما يجعل شعره يسيل كالندى المعبق بالشذا والطيب ،
 ولقد فطن لهذا الشاعر زاهر عواض حين علق على ديوانه قائلا :

« كنت أود من أخی الشاعر يحيى الألعى وهو فى أبها حيث الهواء الطلق والسماء
 الصافية ، والشمس الساطعة ، والغيث المسكوب ينهل هتونا فتجرى به الأودية وتمتلئ
 الغدران ... أقول ماذا يضير الشاعر ، وهو بين هذه المشاهد الرائعة ، والمناظر الخلابة أن يطوف
 بنا فى مجالى تلك الطبيعة الغناء أكثر فأكثر ، ويتحفنا وهو الشاعر المطبوع من شعره ، ويضفى
 علينا الاحساس بما أفاض الله عليه .. فإن الطبيعة الفاتنة إذا صادفت كفتنا لها ، أضفى عليها
 ملابسها ، وكشف عن نفائسها ، وكانت له رائدا فيما طلب وهاديا حيث ذهب ... وشاعرنا
 كان من أحق الشعراء فى ذلك لأنه من هنالك »^(٢) .

وحين يستيقظ يحيى للألعى من أحلام الصبا ييث شكواه إلى « الحبيب المجهول »
 وكلاهما أحلام عذبة ينتشى لها الشاعر فينسى آلامه وأحزانه ، ويظهر بها قلبه من المكابدة
 والمعاناة ، إن الصورة الشعرية القوية أحيانا حينما تهم الوجدان تذهب بالحزن وتنسخ المعاناة ،
 وتزيل مرارة الحرمان ، فيحيا بها الوجدان مرة ثانية فما بالك بالشاعر الذى ينسج الصور الشعرية
 الرائعة كالغيث الذى ينزل على الأرض فيتترك الصخر أملس ناعما لينجرف ما عليه فى التيارات

(١) التى تملأ : تعود على الآمال التى تملأ

(٢) مقدمة الديوان : ١٩ ، ٢٠ الدكتور زاهر عواض

الطموية المائية لتستقر في الأرض الخصبة فتمرع وتزهر وتخضر وتحيا وهكذا تعود الحياة كما كانت
ليعود إليها الغيث مرات ومرات يشكو إلى « الحبيب المجهول » فيقول (١) :

الحب أضاني وقرح مهحتى	وبرانى الشوق فزاد بليتى
وتتابعت زفرات قلبى بالأسى	وتناثرت قطرات دمع المقلّة
لم هكذا تتابنى فى وحشتى ؟	وتشير أشجان الفراق ولوعتى
لم أيها الصب المتيم بالهوى ؟	تدمى ضلوعى بعد حرق المهجة
لم هكذا تشكو البعاد وطوله ؟	وتقول إنك ساهر فى محتى
لم لا ترؤم لقاءنا يا صاحبى ؟	كيف السبيل وأنت أهل الفتنة
لم لا تجود بوصلنا طول المدى ؟	وتزيبل هم الواله المتعنت
أتريد منى أن أكون ضحية ؟	بئس المراد وأنت كنت ضحيتى
الله يجمعنا ويكتب وصلنا	ويحقق الآمال بعد الفرقة

وهكذا يفيق يحبى من أحلام الصبا وأحلام اليقظة في الحبيب المجهول ليث شكواه في واقعه
الذى يعيشه في شبابه فيث آلامه وآهاته إلى خليله وصديقه الذى يسترخ إليه فيسترخ هو من
عنائها ، ويخفف ويلاتها ، بنظرات الصديق الخنونة وكلماته الحانية ، ونبراته اللطيفة ، وأنفاسه
الرحيمة ، فيدّد بشعره وحشة الليل والظلام والنوم والسهم ، مع أنيس شعره « مع
الخليل » (٢) .

يا خليلي يا انيسى فى الدجى	ومرامى دائما عند المنام
جد حبيبى باللقا وقت المساء	لا تغب عنى فإنى مستهام
قد حرمت النوم حتى نالنى	كل ضر قد برى منى العظام
وغدا جسمى نجيلا خائرا	من سهام الحب أو سهم الغرام
لو رأيت الحال يا خلى ومسا	قد أتانى لم تطلق حتى الكلام
إن إحساسى ليشدو بالغناء	قلد الطير وتغريد الحمام
زفرات القلب آهات لنا	زادت النيران فى النفس اضطرام
ذقت مر العيش من طول النوى	وانقضى العمر ولم اقض المرام
يا حبيبى لا تدعننى حائرا	هائما فى الحب أبكى فى الظلام
ولتكن منى قريبا دائما	لتزيبل الهم عنى والسهم

(١) الديوان : ١٥٢/١٥١

(٢) الديوان : ١٣٣/١٣٢

غاية والقصد تجديد اللقا
فاستمع منى كلامى والنداء
ولتكن منى قريبا دائما
يا حبيبي إن ذا البعد حرام

وإذا ما بث شكواه إلى خليله رأى أن الملجأ الحقيقي في المناجاة هي الشكوى إلى الله عز وجل ، فيناجيه في « نجوى » (١) ومنها :

يا إلهي وأنت رب كريم
عالم بالخفا وكل السرائر
إلى قوله :

واغفر الذنب والخطايا جميعا
واصرف الشر أينما كان عنا
والمعاصي وكل تلك الكبائر
واعطنا الخير والهدى والبشائر

وإذا كان الملجأ الحقيقي هو الله وحده ، فينبغي أن نشكر الله عز وجل على محنته ، ولا يحمد على مكروهه سواه ، لأن المؤمن الصادق هو الذي يرضى بقضاء الله وقدره ، يقول في قصيدته « شكر الإله » عام ١٣٨٨ هـ (٢) :

جل الإله تعالى في تفضله
قد أوجد الكون من لا شيء من عدم
أعطى لنا النعمة الكبرى وأوهبنا
فالكمل يفنى ولا يبقى له أثر
على العباد له فضل وإحسان
سيحانه الخالق المعبود منان
حب الحياة لها سر وإعلان
إلا الصلاح وتقوى وإحسان

ثالثا - الشعر الإسلامى :

وهو من الأغراض التي تناولها الشاعر في ديوانه ، ويضم قصيدة « رمضان » في ١٣٨٨/٩/١ هـ ومطلعها (٣) :

رمضان يا شهر الصيام تحية
رمضان يا شهر الفضائل والمنى
فيك الملائك تزدهى في نشوة
والحور فيها رقصن وصفقت
حييت يأملا أتى أسرارا
قد جئت فينا ناقلا أخبارا
ولك الحنان تزينت إقرارا
ولبسن أثواب الهنا أعطارا

(١) الديوان : ٨٧/٨٦

(٢) الديوان : ١٥٠/١٤٨

(٣) الديوان : ٥٦/٥٣

« ريان » يفتح عندما تأتى لنا والجن تحبس لا ترى أخطاراً
هذى المساجد قد زهت وتزيت للمقدم الميمون جاء مرارا
يا من له القرآن يتلى فى الضحى والليل يحى بالدعا أذكارا

إلى آخر القصيدة ، وقصيدة « فلسطين ووعد بلفور » فى عام ١٣٨٨ هـ ، وهى من الشعر الاسلامى على اعتبار أن قضية فلسطين أصبحت قضية إسلامية ، والقدس الشريف من القضايا الاسلامية المعاصرة يقول فى مطلعها(١) :

يا وعد « بلفور » كم هيجت أشجانا ونالنا منك إيذاء فأصننا
أضنى العروبة والاسلام كلهمو وسامهم بالأذى سوءا فأبكانا
وقصيدة « أخى » أنشدها الشاعر نداء لتحرير فلسطين الجريجة عام ١٣٩٤ هـ
ومطلعها(٢) :

أخى إننا اليوم فى محنة تدك الصخور بطول المدى
وقصيدة « صرخة الاسلام » أذيعت من صوت الاسلام عام ١٣٨٦ هـ يقول(٣) :

إن الديانة فى الاسلام تغتنم فيها الصلاح وفيها الخير والنعم
فى أرض مكة مهد الوحي انتشرت قوم وقام بها الإصلاح والأمم
قد قام فيها رسول الله داعية يريد خيرا وكل الناس تلتئم
تخطمت كل أوثان مدنسة بالشرك والكفر والطغيان يهدم
لم يبق فيها سوى الدين الخفيف هدى فانها لتقوم تترى للهدى أمم
نور الهداية شمس فى العلا أبدا يشع فى الكون حتى عمنا الكرم

وهكذا إلى آخر القصيدة وهى طويلة ، والشعر الاسلامى عند يحيى دون الشعر الوجدانى بكثير ، لا من حيث المضمون ، ولكن من حيث التصوير الأدبى ، فنرى هذا الغرض أقرب إلى النثر منه إلى الشعر ، فالشاعر يكتب مقالا عن رمضان ، أو عن صرخة فى الاسلام ، يجمع فيها الأشتات من هنا وهناك لكى يستقيم له الوزن وتقوم الأبيات على العروض والقافية ، وإن كانت القافية توضع فى غير مكانها أحيانا .

(١) الديوان : ٥٩/٥٧

(٢) الديوان : ٩٣/٩١

(٣) الديوان : ١١٦/١١٣

« فالأُم » تأتي قافية ثلاث مرات ، و « يلتئم » مرتين ، و « الكرم » مرتين ، ويضطر إلى الترادف في المعنى من أجل القافية أيضا مرات كثيرة مثل « الخير والنعم » ، « قوم — الأُم » ، « الخير والإنعام والكرم » ، « البغي والظلم » ، « شرك ولا صنم » ، وغيرها .

وقد يضطر الوزن إلى الأساليب غير المشهورة عند العرب ، فيسير على المنهج غير الفصيح من الألفاظ ومشتقاتها ، فقد جعل همزة الوصل في قوله « انتشرت » همزة قطع لكي يستقيم الوزن ، واستعمل المصدر « الإعجام » مكان الجمع ، وهو يقصد الجمع « العجم » وهو الجمع عند العرب ، فاضطر الشاعر إلى الاستعمال غير الفصيح ليحافظ على الوزن في القصيدة .

ومن الشعر الاسلامى أيضا قصيدة « إليك يا أبى » في رثاء شهيد الاسلام ، جلالة الملك فيصل المعظم ، الذى اهتزت الدنيا لموته ، قالها في ١٥/٣/١٣٩٥ هـ ومطلعها (١) :

العين تبكى والفسؤاد محرق	والنفس تحزن ودائمًا تتمزق
حتى كأن الدمع من نهر جرى	في المقلتين وفوق خد يبرق
وله خريبر لست أحصى قطره	ينساب ما بين الجفون ويدفق
في موت « فيصل » قد مدت بنا أكمّ	واهتزت الأرض من خطب له جرق
حامى حمى الاسلام رائده	أبو المعالي وفيه الوصف ينتطق
حققت للشعب ما يزهو به حقا	وللعروبة والاسلام ينثشق
وها وجودك يا مولاي مفخرة	للمسلمين عموما كنت تأتلق
سكنت في كل قلب وهى عامرة	بالحب دوما وفيه الود معتلق
يا رائد العرب والاسلام إن بنا	من الأسيّة ما لا يوسع له الورق

إلى آخر القصيدة ، وهى من أجود قصائده في الشعر الاسلامى ، ومنه أيضا قصيدة « نصيحة ص ٢٧ ، ٢٨ » أهداها إلى الأخ فائق ابراهيم الألعى في عام ١٣٧٧ هـ ، ويحث فيها على طلب العلم وينفر من الجهل ، والعلم يحث عليه الاسلام بل هو أساس الاسلام وقاعدته العريضة . وقصيدة « العلم والجهل » ألقاها الشاعر في المركز الصيفى بأبها عام ١٣٩١ هـ ، ومطلعها (٢) :

العلم بينى والجهالة تهدم	والعلم نور ساطع وتقدم
بالعلم تبلغ كل قصد فى المنى	ويحقق الأهداف من يتعلم

(١) الديوان : ١٠١/٩٨

(٢) الديوان : ١٠٧/١٠٣

والجهل داء والثقافة بلسم
والعلم طعم في المذاق حلاوة
بالعلم يرقى كل شعب للعلا
للجهل إذ فيه الشفاء الأعظم
والجهل مر طعمه بل علقم
ويكون في أعلا المراتب ينعم
إلى قوله :

ينى صروح المجد شامخة الذرى
فأخو الجهالة في الشقاوة قابع
إن الجهول بماله وثرائه
ماذا يفيد من التجارة عندما
هذى المعاهد والمدارس جمّة
قد عمت الأرجاء وهى مناهل
وبها الدعامة قوة لا تثلم
لم لا وهذا الجهل ليل مظلم
مثل السفينة بالتجارة تلقم
تهوى إلى قاع البحار وترطم
في كل بيت دارس ومعلم
للضامئين وفرحة بل مغنم

والقصيدة مع طولها تغلب عليها روح النثر الأدبي ، ولا يبقى من خصائص إلا الوزن
والقافية أما العاطفة القوية ، والمشاعر المتدفقة ، والتصوير الذى يهز الوجدان ، وسيطر على
المشاعر ، فهذا هو أقل الجوانب فى القصيدة ، ويستعمل الشاعر لهجة الجنوب الجارية على
اللسان وهى إبدال الظاء ضادا فى قوله : « وهى مناهل للضامئين » وأصلها فيما اشتهر عند
العرب ما نزل به القرآن الكريم « للظامئين » .



وقفات مع الشاعر

أولا - التصوير الأدبي :

ديوان يحيى الأملعى يضم بين دفتيه ألوانا متنوعة من التجارب الشعرية منها التي لم تكن كاملة ناضجة بالقدر المطلوب في الشعر الجيد ، مثل التجارب الشعرية التي كانت تحتاج إلى مراجعة من الشاعر ، وذلك في كل الأغراض ماعدا شعر الوجدان .

ومنها التجارب الشعرية القوية التي أقامت الحججة الناصعة على أنه شاعر موهوب ، يعد من شعراء مدرسة المحافظين المجددين في الجنوب وهو شعر الوجدان ، وقد فصلنا القول في ذلك عند الحديث عن خصائص هذا الغرض الأدبي . ومادامت التجربة الشعورية قوية فالصدق الفني قد تحقق فيها ، الذى يسمو بالقصيدة إلى المستوى الجيد في الشعر ، ويستبد بالعاطفة ، ويحرك المشاعر والأحاسيس ، لهذا كان التصوير الأدبي في هذا الغرض يسمو بالشاعر إلى مصاف الشعراء المجيدين في طبقة الفنية ، وإلى ما سبق من شواهد على ما نقول نتأمل قصيدته « مع الأضياف » (١) :

يسألنى المحبوب عما جرى ليا
لقد جرح القلب الذى كان سالما
وألقي بسهم ليته ما أصابنى
سهرت الليالى لا أرى فيه ساهرا
يداعبنى حتى إذا ما رأيتنى
يروح ويغدو شاردا متهربا
فليتك يا متبول قدرت حالتى
وليتك ترضينى ولو بزيارة
وإلا فدعنى فى عنائى وهفتى
وهل كان إلا بلوتى وشقائيا
ومزقه جا بعيدا ودانيا
ولم يأت للقلب الذى كان نائيا
سوى طيف هذا اللد قد لاح رائيا
أداعبه انسل منى ورائيا
ويأوى إلى كل من كان خصما معاديا
وأكرمتنى بالوصل مادمت راضيا
لأرجع قلبى منك إن كنت نائيا
لأبقى حزينا طيلة العمر باكيا

(١) الديوان : ٤٥

وهكذا يمضى الشاعر يصور تجربته الشعورية القوية في عاطفة صادقة وخيال خصب ،
وصور أدبية رائعة ، وعبارات عذبة رقيقة ، وأسلوب جزل حلو ، يكشف عن معانيه بلا غموض
أو إبهام ، فتأخذ موقعها من العقل حين تستقبلها الأذن مباشرة ، لأن الشاعر يعبر بصدق عن
وجدانه في وضوح وشاعرية ملهمة .

لم يسلم الشاعر من هفوات لا تغض من شاعريته ويكفيها شعره الوجداني في الدلالة على
ذلك ، وهذه الهفوات قد وضحنا بعضها في مجال الأغراض ، وهي بإيجاز :

روح التعبير النثرى في بعض الأغراض الأدبية عنده مثل المدح والشعر الاسلامى ،
والرثاء ، فنرى الشاعر يتحدث فيها مع عامة الناس بلغتهم الدارجة الواضحة الدانية ، لأن الشعر
له لغته القوية المتدفقة بالمشاعر ، ويعتمد على الإيحاء والأضواء والظلال والتصوير القوى مما يثير
الوجدان في الآخرين ، ويلهب مشاعرهم ، ويحفز عواطفهم لإثارة الانجذاب ، وذلك في مثل
قوله :

أمل العرب يا إمام البلاد	داعى الخير والهدى والرشاد
حامى الدين والشريعة حقا	ناصر الحق في الربا والبوادى
ناشر العدل والمساواة فينا	قائد الشعب يا ابن خير التلاد
يا مليكى فدتك نفسى وروحى	أنت نور العيون في كل نادى
كل فرد من شعبك المتفانى	يتمنى لقياك كالمعتاد ^(١)

وهكذا يسير في القصيدة كلها على هذا الأسلوب النثرى الدارج بين المتخاطبين في مثل
هذه المواقف مع شرف المضمون وعمق المعنى وجميل المقصد والغاية التى ترمى إليها القصيدة من
الاشادة بوطنه الحبيب ، والقيادة المخلصة الرشيدة التى حققت المجد والحضارة له .

ثانيا - البديع والضرورات :

لم يخل شعر الألقى من قصد البديع ، واتخاذها وسيلة في التصوير الأدبى ، وإن كان عصره
قد ولى ، ومدرسته قد ذهبت مع التاريخ ، لكن الشاعر قد يميل إليه حيناً ، وهو ما أشار إليه
الدكتور زاهر عواض في مقدمة الديوان يقول :

« وبعد : فهذا « عبير من عسير » وكفى ... فليس من الانصاف أن أقدم ديوانا من
الشعر هو يقدم نفسه لقارئه ، فقديما قالت العرب : الكتاب يعرف من عنوانه ، والظاهر عنوان

الباطن ... وشاعرنا الفاضل « يحيى الأملى » لم يبرأ من علة السجع والجناس ، فعنوان ديوانه بهذا العنوان « عبير من عبير »^(١) .

والحق أن الشاعر لم يغلب عليه الاتجاه البيدي في شعره ، لكنه مع نذره اليسير يؤخذ عليه التكلف فيه ، وحمله على المعنى بلا داع ولا هدف يسمو بالشعر ، يقول :

أيا خالدا « لازلت في الناس خالدا » ولازلت في أوج المفاخر صاعداً
حليم حكيم زاده الله رفعة فكان كما البدر المضيء إذا بدا
وما خالد إلا خلود تخلدت أفاء عليه في الخافقين مسددا
والتكلف البيدي ظاهر في قوله : (ياخالدا وخالدا » ، و « حليم وحكيم » ، و « وما خالد إلا خلود تخلدت » .

أما الضرورات الشعرية من أجل الوزن والقافية التي اضطرت الشاعر إلى اعتساف الخطأ في مواضع يؤاخذ عليها ، ووضحت بعضها قبل ذلك ونكتفى به هناك .

ثالثاً — معالم الجنوب في شعره :

الشعر القوي هو ما يحمل إلينا الواقع الذي يعيشه الشاعر في بيئته ، فالبينة أصبحت جزءاً من الشاعر ، ومن عواطفه وأحاسيسه ، لذلك كان يحيى وفيها لوطنه الصغير في الجنوب لا ينسى جماله وسحره ولا الذكريات التي تردد صداها في جنبات المواطن الكثيرة يقول :

مناظر في ربانا ساحرات ستغدو مقصدا للسائحيننا
ترى في السودة الشما رياضاً وغابات تسر الناظريننا
وفي القرعاء مصطاف جميل ونزهة خاطر للصائفيننا
وفي أبها البهية كل شيء جميل صالح للقادميننا

فالسودة والقرعاء والمخالة وأبها كلها مناطق ساحرة في منطقة الجنوب يتراحم فيها المصطافون كل عام في الصيف لقضاء أجمل أوقات العمر وأحلاها من أبناء المملكة والخليج العرن وغيرهم .

وتظهر لهجة الجنوب وهي من خصائصه في كلمة « الضامئنا » فالمشهور في لغة القرآن الكريم « الظامئنا » بالطاء لا بالضاد ، ومع ذلك فهي لهجة اشتهرت في جنوب المملكة العربية السعودية ومثل قوله في قصيدته « ذكريات وتساؤلات »^(٢) :

(١) مقدمة الديوان : ١٦/١٥

(٢) الديوان : ١٧٠/١٦٨

سل ريا أبها لتعطيك الخبر سل ذراها والفيافي والشجر
سل رياضاً في « عسير » إنها تمنح النفس سرورا مستمر
في « رجال » في « بنى زيد » وفي « ألمع » قد طاب لى فيها السمر
عند وادى « العوص » فى أقصى الذرى عندها الأشجار لا تبغى المطر
فى « كسان » فى « لصادف » و « البنا » فى « حلى » ذقنا حلاوة السهر
فى ذرى « قيس » وفى « الميل » الذى مال قلبى فيه أحلام الصغر

وما بين الأفواس مراع ومنازل فى « رجال ألمع » من تهامة عسير ، عاشها الشاعر وذاق
حلاوتها ومرارتها وتجاوبت مشاعره معها وخرجت شعرا من معامل تجاربه الشعرية لتعطى صورة
واضحة عن الجمال والسحر فى مواطن الجنوب ، فى عسير ، المنطقة الخضراء فى المملكة العربية
السعودية .

رابعا - الوحدة الفنية فى شعره :

الوحدة الموضوعية فى شعر يحيى الألعى قد تحققت فى شعره كله ، فالقصيدة عنده تقوم
على موضوع واحد ، بلا تعدد فى الأغراض والموضوعات .

والوحدة الموضوعية إذا ما تحققت فى الشعر الوجدانى تحققت الوحدة الفنية بالتأكيد ،
التي تقوم على التلاؤم بين التجربة والعاطفة والمعانى والخيال والمشاعر والخواطر ، وبين الألفاظ
والأساليب والصور والموسيقى ، وبذلك يتحقق الصدق الفنى فى تجربة الشاعر الشعرية ، وكل
ما مضى من قصائد فى شعر الوجدان ابتنى على الوحدة الفنية ونذكر قصيدة أخرى أنشدها
الشاعر فى عام ١٣٨٧ هـ وهو فى الطريق من أبها إلى خميس مشيط^(١) يقول :

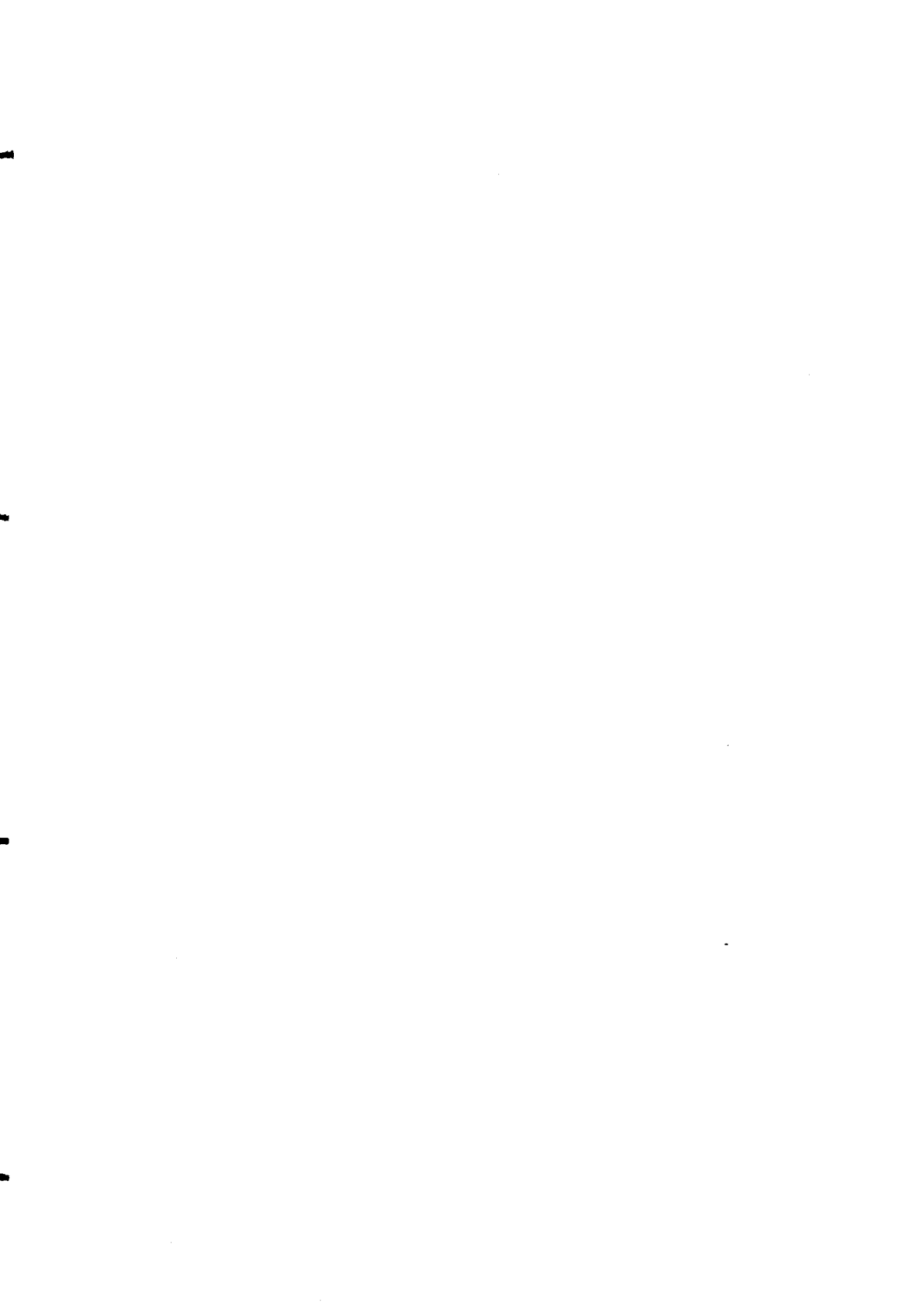
فى المروج الخضر فى الأرض الجميلة فى رياض يانعات مستطيلة
وخربير الماء يسبو فى الذرى ونسيم الصبح يعلو فى المسيلة
وتصدح الطيور وتشدو بالغنا فوق أشجار وأغصان جميله
فى ريا أبها التى ناجيتها ذكريات كلها كانت طويله
كم شفيت النفس فى أكامها وجرت فيها دموع مستغليه
ونمت فى الأرض آهاتنا دوحة الحب وأشجار تخمليه
لست أدرى ما الذى صيرنا نذرف الدمع ونحى كل ليله

(١) الديوان : ١٦٠/١٥٩

نتناجى والهوى يمنعنا
دأب القلب على كتمانها
قلت يا هذا ألا ترحمنى
ثم إني أيها الصب الذى
لم أعد اسطاع هجرانا ولا
فرجائى الوصل دوما دائما
عالج النفس وأطفىء نارها
إن نبيح السر فى تلك الثيله
وأنى أن يذكر الحال العليله
وترج القلب بل تشفى غليله
قد جفانى واحتفى منى بحيله
يستطيع القلب أن يسلو خليله
ولقاء ليس يخبو أو تزيله
بمياه الحب لا أرضى بديلها

موضوع واحد من خلال تجربة صادقة المشاعر ملتبه العاطفة قد انسابت معانيها فى
ألفاظ قوية جزلة وأساليب عذبة رقاقة وصور تموج بالألوان والحركة والطعوم والروائح التى
امتزجت بروافد القصيدة كما امتزجت بالطبيعة الساحرة فى أبها وخميس مشيط ، كل ذلك
يتلاحم فى إطار الوحدة الفنية تشد القصيدة فى جميع روافدها وعناصرها لتكون صورة كلية
واحدة تعبر عن مشهد واحد تفجرت به تجربة الشاعر الشعورية .

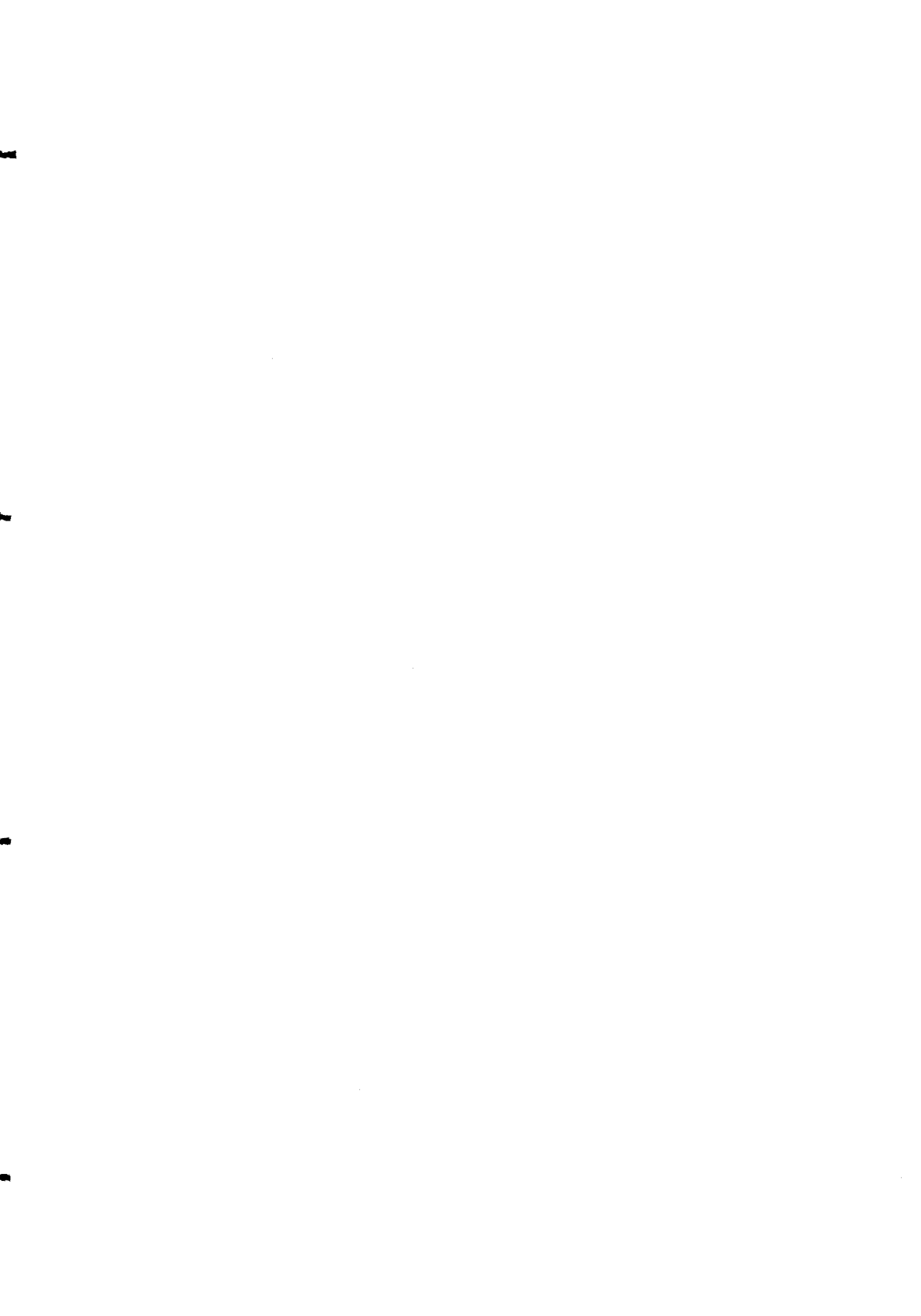




افصل السّادس

شعراء آخرون

- ۱- الشاعر عايي فضران القرظي .
- ۲- الشاعر عايي عبد الله مهدي .
- ۳- الشاعر هيران محمد فحل .
- ۴- شعراء آخرون .



هؤلاء هم الشعراء الذين اشتهروا في مدرسة « التجديد المحافظ » وليسوا هم وحدهم ، بل هناك شعراء ينضمون إلى هذه المدرسة ويسيطرون على مذهبها الأدبي ، لكن لم يصدر لبعضهم حتى ديوان شعر يدل على الطابع المتكامل لهذه المدرسة ، وان اشتهروا بقصائدهم الكثيرة التي تنشر في الصحف والمجلات ، والتي تلقى في النوادي الأدبية ويشاركون بها في المسابقات الشعرية التي تجرى على مستوى المنطقة أحيانا أو على مستوى المملكة مرات أخرى ، وانضمامهم إلى هذه المدرسة يرجع إلى تلك القصائد المنشورة أو المسموعة فقط ، ولعل النظرة إلى شعرهم تختلف في المستقبل إذا ما صدرت لهم دواوين الشعر ، لأن تنوع الشعر في الديوان أو في أكثر من ديوان يكون أدق وأشمل في الحكم على القصائد المتفرقة في الصحف والمجلات .

لهذه الأسباب جعلت لهم فضلا يضمهم جميعا على العكس من الشعراء السابقين الذين نشروا دواوينهم من زمن بعيد ، واكتفيت في هذا الفصل بذكر بعضهم الذين ينشرون في المجلات والصحف أو في المسابقات الأدبية ، واكتفيت بقصيدة واحدة أو قصيدتين تقريبا ، لتكون وسيلة للحكم على الشاعر ، وسببلا يوصله بمدرسته ، وخيطا لمذهبه الأدبي الصادر عن مدرسة « التجديد المحافظ » .



أولاً - الشاعر على خضران القرني :

الشاعر على خضران بن عبد الرحمن القرني من شعراء مدرسة التجديد المحافظ ، ولد في قرية « الحفنة » من ضواحي القنفذة بالقرن في تهامة عام (١٣٥٨ هـ) ، وتقلب في التعليم بين مكة المكرمة وبين الرياض والطائف ، وله كتاب « صور من المجتمع والحياة » .

ومن المخطوطات « كفاح شعب » ، « تعريفات وحيزة ببعض قرى ومناطق المملكة » ، وديوان « آهات » .

ومن شعر القرني قوله في قصيدة « ظبي الجبل » (١) :

يا منى الروح ويا ظبي الجبل قد براني الهجر وازداد الألم
كم تمنيت لقاء شافيا في روائى السفح والطود الأشم ؟
كم تمنيت حديثا ممتعا في دجى الليل وأحلاك الظلم ؟
غير أنى لم أجد غير الأسمى وضروب الخبث حيثت بالنغم
فاذكرى عهدى وودى والهوى واذكرى الماضى الذى لم ينصرم
إننى رغم بعبادى والنوى لم أزل أهفو إلى ذاك النغم

تجربة شعرية قوية صادقة ، وعاطفة جياشة ، ومشاعر رقيقة تجسمت في امتزاجها مع مظاهر الحياة والطبيعة في روائى السفح ، وفي الطود الأشم ، فينعم بمحدثها في دجى الليل ، وحلقة الظلام ، ليتصل الحاضر بالماضى ، ويحيا على الذكرى التى لم تنصرم ، ولم تقطع عهد الوداد ، وذلك في نغم راقص من الحب والهوى .

والقصيدة في منهجها ونهجها جديدة ، وكذلك في أسلوبها وتجربتها ، وصدق العاطفة فيها والمشاعر والأحاسيس التى تتناغم مع مظاهر الطبيعة .

ويقول في قصيدة « الخير فى الصالحات » ، منها :

يا شامتا بى عداقى ودائبا فى الوشاة
مهلا فإنى صبور وحجتى فى سكاتى
ما ضرنى قول واش يهوى الأذى والسعاة
مهما تمادى فإنى كالطود حتى الممات
نهجى وصبرى كفىل بنصرتى ونجاتى

(١) شعراء العصر الحديث : عبد الكريم الحقيلى ص ٢٦٠

ثانياً - الشاعر علي عبد الله مهدي :

ولد في عام ١٣٦٨ هـ في مدينة « رجال المع » ونشأ فيها وترعرع ، وتلقى دراسته الابتدائية بها ، وتفتحت شاعريته على قصائد الفحول من الشعراء ، لتستقر في قلبه إلى الأبد ، وبدأ يقرض الشعر في هذا السن المبكر ، وكان لأساتذته الشعراء فضل كبير في تنمية موهبته الشعرية .

وبعد أن حصل على الشهادة الابتدائية سافر إلى أبها للدراسة بالمعهد العلمي ، وأمضى فيه خمس سنوات ، ثم انتقل إلى الرياض والتحق بكلية اللغة العربية ... حتى حصل على « الليسانس » في ١٣٩٠ - ١٣٩١ هـ وكانت هذه الفترة حافلة بالمعرفة والانتاج .

وبعد التخرج عين مدرسا بمعهد « الباحة » العلمي (بلاد غامد) لمدة عام ، وفي العام التالي عين مديرا للمعهد .. ثم طلب الانتقال إلى أبها ، حيث أمضى بها مدرسا ثلاث سنوات بمعهدا العلمي .

لكنه قدم استقالته من العمل ، وقبلت استقالته ، ليدير محلا للذهب ، ويقول : « عندي الذهب والتعب يقينا أما الأدب فذلك ما كنا نبع ، وأفضل الأدب وأحب الذهب » .. ويقول عن تأثيره : تأثرت بكثير منهم وفي طليعتهم المتنبي مالى الدنيا وشاغل الناس .. ويقول عن الشعر الشعر تجربة شعورية يعبر عنها تعبيرا موحيا مؤثرا ، وقد طرقت عدة أغراض شعرية متنوعة منها : الدعوة الاسلامية ، والاصلاح الاجتماعي ، وقليل من الرثاء ، وشيء من الغزل (١) .

ومهدي شاعر يهز بشعره الندوات الأدبية في مختلف المؤسسات وخاصة في نادى أبها الأدبى ، وهو من أعضائه يقول عن شعره الدكتور عبد الهادى حرب : « شعره نبع صاف من قلب مؤمن بدينه ، متقطع على أبناء بلده وعقيدته ، يرى ماضى المسلمين مشرقا ، وحاضرهم غائما ، فينكر على قومه ما هم فيه ، ويدعوهم إلى استعادة مجدهم ، ويمنح به الخيال حتى ليبرى أنهم قد عادوا إلى ما كانوا عليه من ازدهار ، وإشراق » .

وللشاعر منزلة كبيرة بين عشاق الأدب في عسير ، يقول في قصيدته « الباذلون » (٢) :

بذل الباذلون حتى أضاءوا وتسامى مع الضياء البناء
وتولى جهل وأدبر فقر وتوارى بعد الدواء الداء

(١) جريدة المدينة : الأربعاء ٤ من رجب ١٣٩٩ هـ الصفحة الأدبية ص ٧

(٢) (١) أزاهير من ربوع عسير : نادى أبها الأدبى ١٤٠٠ هـ ص ١٨

إلى قوله :

وشهدنا نهرا من الخير يجرى
أسسوا للعلوم والدرس نورا
وإلى العلم ينتمى كل فضل
وإلى الدين ينتمى كل مجد
والنوادى للناس تنثر دراً
وتجلى وجه الفضيلة حتى
سألوني ما الدين قلت رياض
سألوني هل الحضارة خير
هى خير ثر، وروض أنيق
ونعيم مادام شكر وتقوى
سألوني عن النساء أظلل
وجم القلب والبيان عصاني
كل علمى بأنهن فضاء
وأخيراً :

سادق هذه قصيدة شعر
قد بذلت الثناء شهداً مصفى
علم الله أن روحى وفاء
وإذا أحسن الرعاية داع
دولة بالكتاب والعدل شيدت
ويقبلنى قصائد عصماء
وحرى بنا الرضا والثناء
ليس عندى غير الوفاء جزاء
فالرعايا حق عليها الولاء
ولها الحب خالصاً والدعاء^(١)

وهكذا تكون شاعرية مهدى فقد بلغت هذه القصيدة ثمانين بيتاً تسيل الأبيات فى تدفق وينساب فيها التصوير الأدبى رائعاً فى ألفاظ عذبة وأسلوب قوى مشرق وخيال خصب رائع وحوار حى متحرك يتحرك فيه القارئ مع الشاعر وكأنه يريد أن يشاركه ما يعانىه من تجربته الشعرية مع طول النفس والصدق فى المدح والثناء بلا شطط أو مبالغة إنما المدح عنده هنا حق وثناء بلا معازلة ، لأن على الرعية حق الولاء والوفاء لمن أسدوا الخير ونشروا العلم والعدل فهم جديرون بالحب والدعاء بالتوفيق ، وليست هذه القصيدة وحدها فى الثناء ولكن قلبه مفعم بكثير من القصائد العصماء .

أما القصيدة التى حازت الجائزة الثانية فى مسابقة نادى أبها الأدبى عام ١٤٠٠ هـ فهى

(١) كلمات وقصائد : مطبوعات نادى أبها الأدبى ١٤٠٠ هـ ص ٢٢/١٥

« الحقيقة » يقول الشاعر على عبد الله مهدي^(١) :

أطوى الجناح على الجراح وأكم
ولقد مضى زمن وجفنى مغمض
كم قلت : قومي لا مثيل لعزمهم
وهتكت أستار السحاب ملفقا
قومي إذا شئت الحقيقة عنهم
وإذا ينادى للفضيلة نتمو
غرتم الدنيا ومزق شملهم
وأقول : قومي بالكرامة أعلم
عن عيهم وكأننى لا أفهم
ونشرت ما تملى العواطف عنهم
عزا تغار لمستواه الأنجم
يتأخرون وغيرهم يتقدم
وإذا ينادى للرديلة طرم
حسد، وفرقه عدا محكم

إلى قوله :

يا أمتى والنار تكوى مهجتى
لم تنطلق رجل لوقوف محرم
أبمثل هذا يستقيم كياننا
يا أمتى : الأديان تهم كلها
كل السيوف القاطعات تثلمت
هو للهدى سيف وللتقوى فم
والفخر بالاسلام ليس بغيره
قالوا : الحياة فقلت ظل زائل
والبعث والأخرى فقلت : حقيقة
والأغنيات فقلت إني أعجم
والمال قلت أضمه وأحبه
واليأس قلت : إلى الكتاب أحيلكم
يا أمتى فلتسمعي ولتسمعي
عودى إلى هدى السماء ونورها
أملى عظيم مشرق متجدد
ولتهنأ الدنيا بمولد أمة
بشراك يا قلبى بعهد زاهر

(١) أزاهير من ربوع عسير : مطبوعات نادى أبها الأدبى ١٤٠٠ هـ ٣٦/٣٠

جعلوا كتاب الله نصب عيونهم وتفهموه وقدموه وعظموا
عدنا وعاد إلى الحقيقة تاجها وانجابت الظلما وهش الموسم
الذل عار والتأخر سبة والجبن صاب والإهانة علقم
والمجد للاسلام ليس لغيره وبنوه بالتمجيد ما أحراهم

والقصيدة طويلة لأن الشاعر نفسه طويل في الشعر يتدفق في شعره كما يتدفق السيل من
عل مع عمق المعنى وحضارة الفكرة ، وشرف المقصد والهدف ، وعدوبة الأسلوب وخفة
التركيب ، وجمال التصوير ، وسحر الإيحاء ، والصدق في العاطفة والتجربة والمشاعر .

أما قصيدة : « هي الظلام هي مشاعل النور » فقد ذكر الشاعر أنه نظمها وهو طالب
بالسنة الرابعة في كلية اللغة العربية في ظلام الليل للحفاظ على مشاعر إخوانه الطلاب النائمين
فلم يشأ أن يقلق مضاجعهم بالنور ، وأمسك بالقلم وظل يكتب في الظلام حتى الفجر ، لكنه
وجد الكلمات متداخلة لكن الشعر شعره فقرأهاوها هو مطلعها :

حرق مقلتي وهد بناني واعتراني الضنا وغامت سمانى
إذا القلب في الهموم غريق بعد أنس وراحة وهناء
وإذا النفس تنزوى في اكتئاب وعذاب عن ساحة الأقباء
أيها القلب ما عهدتك تجر فو لحبيب ممنع في الخباء
ربة الظهر أرجوك لا تعذلينى واعذرونى إن غبت يا أصدقائى
إن في القدس لوعة وحريقا وبكاء أولا ككل بكاء
فيهودا تعبت فيه فسادا وتنادى بالشر والبالواء
وتسوم الأطفال ذبحا وفتكا وهموا في الصفاء مثل الماء
وتسوم الأعراض هتكا وعضا في افتراس الفضائل البيضاء(١)

وأما القصيدة التي حازت الجائزة الأولى في هذه المسابقة لنادى أبها الأدبى في عام
١٤٠٠ هـ فهي للشاعر حسن يحيى ضائحي بعنوان « حدث بيننا » يقول ، منها :

أنا عنك يا ذات الحمأ ر إذا دعا داعى الحروب
أنا عنك في حمل السلا ح وفي مجابهة الخطوب

(١) جريدة المدينة : الأربعاء ٤ من رجب ١٣٩٩ هـ ص ٧

إلى قوله :

فإذا دعا داعى الجهها د حملت كالليث المغضوب
وحملت رشاشى على كنفى ولم أذكر لغوى
ومشيت أزرع من رصا ص النصر فى صدرى دروى
أنا أمة غنى بها التـ اريخ فى كل الصقـوب
أنا قطرة هرت من دم كل مقـدام وتـوب
أنا زندى المفتول أقـ وى عند احداق الكـروب
وعلى يد الفتيان لا الـ فتيات تحريـر الشعـموب
فدعى أنا ملك الرقا ق لرقـة الطفـل النـجيب
ريبه للوطن الكريـم م على الفضائل لن تحيى
أنت الخبيرة فى اصطنـا ع النـشء معمور القـلوب
لا تتركى البيت المقدس إنه أسـمى الـوجـوب
لا تعتدى هذا نصيـم بـك فى الحياة وذا نصيـمى (١)

إلى آخر القصيدة التى تدل على أن الشاعر من شعراء هذه المدرسة مدرسة التجديد المحافظ ، تجديد فى المعنى والفكرة واستجابة الغرض لمقتضيات العصر ، وتجاوب الشاعر مع أحداث عصره ، فى أسلوب قوي عذب مناسب وتصوير أدبى رائع مع الحفاظ على الأصالة العربية والعمود الشعرى فى الفصاحة والنصاعة والأسلوب والوزن والقافية ، لكن ذلك فى ثوب جديد ، تتجه فيه القصيدة نحو غرض واحد من المطلع حتى النهاية .



(١) أزاهير من ربوع عسير : ٢٧/٢٩

ثالثا — الشاعر جبران قحل :

ولد الشاعر جبران محمد قحل في البيطارية التابعة لجيزان منذ أربعين تقريبا ، ويعمل حاليا مدير مدرسة الأحد الثانوية إحدى مناطق جيزان .

قد تخرج من كلية الشريعة جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض عام ١٣٨٤ هـ ، وله شعر كثير منشور في الصحف والمجلات ، وأحد أعضاء النادي الأدبي بجازان وفاز بالجائزة الرابعة بنادى جيزان الأدبي في مسابقة الشعر عام ١٣٩٧ هـ وكانت بعنوان « شموع على الدروب » وهى لمحات من حياة الراحل العظيم « فيصل بن عبد العزيز رحمه الله » منها^(١) :

مازال هذا الشعب يدرك أنه
مازال يذكر والعوالم كلها
يوم التقى الجمعان في سينا وفي
بهر العدا بذكائه ودهائه
ظلت فلسطين الجريحة عنده
مادام فيها غاصب متبرص
ولكم تمنى أن يصل فيصل
في المسجد الأقصى تعبد ناسك
أعياء العدا طرا صلابة عوده
هذا الزعيم الفذ يوم صموه
الجولان يعرب في شمال حدوده
وبعد نظرتة لفضح حسوده
دينا يرى لابد من تسديده
نشر الفساد مجمعا لحشوده
متعبدا بركوعه وسجوده
شكر الإله لسحق أهل جحوده

ومن شعره أيضا قصيدته « لبنان إلى أين » منها^(٢) :

يا صيف لبنان هل أبقيت لنا فيكا
أم ألهبت جوك المأنوس حماها
لبنان ماذا دهاك اليوم فاحترقت
خضر الرواى لظى البارود بحرقها
إنا لنعجب من أمر له خطر
أحداث لبنان شيئا من مرائيكا
حتى رأينا هدير النار من فيكا
تلك المرائى وكانت من مجاليكا
والحرب دارت رحاها في روايكا
حيث الأعادى أرادت قتل ماضيكا



(١) مسابقة الشعر بنادى جازان الأدبي لعام ١٣٩٧ هـ ص ١٢/١٣ مطبوعات نادى جازان الأدبي .

(٢) المنهل : عدد المحرم وصفر ١٤٠٢ هـ أكتوبر ونوفمبر ١٩٨١ م المجلد ٤٤ ص ٩٠ .

رابعاً — شعراء آخرون :

وهناك شعراء آخرون يسيرون على نهج مدرسة التجديد المحافظ نذكر بعضهم ، منهم الشاعر أحمد باهي ، الفائز بالجائزة الأولى في مسابقات نادي جازان الأدبي عام ١٣٩٧ هـ ، والشاعر علي أحمد حيقل الفائز بالجائزة الثانية في المسابقة السابقة ، والشاعر عمر صعباني الفائز بالجائزة الثالثة في نفس المسابقة ، واشترك في مسابقة نادي أبها الأدبي لعام ١٤٠٠ هـ بقصيدته « هموم قلب » ومطلعها :

يا حروفي كيف أشدو وفؤادي يتلظى في جحيم من هواك
يقطف العمر هموما وضياعا ليس فيه غير بعض من خطاك
ليس من حياة أو حبور يملأ الدنيا عبيرا من شذاك
حسبها أن هواها يتحدى فيعاني من جراح الحزن شاكي^(١)

والشاعر عمر سالم فرساني ، فاز بالجائزة الخامسة في مسابقة الشعر لعام ١٣٩٧ هـ بنادي جازان الأدبي ، والشاعر علي أحمد على النعمي وهو من « خرجة ضمد » ، ومن شعره قصيدته : « لا تسل عما جرى »^(٢) منها :

بلبل السروض تغنى سحرا فشحى الحى وأحيا الذكرى
هزه الوجد إلى آلافه كل من غاب ومن قد حضرا
ذكر الماضي وما كان حوى واجتلى فيه ربيعاً أخضرا

والشاعر حجاب يحيى الحازمي ، مدير ثانوية ضمد بجازان ومن قصيدته « لقاء الجوف »^(٣) :

يا روائي الشمال هذى بلادي تتهادى بربيعك المخصاب
قد أتاك الجنوب بالفتية الغر كرام الأحساب والأنساب
« ضمد » أقبلت وفي هامها الإكليل زاه وتزدهى في الرحاب
وأتاك الحجاز في بهجة الفوز تتهادى نوافح الأطياب

(١) أزاهير من ربوع عسير : نادي أبها الأدبي ١٤٠٠ هـ ص ٤٤/٤٨

(٢) المنهل : المحرم وصفر ١٤٠٢ هـ — المجلد ٤٤ ص ٨٥

(٣) المرجع السابق : ٨٧

ورأينا الرياض في الجوف نشوى الاجتماع الأحياب بالأحياب
كلها تحفى بكشاف قومي وتنادى الأشبال فوق المضاب
هتفوا بالنشيد عذبا نديا يا بلادي يهناك زين الشباب
وألقاها الشاعر في التجمع الكشفى بالجوف .. مهداة إلى معالي أمير منطقة الجوف
الذى يسعى لتطوير الجوف .

والشاعر ابراهيم مفتاح ، الفائز بالجائزة الأولى في مسابقة الشعر لنادى جازان الأدبى عام
١٣٩٧ هـ بقصيدته « جيزان المنطقة البكر » منها (١) :

فتنة للعيون والأحداق ربة الحسن والمعاني الدقاق
أنت يا جارة البحار ومأوى كل قلب مدله خفياق
يا ابنة الشط في فؤادى غرام شاعرى وهفسة للتلاق
كلما خلت في الخضم شرعا يتهادى ، هفا إليك اشتياق
يلثم الموج جانبيه هياما ويلاق من دله ما يلاق
يا عروس الجنوب ذوبنى الوجد وأمسى على رباك انطلاق
فتذكرت موجة تلثم الشط وأخرى تزجى إليك السواق
أرضك البكر انبثنى اخضرارا فها الخصب في ذرى أعماق
وغدا في فمى غناؤك حلوا كالأهازيج في فم المشتاق
صبت واستذبت وطافت بك روحى وزاد فيك احتراق
يا ربوع الجمال هل تعذرينى إن هفا الوصف لاعتلال مذاق
فتساميت في خشوع وأطرقت وزاد الإبداع في إطراق
يا إله الوجود إن خيالى كلما طاف في السننا البراق
أذهلته حقائق وطبوف وسوف تفنى الدهور وهى بواق

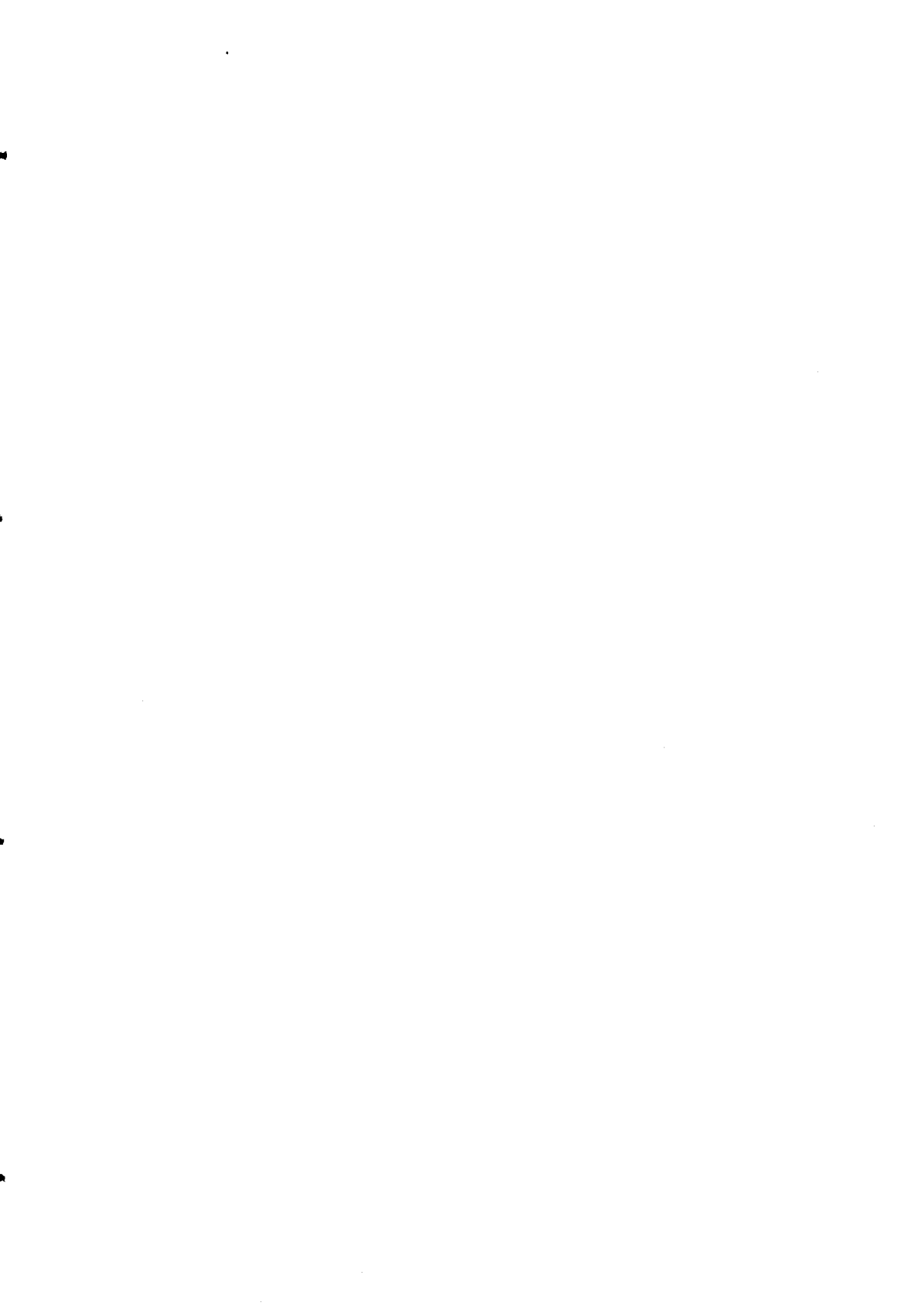
وهناك في ساحة الجنوب شعراء آخرون كثيرون لنا عود معهم إن شاء الله تعالى يوم أن
يكون لكل منهم ديوان شعر يتردد صدها في أسمع الزمان .



(١) مسابقة الشعر بنادى جازان الأدبى : لعام ١٣٩٧ هـ ص ٤/٣

الباب الثالث

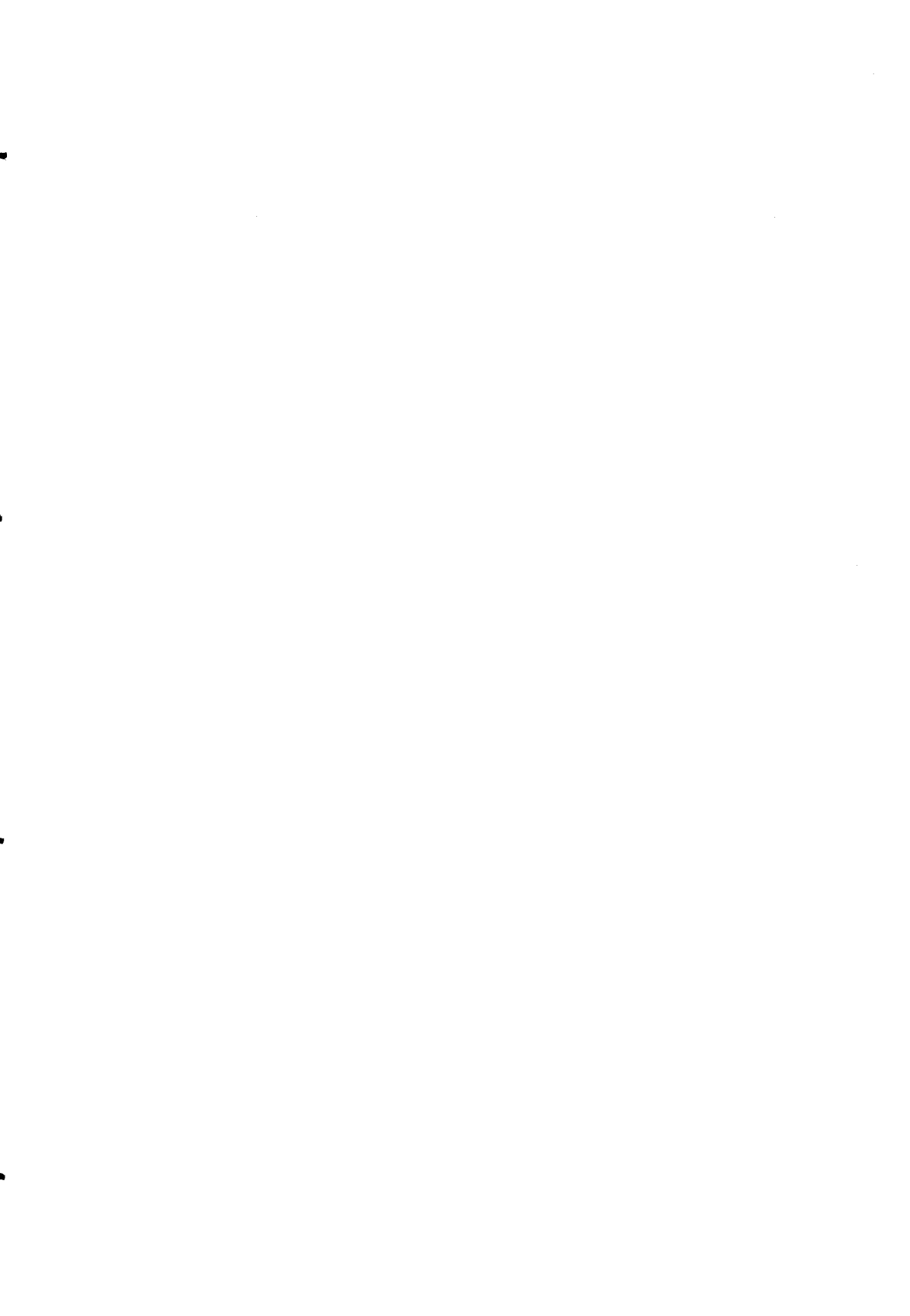
مدرسة التحريفي التجديدي



إفصل الأول

الخصائص الفنية لمدرسة التحرر في التجديد

- ١- التمييز بين (الرومانتيكية) الإبراهيمية وبين التعرّف في التجديد .
- ٢- عوامل تكوين مدرسة التعرّف في التجديد .
- ٣- الخصائص الفنية لمدرسة التعرّف في التجديد .



أولا - التمييز بين (الرومانتيكية) الإبداعية وبين التحرر في التجديد :

ينبغي أن نتميز بين ما شاع في العالم العربي من مذاهب أدبية حديثة وافدة من الغرب ، وخاضعة لظروف الحياة في أوروبا ، وبين مذهبنا الأدبية العربية الأصيلة ، والخاضعة لقيمنا العربية الاسلامية العريقة .

وبناء على هذا التمييز فإنني أجد مبالغة وغلوا وإسرافا في تطبيق (الرومانتيكية) الغربية الأوروبية على شعرنا العربي ، من بعض نقادنا العرب المعاصرين ، وهم متجاوزون في ذلك كل التجاوز ، ولن أقول : انهم مخطئون .. ولكنهم مبالغون متجاوزون إلى حد بعيد .. ولا أدل على ذلك من أن بعض الشعراء العرب ، أعتقد أنهم لم يقرأوا شيئا عن المذهب (الفلسفي الرومانتيكي) ، مثل شعراء هذه المدرسة التي نحن بصدد الحديث عنها ، فلا يمكن أن تعد شعرهم شعرا تقليديا ، ولا محافظا ، بل متحررا في تجديده ، ومن العبث أن نطلق عليهم شعراء (رومانتيكيين) ابتداعيين وإنما يجب أن يكون الشعار الذي يرفرف على مدرستهم من الواقع الاسلامي العربي ، الذي يعيشه الانسان الشاعر العربي المسلم .

ولهذه الأسباب أطلقت على مدرستهم الفنية ، ومذهبهم الأدبي اسم (مدرسة التحرر في التجديد) لأن مثل هؤلاء الشعراء في أي موطن عربي وإقليم إسلامي ليسوا مقلدين ، ولا محافظين ، بل تحرروا في الأغراض ، وفي المعاني ، وفي الأسلوب ، وفي الخيال ، وفي الصور ، وفي القالب الموسيقي ، وفي القافية ، وفي منهج القصيدة ، وفي النزوع إلى الذاتية ، وفي التغني بالوجدان والمشاعر وفي التغني بالأحاسيس والعاطفة الشخصية ، وغيرها مما سنراه في خصائص مدرستهم بعد قليل .

ولتحديد التمييز بين (الرومانتيكية) ، وبين مدرسة التحرر في التجديد ، ينبغي أن أعرض في إيجاز طبيعة (الرومانتيكية) ، حتى تتميز مدرسة التحرر في التجديد كما ذكرنا سلفا .

وطبيعة (الرومانتيكية) في أوروبا قد ألحت على وجودها ظروف دافعة نابعة من واقع الحياة المرة ، التي كان يعيشها الانسان الأوروبي في ظلال التزمت الكنسي ، والتعصب الروحي ، فقد انطوت تحت بلاط الكنيسة شتى النشاطات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية والعلمية ، مما أدى إلى التحجر والجمود ، وكلاهما كانا منطلقا للثورة على الكنيسة ، وللتحرر من عبوديتها ؛ وفي ظلال ذلك نشأت (الرومانتيكية) الثائرة على الروتين الكنسي الديني ، وعلى العقل الجامد المتزمت الخاضع لبلاط الكنيسة .

ومن هنا حملت (الرومانتيكية) مذهباً جديداً أطلق الحرية للشاعر وأفسح للمشاعر الذاتية في نفسه ، فانطلق يتغنى بوجدانه وأحاسيسه الفردية ، هائما وراء عاطفته المستعرة .

ولهذا كانت (الرومانتيكية) ثورة على سلطان العقل ، وتمرداً على القيود القديمة (الكلاسيكية) ، لتخطي العاطفة والوجدان والمشاعر حواجز التزم والجمود ، الذى فرضه العقل والروتين والاحتذاء والتقليد على الواقع الانسانى حتى القرن السابع عشر الميلادى .

ومادامت (الرومانتيكية) قد تحررت من هذه القيود ، كان بالضرورة أن تتحرر من الموضوعية ، لتنتقل مع الشعر الغنائى ، الذى يعبر عن ذات الشاعر من خلال الاتجاهات العاطفية ، والقضايا الاجتماعية ، على اعتبار أن الشاعر جزء من المجتمع الذى يعيشه أو يتجاوب معه ، أو هو قطعة حية منه ، ولذلك حطم الشعراء (الرومانتيكيون) نظرية المحاكاة عند أفلاطون وأرسطو التى تعبدت (الكلاسيكية) حتى القرن السابع عشر الميلادى .

في القرن الثامن عشر الميلادى ظهرت (الرومانتيكية) في فرنسا ، على يد (جان جاك روسو ١٧٢٢ - ١٧٧٨ م) ، وفولتير ، وهيغو ، ولامرتين ، وبيرون ، (ومدام دى ستال ١٧٦٦ - ١٨١٧ م) ، (وشاتو بريان ١٧٦٨ - ١٨٤٨ م) ، وسواهم .

كانت طبيعة (الرومانتيكية) التمرد على الالتزام المنحجر بالقيود التقليدية ، والثورة على التطبيق الحرفى للقواعد الفنية (الكلاسيكية) ، لكنهم احتفظوا بروح القواعد القديمة التى تجعل الشعر فناً جميلاً ممتعا ، وأدباً رائعاً جذاباً ، يفيض حيوية من خلال معاصرته .

ولذلك يبدو الفرق واضحاً بين تحطيم القواعد والخصائص الفنية من أساسها ، بحيث لا يبقى لها أثر مطلقاً ، وبين الخروج عن الروتين الجامد فيها ، فالخروج يتيح للشاعر استعمال القواعد (الكلاسيكية) ، لكن من خلال النظرة المعاصرة ، وعن طريق التوليد لها بما يتناسب مع مقتضيات الانسان فى عصره وتطويعها لحاجاته المتجددة والمتطورة دائماً ، وهو يتغنى من وراء ذلك تحقيق السعادة من داخل نفسه ، عن طريق التجرد من هموم العصر وأثقاله ، والتحرر من سلطان الواقع وكابوس الروتين ، ولو أثناء تجسيم التجربة الشعورية الذاتية فى بناء العمل الفنى ، مهما كان الوقت قصيراً فى تحقيق ذلك .

وهذه الملامح لطبيعة (الرومانتيكية) لا تلتقى فى كل الوجوه مع ما ينشأ فى الأدب العربى الحديث من مدارس ، تتشابه لها ، وإن اتفقت معها فى بعض الخصائص ، ومنها صفة الانسانية ، التى يشترك فيها كل إنسان فى العالم مهما اختلفت مشاريعه واتجاهاته .

ولكن يظل الفرق واضحاً من حيث الظروف ، والدواعى ، والأسلوب ، والاتجاه الأخلاقى ، والمزاج الشخصى النامى من بيئة معينة .

والاتجاه الأخلاقي النابع من قيم البيئة الأوروبية الغربية يتناقض تماما مع الاتجاه الأخلاقي النابع من البيئة العربية الاسلامية ، فالبيئة الأولى تنشُد من ورائه تحقيق الذات والشهوة من خلال البناء المادى الصّرف للحياة السعيدة في تصوّره القاصر والمحدود .

والبيئة الثانية تنشُد من أدبها تحقيق السعادة للذات من خلال بناء الحياة المتكامل ، والمرتبط بالقيم النبيلة في تحقيق النمو الضرورى للقوة والعزة ، ودفع التقدم للنشاط المادى اللازم في بناء الحياة وتطورها ، ليكون ذلك وسيلة لتحقيق السعادة للانسان طوعا لأمر الله عز وجل ، واستجابة لاستخلافه في الحياة ، وابتغاء لمرضاته في اتخاذ الوسائل والأسباب (١) .

وهذا هو جوهر الفرق بين الطبيعتين : الذاتية المادية الصرفة في مذهب (الرومانتيكية) ، والانسانية السامية النبيلة في (مدرسة التحرر في التجديد) ، قال تعالى : (وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين) .

ثانياً — عوامل تكوين مدرسة التحرر في التجديد :

ماجت الحياة الأدبية ، والحركة الشعرية في المملكة العربية السعودية ، كسائر الأقطار العربية الأخرى ، وذلك من خلال المدارس الأدبية الحديثة ، وفي ظل المذاهب النقدية المعاصرة .

ومن أهمها في العالم العربى « مدرسة الديوان » ، و « مدرسة المهجر » و « مدرسة أبولو » وغيرها من المدارس الحديثة ، التى دفعت كثيرا من الشعراء في المملكة العربية السعودية إلى أن تسير على نهجها ، وأن تتبع طريقتها في تناول الشعر ، وصياغته ، ونظمه ، ومضمونه ، وخياله وصوره ، وأغراضه ، وقالبه الموسيقى ، فظهر مذهب جديد في الشعر السعودى بصفة عامة ، وفي شعر الجنوب (عسير) بصفة خاصة ، ألا وهو « مذهب التحرر في التجديد » ، الذى يسير في واقعنا العربى الاسلامى جنبا إلى جنب مع المذهب الابتداعى « الرومانتيكى » في أوروبا حديثا (٢) .

(١) أنظر : الرومانتيكية : د . محمد غنيمى هلال ، مذاهب النقد وقضاياه : د . عبد الرحمن عثمان ١٩٧٥ مطابع الاعلانات الشرقية ، الأدب العربى الحديث ومدارسه . د . محمد عبد المنعم خفاجى ، الحمديّة بالأزهر ، وغيرها

(٢) انظر : الحركة الأدبية : د . بكرى شيخ أمين ، الأدب العربى الحديث ومدارسه . د . محمد عبد المنعم خفاجى ، وغيرها

وأصبح لهذا المذهب العربي الأصيل في الأدب العربي الحديث عشاقه وشعراؤه ، وكان واقع الشاعر في حاضره ومعاصرته يدفعه إلى هذا الاتجاه ، ويجعله دائما يصطدم أمام المطامع العظيمة ، لتحقيق رغباته وآماله ، ويجد الشاعر نفسه أمام العقبات والسدود فيفوق من هذه الصدمة العنيفة ، ليجد نفسه أمام طريقين لا مناص منهما :

أحدهما : طريق الشكوى والحزن والألم ، والنزوع إلى الفردية ، والتغنى بالذاتية ، والشعور بالوحدة ، والإيواء إلى العزلة ، والاختلاء بالنفس ، فيأنس الشاعر إلى شعره ، الذي يعتصر هذه المآسى ، ليكون عوضا عن تحقيق رغبته نوعاً ما .

ثانيهما : الهروب إلى الطبيعة من الحياة التي تموج بصراعات الأحياء والناس ، لينسوا واقعهم المرير ، ويثبوا الشكوى إلى مظاهر الكون من جبال ووديان وأشجار وبلابل ، وسماء وكواكب ، ومياه ورياح وعواصف ، وورود وأزهار ، وأنهار وبحار ، وغابات وزروع ، وغير ذلك من مناظر الطبيعة الخلابة ، وعرصاتها الجذابة . فيتجاوب معها الشاعر في عطف وحب وعناق ويسبح بروحه إلى ما وراءها ، ويهيم بأودية الأحلام والأوهام ، فينمى هذا الاتجاه الانطواء والعزلة ، والتشاؤم والحذر ، والطيرة والتطير .

ومن خلف هذين الطريقين يلح على الشاعر المعاصر تيار الصراع المادى الطاغى مع القيم ومقتضيات الحياة ، وحاجاتها الضرورية والكمالية ، فإن استجاب للقيم وحدها وسدد خطاه بمبادئه السامية أصبح في نظر المعاصرين متخلفا رجعيا ، وقطعة بالية قديمة ينبغي أن تهمل وتغيب عن الوجود كما ذهبت في الماضى ، وإن استجاب الشاعر للجانب المادى الصرف وحده ، ليجارى واقع العصر المادى المسرف في المادية انقطعت صلة الحاضر بالماضى ، وتجردت القيم النبيلة التي يكون بها الانسان إنسانا ، وانقطعت صلة الانسان بخالقه وبارئه . وحينئذ تكون الكارثة ، وينداح الشاعر بين التيارين العنيفين في قلق واضطراب لا يستقر على حال ، حتى تترأى له في غياهب الظلام سفينة النجاة من بعيد ، يخر بها عباب الماء المتكاثف من ضباب التيارين المتعانقين : القيم والمادة ممتزجان في توازن واتزان ، وتلاحم وانسجام ، وتلك هى فطرة الاسلام الكامل للحياة والناس ، لأنه دين ودنيا ، قيم وتشريع ، تهذيب وبناء للحياة .

ولا أدل على الاتجاه الأول المسرف في جانب واحد فقط من قوله تعالى : « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » .

ولا أدل على الاتجاه الثانى من التوازن والاتزان من قوله تعالى : « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » ، والفرق بين الآيتين كالفرق الجوهرى بين المادية المسرفة فى أوروبا والغرب وبين قيم التشريع الإسلامى فى أمة الإسلام فى الشرق .

ثالثاً — الخصائص الفنية لمدرسة التحرر في التجديد :

من خلال هذه العوامل وتلك الظروف ، ومن واقع طبيعة البيئة العربية الاسلامية تشكلت هذه المدرسة خصائص فنية تدل على مذهبهم الأدبي ، تحققت في شعرهم ، وصارت من سمات فنههم الأدبي ومميزاته ، فالشعراء ينتحون شعرهم من معينه ويصبون وابلهم من براكينه الملتببة ، وينساب تصويرهم الشعري من منابعه الثرارة المتدفقة ، وهذه القيم الفنية بإيجاز هي :

— التعبير عن ذات الشاعر ، وتصوير أحاسيسه ومشاعره الذاتية ، والعناية بالطابع الشخصي .

— شيوع الشكوى والألم ، والحزن والمرارة ، والكآبة والتشاؤم ، والعزلة والغربة .

— الهروب إلى الطبيعة ، والاندماج في مظاهرها ، وترك المدينة ، والترنم بالريف الساحر البسيط .
— الدعوة إلى أدب جديد ، ينصف الطبقة المظلومة أى نوع من الظلم ، ولو ظلم النفس لذاتها ، وهذا يحتاج إلى الخيال المخلق الجموح .

— التمرد على النماذج الشعرية القديمة ، بمعنى الحرية في المنهج والموضوع والتصوير والقالب ، فليس عندهم موضوع صالح للشعر ، وآخر غير صالح ، لأن الشاعر يسجل ما يراه ، لأنه يرى ما يسجل .

— تحطيم قواعد الشعر الاتباعي (الكلاسيكي) القديم والهيام بالشعر الغنائى العاطفى .

— تفسير النص الشعري مرتبطا بصاحبه الذى ابتكره ، حيث لا يتضح النص إلا بتوضيح العلاقات بينه وبين صاحبه .

— الاهتمام بالوحدة الفنية ، والموضوعية ، والعضوية ، وكذلك الاتساق الموسيقى ، والانسجام فى الايقاع والنغم (١) .

— الابتعاد عن الأسلوب المباشر ، والهيام بالوحى والإيحاء فى التعبير ، وبث الأضواء والظلال فى جوانب العمل الفنى .

— معالجة القضايا الاجتماعية من خلال ذات الشاعر وأحاسيسه ومشاعره .

— الحرص على الالتزام بالقيم الاسلامية والخلق فى الشريعة الاسلامية ، حيث يستمد التصوير الأدبي روافده من ذلك .

(١) انظر : الأدب الحديث ومدارسه : د . محمد عبد المنعم خفاجى ، الرومانتيكية والنقد الأدبى الحديث : د . محمد غنيمى هلال .

— التحرر الذى ينشده فى شهره قد ينسبه قواعد الأسلوب الصحيح فلا يستيقظ فى شعره عن أخطاء أصابته من ناحية اللغة والاستقامة والفصاحة والأسلوب والعامية ، والخروج عن الأولى كما سنرى فى مكانه .

— يسبر الشاعر أغوار نفسه ويعشق التأمل حول الجزئيات العميقة ، ويجعل من الحبة قبة كما يقولون .

— يتسم بالعالمية فى تصوير الجوانب الانسانية والقيم الفاضلة والأخلاق السامية .

هذه أهم الخصائص الفنية لمدرسة التحرر فى التجديد ، والتي سنراها مجسمة فى شعر هذه المدرسة الجديدة فى المملكة العربية السعودية بصفة عامة ، وفى شعر الجنوب (بامارة عسير) بصفة خاصة ، وفى مدرسة التحرر فى التجديد ظهر شاعران طبع شعرهما فى ديوان (فى متاهات الحياة) للشاعر أحمد على سعد عسىرى — صدر فى جدة عام ١٣٩٣ هـ — ١٩٧٣ م) ، وقدم له الشاعر الكبير محمد حسن عواد .

والشاعر الثانى أحمد بهكلى ، ظهر ديوانه الأول (الأرض ... والحب) عام (١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م) نادى جازان الأدبى ، وظهر ديوانه الثانى (طيفان ... على نقطة الصفر) عام (١٤٠٠ هـ — ١٩٨٠ م) النادى الأدبى بجازان .

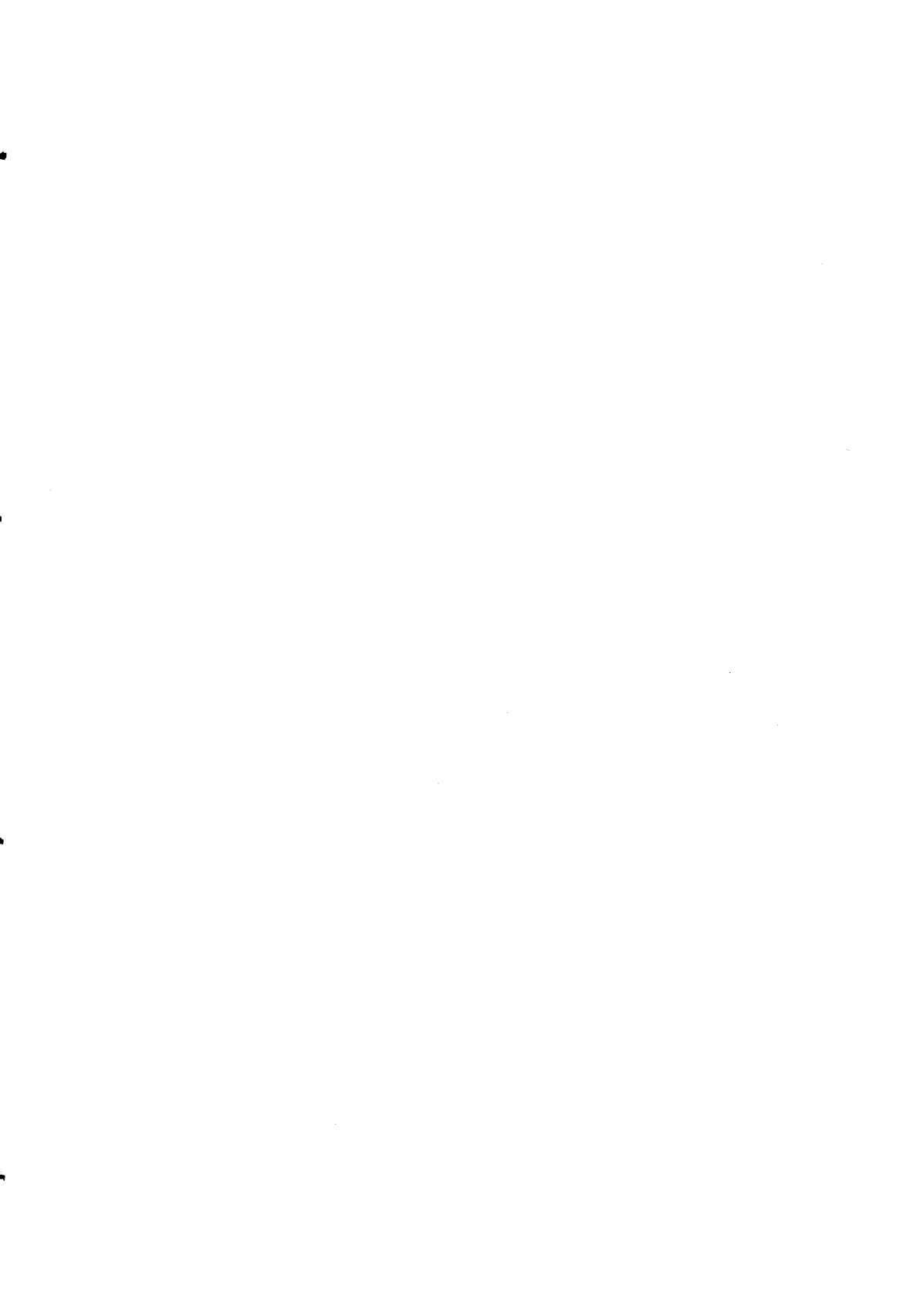
ولازال على ساحة الجنوب شعراء ينتمون لهذه المدرسة نقرأ لهم القصيدة المرة بعد المرة ، ولم تظهر شخصيتهم من خلال شعرهم ، فلم يصدر لهم حتى الآن ديوان شعر أو انعقدت فوق رؤوسهم دراسات أدبية تحفزهم على تجسيد شعرهم فى حيز الشيوخ والظهور فى المجال الأدبى والنقدى .



الفصل الثاني

الشاعر أحمد العسيري

- ١- نشأة الشاعر وحياته .
- ٢- الأغراض الأدبية وفنونها الفنية .
- ٣- التصوير الشعري .
- ٤- التجربة الشعورية .
- ٥- الألفاظ والأجاليب .
- ٦- فنونها الخيالية والصور الأدبية .
- ٧- الموسيقى الشعرية .
- ٨- شاعرية العسيري في ميزان النقد .



أحمد عسيري — نشأته وحياته :

الشاعر أحمد على عسيري من مواليد قرية (آل زبدى) في أبها ، ولد عام (١٣٦٦ هـ) ، وتوفي والده وهو في الرابعة من عمره ، ودخل المدرسة « السعودية » بأبها عام (١٣٧٤ هـ) ، ثم انتقل إلى (مكة المكرمة) ، ودخل دار الأيتام عام (١٣٧٥ هـ) ، وفصل منها ، ثم عاد إليها ، وظل يتقلب في المدارس ، حتى وصل إلى قسم اللغة العربية في كلية الشريعة (بمكة المكرمة) ، ثم تركها ودخل كلية (الأمن الداخلي) عام (١٣٩٠ هـ) ، ثم تخرج برتبة ملازم ثاني ، ويعمل الآن في شرطة (جدة) ، له ديوان شعر مطبوع (في متاهات الحياة) ، وله كتب تحت الطبع (١) .

ومن خلال تلك النشأة والحياة التي تعترضها المرارة والألم في مرحلة هي أشد ما تكون إلى عطف الأم وحنان الوالد تمزقت حياة الشاعر ، فكان شعره قطعة من العلقم الذي شعر به وفاض به في قصائده ، ليصور آلامه وآهاته ، وأحزانه وتمزقه في إطار من القلق والحيرة والشكوى ، وذهاب الأمل ، والتيه في غياهب السراب والضباب .

كان من وراء هذا الاتجاه الأدبي عوامل لاذعة هي التي نزت من نشأته وحياته من أهمها :

أولاً : في الرابعة من عمره فقد والده ، مصدر العطف والحب والولاء والطاعة ، والتعاون والرعاية ، وحفاز الآمال ومحقق الرجاء ، وصدره المفتوح ، وظهره الذي يحميه ، ويدفع عنه ، فقد كل ذلك في باكورة حياته وأخطر مرحلة يمر بها الطفل مرحلة يكون تسجيل الطفل لما حوله عن طريق إحساسه ، ومشاعره ، وعواطفه ، صادقاً ودقيقاً وعميقاً ، لأنه مازال قريب عهد بالفطرة البريئة الصافية .

ثانياً : والفطرة البريئة الصافية في تلك البداية المريرة تتطلع إلى الكون من حوله لتجد عوضاً وتسليّة وعزاء وسلواناً فتتملى من آيات الجمال على صفحة الطبيعة الساحرة ما يشغلها ، وتتجاوب معها ، هي طبيعة أبها الأحاذة ، وروعة الحياة في الجنوب ، وجلال الكون من حوله ، ووقار الجبال الراسيات فيها ، ورقرة المياه المنسابة والسارية في مجالها وابتسام الزهور لثغرها :

(١) في الديوان : في متاهات الحياة للشاعر ، تقديم الشاعر محمد حسن عواد ، جدة عام ١٣٩٣ هـ — م ١٩٧٣

وتعانق الأشجار في غاباتها وجد في ذلك كله عوضا وعزاء وسلوانا مما كان له الأثر الكبير في تفجير مشاعره وشاعريته .

ثالثا : يلجأ في مكة المكرمة إلى الحظن الدافئ للوالد الكبير راعي الأمة حيث دار الأيتام ليشعر بيد البشر الحنونة ، ونظرة الانسان الدافئة من حيث الرعاية والحفظ والتوجيه والبناء العاطفي والوجداني ، فلما أحس بأن اليد ليست يد أبيه الوالد ، والنظرة ليس فيها دفء الأب الحقيقي فرّ من الدار وانفصل عنها ، لكنه وجد نفسه في فراغ بلا يد ، وبلا نظرة فاضطر عائدا للمرة الثانية ، إلى يد الوالد الكبير ، ونظرة الانسان الرحيم إلى دار الأيتام ليشق حياته في العلم والتعليم ، ويفتح صدره لقدره المحتوم .

رابعا : تدرجه في سلم التعليم ، حتى وصل إلى قسم اللغة العربية في كلية الشريعة ، ليخصب عقله اللغوي والأدبي من هذا الميدان التعليمي الثرى بلغته وأدبه وفكره واتجاهاته ليعينه على تنمية موهبته الشعرية ، وصقلها وتهذيبها بعد أن تفجرت من ذى قبل .

خامسا : بعد أن حدد اتجاهه في سلم التعليم ، ومكن موهبته الشعرية من حقل اللغة والأدب ، حفزه الأمن الذي كان منذ الصغر يبحث عنه ولازال ، فالتحق بكلية (الأمن الداخلي) ليؤمن حياته ، ويشق شاعريته وهو في ظلال لقمة العيش الكريمة ، وهي ترفرف عليه في عزم ورجولة وتهمس في أذنيه فيتردد صدى الهمس بين جوانحه وفي جنبات أحشائه أصبحت رجلا .. إنسانا .. شاعرا .. ضابطا .. مكافحا من أجل الانسان والقيم الفاضلة والحياة .



الأغراض الأدبية وخصائصها الفنية

أولا - شعر الوجدان والتأمل :

هذا الغرض من شعره ينزف به وجدانه ، ويسير به أعماق نفسه ويبحث عن ذاتها في الضياع في تصوير أدنى يفيض أسى وحزنا ، ويقطر ألما ودما ، يسوده القتام ، والبؤس والحرمان ، فهو يمثل حياته بصدق ودقة يقول في « ومضة » تكشف عن موطنه في الجنوب :

ولى في « الأزد » عرق منه أصل
ورثت العزم من أهلى وأرضى
وللانسان فى قلبى مكان
وما فخرى بقومى غير ومض
ونعم الجد من « شهر » النجيب
سراة الأزد أم للعرب
فذا الانسان يا قلبى حبيبى
ينير النفس للفعل المصيب (١)

لكن الشاعر العسبرى ترك موطنه الذى ولد فيه ، وتاه فى دروب الحياة ، التى امتلأت بالشوك والماء يقول فى قصيدته :

أين درى فى حياتى
أبذل الجهد ولكن
مذ طوانى الدهر طيا
وبحثنا عن طريق
فأريت السدرب شوكا
والدجى غطى رباها
ضاع جهدى وتناها
مذ رماني بشظاها
يمنح النفس مناها
وضياعا ومناها (٢)

وتاه فى الحياة من طول الضياع ، فهو يخرج من متاهة إلى أخرى ، وأجمل حلم يراه هو انتباهته بقدر ما يميز بين درب ودرب ، وفى متاهاته تهديه الحياة الضياع ، يقول فى (أه من طول الضياع) :

(١) فى متاهات الحياة : ١٩

(٢) الديوان : ٢٠

كم رأينا الليل فجرا
 فإذا بالفجر ليل
 كم مشينا لا نبالي
 فإذا بالحزن بحر
 ورأيت السدب ماء
 كلمما غيرت دري
 أجمل الأحلام في
 وإذا بالدهر يهدى
 وأمانينا قريبه
 إن ذى الدنيا عجيبه
 أى حزن أو مصيبه
 ضعت في (لج) رهيبه
 وأراني في صراع
 واجهت نفسى متاهه
 قلبى وفي فكرى انتباهه
 وجهتى نحو الضياع^(١)

يغوص الشاعر في أعماق الضياع ، وهو يخط في متاهات الحياة ، فإذا خواطره الانسانية
 في دموع ، يذرفها على انسانيته المهذورة ، لكنه من خلال الشعر الوجداني المحموم تتجسد روح
 الاسلام العادلة التي ترد كيد الظالمين للضعفاء والمظلومين فيرفع يديه إلى السماء في سكون الليل
 البهيم ، فيتردد الدعاء في جنبات السماء ، فترتد صاعقة توقظ الحائرئين والمعتدين ، وكيف يدعو
 الانسان على أخيه الانسان بالروال والموت ، فصفة القرى الانسانية ميثاق وأواصر بين البشرية
 جمعاء لا تفرق بين انسان وآخر ، فلماذا العنصرية ..؟! وإنما العنجهية!!! وإنما الصراع ،
 والتحطيم والموت والضياع ، فلماذا لا تزرع المحبة؟! فيعى الانسان دربه .. يصور هذه المعانى
 وأكثر في مشاعر متدفقة وعاطفة مشبوبة وتجربة شعرية صادقة ، كابدها الشاعر عن كذب ،
 ووجدان ملتهب تؤججه القيم الانسانية المهذورة في عصر الماديات المسرفة ، والتيه والقلق والضياع
 في قصيدته (خواطر إنسان تائه) :

أيها الانسان لا تطغ عليا
 إن ظلمى قوة ملك يديا
 دعوة في الليل لا تبقيك حيا

لا تلمنى إن دعوت
 فتزول وتموت

عصرنا يسعى ولكن للخطر
 يا أخى إياك أن تورى الشرر
 يا أخى إياك تفنى البشر

أنت منهم وأنا
 آدم جد لنا
 فلنقدس جدنا

(١) في متاهات الحياة : ٢٢/٢١

ففى واقعى كما أرى تائها وإنى أنا أول التائهمين
أقلب طرفى ونى لهفة إلى عالم فيه يحيا اليقين

شريت الحياة بأكوابها فما ذقت فيها سوى دمعى
وغنيت فيها بقيثارتى فذابت على نغمتى مهجتى
تأملت فيها جمال الوجود ففتت على مركب الحيرة
أجوب البلاد وما أهتدى وهذا الضياع على صورتى

أقلب طرفى لعلى أرى طريق يقين يزيل الظنون
ولكن طرفى به حيرة من الناس حتى نفيت اليقين

وهكذا إلى آخر القصيدة يصور نفسه فى مركب تائه من الألم ، ينتهى به إلى الضياع ،
وقلبه يسيل أسى من الحياة التى تذيب الحياة :

فهذى الحياة تذيب الحياة وهذا فؤادى فيها يسيل^(١)

لكن الشاعر الملهم ، هو الذى يجد فى قيثاره الشعر العزاء الذى ينسيه همومه ، والدواء
الذى يخفف آلام الحياة يقول الشاعر فى (قيثاره) :

قيثارتى تشدو ودهرى يسمع
قيثارتى ثكلى وأم ترضع
تبكى الصبا يمضى فلا يسترجع
وترضع الأحلام من ثدى الألم

قيثارتى لحن وأوتار هزيله
ناجيتها هات فقالت لى عليه
الحزن يدمينى وأوتارى ذليله

قيثارتى شعرى وعمر كالوتر
قيثارتى الثكلى وعمرى المنتحر^(٢)

(١) الديوان : ٦٣/٥٧

(٢) فى متاهات الحياة : ٦٩

وهكذا صارت حياته بؤسا وشقاء ، وحزنا وآلاما ، وشكوى وتضعضا ، واسرافا في اطلاق المشاعر ، وطُغيانا في الوجدان لكن انسان من البشر يعيش مع الناس في هذا القرن له « حق الانسانية »^(١) ، وأمام ظلم البشر للانسان ، هل يستجيب له القدر ، وتحضنه الحياة ، ويحنو عليه الدهر ، وذلك في قصيدته « لو يسمح القدر »^(٢) ، بعد أن اعتصرته مرارة البؤس والشقاء في قصيدته « حياة في القرن العشرين »^(٣) .

هذا هو شعر الوجدان بسماته وخصائصه التي جعلته غرضا شعريا متميزا في شعر العسيري فهذا الغرض يعبر بصدق ودقة عن حياة الشاعر ، فالوجدان فيه هي حياته والشعر الصادق هو الذى يرسم فيه الوجدان حياة صاحبه في شعر محموم وعاطفة جياشة ، ومشاعر رقيقة وتصوير أدنى رائع .

إن شعر الوجدان في شعر العسيري يؤرخ للشاعر حياته المريرة وعلاقاته بالناس من حوله ، وموقعه في دنياه .. دنيا القرن العشرين .

ثانياً — الشعر الاسلامى :

والشعر الاسلامى هو أكثر شعر العسيري بعد الشعر الوجدانى ، ويغلب عليه الجانب الانسانى العالمى ، فالاسلام دين عالمى عام لكل البشرية قال تعالى : (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا)^(٤) ، وقال تعالى : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)^(٥) .

وفى عام ١٩٤٨ م أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة حقوق الانسان العالمية ، حينئذ ذكر الدكتور عثمان خليل^(٦) أن الاسلام منذ خمسة عشر قرنا ، أقر هذه الحقوق العالمية للانسان ، مثل المساواة ، وتحقيق الحريات فى التملك والعقيدة والعمل والمحافظة على الحرمات ... وهذه المبادئ الاسلامية هى التى جعلت الدين الاسلامى ينشر سماحته شرقا وغربا بلا إكراه ، وبمجهود ضئيل ، وبغير دعوة مطلقا .

(١) الديوان : ٧٠ .

(٢) الديوان : ٧٢ .

(٣) الديوان : ٩٣ .

(٤) سورة سبأ : آية ٢٨ .

(٥) سورة الأنبياء : آية ١٠٧ .

(٦) الديمقراطية الاسلامية : ٥٦/٣٥ القاهرة ١٩٥٨ م

ويقر بعالمية الدين الاسلامى وانسانيته المستشرق توماس أنزولد فيرى : (ان فى هذه اللحظات التى تطرق فيها الضعف السياسى إلى قوة الاسلام ، ترى أنه حقق بعض غزواته الروحية الرائعة ، فالأتراك السلاجقة والمغول كانوا فاتحين غالبين ، ومع ذلك اعتنقوا ديانة المغوليين ، وهو دين الاسلام) (١) .

وأحمد العسيرى فى شعره الاسلامى خرج به إلى تلك الآفاق الانسانية ، التى دعا من أجلها الاسلام ، وهذا الجانب الانسانى العالمى لاقى هوى من نفسه ، التى تلهث بالآهات والأحزان والآلام من كيد الظالمين المعتدين ، الذين اعتدوا على كرامة الانسان وحقه وحرية فى أى موقع من أرجاء المعمورة ، يصور مشاعره هذه فى قصيدة (الدنيا ص ٣٥ — ٣٦) ، وقصيدة (يا عالمى ص ٣٧ ، ٣٩) ، وقصيدة (العاصفة ص ٤٩ ، ٥٢) ، وقصيدة (حديث مع الزهرة ص ٦٤ ، ٦٧) ، وقصيدة (إنسانية ص ٧٢ ، ٧٨) ، وقصيدة (إلى أعدائى ص ٨٦ ، ٩٢) ، وقصيدة (نكسة أخرى ص ٤٧ ، ٤٨) بمناسبة نكسة حزيران المشنومة .

والعسيرى يصرح فى وجه العالم بقصيدته (يا عالمى) ويقول مقدا لها : (فى الهند مجاعة ، وفى فيتنام النار ، وفى فلسطين الطغيان ، وفى نيجيريا الانقسام ، وفى اليمن مجازر ، وفى كل ركن من أركان الدنيا جائعة) ، وينفث آهاته وأحزانه على ظلم الظالم للانسان فيقول فى هذه القصيدة :

يا عالمى إني هنا أبكى المصير
ألا ترون
دمعا مراقبا ثم جوع والفقير
أو ترحمون
فقر طغى — ظلم — وحرب — وشرر
أو تنكرون
فى كل أرض صرخة هل من يجير
لم تضحكون؟؟
عقائد قد ألهمت هذا السعير
فستندمون

★ ★ ★

(١) الدعوة إلى الاسلام : توماس أنزولد ص ٢٦ النهضة المصرية ١٩٥٧ م

(الله أكبر) قلتها والأمر شر
في ذى الحياه
(الله أكبر) قد طغى أمر البشر
وبلا أناه
(الله أكبر) دق ناقوس الخطر
أين النجاه
(الله أكبر) صرخة فيها العبر
مما نراه
(الله أكبر) ذا وجود ينتحر
هل من صلاه ؟
ذا عالم يسعى بعزم مستمر
وبلا اتجاه

يارب انى تائه بين الدروب
أين الطريق ؟
ذا عالمى يسعى ولكن للغروب
بعد الشروق
يارب صدرى الرحب قد ملّ الكروب
عاقى البريق
رياه عالمنا غريق فى الذنوب
وفى المروق
فقتابل ذرية أين الهروب ؟؟
وهل نطيق ؟
للكيمياء خنقه .. لا .. لا هروب
ضاع الطريق

كم دمعة فرشت بساطا من عذاب؟؟
 كم من جريح؟
 كم صرخة خارت فماتت في التراب؟؟
 كى تستريح
 كم شهقة .. كم أنة تشكو العذاب؟؟
 كم من طريح؟^(١)

وهذا الاتجاه الاسلامى الانسانى العالمى نجده فى شعره الاسلامى من قصيدته (حديث مع الزهرة) :

إنى على شك من الـقيم	أوحته أحداث على عظم
فى العالم الأرضي ملحمة	فى القدس فى الأردن فى الهرم
فى الشرق جزار ومذبحه	فى الغرب تأييد من النظم
فى كل يوم من الدنيا حدث	والعرب تلهو من ذرى الوهم
قضيت فى هم وفى حزن	أرعى نجوم الليل لم أنم
نادتنى الزهراء قائله	مالى أراكم رؤيه العدم

إلى قوله :

ما كنت أرضى بالهوان ولا	أرضى ولا شعب من الأمم
فأجبت يا حسناء قد غربت	شمس وآيت موجة الظلم
أبك معى قومى وعزهم	ذل أصاب العرب فى الهمم

إلى قوله :

قالت لى الزهراء لائمة	نصركم بالدمع والكلم
المدفع الهدار يكسبكم	نصرا وليست هيئة الأمم
إن رمت حقا إن مكنه	فى القوة الهوجاء فى الحمم
دبابه الميدان هى سند	والمدفع الغضبان فى القمم

(١) فى مناهات الحياة : ٣٧/٣٩

والطير في الأجواء حائمة تبقى جموع الجيش كالكرم
ما مات حق أنت تطلبه بالفعل لا بالقول والحلم^(١)

ويتضح أيضا هذا الاتجاه الانساني العالمي في شعره الاسلامي ، الذي يغلب عليه مذهبه الشعري من التحرر في التجديد ، وما يتسم به شعره من الوجدان الثائر المحموم الذي يعصف بأعداء الانسان في أى مكان ، وذلك في قصيدته (إنسانية) ويقول في تقديمها : (عندما يعيش الانسان بين مجموعة من البشر .. أحد أفرادها يضر به ، وأحدهم يغصب أرضه ، وثالثهم يحكم عليه بالأمر الواقع .. عندما يعيش الانسان هذا الواقع المرير ، ينظر يئس ويسر .. يتذكر الماضى ، ويمقت الحاضر ، ويتشائم من المستقبل .. رغم^(٢) أننا في عصر علمى) ومطلعها :

أنا الانسان في الأرض أرانى الفانى المعدم
فعلمى بات يرمينى إلى جهل مما أعلم

إلى قوله :

ودمعى موجة حرى لأنى كنت فى الماتم
أنا الانسان فى الأرض أرانى الفانى المعدم
ففسى سوف أنعبها وأنعى أمة توصم
وأنعى أمة كانت تقود الأرض لا تهزم

إلى قوله :

تردت فى متاهات من اللذات كى تنعم
ولا زالت على حال تثير الحزن فى المسلم
ألا تبيانا لانسان يميت الروح فى الماتم
أيهوى لذة الدينى ويعصى شرعه الأعظم^(٣)

(١) الديوان : ٦٧/٦٤

(٢) رغم : والصواب على الرغم من ...

(٣) فى متاهات الحياة : ٧٨/٧٢

ثالثا - الرثاء :

وهذا الغرض لا تجده إلا في قصيدة واحدة من ديوانه ويخرج فيها الشاعر على النمط التقليدي المعروف في الرثاء القديم من ذكر مآثر المرثي ومحامده ، التي اتصف بها في الماضي ، وبذ أفرانه فيها ، بل مضى الشاعر في هذا الغرض يسير على مذهبه الشعري الوجداني الإبداعي من التغنى بأحزانه وآلامه ، ويسكب دموعه وعبراته من وجدانه على نفسه ، ثم يتأمل حقيقة الحياة في تيه وحيوة يقول في قصيدته (دموع الحياة) ويهديها إلى روح الملازم عمر سلطان الطجل :

أتاني يقول فقدنا الصديق فقدنا الخطيب فقدنا (عمر)
تأمل ما قاله في خشوع وغامت ظنوني وحرار النظر

ثم يدير العسيري حوارا بينه وبين الحياة في ثوب قاتم حزين ليقف من خلال الحوار على حقيقة الحياة والموت ، والشك واليقين والناس يركبون زورق الحياة ، يسرون في ظلام داس ، فمنهم من ضل ، وارتدى لباس الرياء ، وطوى قلبه عذاب الحياة ، فيرسو زورقه في سقر ، وطوى لزورق أعطى راكبه حق الحياة ، وحق الآخرة معا ، وخشى الله وشكره ، يقول :

أرى في الوجود دموع الحياة فتحفر في الخد جرحا عميقا
فأهمس للنفس في رهبة فأهمس للنفس في رهبة
فقلت : أراك تقول الحقيقة فأهمس للنفس في رهبة
أمر من الموت لو تعلمون فأهمس للنفس في رهبة
أسمح للفكر في رحلة فأهمس للنفس في رهبة
فقلت : المعاني في عصرنا فأهمس للنفس في رهبة
ففي الشك بحث كذا وفي اليقين فأهمس للنفس في رهبة
رأيت الحياة لها مركب فأهمس للنفس في رهبة
فما تتمناه من غاية فأهمس للنفس في رهبة
نعيش الحياة على زورق فأهمس للنفس في رهبة
ومرساه صعب لمن يرتدى فأهمس للنفس في رهبة
فوارحمناه لمن قد حوى فأهمس للنفس في رهبة
وطوى لمراءى في الحياة فأهمس للنفس في رهبة
وعاش يغنى لما في الوجود فأهمس للنفس في رهبة

وأقصى ما يذكره العسيري من ثناء على الراحل ، أنه فقد فيه الشباب الناضر ، وفقد في نفسه المعاني لمن يتغنيا منه ، فهو في حيوة من أمره ، فقد سيق الصديق المرحوم إلى رمسه في

رهبة وخفوت وأسدلوا عليه الستار ، وغطوه بالتراب ، وعاد المشيعون في حيارى لا من صديقه ، ولكن الحيرة كل الحيرة من حقيقة الحياة والموت التي أعقبت حسرة في نفس الشاعر ، وقرحت جرحا على خده ، وعشى عنها البصر ، وترددت أصداء الحيرة في الوجود ، لتقرر أن الانسان عاجز عن فهم الحقيقة التي لا يدركها إلا الله وحده سبحانه وتعالى ، خالق الوجود « يحي ويميت وهو على كل شيء قدير » والدموع والتسليم هما الأمل الذى يبدد الحيرة والشك ، والرضا بالقضاء والقدر هو تسييح العاجز أمام جبروت القوى القادر ، وحلاوة العلقم في الحتم صلاة الضعيف أمام الخالق العليم ، فالأول والآخر والظاهر والباطن هو وحده يعلم حقيقة الوجود ... يقول العسيري :

أتانى يقول فقدنا الصديق	فقلت فقدنا شبابا نضر
فقدت المعانى من فقدته	فماذا أقول لمن ينتظر
شعورى إذا ما فقدت الصديق	وساقوه في رهبة للحفر
وغطوه التراب في رسمه	وعدنا حيارى ولا من (عمر)
فماذا أقول وى حسرة	تقرح خدى وتعشى البصر
أرى في الوجود دموع الحياة	والمح فيها دبيب القدر
وينعتق في الركب صوت الأفول	فيرسم في الكون شتى الصور
وفي الرسم روح تسوق الحياة	إلى حكمة حار فيها النظر
ويحفر في الفكر هذا الغموض	صلاة الضعيف أمام الخطر ^(١)



(١) في متاهات الحياة : أحمد العسيري

رابعاً - الهجاء :

(وفي متاهات الحياة) نجد قصيدة واحدة من هذا الغرض الأدبي بعنوان (الغر) ، وسار فيها الشاعر على نمط جديد أيضا ، لا يتبع فيه منهج الشعر القديم في الهجاء من السباب والقبح ، والفحش في القول ، والوصف البذء وغير ذلك مما هو معروف في هجاء الهجائين القدامى .

لكن العسيري يرى فيمن هجاه ، أنه غر جاهل ، وأن نور العلم سيقذف به في التيه والأوهام ، وحينما يصطدم بالحق يتأدى في السخط ، وتعتصر مقلته بالشعر ، فهو يقطع عمره لا في بناء الحياة وتقدمها ، ولا يتم ذلك إلا بوحدة الجماعة واعتصامها ، لكنه يفنى جسده لهدمها ، فيزرع البؤس والذل ليحصد شقاءه وآلامه .

وينبغي أن يعلم الجميع أن مثل هذا الغر الجاهل والأحمق سيتحطم في زوايا الحقد ، ويتمطى في ثياب السخط ، وتنزف عيناه بالشعر واللهب ، فهو عليل الفكر ، ينهش عرض الجار ، ويظلم العقلاء المخلصين بزهو وخيالاته يقول في مطلعها :

هزيم اللذة الغاوى موات	يصيب الناس إن أبقوا عليه
وينخر في تلافيف الحيارى	ويحلم أن قيدي في يديه
وقيدي عزة تصبو إلينا	سمت فينا وما كانت لديه
وفكرى سوف يجميني بنور	يذيب الغر في حلم وتيه
وقيد الحق أوهى كل قيد	رعوف المس إن سقنا إليه
ومافي الباطل المختون عز	وعز الحق أن تدنى بنيه
هزيم اللذة الغاوى رآني	أقول الحق فيما ينتويه
تمادى في ثياب السخط حتى	رأيت الشر في مقلتيه
وأملى فكره المغرور غيا	تعالى في كراماتي بفيه
أأجنى جذوة من كل قول	ترم الجسم يا ويل النبيه

★ ★ ★

يهد العمر كى ينى حياة	تشل البؤس أو تقضى عليه
ويحفر في قلوب الناس نعا	رحيق العدل يسقى شاطييه
فيقبر في تراب النذل أجراً	ويسعى رغبة الغر السفيه
أجيل الطرف في ركب الحيارى	يمر السدرب لا يدري بتيه
سوى الانسان والانسان وصف	توارى في متاهات النزيه
ويرفع صوته الحيران يشكو	فتسمع قصتى من أصغريه

سأسمع للورى ... للناس قولي وعز الحق أن تدنى بنيه
وأترك في زوايا الحقد غراً رأى أرشد الدنيا إليه
تمطى في ثياب السخط حتى رأيت الشر يدمى مقتلته
عليل الفكر كالمسموم يلهو بعرض الجار أو ظلم النبيه^(١)

وهذا الهجاء هو الذى ينبغى أن يتخذه الشعر غرضاً أدبياً ، فهو يهذب الشعور وينمى الذوق ، فهو هجاء يبنى في الناس أخلاقاً ، ويشيد فيهم الفضائل النبيلة عن طريق واضح وتصوير مباشر ، ويحقر فيهم الرذائل لا كما في (أزهار الشر) لبودليير فهو يزين الشر في تصوير جميل أخاذ ليصرف الناس عنه بطريقة غير مباشرة كما يدعون .

وهذا النمط من الهجاء يدفع بصراحة وقوة إلى قول الحق والتصدى للباطل ، ويرغب في العلم ، وينفر من الجهل ، ويصور الغر الأحمق في أقبح صورة يتوقاها الانسان في أى اتجاه ويحذرهما في كل خطوة ، ويخشى على نفسه منها في كل حين ، لأن العلم والحق والنور ، هو الذى يبنى الحياة ويرفع الذكر ، ويمضى أهله مع الخالدين .

ومما يجعل هذا النمط من الهجاء هو بغية الشاعر التابه والجاد في شعره ، هو أن يظل خالداً بهذا الغرض الأدبى الذى يسمو به في سماء الأدب الرفيع والشعر السامى ، ويربأ عما اتصف به هذا الغرض قديماً من السباب والفحش ، والتدمير والهدم لأشخاص بعينهم ، أحملهم الشعر القديم ، وذهب بهم مع أهل السباب والفحش ، وربما يكون المهجو بريئاً مما نسب إليه قد تحامل عليه الشاعر لحاجة في نفسه ، عند ذلك يكون الهدم والتدمير .

لكن هذا النمط من الهجاء للعسيرى يسمو بالغرض الأدبى للمعالى والبناء السامى ، لأن الشاعر شغله تمجيد القيم السابقة عند ذكر الشخص المهجو أو التلميح إليه ، مما جعل القصيدة تدور حول القيم النبيلة ، التى ينبغى أن يترسم خطاها الغر والجاهل والأحمق لتزول منه الصفات الذميمة من الجهل والحماقة والغرور بذلك يكون قد رسم منهجاً جديداً للهجاء في الشعر السعودى عامة وفي شعر الجنوب العسيرى خاصة .



التصوير الشعري

والتصوير الشعري عند العسيري ، يغرينا بالحديث عن تجربته الشعورية ومدى صدقها الفني ، وعن ألفاظه وأساليبه ، وعن الخيال وصوره الأدبية ، وفي النهاية عن الايقاع الموسيقي ، وموسيقاه الشعرية : الوزن والقافية .

ذلك كله من خلال النقد العربي الأصيل ، وذوق الناقد الذي هزه شعر الشاعر وتصويره الأدبي الرائع .

أولا — التجربة الشعورية عند العسيري :

لو أدار القارئ عينيه وقلبه ليعيش (في متاهات الحياة) مع العسيري في تجربة الانسان الشاعر ، الذي عانى مرارة الحرمان في تجربة حياته الواقعية ، وهو يتلظى بنار الوجد فيها ، ويصطلى بوهج السعير المحرق .

عانى الشاعر تجربته في التصوير الشعري معاناة أليمة مريرة ، أخذته من الوجود حوله ، ليتمدد داخل وجدانه ، ومشاعره الذاتية ولذلك لم ير غير ذات الانسان حقيقة في الكون ، تفجر شعرا من أجلها ولها ، حتى في لحظات المجاملة إذا رثى صديقا ، يلوى عنقه عن الصديق ليصور النفس والذات ، وينسى أنه يرثى صديقا حبيبا إليه ، لكنه في الحقيقة أنه يرثى نفسه وذاته لأنها هي أقرب الأشياء إليه وهي أصدق في التعبير عن نفس كل إنسان ، وهذا هو الصدق الفني عمود التجربة الشعرية الصادقة الجيدة الشاعرة يقول :

فقدت المعاني من فقده فماذا أقول لمن ينتظر

أو تجربة الهجاء ، التي ينصب فيها الهجاء على الشخص المهجو المغرور ، يعتقد الشاعر من ذلك الجسد الموجود والواقع أمام أنظار الناس ، ويتمدد في حنايا نفسه ، ويغوص في أعماق تجربته ليصورها في تجربة شعرية ذاتية تنزى ألما ومرارة يقول :

وأملى فكره المغرور غيا تعالي في كراماتي بفيه
أأجنى جذوة من كل قول ترم الجسم يا ويل النبيه

والواقع أن ديوان الشاعر كله وخاصة ما يتصل بالشعر الوجداني ، يعد تجربة شعورية

لحياة العسيري المتكاملة الأجزاء يصورها الشعر في الديوان بجميع أبعادها في دقة شاملة ،
وصدق فنى ، تتلاءم فيه كل المعاني والأفكار والمشاعر والأحاسيس مع الأخييلة والصور ،
والألفاظ والأساليب يقول :

أبث شعورى للسكون لعله يهيم بأشعارى فهام ورغما
فيالك من صمت أذعت مشاعرى لقد كنت يا صمتى سمياً وملهما
وما قلت شعرى رغبة فى ترحم ولكن نفسى قد أباحت ببعض ما
فلا تعجبوا فالحزن محراب نجوى ضحكى دعاء والبكاء تكلماً^(١)

والتجربة الشعورية عنده صادقة محمومة بركان متفجر من مرارة الحياة ، وظلام الحزن ،
وحميم الشر ، الذى يصيب من كأس النعيم ، ليزداد جوى على جوى ، وحسرة على لوعة ، فلا
يدوق منه إلا الدموع يقول العسيري فى واقعه الأليم ومركبه التائه :

شربت الحياة بأكوابها فما ذقت فيها سوى دمعتى
وغنيت فيها بقيشبارقى فذابت على نغمتى مهجتى
تأملت فيها جمال الوجود ففتت على مركب الحيرة
أجوب البلاد وما أهتدى وهذا الضياع على صورتى
ظلام الحزن أشقانى وأعيىا أبقى فى ظلام الحزن حيا
يصب الشر من كأس النعيم لأنى عشت فى عصر الجحيم^(٢)

ولقد عبر العسيري عن صدق هذه التجربة فى شعره ، فى الاهداء الذى قدم به ديوانه
يقول فيه :

إلى الانسان الذى يشق طريقه فى الحياة بعصاميته
إلى كل انسان ذاق مرارة الحرمان أو ضاع فى متاهات الحياة^(٣)

ويقول :

فأذيب الحزن شعراً مدّاً للاحساس عذراً^(٤)

(١) فى متاهات الحياة : ٤١/٤٣

(٢) الديوان : ٥٨

(٣) الديوان : ١٧

(٤) الديوان : ٢٧

ثانياً — الألفاظ والأساليب :

لا ينبغي في التصور عقد التلازم بين الصنعة الشعرية الفائقة وبين الدرجة العالية (الأكاديمية) في التعليم ، وتجربة البارودي رائد البعث الأدبي والشعري في العالم العربي حديثاً هي الدليل الواقعي فقد تتلمذ على دواوين الفحول من الشعراء القدامى فقط لا في جامعة متخصصة .

فالشاعر العسيري التحق بكلية الشريعة قسم اللغة العربية في مكة المكرمة لسنة واحدة فقط وتركها ليتحق بكلية (قوى الأمن الداخلي) في ١٢/٣/١٣٩٠ هـ ليعمل بعد ذلك في شرطة (جدة) وقدم لنا هذا الديوان لكي ينفي من التصور هذا التلازم فالموهبة الشعرية لا تحتاج إلى (أكاديمية) التعليم ، حتى يحصل الشاعر على الشهادة العالية في اللغة العربية وآدابها ، ولكن الإلهام الشعري حقله الخصب هو اللغة العربية وآدابها ، فالشاعر هو الذي يدرك أسرار اللغة ، ويحس بالهامه العلاقات بين ألفاظها ومعانيها ، وخاصة إذا كان مثل الشاعر العسيري ، الذي عاش في حقول اللغة العربية وموطنها الأصيل ، حيث تلقاها بفطرته السليمة ، من ذوى الفطر الصافية حوله ، فقد ازدهرت بين حقولهم اللغة العربية ، لذلك لا تعجب أن يظل الشاعر مفطوراً على ما اشتهر بين قومه وعشيرته من لهجة ، تمكنت من ألسنتهم بالسليقة ، وما زالت بين أهل الجنوب حتى يومنا هذا ، وهي :

أن ينطقوا الظاء ضاداً وبالعكس ، ويكتبوها كذلك في كتاباتهم وهذا ما عبر عنه العسيري في قوله :

ضل ييكي في خشوع هل ستنجيه الدموع^(١)

والمشهور في لغة القرآن الكريم « ظل » .

والألفاظ والأساليب عند الشاعر لا تجد فيها لفظاً سوقياً ولا عامياً ، بل تمتاز بالرقة والعدوية والجزالة والوضوح ، والشفافية عن معناها ، كما تجد الأساليب محكمة غير قلقلة في مكانها ، متلاحمة النسج بلا اضطراب .

والألفاظ والأساليب تتلاءم مع المعاني والأغراض في شعره فقصيدته (دموع الحياة) يتلاءم النظم فيها مع الغرض في نسج من الألفاظ الدامية الجريحة ، التي تعبر عن قوة جبروت القادر :

(١) في متاهات الحياة : ٢٩

أرى في الوجود دموع الحياة تسيل على خدها تحتضر
فتحفر في الخد جرحا عميقا عليه أرى قوة المقتدر^(١)

والنظم القوى في (الأحلام المنحورة) متلاحم ومتآخ لما يحمل من معان وألفاظ :
التبديد ، والغيم ، والوهم ، والمسارب ، وانتحار الصدر ، والرجم بالحزن ، والمتاهة ، والقيظ ،
والبؤس والسقم وحصد الخسران ، وغيرها مما يتلاءم مع الأحلام المنحورة إلى آخر القصيدة :

يسدد الدهر أحلامي مع الغيم وينثر العمر في داء وفي وهم^(٢)
وينحر الصبر في نفس فيرجمنى بالحزن ما عشت لا يسهو عن الرجم

لكن الشاعر في قصيدة (العاصفة) يضطره الوزن أن يخطيء في إعراب الكلمة وذلك في
قوله :

للقدس الحزين

عشرون عام

ويكرر الخطأ فيقول في نفس القصيدة :

عشرون عام

والقدس في القيود^(٣)



(١) الديوان : ٧٩

(٢) الديوان : ٩٦

(٣) الديوان : ص ٥١/٥٠

ثالثا — خصائص الخيال والصور :

والخيال في شعر العسيري خصب متجدد ، يتفجر من خلال عاطفة قوية متدفقة ، تحرك المعانى والجمادات ، فتجعل منها شخصا تحيما وتتحرك ، لذلك فقد غلب التشخيص على صورته الخيالية فبيعت في الشوق (وهو معنى مجرد) الحياة ، فيصير شخصا ، فالشوق يذوى ويروى ويدمى المهج ، يقول في قصيدة (شوق) :

الشوق يذوينى ويروينى اللقاء والوصل للأرواح برؤ وشفاء
رباه هذا الشوق يدمى مهجتى واللوعة الحزى على قلبى عناء^(١)

وتدب الحياة في أحشاء قيثارته ، وتسرى الروح في جوانبها ، وهى جماد لا يحس ، وآلة لا تتن ولا تتألم ، فيجعل الشاعر منهما إنسانا يخاطبه ، وشخصا يتجاوب معه ، فتشاركه آلامه وأحلامه وتستجيب أوتارها لآهاته وأحزانه ، يقول لها مخاطبا :

قيثارتى تشدو ودهرى يسمع
قيثارتى ثكلى وأم ترضع
تبكى الصبا يمضى فلا يسترجع
وترضع الأحلام من ثدى الألم

قيثارتى لحن وأوتارى هزيله
ناجيتها هات فقالت لى عليه
الحزن يدمينى وأوتارى ذليله

قيثارتى شعرى وعمرى كالوتر
فيثارتى الشكلى وعمرى المنتحر^(١)

ومن صورته الخيالية الرائعة الجديدة ، التى تمثل واقع عصره العالمى وتكون من وحى ابتكاره الخيالى ، وهى صورة العالم ، الذى سخر العلم لغير ما هو له ، سخره فى الحرب ، وإذلال الانسان ، لا للسلم والبناء ، ولا لعزة الانسان ، وبهذا غرق العالم فى الذنوب ، وخرج عن

(١) الديوان : ٢٥

(٢) فى مناهات الحياة : ٦٩

الأديان والعقائد السمحة ، باستخدام القنابل الذرية للدمار والاذلال ، والسيطرة والاحتكار ، فلا يجد الانسان مهريا ، ولا يطبق سمومها القاتلة ، لأنها سموم الكيمياء الخائفة ، التي لا يفلت من قبضتها الذكي الماهر ، مما يجعله يضل طريق النجاة يقول مستغيثا :

رباه عالمنا غريق في الذنوب
وفي المروق
فقنابل ذرية أين الهروب
وهل نطيق
للكيمياء خنقة .. لا .. لا هروب
ضاع الطريق^(١)

تصوير جديد وخيال بكر في شعره ، لأن الشاعر يعاني تجربة عصره لا عصور خلت ، وإنما يعيشها بوجوده وأحاسيسه ، وهي كثيرة منه مقطوعة (عرى) وقصيدة (نكسة أخرى) ، وقصيدة (طائر) وقصيدة (الواقع الأليم والمركب التائه) وقصيدة (سمير الأحران) وغيرها .

وتمتاز صورته الخيالية ، أنها تظهر في بعضها ملامح البيئة التي عاش فيها (في عسير) ، حيث تنتشر فيها الجبال الشاهقة والتلال والنفود يقول في قصيدة (أعدائى) :

سوف تدمى بالصخور
من جبالى فى (عسير)
من (نفودى) والتلال
سوف تطويك التلال
كم طوت فيها الرجـال^(٢)

ثم يقول :

من ربا نجد ومن حول الحرم
من سراة (الأزدي) من سيف التهم
من سراة (زهران) من كتيان (حائل)
من جبالى من مهودى .. والسواحل^(٣)

(١) الديوان : ٣٩

(٢) الديوان : ٨٧

(٣) الديوان : ٨٨

فجبال عسير والنفود والتلال والأرد وزهران والجنوب ، والجبال والمهود ، والسواحل في عسير كلها من بيئة الشاعر ، التي عاش تجربتها ، وخصبت خياله من مواقعها وإحياءاتها وتاريخها المحيد .

ولم يسلم العسيري من خبط في بعض الصور الأدبية التي لا تغض من شاعريته بحال ، وإنما هي مثل الملح في الطعام مثل قوله تصوير النابه الذي يحارب الغر السفية :

يهد العمر كي يننى حياة تشل البؤس أو تقضى عليه
ويحفر في قلوب الناس نعا رحيق العدل يسقى شاطئيه
فيقبر في تراب الذل أجرا ويسعى رغبة الغر السفية^(١)

فالشاعر يريد من وراء هذه القصيدة الأدبية أن يصور النابه حين يقضى عمره في بناء الحياة بالعلم ، الذي يقضى على البؤس والشقاء ليحل محله العدل بين الناس ، وبذلك ينال أجرا من الله عز وجل ، وفي نفس الوقت يقضى على الرغبات المدمرة للغر السفية .. لكن الصورة هنا عجزت عن أداء هذا المعنى ، بل تناقضت أجزاءها في التصوير .

فالنابه الذي يننى الحياة ، ويهدم البؤس ، لا يعد عمره ههداً (يهد) بل يعد بناء وخلودا ، ويقاء بهذا العمل ، فكان ينبغي أن يقول : (يسمو) أو على الأقل (يقضى) ، ومن يعمر قلوب الناس بنبع العدل ، لا يصح أن يوصف هذا بالخفر ، بل يوصف (بالتفجير) فيقول : (يفجر في قلوب الناس نعا) .

ومن ينشر العدل لا يقبر الأجر ويدفنه ، بل الأولى أن يحيا الأجر ويبقى ، لا في تراب الذل ، بل في ساحة الرضى والقبول فيقول : (فيحى في سماء العز أجراً) .

وأظن أن كلمة (يسعى) لا ترتبط بمعنى البيت ، والصواب فيها ، لكي يصح المعنى : (ويسعى رغبة الغر السفية) أى عمل النابه يحرق رغبات الغر السفية .

وهذا كله يدل على التناقض بين أجزاء الصورة ، كنت أودّ ألا يقع الشاعر في مثل هذا ، ولكن كما يقولون لكل جواد كبة . ولكل فارس نوبة .

ومن التناقض أيضا في التصوير الأدبي عند الشاعر قوله :

فهذى الشرور سموم الحياة ستمضى بنا فوق نعش الشرور
تناقض عجيب ؟ هل للشرور نعش ؟ وما أبعد اللفظان في تصوير المعنى ، فالشرور

نقيض النعش ، لأن النعش يحمل الميت إلى مقره وتشيعه الأحران ، بينما السرور لا مكان له في هذا الجو الحزين ، الذى يخيم عليه الشرور والسموم والأحران والنعوش ولعل الحاجة إلى القافية هى التى اضطرت الشاعر إلى حشو كلمة (السرور) .

ولا يشفع للشاعر أن يقبل قول من يقول : بأن هذا التصوير رمزى من باب تبادل الخواس ، فيقولون : يرى بأذنه ، ويسمع بعينه ، لأننا لا نجد فى مذهب الشاعر خيطا رفيعا من الرمزية فليس رمزيا ، بل هو واضح فى تصويره الأدبى كما رأينا، أما عناصر التصوير الأدبى فى شعره فقد غنيت صوره بها من حركة ولون وطعم ورائحة وحجم وشكل فالبيت السابق يحمل هذه العناصر : فترى اللون القاتم فى الشرور والسموم والنعوش ، وترى الحركة السريعة والمتجددة فى الفعل المضارع ستمضى لما يدل عليه من الحدوث والاستمرار والتجدد ، وتتذوق طعم الشر ، وتشم رائحة السم ، وحجم الشر بمقدار سموم الحياة وتجسيد الشرور فى شكل النعوش ، وهكذا فالشاعر له قدرة عجيبة على مزج عناصر الصورة بروافدها كما رأيت فى صورة متناقضة فى جزء منها ، فما بالك لو رجعت معى إلى الصورة البديعة التى سبقت وهى كثيرة وكثيرة .

لهذا الإبداع الشعرى فى التصوير الأدبى كان لا بد أن نضع فنه فى ميزان النقد ، لنرى رأى الشاعر والناقد فى شعر العسىرى .



رابعاً - الموسيقى الشعرية :

العسيري شاعر ناثر ، ومتجدد متحرر في تجديده ، ولا غرابة في ذلك فقد تحرر في تجديده فخرج على الموسيقى الخليلية في العروض والقافية بعض الخروج في بعض قصائده وليس معنى ذلك أن العسيري لم يحافظ على الوزن والقافية التقليدية المشهورة في عمود الشعر العربي ، بل كانت معظم مقطوعاته وقصائده ، يلتزم فيها البحر الخليل ، وقافية الشعر المحافظ ، وإن كان الشاعر يميل في شعره إلى البحور الخفيفة وإلى الجزء من البحور مثل :

قصيدة (شوق) ، وقصيدة (الدنيا) وقصيدة (وصفحة من حياتي) وقصيدة (ونكسة أخرى) ، وقصيدة (طائر) وقصيدة (حديث مع الزهرة) ، وقصيدة (سمير الأحزان) ، وقصيدة (إنسانية) ، وقصيدة (دموع الحياة) ، وقصيدة (الغر) وغيرها ، ومرت الأمثلة والشواهد .

ومن قصائده ما يسير على نظام المقطعات مع الاحتفاظ بالوزن والبحر ، واختلاف القافية وحرف الروي ، وهذا أقل مما سبق بكثير مثل قصيدة (عمرى الضائع) ، وقصيدة (ضياع في ركب المتاهة) ، وقصيدة (عيد بلا اجتماع) ، وقصيدة (ساحيني) ومقطوعة (عربى) ، (عودى) ، (فى المستشفى) ، وقصيدة (الواقع الأليم والمركب التائه) ، وقصيدة (إلى أعدائى) وغيرها وقد مرت الأمثلة ولا داعى لتكرارها .

ومنها ما يلتزم فيها الشاعر البحر الواحد ، لكن البيت ينتهى بتذييل يقوم على تفعيلية ، ليضيف بها لحنا جديدا فى ألحانها ، وينسحب عليها إيقاعا ينظم توقعاتها الأخيرة ، وهذا أقل مما سبق بكثير ، مثل قصيدة (يا عالمى) يقول :

يا عالمى إني هنا أبكى المصير
ألا ترون
وقد مر ذكرها .

ومثل قصيدة (خواطر إنسان تائه) حيث بناها الشاعر على تسع مقطعات مختلفات فى القافية ، كل قطعة تقوم على ثلاثة أبيات تنتهى بعدها بتذييل يشمل توقعيتين يقول العسيري :

أيها الانسان لا تطغ عليا
إن ظلمى قوة ملك يديا
دعوة فى الليل لا تبيك حيا
لا تلمنى إن دعوت
فتـزول وتموت

ومصير الشر في الدنيا قريب
بعد ضعفى سوف أقوى وتذوب
إن بعد الشمس أغلاس المغيب
هكذا حكم الحياة
لا بقاء للطغاة
أيها الانسان في عصر الفضاء
لا تضيق بالحق يقتلك الفتاء
ثم تبقى ساحبا ثوب الشقاء
ثم تبكى لمصيرك
سوف تدرى
كضميرك^(١)

ومنها قصيدة واحدة لم تتكرر ، قامت على نظام التفعيلة ، مع محافظته على الموسيقى والإيقاع المنغوم بلا اتحاد في القافية وذلك في قصيدة (العاصفة) :

في القدس عاصفة
تحطم الجسور
وتهدم القبور
على الغزاة^(٢)

وهى طويلة لا أرغب في ذكرها ، واكتفيت بذلك لكى يصح النقد وتوجيه اللوم إلى العسيري ومن سار على دربهم من الشعراء المعاصرين .

وكنت أود أن هذا النمط الموسيقى والقالب النثرى لا الشعرى لا يدخل فن الشعر ، ويجد منزلة من نفس العسيري ومن ديوانه الجيد ، إلا إن كان الشاعر يريد أن يعرفنا بنثره المشعور ، وأحسب أن العسيري لا يقصد ذلك ، فهو يريد أن يجارى من يجعل التفعيلة شعرا بلا قافية ولا بحر عروضى .

وفى رأى أن شعر التفعيلة هى معبر الخطأ والخطل السريع فاليوم يكون على تفعيلة ووزن واحد ، وغدا بلا تفعيلة ووزن ، وأصبحت الآن أقول إن الموشحات الأندلسية هى التى رخصت

(١) فى متاهات الحياة : ٣٤/٣١

(٢) الديوان : ٥٢/٤٩

للمعاصرين هذا التسبب ، وهم الآن يتذرعون بذلك ولكن الحقيقة أن الفرق كبير فالموشحات
وسط بين القصيد العمودى وبين نظام المقطعات المعاصرة .

وهى أيضا معبر سريع إلى العامية ، والقضاء على الفصحى لغة القرآن الكريم وإنما اليوم
لنرى بعض الشعراء شعراء التفعيلة ينظمون نثرهم المشعور بالعامية لا بالفصحى وهذا أخطر
وأشد لأنها حرب ضد الفصحى ولغة القرآن لا حرب ضد القصيد العمودى . ولا أدل على
ذلك من قول العسيرى نفسه حينما اعتسف هذا المركب الوطىء مما جعله يتورط فى العامية
والخطأ فى الاعراب وهو استعمال عامى فى التعبير يقول :

للقدس الحزين

عشرون عام

القدس فى خطر

عشرون عام

ثم يقول :

عشرون عام

والقدس فى القيود

وعيشنا على الوعود^(١)

كرر (عام) ثلاث مرات خطأ ، والصواب عشرون عاما وهكذا يعترف العسيرى بهذا
فى شعره فيقول :

ومصير الشر أن يقتات أهله

فاعتساف المركب الوطىء وهو شعر التفعيلة ، يؤدى فى النهاية إلى جعل العامية والخطأ فى
التعبير وهجر الفصحى مذهبا شعريا حديثا ، لا قدر الله تعالى :

« إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

« وإنه لتنزىل من رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان
عربى أمين » .

صدق الله العظيم

(١) الديوان : ٥١/٥٠

خامسا — شاعريته في ميزان النقد :

الشاعر أحمد عسيري يصور حياته بكل جزئياتها ، لأنه يعبر عن ذات نفسه ، ويصور مشاعره الأليمة ، وإحساساته الحزينة في الحياة ليصوغ من شعره قصة حياة تمردت على القيم التقليدية الكلاسيكية متحررا من قيودها ، فلا نجد في شعره تعددا في موضوع القصيدة الواحدة ، بل الغرض فيها واحدا ، بل كان الديوان يصور غرضا واحدا ، وهو حياة الشاعر فقط ، في وحدة عضوية وفنية ، تتلاحم فيها الأفكار ، وتتعانق المعاني في إيقاع حزين ، تشيعها موسيقى دامية ، تنزف مرارة وأسى .

ولذلك يقول العسيري في إهداء الديوان :

إلى الانسان الذى يشق طريقه بعصامية !!.. (١)

إلى كل إنسان ذاق مرارة الحرمان ، أو ضاع في متاهات الحياة !!..

لأن الشعر الصادق هو الذى يكون صادقا مع قائله ، وتجربة حية يعيشها صاحبه ، حتى يكون قطعة منه ، بل حياته كلها ، ليكون مثلا أعلى ، ونموذجا رفيعا ، يتجاوب مع الانسان في أى موقع كان ، لأنه للانسان متجردا عن الأرض والزمان .

هذا هو ما أقصده من عالمية الأدب وإنسانيته ، لا يعرف الحدود في الزمان والمكان في المجال البشرى الانساني ، وليس هذا الاتجاه وهو (عالمية الأدب وإنسانيته) غريبا على أدبنا الاسلامى ، بل هو أصيل وجوهري فيه ، لأن غاية الاسلام تحقيق عالمية الانسانية بلا تفریق بين العربى والعجمى ، ولا بين الشرق والغربى ، ولا بين الدول النامية والدول العظمى إلا بالمثل العليا ، والمبادئ العادلة المستقيمة ، والقيم الفاضلة المنصفة للانسان في أى موقع كان ، وخلال الزمان والمكان ، لمختلف الأجناس والأجيال لأن الانسان كان ولا يزال هو الانسان .

وحين فتح الشاعر الكبير محمد حسن عواد عينيه على ديوان أحمد العسيري وجد نفسه ، كما يقول (أمام شاعر شاب يستطيع هذا الوطن العربى ، وهذه اللغة الخالدة ، أن يعتز به ، ولا مبالغة في هذا القول ، إنك ستدهش لشاعر الحرمان والضياع ، يجسم لك هذه المعاني ، وينفخ فيها من روحه ، فتوهج في قوالب من اللفظ ، أعطيت قدرة الوصول إلى أعماق القارئ ، ورفعته إلى مستوى تلك المعاني الانسانية الخالدة ، إلى قدرة الإيجاء ، ومدّ الظلال ، ورقرة الحيوية في الأفكار الفلسفية والاجتماعية .

(١) في متاهات الحياة : أحمد عسيري ، الإهداء

وللشاعر فوق ذلك قدرة أخرى على صياغة تعابير ابداعية ، يخيل أنك تقرؤها لأول مرة
مثل :

وقيد الحق أوهى كل قيد رؤوف المس إن سقنا إليه
من قصيدة (العز) .

وقوله :

ومصير الشر أن يقتات أهله

من قصيدة (إلى أعدائي) .

ومنها أيضا :

وتنطق الأرض تملئ سرها^(١)

ثم مرة أخرى يشيد الشاعر الناقد محمد حسن عواد بأحمد العسيري فيقول :

(أهنئ أخى الفاضل الملازم أول الأستاذ أحمد على سعد العسيري بهذه الشعاعية
الحقيقية ، وأهنئ عسيرا كله سراته وتهامته ، بل أهنئ المملكة العربية السعودية كلها ، وآمل
أن ينبج هذا البلد المعطاء كثيرا من شعراء هذا الطراز)^(٢) .

وتحرر العسيري في تجديده للقصيدة في أدب الجنوب يظهر في اتجاه الشاعر إلى لون واحد
من الشعر يصور فيها ذاته ووجدانه ، فتجد أغراضه الأدبية قد أخذت هذا الاتجاه من التحرر
وكذلك في معانيه وفي خياله ، وفي تصويره الأدبي وفي موسيقاه الشعرية حيث خرج على
القصيدة العمودية في القافية في القليل من قصائده مثل قصيدته (العاصفة)^(٣) وإن كان هذا
التحرر محل نظر منا وقد ذكرته في مكانه .

ومرت الأمثلة في كل ذلك ، توضح سمات التجديد في المعاني والأغراض والخيال والصور
والموسيقى والقافية مما يجعله من شعراء مدرسة التحرر في التجديد .



(١) في مناهات الحياة : أحمد العسيري المقدمة ١٢

(٢) في مناهات الحياة : أحمد العسيري المقدمة ١٣

(٣) الديوان : ٤٧

الفصل الثالث

الشاعر أحمد بهكلي

- ١- نشأة الشاعر وحياته .
- ٢- الأغراض الأدبية في شعره .
- ٣- التصوير الشعري .
- ٤- بين الوجدان الذاتي والالتزام الموضوعي .
- ٥- الوحدة الفنية في شعره .
- ٦- التشخيص في التصوير الشعري .
- ٧- الخيال والصورة الأدبية .
- ٨- الإيقاع والموسيقى .



نشأة الشاعر بهكلي وحياته :

الشاعر أحمد يحيى بهكلي هو الثاني في مدرسة التحرر في التجديد في الجنوب ، إمارة عسير ، ولد بمنطقة جيزان عام (١٣٧٤ هـ) ، ثم تنقل في مراحل التعليم بين جيزان وأبها والرياض حتى حصل على (ليسانس) كلية اللغة العربية من جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية عام ١٣٩٧ هـ .

وبعد تخرجه عمل مدرسا في معهد الرياض العلمى واستمر يواصل تعليمه في تحضير رسالة الماجستير^(١) .

وهو الآن يشارك في تحرير مجلة الفيصل الثقافية ، التى أصبحت الآن تؤدى دورا كبيرا في العالم العربى والاسلامى ، صدر له حتى الآن ديوانان كما سبق وهما :

ديوان (الأرض .. والحب) .

وديوان (طيفان .. على نقطة الصفر) .

وسحر جيزان وأبها وتهامة كان له الأثر في هيام الشاعر بالطبيعة الخلابة ، حتى غلبت على شعره يصور مناطق الجنوب في الذهاب والاياب ، يصور جيزان مرة ، وبيشه ثانية ، وفيها ثالثة ، وأبها رابعة وغيرها وغيرها .

وكثيرا ما يدفعه الحنين وهو في الرياض إلى موطنه في الجنوب ، ليجدد شاعريته في منبع شاعريته .

وهذا بالاضافة إلى تطلعه إلى التحصيل والتعليم ولازال حتى الآن يعد نفسه للدراسات العليا حتى يحصل على الماجستير .. وللناس فيما يعشقون مذاهب .

(١) الأرض .. والحب : التقديم ، نادى جازان الأدبى ١٣٩٨/١٩٧٨

وصقل العقل ، وتهذيب الذوق الأدبى يحتاج إلى متابعة مستمرة ، ومداومة فى الترويض والمتابعة ، وليس بعد الصحافة والاشتغال بالتحريك فى المجلات الأدبية والثقافية من دافع قوى متجدد فى ترويض الذوق ، وصقل النفس وشحذ الذهن فالعمل فى هذا المجال مملوء بالحركة والحياة والنشاط ولا ننسى أن النهضة الأدبية الرائدة فى مصر كانت تنفجر من المجلات والمعارك الصحفية .

هذه هى العوامل التى فجرت ينبوع الشاعرية فى نفس الشاعر أحمد بهكلى وأصبح بديوانيه من رواد مدرسة التحرر فى التجديد .



الأغراض الأدبية في شعره

أولا - شعر الطبيعة :

هام بهكلى بالطبيعة الفاتنة في الجنوب ، وأخذت من شعره منزلة رفيعة ، حتى سيطرت على ديوانه الأول (الأرض .. والحب) ، فضم قصيدة (السحر يلد أباها ص ٧ ، ٩) وقصيدة (القيود الجميلة ص ١١ ، ١٤) ، وقصيدة (نجوى .. على البعد ص ١٥ ، ١٨) ، وقصيدة (يا منتدى الذكريات ص ١٩ ، ٢١) ، وقصيدة (بوح ص ٢٢) ، وقصيدة (عفوا .. أباها ص ٢٣ ، ٢٦) ، وقصيدة (الأرض والحب ص ٣١ ، ٣٣) وغيرها .

أما ديوانه (طيفان .. على نقطة الصفر) فاشتمل على قصيدة واحدة في شعر الطبيعة وهي (إلى أباها ص ١٣٠ ، ١٣٢) وهذه القصائد أنشدها الشاعر في الطبيعة ابتداء ، لأنه يصور الطبيعة غرضا مستقلا ، أما شعر الوجدان ، والشعر الاسلامى ، فقد مزج هذين الغرضين بالطبيعة ، وتجاوبت مع وجدانه وحبه كما سنرى ذلك في موضعه ، ولذلك لم تكن الطبيعة مقصودة ابتداء في هذين الغرضين ، وإنما تسلتل فيهما تبعا لهيام الشاعر بها ، فظلت من حين لآخر تطل ، لتعبر عن وجدانه وتأملاته وحبه وهيامه .

وتظهر سمات التجديد في شعر الطبيعة عند بهكلى من الهروب إليها ، والتجاوب مع مظاهرها ، والتغنى بجمالها الآسر وسحرها الساحر ، تعويضا له عما فقدته من الحرمان ، وما يحس به من آلام وآهات وأحزان كالشأن في الشعراء الذين هاموا بالطبيعة في العصر الحديث .

ولذلك كان بهكلى متحررا في تجديده هو والشاعر أحمد عسيرى ، لكن الأول غلب على شعره هيامه بالطبيعة والعسيرى غلبت على فنه الأدبى المرارة والشكوى والحزن والألم ، مع التعدد في الأغراض الأدبية عند الشاعرين في هذه المدرسة التى احتضنت مذهب التحرر في التجديد .

وبهكلى طائر معذب ، كلما لاح له الأمل ، غمره سلطان الدجى ، ليكون هذا الأمل الذاهب يريد « الاهداء » في ديوانه :

إلى التى لازلت أحييا على مأملى لقيها .. وما أحسب
قضيت عمرا أجتلى غمة لم ييد لى فى أفقها كوكب
وحيثما أجهد ركبى السرى وانهار تحتى الجيدُ المركب

أبصرت لمعاً.. قلت ذا مأملي واشتد منى المرهق المتعب
ورحت أعنو مسرعا.. فانظفا ذلك السنأ واحتضر المطنب
وعاد سلطان الدجى يعتلى عرشا بناه برقهأ الخلب
يرجوك يا نارى ويا جنتى ترنمى الفاضل والمذنب^(١)

ويبحث بهكلى عن بريده فيجده فى السحر ، ليس المجرء ، بل المجرس فى أبها ، عروس
الجنوب ، يقول فى قصيدته : (السحر يلد أبها) :

صوت وأضحى هائما مغرما قلبى وتمت ولى عذر فإدلالها يصبى
أسير هواها ما أحيلاه أسرها وحسى أننى صرت مأسورها حسى
ويا لجمالٍ قد حويت استمالتى أسير الفكر والشعر واللب
حببتك حبا فوق جهدى وطاقتى وحبك يا أبها تغفل فى القلب
أيا ذوب احساس رقيق ويا مدى خيال وسيع الأفق فى عالم رحب
إذا كان فى مغنى (المانية) انتمى هواى فقد ذقت الصبابة فى «النصب»
وتحت ظلال الأيك فى «السودة» انجلى لى الحسن ممدودا على ربعها الخصب
وأيدى النسيم الغض تمصر عادة من العرعر المردان ذى الفن الرطب
وكم فى شفا «القرعاء» سرحت ناظرى ليرجع مبهورا من المنظر العذب
كأن لكف السحر تمريرة على عيون المياه الجاريات على الترب
تلمست أبغى دائرة الحسن فى الدنيا وساءلت عن مغنى العنادل فى درى
وظفت أرود المرتع الخصب للهوى لألقاه فى «أبها» عن المبتغى بينى
طرقت على باب الجمال بفكرتى لتفتح لى أبها ابنة السحر والحب^(٢)

فالمانية والنصب ، وظلال الأيك فى السودة ، والعرعر المردان والقرعاء ، والعيون
الجاريات ، كلها مواطن فى أبها الساحرة تمكنت من سويداء قلبه ، وأصبحت لا تفارقه أينما سار
وحيثما حل .

ولا يظن القارىء أن الشاعر حقق أمله حينما وجده فى أبها الساحرة الجميلة ، لكنه خاب
أمله ، ومن العجب أنه تاه عن أمله وضل الطريق فى «القيود الجميلة» :

أنا فيك يا أبها عليل شاكى هل ترجمين متميما بهواك

(١) الأرض .. والحب : أحمد بهكلى ص ٣

(٢) الأرض .. والحب : ٩/٧

صيرت حسى فى هواك مقيدا
أواه من حب يحطم أضلعى
حاولت أن أنساك لكن أنت فى
أبها الجميلة خبرى كم عاقل
أحياك إلهاما ووحى مشاعر
تستأسرين بدون أى جريرة
لو كنت خمرًا كان عذرك واضحا
أو كنت بحرا هائجا متلاطما
لكن حشدت لنا جيوش الحسد
أما السلاح قناة قد فارع
أو درع طود شاخ متوشح
أو خيل شلال غدا متدافقا
واققدتنا أسرى وقد كبلتنا
رؤياك فى قرنى أدق مؤمل

وسموت حتى نؤت عن ادراك
أترك تتبهين لى أترك؟
سودا الفؤاد فكيف لى أنساك؟
هومتة؟ كم مغرم ناجاك؟
تداح مسبغة بنشر صباك
ألبانا من ذا الذى أفناك؟
إن نحن رحنا فى الهوى سكراك
فربما قمنا وصارعناك
من ثم دعوتنا مغرورة للفاك
أو سيف لحظ صارم فثاك
بزهورك النشوى ومن رؤياك
يشتد ملتاعا للثم ثراك
جا فلفنا أكرمى أسراك
وأعز شىء فى النوى ذكراك^(١)

ثم يوح لأبها بأحزانه وآلامه فى قصيدته (بوح) :

أبها .. ويهجم كل محروب
أبها .. وكل الكون أبعدنى
وحضنتنى وأنا الشريد فلم
ويفرح كل منكوب
وجذبتنى فرأيت تقريى
أحزن لمأساتي وتعديى^(٢)

تتجاسر معه مظاهر الطبيعة فى الجنوب ، ويتعاطف الشاعر مع ربوعها وبلدانها ، ومنازلها
ودورها ، وجبالها وسهولها ، وتاريخها ومجدها وبحارها ووديانها ، وطيورها وأشجارها ، وربيعها
وليلاتها ، وذلك فى قصيدته (الأرض والحب) منها :

أنا فيك يا جازان فلتزدهر الرؤى
أنا فيك فى « فيفاء » أناجى جنانها
وأنساب فى أنهار (بيش) مغنيا
وتمنحنى (صبيا) ولازلت فى الصبا
وأغرق روحى فى هوى (ضمد) التى
بعينى غريب هام عن ريعه دهرًا
وأخلق اعجابى بما احتضنت شعرا
منازلها الفيحاء أو زرعها النضرا
برود صبا تستأسر اللب والفكرا
رعتنى عمرا بات من أعذب الذكري

(١) المرجع السابق : ١٤/١١

(٢) الأرض .. والحب : ١٦

بروحى تلك الأرض من أثلها إلى منابت (سَعِيد) قد انتشرت عطرا
على أننى ضيعت حبى فى (أبى عريش) فإن خرفتُ يا جنتى عذرا
كأن لياليها سواحل بابل وما ضمنتُ تلك الليالى غدت سحرا
كما عانقت جازان أذرع بحرها وعانقت التاريخ والمجد والفكر^(١)

ومع هذا الهيام بالأرض ، والحب للطبيعة ، التى هرب إليها عاشقا لجمالها ، والهأ فى
سحرها ، الذى يصور مرارته ، وهذا الحب بعيد عنه محروم منه مادام بعيدا عن الطبيعة التى
تمكنت من قلبه حبا وهياما وعشقا .

ثانيا - الشعر الوجدانى والتأملى :

جاء هذا الغرض الأدبى فى شعر بهكلى ، فى ديوانيه ، أما قصائده فى ديوانه الأول
(الأرض .. والحب) منها قصيدة (شوق ص ٣٩ ، ٤١) فى عام ١٣٩٢ هـ . وأبها ، وقصيدة
(أحبك ص ٤٣ ، ٤٧) فى عام ١٣٩٤ هـ . وأبها ، وقصيدة (رسالة ص ٤٩ ، ٥٠) فى أبها
عام ١٣٩٤ هـ ، ومقطوعة (الهوى أعذار ص ٤٢) فى أبها ١٣٩٣ هـ ، وقصيدة (عندما
يطول السفر ص ٥١ ، ٥٥) فى أبها عام ١٣٩٤ هـ ، (ورباعية ص ٦٠) فى الرياض
١٣٩٤ هـ ، وقصيدة (محب ص ٦١ ، ٦٢) ، وقصيدة (بعيدون عنى ص ٦٣ ، ٦٥) فى
الرياض ١٣٩٤ هـ ، وقصيدة (الحسن الآسر ص ٦٦ ، ٦٨) فى أبها ١٣٩٤ هـ ، وقصيدة
(العذبان ص ٦٩ ، ٧٠) فى أبها عام ١٣٩٤ هـ ، وكذلك (رباعية ص ٧١) فى الرياض
١٣٩٥ هـ ، وقصيدة (الرحيل .. بلا وداع ص ٧٣ ، ٧٥) فى أبها ١٣٩٥ هـ ، وقصيدة
(هزوجة خريفية ص ٧٧ ، ٨٠) فى أبها ١٣٩٦ هـ ، وقصيدة (غفوة .. ورؤيا
ص ٨١ ، ٨٢) فى الرياض ١٣٩٦ هـ ، وقصيدة (كتابة على ضريح العشق
ص ٨٣ ، ٨٤) فى الرياض ١٣٩٧ هـ .

أما الوجدان والتأمل فى ديوان الثانى (طيفان .. على نقطة الصفر) فيضم قصيدة
(أبيات .. لأبى ص ٧ ، ١٠) ، وقصيدة (لهذا الحزين ص ٥١ ، ٥٢) فى أبها
١٣٩٤ هـ ، وقصيدة (الركض .. إلى الخلف ص ٥٣ ، ٥٥) فى أبى عريش ١٣٩٦ هـ ،
وقصيدة (مجنون ص ٥٦ ، ٥٨) فى الرياض ١٣٩٥ هـ ، وقصيدة (الرحلة الطويلة
ص ٥٩ ، ٦١) فى جدة ١٣٩٦ هـ ، وقصيدة (حينما يزمن الحزن ص ٦٢ ، ٦٤) فى
الرياض ١٣٩٦ هـ ، وقصيدة (العرافة الكاذبة ص ٦٥ ، ٦٦) فى جيزان ١٣٩٧ هـ ،
وقصيدة (منى .. وقلوب ص ٦٧ ، ٧٠) فى الرياض ١٣٩٨ هـ ، وقصيدة (خلود الحب

(١) الأرض .. والحب : ٣٦/٣١

ص ١٠٥ ، ١٠٦) في ألبها ١٣٩٥ هـ ، وقصيدة (أألى نهاية ص ١٠٧ ، ١١٠) في الرياض ١٣٩٤ هـ ، وقصيدة (كل الفصول ص ١١١ ، ١١٣) في الرياض ١٣٩٦ هـ ، وقصيدة (أبتاع حزنا ص ١١٤ ، ١١٦) في الرياض ١٣٩٩ هـ ، وقصيدة (رزق ص ١١٧ ، ١١٨) في الرياض ١٣٩٩ هـ ، وقصيدة (السر العجيب ص ١٢٢ ، ١٢٦) في الرياض ١٣٩٥ هـ ، ومقطوعة (هل الحب أعمى !؟ ص ١٢٧) في ألبها ١٣٩٧ هـ ، وقصيدة (الدمع الظهور ص ١٢٨ ، ١٢٩) في الرياض ١٣٩٨ هـ .

وشعر الوجدان والتأمل عند بهكلى يتميز بالخصائص الفنية لهذا الغرض عند الشعراء الابتداعيين المجددين ، مثل الغوص في أعماق الذات ، والتأمل في جوانب النفس المختلفة ، وتصوير أحاسيسها العميقة ، ومشاعرها الرقيقة ، وذلك في تجربة شعورية صادقة ، تشف عما يشعر به من ألم الحرمان ، وما تعترضه من أهات وآام ، وما يسيطر عليه من الكآبة والحزن ، وأنه مهما قطع شوطا في تحقيق آلامه ، فإنه يجد نفسه أمام السراب الخادع يحسبه الظمان ماء ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ، وهكذا فيعود ليصور آلام الفقد ولوعة الأسمى والحرمان ومرارة الهزيمة والقنوط .

هذا من حيث ظاهر التصوير الأدبى في شعره ، أما من حيث الواقع ، فان معاناة التجربة الشعرية هو في ذاته تحقيق لهدف يؤمه الشاعر ، وهو التنفيس عما يعاناه . وذلك حينما يصور تجربته في قصيدة ، فهى تشكل بناء فنيا خارجيا تجد فيه الشاعر سلوانا وعزاء ، وأنسا وإمتاعا ، يصرفه كل ذلك عن معاناة التجربة ، لأنها صارت عملا فنيا خارجيا ، وقد كانت قبل أن تخرج تلتهب في وجدانه ألما ومرارة .

وبذلك يجد الشاعر الغاية في القصيدة الضالة ، التى كان يبحث عن تجربتها داخل نفسه ، ويتذرع في سبيلها الأسمى واليأس ، الذى يعتصر أغوار ذاته ، وبهذا العمل الفنى يحقق الغاية التى كان الوجدان ينزف بها ، حين كان العمل الفنى تجربة ذاتية ، تؤجج جوانب النفس ، قبل أن تخرج إلى حيز الوجود الخارجى .

وهذا ما عاناه الشاعر بهكلى في القصائد السابقة لهذا الغرض وسنقتصر على بعض الأمثلة ، التى تتجسم فيها الخصائص الفنية السابقة لمدرسة التحرر في التجديد ، لتدل على ما لم نذكره من بقية القصائد ، يقول الشاعر في قصيدة (أحبك) مطلعها :

أين وجهتِ فقلبى لك مغدى ومراخ
أنت فيه النور .. كالنور ويغذيه الصباح
أنت فيه النفع .. كالنفع تزجيه الأقاح
يا جمالا ملهب التكرين معدوم السماح

أفصحى يا طفلتى عما تمطى فى فؤادك
إننى ما عدت ذا صبر على طول بعادك
أرسلى فى بقعة الصمت أصيلا من جياذك
ودعيه يفهم الصب المعنى بمردك

وأنا إن رحى أشكو أوأبث الوجد حبا
فلقد آلت أنى لن أصبّ الدمع صبّا
ولو أنى صرت فى حبيك يا حسناء صبا
فالضعيف القدم من عاش الهوى دمعا وندبا

ضجة العمر الشباب الحى حتى يتصرم
فاذا ولى فقد ولّت منى السعد المكرم
ويبقى فى يأسه المرء كئيبا يتبرم
يندب الأنس الذى كان حلالا يتحرم

إيه .. يا «...» يا آهة تعدو وثييده
فى ضلوعى .. يا متاهات مسافاتي المديده
لم تزل عندى حكايات وأفكار جديده
سوف أحكيها لنفسى حين تضحى بعبيده^(١)

صورة شعرية تعبر عن حرارة الوجدان ولوعة الحرمان ، ومرارة البعد ، وألم الفراق ، فى خيالات عجيبة ، وصور أدبية بديعة فقلبه مغدى ومراح ، تملؤه بنورها المستمد من نور الصباح وتزكيه برائحتها الفواحة ، ينبغى أن تتجاوب معه فتبادله وتفصح عما استكن فى قلبها ، لأن الصبر قد نفذ ، فأصبح يث الوجد حبا ، ويصب الدمع صبا ، ويندب حياته ندبا ، لأن زهوة الشباب قد تصرم فأضحى كئيبا يتبرم ، لأن ما كان حلالا له قد تحرم ، وبعد اليأس أخذ يردد لنفسه حكايات وأفكارا جديدة ، يتسلى بها بعد أن فقد الأمل وصارت عنه بعيدة .

(١) الأرض .. والحب : ٤٧/٤٢

هذه هي خصائص الشعر الوجداني يتمدد الشاعر في داخله يث أحزانه وآلامه ، ويشكو حرمانه ، ويكي شابه ، ويعنى حبه الذهاب ، وأمله الخائب في تصوير أدبي يتفطر ألماً ودماً .

ومن خصائص شعر الوجدان عند بهكلي أن القصيدة عنده قامت على غرض واحد من مطلعها حتى نهاية القصيدة بلا تعدد أو خروج عن موضوعها ومن هنا تحقق فيها الوحدة الموضوعية والوحدة الفنية .

ومن خصائص هذا الغرض التحرر في التجديد ، فترحر الشاعر من عمودية الموسيقى ، فتعددت القوافي فيها ، وقامت على نظام المقطعات ، لكل مقطعة قافية تختلف عن الأخرى مع اتحاد الوزن والبحر العروضي . وفي هذا ثورة على العمود الشعري ، فلا يلتزم الشاعر بما التزم به الشعراء القدامى ، ومن سار على نهجهم من المحدثين (الكلاسيكيين) وما التزم به الشاعر هو الوزن ، والتغنى بذاته ، فمنافذ الادراك عنده أدارها الشاعر عن الخارج لتفتش في ذاته وداخل نفسه ، غير خاضعة لمقاييس خارجة عن ذات الشاعر .

وعندما تأتي القصيدة عنده متحدة الوزن والقافية ، لا يكون ذلك التزاما لمنهج القدماء في القالب الموسيقي عندهم ولكن ذلك دليل وكشف عن حرته المطلقة من الحركة من شكل إلى آخر بارادته ، وتجاوبا مع رغبات ذاته ، التي لا تلتزم بالرتابة قهراً لاتباع السابقين .

لذلك نجد بهكلي يقول القصيدة ذات الغرض الواحد على بحر واحد وقافية موحدة أيضا ،

كما في قصيدته (رسالة) ومطلعها : (١)

أحبك للتلهف والتمنى	أحبك لا لشيء غير أنى
إسارا مالكا فكرى وطنى	وقد صيرت رسمك في خيالى
وأنت بديع لحنى إذ أغنى	فأنت عروس شعرى حين أشدو
وأحمل فيك بعدك والتجنسى	أحبك دون أن أدري لماذا ؟
بجك طول ذا الزمن المعنى	كأنى لم أكن إلا لأضنى
برغم مصائب الدهر المسن	غرامى لم يزل جذعا فتيا
يشكك فيه من إنس وجن	ولست أرى بأن هناك شيئا
كفيلا لى بأن يدنيك منى	وهبتك من ودادى ما أراه

(١) الأرض .. والحب : ٥٠/٤٩

وما أعطيتنى إلا وعودا تزيد أسى الفؤاد خلا تمنى
سوى أنى أدين وسوف أبقى أدين بأن حسنك أصل فنى
وبى شوق إليك يزيد دوما كأشواق العقيم إلى التبنى
فأت عروس شعرى حين أشدو وأنغام الصبابة إذ أغنى

فاض وجدان الشاعر بالحب والوداد ، لكنه لم ير من محبوبه إلا الوعود الجوفاء ، بلا وصل ، فيغتنى الفؤاد أسى ومرارة ، ومع هذا فالشاعر يجد فيها عوضا عن فقدان الحرمان ، فهى التى فجرت شاعريته بهذه الرسالة ، فتشككت فى عمل فنى بعد أن كانت بدداً وحيوة فى نفسه ووجدانه ، فصارت عروس شعره وأنغام وجدته ، وأوتار حبه ، يجد فيها أمله حين يغنى بشعره وإن كانت محبوبته بذاتها وهيكلها بعيدة .. بعيدة عنه .. كل البعد .

هذا هو جوهر التحرر فى التجديد عند الشاعر ، فحينما تتفجر شاعريته فى تصوير ما يجب ، لا يتغنى منه أكثر من أن تظهر ذاتية الشاعر فى فنه الأدبى ، والتغنى بذاته ووجدانه وحدهما ، لأنه لا يرى ولا يملك غيرهما .

والذات البشرية إذا تمددت فى داخلها ستجد اليأس والقنوط ، والمرارة والألم والحرمان ، وغيرها من أصول الهروب عن الحياة والناس . أما إذا تجاوزت الذات مع غيرها ، وخرجت من اسارها وسجنها الداخلى ، إلى العطاء الاجتماعى ، تغرب عنها الوحدة والأسى ، وتنحسر المرارة والحرمان ، وهكذا يستمر بهكلى فى آلامه وحزنه حتى يزمن الحزن (حينما يزمن الحزن) يقول :

لا تقولى قضى الحزن وحل السـ سعد إذ لاح على الأفق لقانا
لا تقولى تمت الفرحة لا .. لا تحسبى حقا أباطيل رؤانا
خدعة هذى فلا يخدعك ماصير دنيانا خداعا وامتهانانا
حاذرى من طيبة الظن فما عا دث تلتقى فى مجالينا مكانا
مزمن حزنى باقٍ سهد عينيِّ وفى حبيك ضيعت الأمانا
رغم لقياك فلا زلت حنيننا يفرش النأى على فكرى خوانا
يا انتفاض الألق المرهوّ فى عيينى ترفضان سحرنا وحنانا
والتوالى من مآسينا أقضت مضجع السالف من حلو منانا
وانسلال اللحظات اللأئى عشنا سَعدها قد بات يستلُّ شجانا
تارة يسفحنا .. يغرى الحشا منا وطورا ينشر الدمع جمانا
وانتيال الذكريات المرع الرنوع اهتزازا يحتوى منا الكيانا

إيه يا بيداء دنيانا قطعنا ك ولم تُسرج — على البعد — حصانا
لم تكن غير ثوبه ركض الدهرُ بنا فيها .. فلم ندرك خطانا^(١)

ومظاهر التحرر في التجديد هنا ظاهرة ، على الرغم من أن الشاعر التقى هنا بمحبوبته ،
فكان ينبغي أن يترك هذا اللقاء في نفسه ما يطفىء نار الجوى ، ويروى ظمأ الحب ، ويروح
نساءم الشوق فلا يبقى في النفس لوعة وأسى ، ولا يترك في الوجدان لهيبا عاصفا ، فيطوى آلام
الماضى ، ويبدد سهد الليالى ، وتشرق الحياة الباسمة ، ويتعطر الوجود بالأمل العذب ، وينسج منه
حيال الوصل ، وأسباب الأمانى ، التى تغيب به في جنات المحبين الوارفة الظلال ، فتتفتح فيها
الأزهار ، وتفوح أجواؤها بالعبور ، وتتجاوب مع الأنغام الشجية ، التى تعزفها مناقير الطيور ،
لتزفرف بالسعادة والحب والأمل في جنات الخلد .

لكن الشاعر بدد جمال هذا اللقاء بحزنه المرير ، وآلامه المريرة ، فهو ينكر عليها أن الحزن
قد ولى وذهب ، ولا يرى أن السعد قد لفهما بالأفق ، وأصبحت هى كذلك باطلا وخداعا ،
فذهبت الحقيقة ، وتبدد الأمن ، وعلى الرغم من اللقاء فلا زالت بعيدة عنه ، يكتبوى بآلام البعد
والحرمان ، التى ثوت في صدره ، واستبدت بعقله وقلبه ، وأهبت مضجعه ، وفجرت الدموع
كحبات الفضة مما يدل على أن شعر الوجدان حتى مع الوصل فالشاعر يظل في حرمانه
وشكواه وبث أشجانه وآلامه ، وهذا ما يمتاز به هذا الغرض الأدبى .

يقول بهكلى في قصيدة (خلود الحب) :

أبقى أمانى لقانا نثارا	وليل التباعد يتلو النهارا
كأن مقاديرنا أن نرى	مأسينا تحتويننا جهارا
ولكن لماذا الهروب ولما	ننل بعد شيئا يزيل الأوارا
أليس الهروب انهما وينا	إطاقة جعل البقاء انتصارا
أما قلت انك شوق عظيم	إلى فلا تقدرين اصطبارة
أما قلت إني حياتك ؟ يا من	نبذت حياتك عنك جهارا
لماذا؟ وأرفع صوتى لماذا ؟	ولو عاد رجع صداه انكسارا
وإنك حلمى رواءً ويُبسًا	وإني أحبك ماء وناراً ^(١)

(١) طيفان .. على نقطة الصفر : ٦٤/٦٢ — رغم لقياك : خطأ عامى في لغتنا الفصيحة والفصحى أن
نقول : على الرغم من لقياك ، ولفظ على الرغم ذاته ليس لفظا شعريا ، لأن للشعر ألفاظه التى لا توحى
بالتعليل والتدليل .

(١) طيفان .. على نقطة الصفر : ١٠٦/١٠٥

ثالثا - الشعر الاسلامى :

خلا ديوانه الأول (الأرض والحب) من الشعر الاسلامى بينا ضم ديوانه الثانى (طيفان .. على نقطة الصفر) هذا الغرض ، بل عنوان الديوان إنما هو عنوان لموضوع قصيدة اسلامية والشعر الاسلامى عند بهكلى يشمل قصيدة (غسيل الملائكة ص ١٤ ، ٢٥) ، وقصيدة (عبرات على خد الدعوة الاسلامية ص ٣٣ ، ٤٢) ، وقصيدة (أنشودة الفارس القادم ص ٢٦ ، ٣٢) ، وقصيدة (طيفان ص ٤٣ ، ٤٨) ، وقصيدة (من خالد بن الوليد ص ٩٣ ، ٩٧) ، وقصيدة (إلى سيد قطب ص ٩٨ ، ١٠٢) ، (وخماسية ص ١٢١) .

والقصة الشعرية (غسيل الملائكة) تقوم على حدث قصصى يبدأ حينما أذن المنادى للجهاد فى سبيل الله فى غزوة أحد ، ويلبى النداء الصحابى الجليل حنظلة بن أبى عامر ليلة دخوله على عروسه ويخرج إلى الجهاد وهو جنب لم يغتسل ، ثم يقتله الأسود بن شعوب وحنظلة يحاول قتل أبى سفيان ، وإذا برسول الله ﷺ يرى الملائكة وهى تغسله ، فأرسل إلى أهله فأخبروه بخبره ، يقول الشاعر فى هذه الأقصوة الشعرية :

ليلة والنجوم تستغفر الليل وعواء الرياح يخفت حيناً وهنا فى الخباء ينتجع الطهر وجذوع النخل راهنت الليل لم تكن غير لحظة فإذا الليل والنمدى يغسل الأزاهير وصرخ علا بأن أناسا صرخة أعنقت تحب فتجلو كأن رجع الصرخ جلبة الإيمان ما ترى غير لاس درع حرب وازدهت حرة المدينة جندا رقص الفجر رقصة فتغنت وانبرى حنظل يقارع ذاك ضربة إثر ضربة .. أشف سؤلى كنت فى الأسفل الحضيض وقد هم بالوآد حنظل .. وتجلت (أنجدونى) ترددت وأبو سفيان	وما حاز قدرة الغفران ثم يعلو كآهة الوهان فيجننى ثماره عرسان وللفجر شدة الغفران ل طريد الرحيل فى إذعان والأطيبار تشدو برائع الأخان داهموا رباع الندى الفينان صدأ الاندهاش فى الآذان ن يحمى مرابع الإيمان أو مغذ السير فوق حصان ورسولا ومبدا قرآنى أحد .. والتقى الجمعان القرم فى قوة وأيد جنان كيف مُرديك يا أباسفيان كان ملائيك فى أعز مكان قسوة منه أثبتتها اليدان ن من موته على إيقان
--	---

واجتلى الفارسين (شداد) فارتنا
واستطالت وراء حنظل شلا
طعنة .. والدم الزكى تسايح
ولعيني حنظل ومضات
أى نعمى وهبت يا ابن شعوب
ساعة وانتهى العراك وأصغى
قال : إن الملائك حفت
إنها تغسل القليل .. وماكا
اسألوا زوجه وجلجل في
أيها الفارس النيل ولم تث
إن تكن أمس قد دخلت بعرس
نم قريبا .. فأنت لازلت رمز
إيه يا حنظل الفريد وكم قد
هو باق .. يجب .. ينبج لكن

عت خطاه كما فؤاد الجيان
، بطعن لكالح الفعل جاني
تدق السماء في رضوان
أطفأتها من الردى ريحان
لابن حرب مجندل الفرسان ؟
قومه للرسول والكل حان
بقتيل وأسكت بأواني
ن سوى حنظل فتى الفتیان
القوم جواب سما عن الأذهان
نك عن عزمك الأكيد الثواني
فيذا اليوم دخلتة للجنان
الاحتراق المرضي للانسان
عاش فينا أبوك طول الزمان
لم يطق بعد نجل حنظل ثان^(١)

الغرض من هذه الأقصوصة الشعرية موضوعى إسلامى ، ومثل هذا الاتجاه لا يجيده شعراء التحرر فى التجديد ، الذين يعرفون عن ذاتهم ، ويفتشون عن أنفسهم ، وهم قابعون فى برجهم العاجى .

لذلك لم ينصهر الشاعر هنا فى بوتقة المعركة ، ليصورها بحارة وصدق عاطفة ، فاضطربت التجربة الشعرية عنده ، ولم تكن عميقة تستقصى جزئيات الأحداث بدقة وواقعية ، واضطر الشاعر أن ينصرف عن الأحداث إلى الاهتمام بتصوير الطبيعة فتستجيب مظاهرها مع موضوع القصة ، فالنجوم تستغفر الليل ولا أدرى ماذا يقصد الشاعر من هذا الاستغفار ؟ والرياح تعوى ، وثمار الخباء مجتنى العروسين ، وجذوع النخل راهنت الليل . ولا أدرى لهذا معنى ؟ ، والفجر يشتد فى عنقه ، والليل طريد الرحيل ، لا يتناسب مع الندى يغسل الأزاهير ، ولا مع الأطيوار التى تشدو بالألحان ، والفجر يرقص ، وأحد تنغنى بتلاحم الجمعان ، وغيرها من مظاهر الطبيعة ، التى لم يحسن الشاعر تطويعها ، واستخدامها بما يتناسب مع الوقار فى الموضوع ، وهيبة الموقف ، فلا يصح للفجر أن يرقص ، ولا للطير أن تشدو وتنغنى حين التقى الجمعان .

(١) طيفان .. على نقطة الصفر : ٢٥/١٤

ومما يدل أيضا على اضطراب التجربة ، وقلق التصوير الأدبي ، مثل اضطراب كلمة (كما) وعاميتها فليست لفظا شعريا لأن للشعر أدواته الخاصة ، وذلك في قوله : (وارتاعت خطاه كما فؤاد الجبان) مما أحدث قلقا في موسيقى البيت وشذاجة في التصوير الأدبي .

ومثل صورة تسابيح الدم الركي تدق السماء . إنها تتفتح لها أبواب السماء ، ولا تدقها ، لما فيه من معنى العنف والقهر .

ومثل صورة (أرى الملائك حفت بقتيل ، وصورة (إنها تغسل القتيل) ، وماهو بقتيل؟! بل هو شهيد وأى شهيد والوزن واحد ، لم يضطرب .

وكذلك صورة : (نم قريراً .. فأنت مازلت رمز الاحتراق الرضى) تناقض في التصوير الأدبي ، كيف ينم قرير العين وهو رمز الاحتراق الرضى .

وفي كل هذا الدلالة على أن الشاعر متحرر في تجديده من القيود الموضوعية ، التي تتناسب مع أحداث القصة الشعرية فيعتسف طريقا آخر يعبر فيه عن ذاته لا عن موضوع القصة وأحداثها ألا وهو الهروب إلى الطبيعة ، بدون مبالاة لواقعية الأحداث ونموها ، ثم التحرر أيضا من الواقعية الموضوعية إلى الانطلاق في ذات الشاعر ، والتغنى بها من خلال مظاهر الطبيعة ، مما أوقع الشاعر في اضطراب التجربة الشعرية وقلق التصوير لها والتناقض بين أجزائها ، وعدم انسجامها مع الغرض من القصيدة .

والشاعر نفسه يعترف بهذه الحقيقة ، فيقول عن شعره في ديوانه (طيفان على نقطة الصفر) : نلاحظ أن تناول لم يكن منصبا على سرد التفاصيل الحديثة ، بقدر ما يصف الأثر النفسى أو الانعكاسات الشريطية ، كما يسميها بذلك تلاميذ الغزالي ، وبافلوف .. إننى لا أميل كثيرا إلى الموضوعية في الشعر ، فكلما كان الشعر موضوعيا كان بسيطا ، وكلما كان بسيطا فقد هيئته وفاعليته كداعية إلى التخيل والتفكير^(١) .

وليس هذا القول صحيحا إلا من جانب واحد فقط وهو أن الشاعر متحرر ينشد ذاته فقط ، ولا يحسن تصوير الأحداث في الشعر الموضوعى ، ومن ينكر شاعرية شوقى في مسرحياته ، وروعة التصوير فيها^(٢) فالتحرر عند بهكلى جعله لا يجيد تصوير شعر الموضوعات ، والتي تقوم على نمو الأحداث وسحر تصويرها .

والذى يؤكد وجهة نظرى هذه ، هو ما أحس به بهكلى نفسه حينما حاول أن يأخذ

(١) طيفان على نقطة الصفر : المقدمة

(٢) مثل مسرحية مجنون ليلي ، على بك الكبير ، العباسة وغيرها .

اتجاهها جديدا في ديوانه الثاني ، وهو تعدد الموضوعات ، والخروج من إطار الذاتية التي سيطرت على ديوانه الأول ، وهذا التحول كان بناء على رغبة القراء كما يقول ، وأعلن عن خوفه من الاتجاه الجديد ، وتمنى ألا تخل الموضوعية الجديدة بالقيمة الفنية لمحتوى القصيدة ولهذا الرجاء جاء بقصيدتين طويلتين ، وهى قصيدة (غسيل الملائكة) و قصيدة (ذهول الحس) يقول بهكلى :

« إننى أعلم جيدا أن القراء لا يستوون من حيث الميول والنزعات ، ولا من حيث المنحى الفكرى لذا آثرت تنويع موضوعات هذه المجموعة بشكل أرجو ألا يكون مخلا بالقيمة الفنية لمحتواها ، ومع أننى لا أشك إطلاقا فى الإيجاز الذى اعتمده هنا ، وفيما مضى ، وسأعتمده مستقبلا بمشيئة الله ، مع ذلك فقد وردت بعض القصائد الطوال كقصيدة (غسيل الملائكة) و قصيدة (ذهول الحس) مثلا .. »^(١)

والحديث عن الموضوعية فى شعر بهكلى لا يغض من شاعريته وخاصة فى الاتجاه الذى يجيده وهو الشعر الذائق الغنائى الذى يصور الأثر النفسى عنده ، وهو بارع فيه وفى تصويره ، قوى فى ابداعه ، حتى فى الشعر الإسلامى ، الذى يعد دون الأغراض الأخرى فى الإبداع والتصوير .

فالشاعر حين يصور أثر الشهيد (سيد قطب) الشخصية الإسلامية المعطاءة فى نفسه ، نجد شعرا رائعا قويا ، يدل على شخصية الشاعر ، وإبداعه الفنى ، يقول فى قصيدته (إلى سيد قطب) :

برغم الزحام .. برغم الظما	يلو كان ذاك المدى المبهما
برغم الليالى حبالى عشى	برغم الصبيحات سكرى عمى
برغم الذى جاء أو لم يجيء	تمردت يا عاصفا ملهما
فلا شيء واجهت إلا ثوى	كسيحا .. وحطمت تلك الدمى
عبرت زمان القصور إلى	زمان بدرع الوصول احتمى
وألغيت كل العذاب الذى	قضى أمره زمننا مبرما
ولم تك يا سيدى ساحرا	ولا ذا هوى بنجوم السما
ولكن ظللت شجاعا بلا	مراء .. وأعلستها مسلما
وقال لك الله كن بذرة	تفتح يقينا وأثمر دما
وراحت خطاك بدرب الهدى	تشع سنا يهتك المظلما
وحققت دعوته لترى	على طرقات الهدى معلما

(١) طيفان .. على نقطة الصفر : المقدمة ص ٤

لك الخطب والحادث المؤلماً؟
 فلم ير ذاك السنن الأعظماً
 وأن له النصر إما رمى
 فما مت ياسيدى معدماً
 دمعى عليك إذا ما همأ
 شهيد قلى الأرض نحو السما
 ملاً عزها الكون واستلماً
 وقد طاولت - سيدى - الانجماً
 رأيت النور تجوس الحمى
 تأذى .. فليث الشرى اتهمأ
 معى وردة لم تزل برعماً
 ذوت بسمه لم تجد ميسماً^(١)

وكم من جهول ردىء بغى
 تغشت على ناظرية الرؤى
 ولم يجتل النور من مسلم
 إذا مت ياسيدى معدماً
 أيتك ياسيدى لا تظنن
 لعمرك لم أبك يوماً على
 ولكن حزني على أمة
 وعاث البغاث بأحسابها
 إذا الصقر عن أيكه لم يذد
 وإن أنجد الذئب يوماً وما
 أيتك ياسيدى حينى
 حنانيك ما كنت إلا كما

رابعاً - الرثاء :

لا يوجد هذا الغرض إلا في ديوانه الثاني (طيفان .. على نقطة الصفر) ويضم قصيدة (ذهول الحس ص ٧٣ ، ٨٢) في اغتيال الملك فيصل بن عبد العزيز طيب الله ثراه أنشدتها في ١٣/٥/١٣٩٥ هـ بالرياض ، وقصيدة (حديث العياء ص ٨٢ ، ٨٥) في رثاء رفيق الشاعر عبد العزيز أحمد هيجان في ١/٤/١٣٩٥ هـ جيزان ، وقصيدة (البرىء ص ٨٦ ، ٩٠) ، مهداة إلى روح الشيخ على بن يحيى عباس رئيس بلدية أوى عريش سابقاً .

يقول بهكلى في (ذهول الحس) :

مثلما تهصر اليد الغصن هصراً ووريقاته تساقط تترى
 كما بعثت حبيبات رمل ربح صيف تحوّل الحسن نكراً
 مثل هذا يجيننا القدر الصا رم يخطو فما ندبر جذراً
 إن هربنا وكيف ذاك لم نس طع هروباً فنسلم الأمر قسراً
 إنما خطوة القضا ألف شبر إن تكن خطوة الخلائق شبراً
 هى أقدارنا سوائم فى مر تع أعمارنا تذل وتضرى
 لم نأس إذا تعسفها الجو ع فجاءت تجذ شوكا وزهراً

(١) طيفان .. على نقطة الصفر : ١٠٢/٩٨

وإذا ما القضاء حلّ .. محال
إيه يا لهفة المحبين زيدي
فالذي شيد الحبة صرحا
قد قضى بينا الليالى ابتهاج
والفيافي حدائق تتغاني
بينما الحلم سارب في رؤانا
وإذا بالصراف تقطع ذاك
ورمته الرعاء - آه - فأصمت
وإذا الموجة العظيمة تنقض
والحبيب القريب منا مسجى
ويكاد التكذيب يثبت لولا
إنه مات لم نعاند .. ولكن
كان في كل خافق أملاً يا
وأعنى فى لست أدري
أعزى المحراب وهو انتحاب
أم أعزى المنى وكانت تغنى
حرث هل أبعث العزاء إلى مكة
والبراءات هل أعزى ؟ وعين
هل أعزى الشآم والنيل باك
ويصيح البكاء فى مسمعى من
ولصنعاء آهة لو وعتها
وقف الحزن كاتباً بيد الغد
والمآق سفائن فى محور الوجد
إيه يا لهفة المحبين إني
كلفينى البكاء والألم المغد
سأصوغ الليالى عقداً على صد
فالمصاب الجليل هتك أستا
حملينى الشجى ولمض المعانا
غير أنى .. وإن تدجت سمائى
فعل أفقى الرحيق بدور
فالفوس الظماء للعز تروى

رده فالقضاء أمضى وأجرى
واجارى بالدعاء بالخير جأراً
فى الحنايا .. وبلور السعد بشرى
ببقاه .. وغادة الحلم سكرى
ووجوه الأقوام تطفح بشرا
يتهادى على المشاعر نهر
الحلم كى تصنع النهاية غدرا
سهمها .. والدهول بالحس أزرى
شتاتا قضته مداً وجزرا
برداء .. وقد قضى الله أمراً
أن رأى العينين أصدق خيراً
عاند الحب .. رب رحماك تترى
رب فاغفر له .. وأجز له أجراً
من أعزى فيمن فقدناه طراً
حين يضحى ضحى .. ويصبح فجراً
لحنا الراحل المجلل فخرا
والقدس تسطر الدمع سطر
النبل والمجد يا إلهى عبرى
وعيون الفرات بالدمع سكرى
ربع عمان .. أم منازل بصرى
أذنى .. أصبحت تجلجل وقرا
ر على أوجه المحبين سفرا
والوجد ينثر الدمع نثراً
إن ترايدت استميحك عذرا
ق إني بنذب حبي أحرى
ر حنينى .. وسوف أوليك شكرا
ر التأسى .. فلم يذرفيه سترا
ة وأوفى إلى فجراً وعصرا
لن أظل الزمان أطلب بدرا
تبتدى فتصنع النور صبرا
من عيون تظل تزخر زخرا

إننا صفحة إذا تم سطر
وإذا فل صارم من قرع الخطب
نحن من أمة تثيرها الله
ستظل الزمان تعلو وتعلو
وإذا ما اقتطفت يا دهر ربحا
إن في الأفق نفحة من شذاها
قد تموت الأشياء تفسى ولكن

كتب الحمد في الصحيفة سطرا
لم نفتقد صوارم أحرى
فأضحت بالله أعظم قدرا
وتصوغ الجهاد حقا ونصرا
نة آمالنا.. فلم نأت إصرا
أرجأ ينجلي بهاء ونشرا
يخلد الحق.. فهو أعمق جذرا^(١)

كان لابد من ذكر القصيدة كلها ، لأوضح أمراً لابد منه هنا وهو أنني جعلت بعض القصائد في رثاء الفيصل من الشعر الاسلامى ، ولم يدخل تحت باب الرثاء ، لأنها انصرفت عن تصوير المرثى إلى تصوير ما قام به من حضارة إسلامية ، وتثبيت لدعائم الشريعة ثم مواقفه العربية الاسلامية للدفاع عن الاسلام والعروبة وغيره مما جعل مثل هذه القصائد الاسلامية العربية لا تدخل في باب الرثاء .

لكن هذه القصيدة (ذهول الحس) ليس بها من المرشحات السابقة ، التى تجعلها من الشعر الاسلامى إلا في القليل من أبياتها ، فهى أدخلت في باب الرثاء ، ولا ينقص ذلك من قيمتها الأدبية فالرثاء ما زال غرضاً أدبياً نبيلاً وشريفاً وعدم دخولها في الشعر الاسلامى وانتسابها إلى غرض الرثاء يرجع لأسباب أهمها ، أن الشاعر يرجع إلى ذاته ، ويتمدد في وجدانه ، ويهرب إلى الطبيعة هياماً بها ، ولا يخضع لموضوع في الشعر حتى يتقيد به ، بل يسير على مذهبه من التحرر في التجديد ، وهكذا يمضى الشاعر من أول بيت في القصيدة إلى آخر بيت فيها .

فالشاعر بهكلى يعبر عن مذهبه الأدبى فيها ، لأنه لا يصور آثار الفيصل طيب الله ثراه ، في الأمة الاسلامية والعالم العربى وما شيده من حضارة ، وما حث عليه من التمسك بقيم الاسلام وتشريعه ، ولم يوضح مواقفه الشجاعة مع الأمة ضد أعداء العربية والاسلام .

لكن الشاعر صور أثر الصدمة العنيفة على نفسه ، التى رنت في أذنيه تحمل نبأ الاستشهاد ، فأخذ (ذهول الحس) ، وصرفه عن وصف الأجداد إلى تصوير الآثار النفسية للنبأ الذى هز وجدانه من أعماقه ، وهز وجدان العالم الاسلامى من حوله ، بحيث أبدى الجميع آثار هذه الهزة العنيفة على النفس ، فيصور مدى الأسى العميق ، الذى أصابها ، ويصور اليد الطائشة ، التى أوجعت الأسى ، ويصور القدر الذى فاجأ النفس بما لا ترغب مع الايمان به كل الايمان ، في عشرين بيتاً .

(١) طيفان .. على نقطة الصفر : ٨٢/٧٣

ثم يصور العزاء بعد ذلك ، وهو أثر نفسى أيضا فى ستة عشر بيتا ، وفى الأبيات الثانية الأخيرة ، يصور أمجاد المرثى ، وغاية الأمر عنده فى هذا ، أن الفيصل صفحة من التاريخ سطرها المجد ، فهو سيف صارم ، والحق خالد بعد فنائه وتلك آثار نفسية أيضا ، وليست تصويرا للأجناد والبطولات ، التى حفظها التاريخ لهذا الزعيم الإسلامى العربى الكبير .

لذلك كان الشاعر دقيقا وصادقا ، حينما جعل عنوان قصيدته (ذهول الحس) ، فكانت صدى لتصوير أحاسيسه ومشاعره ، وتجسيدا لأثر الحادث الأليم على النفس ، الذى فجر فى نفسه تلك التجربة الشعورية الحزينة المؤلمة فجعلت النفس تنزف دما ، وتتلفى ألما ، وتشتكى أمرها ، وهى مفزوعة حائرة تائهة لولا الايمان بالقدر الذى يثبتها على العقيدة السمحاء .

فالقصيدة مشدودة بمميزاتا السابقة إلى الخصائص الفنية لمدرسة الشاعر ، وهى التحرر فى التجديد ، التى يركب فيها الشاعر أجنحة الألم والحزن والشكوى والانطواء داخل الذات والنفس ، متحرراً عما هو موضوعى ، لأنه خارج عن ذاته وأعماق نفسه وأغوار وجدانه ، وبهذا يكون الشاعر صادقا مع مذهبه الأدبى ومخلص له كل الاخلاص .

لهذه الأسباب أدخلت قصيدته (ذهول الحس) فى باب الرثاء ، لا فى الشعر الإسلامى ، على العكس مما صنعتها فى مواطن أخرى ، حيث انضم إلى الشعر الإسلامى ، لما يقوم عليه من موضوعية لا ذاتية ، واهتمام بتصوير آثار المرثى وأجواده ، لا آثاره فى نفسه فقط ، وبذلك يكون الرثاء قد أخذ طورا جديدا لم يكن له من قبل فى الشعر الحديث ولذلك فضلت أن يدخل فى الشعر الإسلامى فهو إليه أقرب من غرض الرثاء الموروث .



التصوير الشعري

بين الوجدان الذاتي والالتزام الموضوعي :

بهكلى شاعر من مدرسة (التحرر في التجديد) ، وخاصة في ديوانه الأول (الأرض والحب) ، تغنى الشاعر فيه بمشاعره الذاتية ، وأحاسيسه الفردية ، ووجدانه النفسى ، ولا تجد له في هذا الديوان شعرا ملتزما غالبا ، يعالج به موضوعات في الواقع ، وإنما كان يعالج خلدجات قلبه ، وحمم عواطفه ، وثورة وجدانه لكن على أنه فرد من أفراد المجتمع ، فيعالج المجتمع من خلال ذاته فقط ، ولا يعالجه من خارج ذاته ، بلا انفصال عنه ، لأنه فرد منه ينبغى أن ينظر إليه من داخل نفسه ، وأن يهتم به من خلال ذاته ووجدانه أولا ، وذلك في شعره الوجداني والتأملي ، الذى اشتمل عليه الديوان .

وشعر الطبيعة كذلك كان يتناوله الشاعر هروبا من واقعه ليناجى مظاهرها ، فتشاركه عواطفه ومشاعره ، فهو يصور نفسه من خلال مظاهر الطبيعة ، لأنها رمز يعبر عن وجدانه ، ومسرح لتأملاته ، ومعرض للتعرف على أسرار الجمال ، التى ينشدها في مجاليتها ، وبسطت القول في ذلك في أغراضه الأدبية .

أما الديوان الثانى (طيفان .. على نقطة الصفر) فقد تنوعت فيه الأغراض والموضوعات ، فاشتمل على أغراض موضوعية ، وخاصة في شعره الاسلامى ، ولكنه مع ذلك غلب عليه التحرر في شعره من الموضوعية والالتزام ، وأوضحت ذلك حين تناولت الشعر الاسلامى غرضا من أغراض شعره ، حين صور الشاعر أثر الموضوع في نفسه ، لا ذات الموضوع بأحداثه وقد أقر الشاعر بذلك على نفسه ومنهجه في الشعر كما قدمنا .

والشأن في الموضوعات الاسلامية التى تناوها الديوان الثانى أن تعتمد على الالتزام والتصوير الواقعى للأحداث كما وقعت في التاريخ ، ولكن تحرر الشاعر في التجديد جعله لا يعبا بتطور الأحداث ونموها ، وإنما كان يصور أثر هذه الأحداث في نفسه ، ودرجة استجابة العاطفة والمشاعر لهذه الأحداث ، وضربت الأمثلة على ذلك من قصيدته (غسيل الملائكة) وغيرها .

الوحدة الفنية في شعره :

فالوحدة الفنية في شعره تكاد لا تخلو منها قصيدة أو مقطوعة ، حيث تقوم على غرض واحد ، وموضوع واحد ، يشتمل على أفكار تنمو من خلال الموضوع ، وتدور في فلكه في ترابط وتلاحم بين الألفاظ والأساليب والصور والأخيلة ، والإيقاع والموسيقى حتى نهاية القصيدة ، وإذا رجعنا إلى قصيدة مما سبق ، أو مما سيأتي ، ستجد هذه الوحدة تسرى بين جوانبها المختلفة .

التشخيص في التصوير الشعري :

أما التشخيص عند بهكلي فيرجع الاهتمام به إلى خياله الواسع العميق ، الذي يبعث الحياة في الجمادات والأرواح في المعاني والمجردات ، فتتعاطف الكائنات معه ، وتردد أصداء أحاسيسه ومشاعره بين أعماقها ، فيحبها وتحبه ، ويعشقها وتعشقه ويشتاق إليها ، وتشتاق إليه يقول بهكلي في (السحر يلد أباها) :

صبوت وأضحى هائما مغرما قلبي ولت ولى عذر فإدلالها يصبى
كأنى مجذوب لها وهى جاذب لحبل ودادى حيث قد أحكمت جذبى

إلى قوله :

حيبتك حبا فوق جهدى وطاقتى وأيا ذوب إحساس رقيق ويا مدى
إذا كان فى معنى (الجمانية) انتمى هواى فقد ذقت الصباية فى (النصب)
وتحت ظلال الأيك فى (السودة) انجلى لى الحسن مشدودا على ربعها الخصب
وأيدى النسيم الغض تمصر غادة من العرعر المزدان ذى الفن الرطب
على حين صдах البلابل قائم يصوغ الرؤى بترنيمة حلوة تسبى
وينساب رراقا نير مدله كأن أساه من فراق ابنه السحب
وكم فى شفا (القرعاء) سرحت ناظرى ليرجع مبهورا من المنظر العذب
كأن لكف السحر تمريرة على عيون المياه الجاريات على الترب
تلمست أبغى دارة الحسن فى الدنا وساءلت عن معنى العنادل فى درى
وظفت أروود المرتع الخصب للهوى لألقاه فى أباها ابنة السحر والحب^(١)

(١) الأرض .. والحب : ٩/٧

فأبها حبيته التي أحبها وأحبتة ، وفي كل حى من أحيائها تجاوبت مع عواطفه ، وفي كل معنى من مغانيها استجابت مع مشاعره فحبها تغلغل في القلب ، حتى تجاوز الجهد والطاقة ، فانتسب الشاعر إلى معنى (اليمانية) وكثيرا ما ترددت عليها لأرى بنفسى تلك المغانى الجميلة الرائعة ، في حوض أعلى جبل وسط مدينة أبها ، في قمته محطة (تليفزيون) المنطقة الجنوبية .

وكا ذاق الشاعر مرارة الصباية في حى (النصب) ، الذى كنت أطل عليه بنفسى من شرفة مسكنى (عمارة الراجحى) صباح مساء ، وأتملى سحر الجمال في جباله ، التى تحتضن بساتين أبها وأشجارها ومزارعها في واد تندفق إليه المياه الغزيرة في فصل الشتاء وفصل الربيع وجزء من الصيف .

أما ظلال الأيك في غابات (السوداء) الساحرة ، فتميس في سحر خلاب وحسن باهر ، متربعة على عرش ريع خصيب ، وهى أعلى منطقة في أبها ، حيث ترتفع عن سطح المدينة ثلاثة آلاف قدم وتتعانق غابات العرعر الكثيفة ، التى تشدو بأغاريد البلابل خلال تربة خصبة ، وصخور متنوعة ، وجبال جدد سود وبيض وحمر مختلف ألوانه ، تنعكس عليها أشعة الشمس الساطعة الذهبية .

وأما المطر إذا سح لا يرحم أحدا فتفتتح السماء بالماء كأفواه القرب (كما يصف ذلك أحد المستشرقين) ، وكنت أتردد عليها من حين لآخر ، لأتلو آيات الله ، التى نظمها طبيعة ساحرة في أرض خصبة رابية وسط جبال شاهقة ، وصحراء تضن السماء على أهلها بالماء القليل ، هذا هو موطن الغرابة والدهشة ، التى كانت تستبد بقلبى ، وتجيئ بخواطرى ، وتشدنى إلى هناك من حين لآخر .

وأما القرعاء فقد بهرت نظرة الشاعر ، حين تجرى العيون على تربتها الخصبية ، فتتسلل المياه من بين الأشجار الضخمة ، التى كنت أجنح إليها كثيرا ، فأتفياً ظلها من وقت لآخر .

فاليمانية ، والنصب ، والسودة ، والقرعاء ، كلها أماكن ساحرة في أبها ، التى عاش تجربتها الشاعر ، وتجاوبت عاطفته ومشاعره معها ، وبين ربوعها ، وتلك خصائص التحرر عند الشاعر ، الذى أحب الطبيعة ومعالمها في الجنوب ، وتردد صدى الوجدان من خلالها .

ولاهتمام الشاعر بالطبيعة ومعالمها في الجنوب ، تراه في قصائده كثيرا ، يقول في (يا متدى الذكريات) :

ما عرفت الحنين حتى تباعدت عن الأثل في شفا القرعاء
ما شكوت الخواء حتى تناديت فلم أدن من ربا حجلاء
ما تأسيت قبل بعدى عن نعمان مغنى الإثارة الخضراء

كنت والحب في مغانيك نحيا أملا راقيا وحلو رجاء
وأماسينا لقواءات نجوى نثرت من يمينك المعطاء^(١)

فالقرعاء ونعمان وحجلا من مفاتن عسير ، وحجلاء كانت ولا تزال بها كلية التربية
فرع جامعة الملك سعود (الرياض سابقا) والتي أعمل بها معازا من جامعة الأزهر ، وهي على
بعد خمسة عشر كيلو مترا من أبها التي أسكن فيها ، والأماكن التي عاشها الشاعر وعشقها وهام
بها يلح على ذكرها في قصائد كثيرة يقول في (الأرض والحب) :

أسائل عنك الليل والأنجم الزهرا لعل لديها عنك يا فنتسى خبرا
ولولا وفائى ما تلمضت صابرا بنار بعبادى عن مرابعك الخضرا
أنا فيك يا جازان فلتزهر الرؤى بعينى غريب هام ربهه دهره
أنا فيك فى (فيفا) نناجى جناتها وأخلق إعجابى بما احتضنت شعرا
وأنساب فى أنهار (بيش) مغنيا منازلها الفيحاء أو زرعها النضرا
وتمنحنى (صبيا) ولا زلت فى الصبا برود صبا تستأثر اللب والفكرا
وأغرق روحى فى هوى (ضمد) التى رعتنى عمرا بات من أعذب الذكري
بروحى تلك الأرض من أثلها إلى منابت (سَعِيد) قد انتشرت عطرا
على أننى ضيعت عمرى فى (أبى) عريش) فإن خرفت يا جنتى عذرا
كأن لياليها سواحر بابل وماضمت تلك الليالى غدت سحرا
ولى فى ديار الأريحية والندى بسامطة قلب تعانقه البشرى
كما عانقت جازان أذرع بحرها وعانقت التاريخ والمجد والفكرا^(٢)

فهذه الأماكن التى التهبت فى وجدان الشاعر ، وهى مدينة جازان غربى المنطقة الجنوبية
تعانق بذراعيها البحر الأحمر ، ولها تاريخ حافل بالمجد والعلم والأدب والحضارة ، وجبال (فيفا)
جميلة المناظر عليلة الهواء ، جيدة الثمار ، تقع فى شرق المنطقة ، ومدينة (بيش) أكبر أودية
المنطقة الزراعية ، (وصبيا) مدينة تاريخية ، تعد مركزا سكانيا وتجاريا ، من أهم مدن المنطقة
الجنوبية ، وقرية (ضمد) من أكبر القرى ، وكذلك (أبو عريش) مدينة فى الوسط ، ومدينة
(سامطة) فى الجنوب من عسير .



(١) الأرض .. والحب : ص ٢٠
(٢) المرجع السابق : ٣٣/٣٥

الخيال والصور الأدبية :

وتضطره اللهجة الجنوبية في الأسلوب من حين لآخر أن يعبر بما يدور على اللسان العري الفصيح فيها من إبدال الظاء ضاداً على عاداتهم منذ القدم ، فيقولون : (تلمضت) واللهجة القرشية تنطقها (تلمظت) بالظاء ، والمعنى واحد وتردد ذلك في شعر الهكلى فيقول :

ولولا وفأى ما تلمضت صابراً^(١)

ويقول في موطن آخر :

وتلمضت على نار وقد جاءت رسالة^(٢)

ومن روائع صور الخيال القوية الحية ، ما جاء في مقطوعته (بوح) يقول :

أبها .. ويبسم كل محروب	أبها .. ويفرح كل منكوب
أبها .. وكل الكون أبعدنى	وجذبتنى فرأيت تقريـى
وحضنتنى وأنا الشريد فلم	أحزن للأساقى وتعديـى
إنى انتهيت إلى حنانك يا	شجنى وسعدى وتأويـى
من أين .. لا أدرى سوى سبب	لا زال يجذبنى ويفرى لى ^(٣)

وكذلك نجد الخيال الخصب ، والتصوير البديع الرائع في صور كثيرة ، مثل ما جاء في

قصيدة (شوق) :

يا شادنا وسرار القلب مرتعه	والحس إما غفت عيناه مضجعه
وفى الحشا منه نار بات يوقدها	هجرانه وصدود ظل يصنعه
أهات صبّ وأنات يرددها	ونحو عمق الشكاة الحزن يدفعه
تعنو إليه تباريح الجوى سحرا	وتحتويه مع الآصال أدمعه
متيم ليس يدرى كيف حل به	خطب الغرام فأضحى الهم يتبعه
وليس يدرى أذرفُ الدمع يسعفه	أم أن ترديده آه الحزن ينفعه
يسامر الليل والأفلاك مكتئبا	لعلها من عذاب السهد تنزعه ^(٤)

(١) الأرض .. والحب : ٣٣

(٢) طيفان .. على نقطة الصفر : ١٢٦

(٣) الأرض .. والحب : ٢٢

(٤) الأرض .. والحب : ٤١/٣٩

صور جزئية بديعة رائعة ، جاد بها خيال الشاعر ، وهو يخلق في حزنه وآهاته وأناته ، فالهجران يوقد لهيبا في أحشائه وهو في صدم مستمر يردد الأنات ، وتدفعه الأحران المريرة إلى الشكوى والتساؤل ، وتنتابه تباريح الجوى ، وحرارة الدموع في الآصال وفي الأسحار ، فهو صريع لا يدرى من صرعه هل الغرام ؟ أم الهم ؟ ، كما لا يدرى هل الدموع المنهمرة هي التي تطفئ نار الشوق ، أم ترديد الآهات والأنات ، ويظل كذلك يساهر الليل مكتئبا ، ويرعى النجوم مسامرا ، لعلها تشغله عما يعانيه من سهد ، وما يتجرعه من مرارة الصباية .

ومن هذه الصور الرائعة ما جاء في قصيدة (عذابان) :

أنت أغلى في فؤادى من دعاء مستجاب
أنت يا ملهمتى أحلى من الشهد المذاب
أدركيني فأنا أضنى وفاء لا انتحاب
وبلا أجنحة حلقت لكن لا أهاب
فالهوى ينساب من نبعك أحلى انسياب
اتركيه كى يروى ظمئى من ذى الشراب
وحنين داخلى أضحى وصبرى فى احتراب
لست أدرى أى هذين قد استولى الركاب
فبقى فى القلب يحيا فى ذهاب وإياب
أهو الصبر أم الشوق وفى كل عذاب
تبت من ذنبى ولكن منك مالى متاب^(١)

والخيال الرائع يظهر فى قوله : (هى أغلى من الدعاء المستجاب) ، وهى (أحلى من الشهد المذاب) ، وهو (يتعذب وفاء لا انتحاب) ، ويخلق بخياله بلا أجنحة ، والهوى كالماء ينساب أحلى انسياب ، والحنين والصبر فى احتراب ، والقلب يحيا فى ذهاب وإياب ، وهو لا يدرى أين العذاب فى الصبر أم فى الاشتياق ؟ ، والتوبة لا من الذنب ولكن منها المتاب .

صور بديعة تنساب فى التأثير على العاطفة والقلب كانسياب الماء إلى الظمآن ، ويهتز لها الوجدان ، كما تتمايل الأغصان لنسيم الصباح ، وكذلك من الصور اللطيفة العذبة ، والخيال الخفيف المخلق قوله فى قصيدة (السر العجيب) :

(١) الأرض .. والحب : ٧٠/٦٩

قلت في نفسي ولم أضمن صوابا في المقالة
 ذاب محب مدنف .. يا قرب الله وصاله
 والمحبون دواما هم هو مثل الذبالة
 في احتراق وعناء وسهاد ونكاله
 إن يكن ذا الكون كأسا فهمو منه العلالة
 أو يكن ذا الكون علما فهم حرف الامالة^(١)

فالصور هنا عذبة خفيفة كخفة الوزن والإيقاع ، لكن بعض العبارات غير الشاعرية ، كان ينبغي على الشاعر أن يتجنبها في التصوير الشعري ، مثل القلق والاضطراب غير المألوف في قوله : (يا قرب الله) حيث أدخل ياء النداء على الفعل وليس هذا مألوفا في استعمال العرب .

وكذلك النظم العلمي الجاف ، الذي لا يتناسب مع تصوير الشعر في البيت الأخير ، حيث صور خيبة الأمل عند الحبيب بالإيقاع الصوق المائل في حروف الإمالة ، وهذا تصوير علمي جاف لا روح فيه ولا حياة .

وكذلك الأساليب العامية التي ينبغي للشاعر أن يترفع عنها في تصويره مثل قوله :
 (تنحنحت) في قوله :

وتنحنحت أين ملكك يا قيصر فارتعاع في هدوء السريـر^(٢)

ومنها ما جاء الغموض فيه تبعا لتركيب العبارة تركيبا غريبا مما دعاه أن يوضح ذلك في آخر القصيدة مثل قوله : (حبالي عشى) ، وقوله (سكرى عمى) حين يقول :

برغم الليالى حبالي عشى برغم الصبيحات سكرى عمى

قال الشاعر في التعقيب على البيت : عشى : العشى ضعف النظر واستخدام حبالي مضافة إليها هنا مبالغة في إثبات الواقع القاصر في زمن المرحوم سيد قطب .

وكذلك تفسيره : سكرى عمى : مبالغة في التقرير : أى لا ترى شيئا .

ولولا الغموض الشديد لما لجأ الشاعر إلى توضيح ذلك عقب القصيدة ، والشعر الشاعر هو الذى يتسلل أثره إلى نفس القارئ بلا معين ، أو تعقيب ، ولو بطول نظر ، أو روية تأمل ، لأن ما وصل إلى القلب بعد التأمل تمكن منه ، وليس الأمر كذلك بعد البحث في معاجم اللغة ، فالبون شاسع بينهما .

(١) طيفان .. على نقطة الصفر : ١٢٢

(٢) الديوان السابق : ٣٩

وكذلك كلمة رغم في استعمالها هنا خطأً : أحدهما أنها ليست من حقل الشعر لأن للشعر كلماته التي توحى بالشاعرية لا بالتدليل ولا التعليل وارتباط الأسباب بالمسببات وهذا ما تدل عليه كلمة (رغم) . ثانيهما : أن الأصل في استعمالها أن يقول الشاعر : (على الرغم من ...) ، وأما بالطريقة التي عرضها فهي استعمال علمى بلا ريب .

وكذلك لم تتلاءم بعض الصور مع معانيها وأغراضها التي تعبر عنها مثل الصورة التي مر التعقيب عليها في قصته الشعرية (غسيل الملائكة) ، ومثل قوله في قصيدة (طيفان) ويقصد الشاعر بهما النبي محمداً ﷺ وجبريل عليه السلام :

ويغطه جبريل يعلمه باسم الإله يقين ما جهلاً
ومحمد يجشو وقد حَبِلَتْ أذناه بالوحى الذى نزلاً
ولد الهدى يا للمخاض فى دنيا اعتلى إن المخاض علا^(١)

ويقصد الشاعر (حَبِلَتْ) بفتح الحاء وكسر الباء ، وقد شكلها على هذا النحو فى الديوان ، وليته ما شكلها ؟ بل تركها للقارىء تحتل الوجه الآخر وهو (حَبِلَتْ) بفتح الباء ، ليكون معناها على سبيل المجاز أليق بمقام النبوة ، فكأن الوحى على ذلك ربطه بالسماء وبالله عز وجل ، كما يربط الطرفان بالحبل ولكن الذى صرف هذا الاحتمال عند الشاعر أمران : الأول التشكيل بكسر الباء ، والثانى الإتيان بما يتناسب مع الحبل من المخاض ، وهذه الصورة لا تليق بمقام النبوة الشريف وجلال الوحى ، وقدسية التنزيل ، لأن الشاعر جعل الأذن حبل الوحى الذى نزل على محمد ﷺ ، فتمخضت الحبل حين المخاض وولدت الهدى للبشرية جمعاء ، وهذا لا يصح أن يقال فى هذا المجال ، ويبدو أن الشاعر شديد الاصرار لما ذكره فى البيت التالى من لفظ (الحمل) :

حملته كفا مؤمن رحل هيا اقبلى الايمان والرجلا
وقوله :

سمعت هذى الأرض فانتفضت من دهشة وتلجلجت خجلا
والأرض بكسر رغم ما عشقت لكها لم تعرف القبلا

وليس تبريراً صحيحاً ما يقوله الشاعر عن نفسه من أنه لا يراجع العمل الفنى بعد صدوره لأول مرة وذلك بالتهذيب والصقل ، فهذا القول لا يشفع له فى مثل هذه المواقف ،

(١) طيفان .. على نقطة الصفر :

فنوايغ الشعراء قديما وحديثا ، يراجعون تجاربهم الشعرية المرة بعد المرة ، لكي ينقدوا شعرهم حتى تخف عليهم حدة النقد في انتاجهم .

وإننى أريد من كل شاعر أن يكون ناقدا ، لأن النقد هو الذى يدفع الشعر دائما إلى القوة والابداع والجمال ، ولا من الشاعر أن يردد هذا القول مرة ثانية في الطبعة الثانية للديوان الثانى الذى ذكر فى مقدمته :

(ولا أخفى على قارئى العزيز بأننى — خصوصا نتاجى الشعرى — لا أعيد النظر ولا أضيف ولا أحذف يقينا منى بأن للتجربة الشعرية حكما لا يجوز تهذيبه فى اللحظات العادية ، لذا لم أجد بدا من الإبقاء على كل ما رصفته فى هذه المجموعة واعترمت دفعها للطبع)^(١) .

الإيقاع والموسيقى :

الشاعر أحمد بهكلى التزم البحر الواحد فى القصيدة على النمط الخليلى فى البحور الشعرية العمودية ، ولم يتعسف مراكب الشعر الحر ، إيمانا منه بالاصالة المعتدلة المصوغة فى قالب تراثى يقول الشاعر فى المقدمة : (وإننى رضيت بكونى راكعا فى سفينة الأصالة المعتدلة ، والأصالة الشعرية فى نظرى الحدائثة الفكرية فى قالب تراثى .. من هنا انطلق من الجذور .. لا أجتثها .. لا انفصل عنها .. ولست مكابرا .. وما أنا بحجر)^(٢) .

لكن الشاعر نوع من القافية حيث جاءت قصائد فى شعره تعتمد على التعدد فى القوافى ، فى نظام المقطعات ، كل مقطع له قافية يختلف عن المقطع الآخر ، مثل قصيدة (أحبك) ، وسبق ذكرها فى موطن آخر ، وقصيدة (حديث العياء) يرثى بها عبد العزيز أحمد هيجان فى جيزان يقول :

أحدثكم عن أصول الجوى وعن لوعة الروح يوم النوى
أحدثكم عن سناء الرؤى يغور وكيف يموت الهوى
وعن الدمع ينساب نهرا على مآق تروت به ما ارتوى
وأى رحيل تنسأى على منانا ..؟ وأى كيان هوى !؟

★ ★ ★

(١) طيفان .. على نقطة الصفر : المقدمة

(٢) الديوان السابق : المقدمة

أود الحديث فلا أستطيع وعينى تودع ركب الريح
أحاول - لكن رزأ دهى فعى الفصيح وصمّ السميع
تعسف سعدى ولم يتشد فراح يزيد صدوعى صدوع
وعبد العزيز قضى لم أكد أصدق لولا قتام الربوع^(١)

وهكذا إلى نهاية القصيدة التى تقوم على نظام المقطعات ، وقد يلتزم الشاعر مع المقطعات المختلفة القوافى قافية واحدة فى البيت الأخير من كل مقطعة ، مثل ما جاء فى قصيدة (من خالد بن الوليد)^(٢) :

أنا من ؟ لو لم يك الايمان فى دنياى دينى
لو لم يبصر فى طريق الرشد من طريق الظنون
لو لم يزح عن ناظرى ستر الضلالة والفتون
فأسير لا ألوى .. وقد هربت شكوكى من يقينى
ويرفر فى شفتى لحن رائع .. الله أكبر

إلى قوله :

ما فى شبر لم تعانقه الصوامم والرمماخ
لم تلغ وجدانى وتنشرنى على أعلى البطاخ
يضنى الشجاع إذا قضى بين النوايح والنواخ
أما الجبان فموته .. كحياته موت ارتياخ
إنى أحس الموت يشعرنى بأن الله أكبر^(٣)



(١) الديوان السابق : ٨٢/٨٥

(٢) طيفان .. على نقطة الصفر : ٩٧/٩٣

(٣) نسبة إلى قوله المشهورة (والله ما فى جسدى إلا وفيه ضربة من سيف أو طعنة من رمح وهآذا أموت على فراشى كالبعير .. فلا نامت أعين الجبناء .

المصادر والمراجع

- أولاً - دواوين الشعراء :
- ١ - ديوان نيل السول :
- الشيخ حافظ بن أحمد الحكيم - البلاد السعودية - مكة المكرمة
- ٢ - نظم اللؤلؤ المكنون في أحوال الأسانيد والمتون :
- الشيخ حافظ بن أحمد الحكيم - مطابع البلاد السعودية - مكة المكرمة
- ٣ - ديوان عقد الجواهر المنضدة الحسان :
- سليمان بن سحمان - بمباى ١٣٤٣ هـ
- ٤ - مجموعة أشعار الحسن بن عاكش :
- المكتبة العقيلية الخاصة - جازان
- ٥ - نفحات من عسير :
- جمعه ونسقه محمد بن ابراهيم الحفظى ، وعبد الرحمن بن ابراهيم الحفظى عام ١٣٩٣ - ١٩٧٣ م - مطابع عسير - أبها
- ٦ - ديوان القلائد :
- محمد بن على السنوسى - مطبعة دار الكتاب العربى عام ١٣٨٠ هـ القاهرة
- ٧ - ديوان الأغاريد :
- محمد بن على السنوسى - مطابع الأصفهاني - جدة
- ٨ - ديوان أزاهير :
- محمد بن على السنوسى - الأصفهاني - جدة ١٩٧٢ م
- ٩ - ديوان الينابيع :
- محمد بن على السنوسى - نادى جازان الأدبى - مطابع المدينة المنورة - جدة

- ١٠ - ديوان نفحات الجنوب :
محمد بن علي السنوسي - نادي جازان الأدبي - مطابع الروضة - جدة - الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ
- ١١ - ديوان الأنغام المضيئة :
محمد أحمد العقيلي - دار الإمامة - الرياض الطبعة الأولى ١٣٩١ - ١٩٧١ هـ
- ١٢ - ديوان عبير من عسير :
يحيى ابراهيم الألعى - الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ
- ١٣ - ديوان الألعيات :
زاهر عوض الألعى - دار القلم - بيروت ١٣٩١ هـ
- ١٤ - علي درب الجهاد :
زاهر عوض الألعى - مطابع الفرزدق - الرياض ١٤٠٠ هـ
- ١٥ - كلمات وقصائد :
مطبوعات نادي أبها الأدبي - مطبعة عسير ١٤٠٠ هـ
- ١٦ - أزاهير من ربوع عسير :
مطبوعات نادي أبها الأدبي - مطبعة عسير ١٤٠٠ هـ
- ١٧ - مسابقة الشعر بنادي جازان الأدبي :
مطبوعات نادي جازان الأدبي عام ١٣٩٧ هـ
- ١٨ - ديوان في متاهات الحياة :
أحمد علي عسيري - جدة ١٣٩٣ - ١٩٧٣ هـ
- ١٩ - ديوان الأرض والحب :
أحمد بهكلي - نادي جازان الأدبي ١٣٩٨ - ١٩٧٨ هـ
- ٢٠ - ديوان طيفان على نقطة الصفر :
أحمد بهكلي - نادي جازان الأدبي - الرياض ١٤٠٠ هـ

ثانياً - المراجع :

- ١ - طبقات الشعراء :
ابن سلام الجمحي
- ٢ - مروج الذهب ومعادن الجوهر :
علي بن الحسين المسعودي - مصر ١٣٨٣ هـ
- ٣ - معجم البلدان :
ياقوت الحموي - مصر ١٣٢٥ هـ

- ٤ — الشعر والشعراء :
ابن قتيبة الدينورى
- ٥ — الموازنة بين أبى تمام والبحترى :
أبو الحسن الآمدى
- ٦ — أسرار البلاغة :
عبد القاهر الجرجانى — تحقيق محمد رشيد رضا ١٩٣٢
- ٧ — شرح الحماسة :
المرزوقى
- ٨ — الطراز
بمحمى العلوى
- ٩ — الصناعتين :
أبو هلال العسكرى
- ١٠ — صفة الجزيرة :
للهمدانى — تحقيق محمد بن بلهيد النجدى — السعادة بالقاهرة ١٩٥٣ م
- ١١ — صحيح الأخبار عما فى بلاد العرب من آثار :
محمد بن بلهيد النجدى — تحقيق محمد محمى الدين عبد الحميد — المحمدية بالقاهرة
١٩٥٣ م
- ١٢ — التيارات الأدبية والشعر العربى الحديث :
د . عبد اللطيف خليف — القاهرة ١٩٧٧ م
- ١٣ — الأعلام :
خير الدين الزركلى — مصر ١٩٥٩ م
- ١٤ — ملوك العرب :
أمين الريحانى — دار الريحانى — بيروت ١٩٦٠ م
- ١٥ — مرآة الحرمين :
ابراهيم اللواء رفعت باشا — دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٤٤ م
- ١٦ — الأدب العربى المعاصر ومدارسه :
د . محمد عبد المنعم خفاجى — المحمدية — الأزهر
- ١٧ — فصول فى الأدب والنقد :
د . محمد عبد المنعم خفاجى
- ١٨ — النقد الأدبى الحديث :
د . محمد غنيمى هلال — مصر ١٩٧١

- ١٩ — الرومانتيكية :
 د . محمد غنيمي هلال
- ٢٠ — مذاهب النقد وقضاياها :
 د . عبد الرحمن عثمان — مطابع الاعلانات الشرقية ١٩٧٥ م
- ٢١ — الأدب الحديث :
 د . عبد الرحمن عثمان
- ٢٢ — الديمقراطية الاسلامية :
 د . عثمان خليل — القاهرة ١٩٥٨ م
- ٢٣ — الدعوة في الاسلام :
 توماس ارنولد — النهضة المصرية ١٩٥٧ م
- ٢٤ — قضايا النقد :
 د . محمد السعدى فرهود
- ٢٥ — الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر :
 د . عبد القادر القط — مكتبة الشباب — القاهرة ١٩٧٨ م
- ٢٦ — الأدب الحجازى في النهضة الحديثة :
 أحمد ابراهيم — نهضة مصر — القاهرة ١٩٤٨ م
- ٢٧ — دورنا في الكفاح :
 حسن عبد الله آل الشيخ — مطابع نجد — الرياض ١٣٨٣ هـ
- ٢٨ — الوحدة الاسلامية :
 زيد بن فياض — مطابع القصيم بالرياض ١٣٨٨ — ١٩٦٨
- ٢٩ — الموسوعة الأدبية :
 عبد السلام طاهر الساسى — دار الكتاب العربى — القاهرة ج ١ عام ١٩٧٠ م
- ٣٠ — شعراء الحجاز المعاصرون :
 عبد السلام طاهر الساسى — دار قريش مكة ١٣٨٨ هـ
- ٣١ — أدب الحجاز :
 محمد سرور الصبان — ط ثانية — مطبعة مصر ١٩٥٨ م
- ٣٢ — المعرض :
 محمد سرور الصبان — مؤسسة مكة المكرمة — ١٩٤٥ م
- ٣٣ — التيارات الأدبية الحديثة في قلب الجزيرة العربية :
 عبد الله عبد الجبار — مطبوعات معهد الدراسات العربية العالية — القاهرة ١٩٥٩ م
- ٣٤ — قصة الأدب في الحجاز :

د . محمد عبد المنعم خفاجى — عبد الله عبد الجبار — دار مصر للطباعة — القاهرة

م ١٩٥٨

٣٥ — الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية :

د . بكر شيخ أمين — دار بيروت ١٣٩٣ — ١٩٧٣

٣٦ — الحياة الفكرية والأدبية في جنوبي البلاد السعودية :

عبد الله محمد حسين أبو داهش — دار الأصالة — الرياض ١٤٠٢ هـ

٣٧ — شعراء الجنوب :

محمد أحمد العقيل — محمد بن علي السنوسى — مطبعة الكمال — عدن

٣٨ — تاريخ عسير في الماضي والحاضر :

هاشم سعيد النعمى — مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر

٣٩ — أخبار عسير :

عبد الله بن علي بن مسفر — المكتب الاسلامى — دمشق — بيروت

١٣٩٨ — ١٩٧٨

٤٠ — السراج المنير في سيرة أمراء عسير :

عبد الله بن علي بن مسفر — ط أولى — مؤسسة الرسالة — بيروت

١٣٩٨ — ١٩٧٨

٤١ — شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب :

عبد الكريم بن حمد الحقيلى — ط أولى — ١٣٩٩ هـ

٤٢ — تاريخ الخلفاء السليمانى :

محمد أحمد العقيلى — مطبعة دار الكتاب العربى — القاهرة — الجزء الثانى

٤٣ — تاريخ الخلفاء السليمانى :

محمد أحمد العقيلى — مطابع الرياض — ١٣٧٨ — ١٩٥٨ — الجزء الأول

٤٤ — بلاد زهران في ماضيها وحاضرها :

محمد مسفر الزهرانى — دار الثقافة — مكة المكرمة ١٣٩٠ هـ

٤٥ — نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر :

محمد محمد بن زياره — الجزء الثانى — السلفية — القاهرة ١٣٤٨ هـ

٤٦ — في ربوع عسير — ذكريات وتاريخ :

محمد رفيع عمر — دار العهد الجديد للطباعة — القاهرة ١٣٧٣ هـ — ١٩٥٤ م

٤٧ — في بلاد عسير :

فؤاد حمزة — دار الكتاب العربى — القاهرة ١٩٥١ م

٤٨ — الشعر في ظلال حركة الامام محمد بن عبد الوهاب :

- عبد الله الحامد — مطبوعات النادي الأدبي بالرياض — مطابع الجزيرة — الرياض
١٣٩٩ هـ
- ٤٩ — في سراً غامد وزهران :
- حمد الجاسر — دار البمامة — الرياض — مطبعة المتنبي — بيروت ١٣٩١ — ١٩٧١
- ٥٠ — رحلات في عسير — نصوص وانطباعات ووصف ومشاهدات :
- يحيى ابراهيم الألعى — دار الأصفهاني — جدة
- ٥١ — تاريخ الشعر العربي الحديث :
- أحمد قبش — دمشق ١٩٧١ م
- ٥٢ — دراسات في النقد العربي :
- الدكتور حسن جاد حسن — القاهرة ١٩٧٧ م
- ٥٣ — تاريخ الدولة السعودية :
- أمين سعيد — مطبعة كرم — بيروت ١٩٦٤
- ٥٤ — مجموع النفايس الشعرية والغرائب الشهية :
- عبد الرحمن بن عبد العزيز ، وصالح سليمان بن سحمان — دار البيان — مصر
١٩٧١
- ٥٥ — الوثائق التاريخية لسياسة مصر في البحر الأحمر (١٨٦٣ — ١٨٧٩ م) :
- شوق عطا الله الجمل — لجنة البيان — مصر
- ٥٦ — الحلقة الفقودة في تاريخ العرب :
- محمد جميل بيهم — ط أولى — الباب الحلبى — مصر ١٣٦٩ هـ — ١٩٥٠ م
- ٥٧ — الملك عبد العزيز في مرآة الشعر :
- عبد القدوس الأنصارى — مؤسسة مكة للطباعة والاعلام — مكة المكرمة ١٩٧٤ م
- ٥٨ — التفسير النفسى للأدب :
- د . عز الدين اسماعيل — دار العودة — بيروت ١٩٧٦ م
- ٥٩ — الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية :
- د . عز الدين اسماعيل — ط ثالثة — دار الفكر العربي ١٩٧٨ م
- ٦٠ — مصادر الفكر العربي الاسلامى في اليمن :
- عبد الله محمد الحبيشى — صنعاء — بيروت — دار العودة
- ٦١ — اتجاهات وآراء في النقد الحديث :
- دكتور محمد نايل أحمد — القاهرة ١٩٧١ م
- ٦٢ — الاصلاح الاجتماعى في عهد الملك عبد العزيز :
- عبد الفتاح حسن أبو علية — المطابع الأهلية — الرياض ١٣٩٦ — ١٩٧٦
- ٦٣ — الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة :

- أنيس المقدسى — دار الكتاب العربى — بيروت ١٩٦٣ م
- ٦٤ — قضايا الشعر المعاصر :
- نازك الملائكة — مكتبة النهضة — بغداد ١٩٦٥ م
- ٦٥ — الثلاثاء الحزين :
- عبد العزيز أحمد شكرى — الأصفهاني — ١٣٩٥ — ١٩٧٥ م
- ٦٦ — لمحات عن التطور الفكرى فى جزيرة العرب فى القرن العشرين :
- فهد المارك — مطابع ابن زيدون — دمشق ١٣٨٢ هـ
- ٦٧ — الخليج العربى :
- قدرى قلجى — دار الكتاب العربى — بيروت ١٩٦٥ م
- ٦٨ — نجران الحديثة :
- سيد الماحى
- ٦٩ — الاتجاهات الأدبية فى العالم العربى الحديث :
- أنيس المقدسى — بيروت ١٩٦٠ م
- ٧٠ — معجم المؤلفين :
- عمر رضا كحالة — مطبعة الترقى — دمشق ١٣٨٠ هـ
- ٧١ — الأدب العربى المعاصر ١٨٦٠ — ١٩٦٠ :
- د . كامل السوافيرى — دار المعارف ١٩٧٩ م

ثالثا — الدوريات :

- ١ — جريدة البلاد ١٧/١١/١٣٩٤ هـ
- ٢ — جريدة البلاد ٨/٧/١٣٨٨ هـ
- ٣ — جريدة المدينة المنورة رجب ١٣٩٩ هـ
- ٤ — جريدة المدينة المنورة ١٧/٤/١٣٩٣ هـ
- ٥ — مجلة المنهل شهر جمادى الآخرة ١٣٧٦ هـ
- ٦ — مجلة المنهل المحرم وصفر ١٤٠٢ هـ
- ٧ — مجلة الأديب ١٣٩٤ هـ
- ٨ — رسالة فرع الجامعة — كلية التربية — جامعة الملك سعود — فرع أبها — العدد السابع — الأربعاء ١٨/٣/١٤٠٢ هـ

من كتب للمؤلف

- ١ — البناء الفني للصورة الأدبية في شعر ابن الرومي
الأمانة — القاهرة ١٩٧٦ م
- ٢ — الأدب الاسلامى حتى نهاية القرن الرابع الهجرى
دار الأنصار — الأمانة ١٩٧٦ م القاهرة
- ٣ — عبقرية ابن الرومي
الأمانة ١٩٧٤ م القاهرة
- ٤ — الصورة الأدبية — تأريخ ونقد
دار الحارثى — السعودية — الطائف ١٤٠١ هـ
- ٥ — البناء الفني للصورة الشعرية
دار الحارثى — السعودية — الطائف ١٤٠١ هـ
- ٦ — عمود الشعر العربى
دار الحارثى — السعودية — الطائف ١٤٠٢ هـ
- ٧ — من الأدب الحديث في ضوء المذاهب الأدبية والنقدية
السعودية — الرياض — دار المريح ١٤٠١ هـ
- ٨ — ابن الرومي بين الأصالة العربية ودعوى الرومية
السعودية — الرياض — دار المريح ١٤٠٢ هـ
- ٩ — المذاهب الأدبية في شعر الجنوب الحديث
السعودية — جدة — دار تهامة
- ١٠ — حضارة الاسلام في الشعر العربى الحديث
تحت الطبع
- ١١ — حضارة الاسلام في الشعر السعودى الحديث
تحت الطبع
- ١٢ — أدب عمر بن الخطاب رضى الله عنه
تحت الطبع
- ١٣ — صحيفة بشر بن المعتمر وأثرها في النقد العربى
مطبوعات نادى أبها الأدى ١٤٠٢ السعودية

محتويات الكتاب

الصفحة	الموضوع
٩	مقدمة
١٥	تمهيد
الباب الأول	
٢٣	مدرسة المحافظين
الفصل الأول	
٢٥	التقليد — خصائصه — شعراؤه
٢٧	مدرسة التقليد المجرد من الموهبة الشعرية
الفصل الثاني	
٣٥	مدرسة المحافظين
٣٧	خصائصها الفنية
الفصل الثالث	
٤٣	شعراء آل الحفظي
٤٥	الشعراء
٤٧	خصائص شعرهم المحافظ
الباب الثاني	
٦٥	مدرسة التجديد المحافظ

الفصل الأول

٦٧ الخصائص الفنية
٦٩ أصول المحافظة على عمود الشعر العربي
٧١ دعائم التجديد وخصائصه الفنية
٧٣ شعراء مدرسة المجددين المحافظين

الفصل الثاني

٧٥ الشاعر محمد بن علي السنوسي
٧٧ نشأة السنوسي وحياته
٨١ الأغراض الأدبية في شعر السنوسي
١٣١ التصوير الأدبي في شعر السنوسي
١٣٢ خصائص الألفاظ والأساليب
١٣٧ التشخيص في التصوير الأدبي
١٣٩ الروح الإسلامية في التصوير الأدبي
١٤٢ الصور الخيالية
١٤٧ الوحدة الفنية
١٤٨ صور غير متلائمة
١٥٠ موازنة ونقد

الفصل الثالث

١٥٩ الشاعر محمد بن أحمد العقيلي
١٦١ نشأة العقيلي وحياته
١٦٣ التصوير الأدبي للأغراض الأدبية

الفصل الرابع

١٧٥ الشاعر زاهر عواض الألعى
-----	-------------------------------

الصفحة	الموضوع
١٧٧	نشأة الشاعر وحياته
١٧٩	الأغراض الأدبية
٢١٤	التصوير الأدبي

الفصل الخامس

٢٣٧	الشاعر يحيى ابراهيم الأملى
٢٣٩	نشأة يحيى الأملى وحياته
٢٤١	الأغراض الأدبية في شعره
٢٥٧	وقفات مع الشاعر

الفصل السادس

٢٦٣	شعراء آخرون
-----	-------------

الباب الثالث

٢٧٥	مدرسة التحرر في التجديد
-----	-------------------------

الفصل الأول

٢٧٧	الخصائص الفنية لمدرسة التحرر في التجديد
-----	---

الفصل الثاني

٢٨٥	الشاعر أحمد العسيري
٢٨٧	أحمد عسيري — نشأته وحياته
٢٨٩	الأغراض الأدبية وخصائصها الفنية
٣٠٢	التصوير الشعري

الفصل الثالث

٣١٥	الشاعر احمد بهكلي
-----	-------------------

الصفحة	الموضوع
٣١٧	نشأة الشاعر بهكلي وحياته
٣١٩	الأغراض الأدبية في شعره
٣٣٦	التصوير الشعري
٣٣٧	الوحدة الفنية في شعره
٣٣٧	التشخيص في التصوير الشعري
٣٤٠	الخيال والصور الأدبية
٣٤٤	الايقاع الموسيقى
٣٤٧	المصادر والمراجع

